

مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية

مجلة علمية محكمة

ISSN: (e) 2709-0833
معامل التأثير للعام 2022 = 4.91

العدد الثالث - المجلد الخامس - مارس 2024م



السودان، الخرطوم، الخرطوم بحري،
كافوري جوار جامعة الزعيم الأزهري

هاتف: 00249123656807

00249905578664

البريد الإلكتروني: info@hnjournal.net

العراق - بابل : 009647805011077

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إدارة المجلة

د. إبراهيم عبد الرحمن أحمد

رئيس التحرير

د. عبدالرحمن الشيخ علي ال غصبيه

نائب رئيس التحرير

د. أحمد فايق سليمان دنول

رئيس اللجنة العلمية

د. راکز سالم العرود

نائب رئيس اللجنة العلمية

الهيئة الاستشارية والعلمية الدولية

أ.م. عباس مراد دوهان

أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة الكوفة وجامعة الإمام

الكاظم كلية الدراسات الإسلامية

د. علي طالب عبيد السلطاني

أستاذ جامعي كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم

الإسلامية

د. تامر شبل زيا

كلية الادارة والاقتصاد / الجامعة المستنصرية

د. أمجد عباس أحمد

كلية الإمام الكاظم. قسم الحاسوب، العراق

د. ميسون طه حسين منصور الزهيري.

القانون العام (القانون الدستوري) / جامعة بابل

د. علي محمد كاظم الكريطي

مقرر قسم القانون في كلية الإمام الكاظم / أقسام ميسان

د. خالد طه سالم صالح

كلية التربية جامعة صنعاء

د. ميثم منفي كاظم العميدي

كلية القانون، جامعة بابل، العراق

د. محمد حسين مهاوي / المعروف ب(د.محمد

الواضح)

معاون العميد للشؤون العلمية والدراسات العليا

بجامعة الامام الكاظم وأستاذ اللغة العربية

د. عبدالرحمن الشيخ علي ال غصبيه

استاذ القانون المدني

كلية القانون والعلوم السياسية جامعة ديالى

كلية الامام الكاظم (ع)

009647701072853

أ.م. د. حيدر كريم جاسم الجزائري

أستاذ جامعي جامعة الإمام الكاظم

الحمد لله الواحد الأحد، على ما أنعم وأعطى من غير حول منا ولا قوة، نحمده تعالى على عظيم فضله وكثرة نعمه وتوفيقه. ونصلي ونسلم على خير البرية احمد الذي هو عزيز عليه ما عنتنا، حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم.

مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية هي مجلة عربية دولية محكمة مستقلة تم انشاؤها عن طريق مجموعة من أساتذة الجامعات الموقرين وأصحاب الكفاءات العلمية العالية وهي تتبع رسمياً لمركز الأبرار للأبحاث والدراسات الإنسانية. حصلت المجلة على الرقم التعريفي الدولي، وقد حصلت أيضاً على اعتراف وتصنيف اتحاد الجامعات العربية. وأيضاً حصلت على تصنيف (SJIF) على الموقع الالكتروني <http://sjifactor.com/> بمعامل تأثير مقداره 4.91. وقد حصلت المجلة على الموافقة من المنظمة الدولية للأرقام التعريفية الدولية للأبحاث (DOI) وسيتم منح كل بحث رقم دولي الكتروني تعريفي خاص بالبحث يبقى مدى الحياة. تهدف المجلة إلى نشر العلوم في كافة المجالات باللغات العربية والانجليزية والفرنسية وبأسعار رمزية لتعم الفائدة لجميع الباحثين العرب حيث لا يجد كثير منهم منصات علمية محكمة وسريعة في النشر والتحكيم والتدقيق.

ونحمد الله ونشكره على ان اكتمل العدد الثالث من المجلد الخامس، وقد احتوى هذا العدد على (21) بحث، وتشكر إدارة المجلة جميع المؤلفين الذين تقدموا ببحوثهم وأوراقهم العلمية ومقالاتهم والتي بحسب رأينا بها كثير من الفائدة حيث تحتوي البحوث المنشورة في هذا العدد والأعداد السابقة على مواد ذات سبق علمي فريد. نسأل الله تعالى ان يوفقهم ويزيدهم علماً ونوراً وفائدة للأمة العربية.

كما تود إدارة المجلة ان تشكر جميع الذين ساهموا في إنجاح هذه المجلة فالبعض منهم قد قام بالتبرع المادي والبعض بالنصائح والمساعدة في النشر.

د. إبراهيم عبد الرحمن أحمد

رئيس التحرير

شروط النشر بالمجلة

تعليمات للباحثين:

1. ان يكون البحث ذا قيم علمية بحيث انه يقدم جديد في عالم المعرفة.
2. ان يكون البحث سليماً من حيث الصياغة اللغوية والإملائية.
3. الا يكون البحث مستلاً من بحث تم نشره مسبقاً.
4. الا تتجاوز عدد صفحات البحث (25) صفحة متضمنة الأشكال والرسومات والجداول والصور والمراجع. اذا كان هنالك ملاحق فإنها لا تدرج في النشر ولكنها مهمة ان وجدت لأغراض التحكيم.
5. يجب الا يدرج الباحث اسمه في متن البحث وذلك لضمان سرية التحكيم وجودته.

تنسيق البحث:

1. لا يتجاوز عدد صفحات البحث (25) صفحة متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع.
2. تكتب بيانات البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتحتوي على: (عنوان البحث، واسم الباحث والتعريف به، وبيانات التواصل معه).
3. أن يحتوي البحث على ملخص باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يتجاوز كل منهما (250) كلمة مع التأكيد على كتابة عنوان البحث باللغة الانجليزية، وأن يتبع كل ملخص كلمات مفتاحية (Keywords) (دالة على التخصص الدقيق للبحث) بحيث لا يتجاوز عددها (5) كلمات.
4. الهوامش: إذا كان البحث باللغة العربية: 3 سم للأعلى والأسفل، و3 سم للجانب الأيمن و2.3 سم الأيسر. أما إذا كان البحث باللغة الإنجليزية: 3 سم للأعلى والأسفل، و2.3 سم للجانب الأيمن و3 سم الأيسر.
5. المسافة بين الأسطر: مفردة.
6. الخطوط: إذا كان البحث باللغة العربية Simplified Arabic،، حجم الخط 14 غامق للعنوان الرئيس، 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لباقي النصوص وترقيم، 11 عادي للجداول والأشكال و10 عادي للملخص. اما اذا كان باللغة الإنجليزية Times New Roman،، حجم الخط 14 غامق للعنوان الرئيس، 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لباقي النصوص وترقيم، 11 عادي للجداول والأشكال التوضيحية و10 عادي للملخص.
7. عناصر البحث:
8. المقدمة: (موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته).
9. تبين الدراسات السابقة وإضافته العلمية عليها.
10. المواد وطرق العمل: يجب أن تحتوي على تفاصيل طريقة إجراء البحث والتحليل الإحصائية والمراجع المستخدمة لهما.
11. النتائج والمناقشة: يمكن كتابة النتائج والمناقشة تحت عنوان واحد أو تحت عنوانين منفصلين. في حالة البيانات المجدولة توضع الجداول والأشكال داخل المتن في أول موقع متاح عقب ذكرها برقمها في المتن. ويستحب عدم إعادة كتابة الأرقام المذكورة بالجداول ويفضل الإشارة إلى وجودها بالجدول أو الشكل وتناقش النتائج بالتفصيل بالاستعانة بالمراجع ذات الصلة بالبحث.
12. كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم النتائج والتوصيات.
13. قائمة المصادر والمراجع.

14. الجداول:

15. تدرج الجداول في النص وترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب أسماؤها في أعلاها.
16. في النص: الجدول (1) (مع مسافة واحدة بين الجدول ورقمه).
17. التسمية التوضيحية: ينبغي أن تدرج في الجدول على الصف الأول تتسق كالتالي:

الجدول(1) عنوان الجدول مع ثلاث مسافات بين التسمية التوضيحية واسم الجدول.

- يتم كتابة المصدر أسفل الجدول حجم الخط 11.

1. الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية: تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في النص، وتكون الرسوم والأشكال باللونين الأبيض والأسود وترقم ترقيماً متسلسلاً.
2. في النص: (الشكل 1) (مع مسافة واحدة بين الشكل ورقمه).
3. التسمية التوضيحية: يجب أن تكون تحت الشكل مباشرة كالتالي:

شكل(1) عنوان الشكل

- يتم كتابة المصدر أسفل الشكل حجم الخط 11، كالتالي (اسم الشهرة للمؤلف، سنة النشر: رقم الصفحة) إن لزم.

طريقة التوثيق:

1. طريقة الإشارة إلى المصادر داخل متن البحث حسب نظام APA.
2. طريقة كتابة المراجع في نهاية البحث حسب نظام APA.

الصفحة	الموضوع
30 – 1	دور الصكوك الإسلامية في التمويل العقاري بالتطبيق على المصارف التجارية السودانية - في الفترة من 2010-2022م أ.د. محمد حنفي محمد نور تبيدي د. خالدة الأمين حسن عتولي
31 – 35	Exploring the genetic dynamics of consanguineous marriages in Libyan populations: A novel focus on the D19S433 short tandem repeats (STRs) marker within Chromosome 19's Centromere Region Tarek Shoeib, Abdelmuhsen Abusneina, Ali Ksheish and Zianab Alhursh
60 – 36	اللهجات العربية الملقبة - دراسة في ضوء علم اللغة الحديث د/ زكريا عطيفي حماده عطيفي
78 – 61	جماليات التشكيل الموسيقي في البناء الشعري عند الجرجاني د / سيد أحمد عبد الرحمن محمد
93 – 79	القاموس المحيط ومكانته في الدراسات اللغوية الشنقيطية د. المصطفى ولد مَعَا/ أحمدو
103 – 94	نظام رباعي الابعاد مشتق من نظام SPROTT-B احمد ذنون شيت
123 – 104	الارتقاء التقني للتهجين الوظيفي في الفضاءات الداخلية المعاصرة أ.م.د. محمد حسن حياوي الحلو محمد مؤيد حاتم الانباري
132 – 124	الدلالة العقلية والدلالة الحسية في الفعل ايمان مسلم عباس الجابري
144 – 133	فهم السلف الصالح للقياس د. يحيى إبراهيم خليل
145 – 156	LES SOFS DANS LE PRERIF CENTRAL: INVENTAIRE, POTENTIALITES ET VALORISATION Amrani Soukaina , El amrani Abdoulouhed
214 – 197	أثر الحوافز المادية وغير المادية على أداء العاملين بمصنع الزبادي لشركة النسيم للصناعات الغذائية مصراته أنور علي النعيري، عبدالحكيم فرج فليفل
233 – 215	ظواهر أسلوبية في سورة يوسف (ع) م.م. وسام مزهر جاسم
248 – 234	أثر الموقع النحوي على والوظيفة الدلالية (دراسة وصفية تحليلية لنصوص من دلائل الإعجاز) د. نيكسون جونسون بونا
263 – 249	في بنوية المقاربة الوظيفية للعلوم الاجتماعية د/ عصام الحكماوي
270 – 264	سيمائية العنوان كنص موازي لبناء المعنى - العنوان والمعنى: امبرتو ايكو ترجمة: محمد دخاي
277 – 271	الرمز ودلالاته في إبداع محمد عناني المسرحي (نماذج مختارة) د/ أسامة محمد السيد الشيشيني

283 – 278	الرواية التاريخية الحديثة: من تسريد التاريخ إلى تأريخ السرد - دراسة في الكتابة الروائية عند الأديب الموريتاني أحمدو بن عبد القادر أحمدو لكبيد محمدو
296 – 284	دور الكفاية اللغوية التواصلية في تعلم التاريخ أميمة مسكين
319 – 297	التضامن الجزائري مع المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي لل ليبيا (1938-1911) د . محمد خليفة محمد سعد
329 – 320	أثر الترقية في تحقيق الولاء التنظيمي - دراسة ميدانية ديوان الضرائب محلية شندي خلال الفترة من 2020-2024م د. محمد محجوب سليمان فضيل

عنوان البحث

**دور الصكوك الإسلامية في التمويل العقاري بالتطبيق على المصارف التجارية السودانية
في الفترة من 2010-2022م**

أ.د. محمد حنفي محمد نور تبيدي¹ د. خالدة الأمين حسن عتولي¹

¹ أستاذ إدارة الأعمال المشارك بجامعة النيلين كلية التجارة ورئيس قسم إدارة الأعمال السابق، السودان.

بريد الكتروني: mhanafi1980@gmail.com

² أستاذ مساعد في كلية الاقتصاد والعلوم الادارية جامعة قاردين سيتي، السودان.

بريد الكتروني: khaldaalamin7@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/1>

تاريخ القبول: 2024/02/08م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور الصكوك الإسلامية في التمويل العقاري بالمصارف التجارية في السودان، حيث تمثلت مشكلة الدراسة في تدني استخدام الصكوك في التمويل العقاري الامر الذي أثر سلباً على التمويل العقاري في السودان، وباعتبار أن الصكوك الإسلامية مصدراً لجذب المدخرات وتوفير فرص استثمارية وإمكانية استخدامها في التمويل العقاري وغيره، يمكن مشكلة الدراسة في السؤال التالي: ما هو دور الصكوك الإسلامية في التمويل العقاري بالمصارف التجارية في السودان؟. افترضت الدراسة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الصكوك الإسلامية والتمويل العقاري. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الصكوك الإسلامية والتمويل العقاري، وكذلك تدني استخدام المصارف التجارية في السودان للصكوك الإسلامية في مجال التمويل العقاري، أوصت الدراسة بعدة توصيات منها: الإهتمام بنشر ثقافة التعامل بالصكوك الإسلامية في المصارف التجارية وبيان مميزاتها والمخاطر التي تنطوي عليها للمستثمرين، وتشجيع المصارف في إصدار صكوك استثمارية عقارية خاصة بها باعتبار إنها تمثل مصدراً تمويلياً مهماً.

الكلمات المفتاحية: الصكوك الإسلامية، التمويل العقاري.

RESEARCH TITLE

Role of Islamic Sukuk at Real Estate Financing Applying to Sudanese commercial banks In the period from 2010-2022

Dr. Muhammad Hanafi Muhammad Nour Tabidi¹ Dr. Khalida Al-Amin Hassan Atouli²

¹ Associate Professor of Business Administration at Al-Nilein University, Faculty of Commerce and former Head of the Department of Business Administration, Sudan. Email: mhanafi1980@gmail.com

² Assistant Professor at the Faculty of Economics and Administrative Sciences, Garden City University, Sudan. Email: khaldaalamin7@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/1>

Published at 01/03/2024

Accepted at 08/02/2024

Abstract

The study aimed to identify the role of the relationship between Islamic sukuk and real estate finance in commercial banks in Sudan, Where the problem of the study was the decline in use Islamic sukuk in real estate financing, which negatively effected at real estate, and considering that Islamic sukuk are a source of attracting savings and providing investment opportunities, the problem of the study is summarized in the following question: What is the relationship between Islamic sukuk and real estate finance in commercial banks in Sudan?. The study assumed a statistically significant relationship between Islamic sukuk and real estate finance. The study adopted the descriptive analytical approach. The study reached several results, including: There is a statistically significant relationship between Islamic sukuk and real estate finance, the decline in use Islamic sukuk of commercial banks in Sudan in the field of real estate financing,. The study recommended: spreading the culture of dealing with sukuk in commercial banks and explaining its features and risks to investors, and encouraging bank to issue investment real estate sukuk of its own, given that it represents an important financing source.

Key Words: Islamic sukuk, real estate financing.

مقدمة :

يمثل تمويل العقارات أهمية بالغة نظراً لحاجة الناس الماسة لها، كما يساهم التمويل العقاري في معالجة الركود الحقيقي للسوق العقاري ويدفعه في اتجاهات إيجابية من خلال توليد الطلب الفعال في السوق، وبالتالي تنشيط السوق العقاري والأنشطة الاقتصادية المرتبطة به مما يؤدي إلى دفع عجلة التنمية الاقتصادية، ويعاني القطاع العقاري أزمات في السيولة فرضت على المستثمرين فيه البحث عن حلول مالية يمكن بواسطتها تمويل مشاريع هذا القطاع. ونسبةً لاهتمام نظام الاقتصاد الإسلامي بتنظيم الاقتصاد وتنميته إنتاجاً واستهلاكاً وفقاً لأصول الإسلام وتعاليمه- لذلك فإن الأدوات المالية الإسلامية تحمل مرتكزات وضوابط هذا النظام، وتعد الصكوك الإسلامية أداة حيوية من أدوات التمويل والاستثمار الإسلامي، ونظراً للأهمية البالغة للصكوك الإسلامية ونموها وتطورها والاهتمام العالمي بها لتنمية رأس المال سوى استثماراً أو بالتمويل باعتبارها من أفضل الوسائل لجذب المدخرات وتجميع الأموال لتمويل مشروعات التنمية، ولذلك فإن الحل دون الدخول إلى زيادة رأس المال أو الاقتراض بفائدة إنما يتمثل في إصدار الصكوك الإسلامية لذا أصبح من الضروري إلقاء الضوء على الدور الذي يمكن أن تقوم به الصكوك الإسلامية في التمويل العقاري.

مشكلة الدراسة :

يحتاج القطاع العقاري الي أموال كبيرة وفترة استرداد طويلة ،وهذا يجعل طبيعة التمويل العقاري لا تتسجم مع طبيعة موارد المصارف بالرغم من مزاياه في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي للفرد، وتمثلت مشكلة الدراسة بعدم توسع المصارف التجارية في السودان في مجال التمويل العقاري، وباعتبار ان الصكوك الإسلامية مصدراً لجذب المدخرات وتوفير فرص استثمارية وإمكانية استخدامها في التمويل العقاري فإن مشكلة الدراسة تتلخص في السؤال التالي:

ما هو دور الصكوك الإسلامية في التمويل العقاري بالمصارف التجارية في السودان؟.

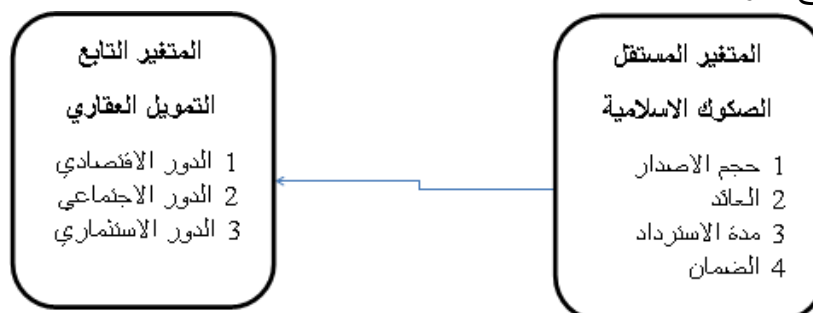
فرضيات الدراسة :

تقوم الدراسة باختبار الفرض التالي: هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الصكوك الإسلامية والتمويل العقاري .

نموذج الدراسة :

اعتمدت الدراسة علي متغيرين المتغير المستقل (الصكوك الإسلامية) والمتغير التابع (التمويل العقاري) وقد احتوت علي الأبعاد التالية:

شكل رقم (1) نموذج الدراسة :



المصدر: إعداد الباحثان اعتماداً على أدبيات الدراسة، 2022م

أهداف الدراسة :

هدفت الدراسة الي تحقيق الأهداف التالية:

1. التعرف علي دور الصكوك الإسلامية في التمويل العقاري بالمصارف التجارية في السودان.
2. معرفة العلاقة بين الصكوك الإسلامية والتمويل العقاري بالمصارف التجارية في السودان.
3. تقديم بعض التوصيات والمقترحات للمصارف التجارية بالسودان.

أهمية الدراسة :

تمثلت أهمية الدراسة في النواحي التالية:

أولاً: الأهمية العلمية : إثراء المكتبة العربية ومساعدة الباحثين في هذا المجال، وسد الفجوة البحثية التي أغفلتها الدراسات السابقة في معرفة دور الصكوك الإسلامية في التمويل العقاري.

ثانياً: الأهمية العملية : تطوير أدوات ومنتجات مالية إسلامية يتم تطبيقها وممارستها على نحو يلبى احتياجات المواطنين من العقارات.

منهجية الدراسة : اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي

مصادر البيانات :

1. مصادر أولية : تتمثل في البيانات والمعلومات التي تم جمعها عن طريق الاستبانة من مجتمع الدراسة (المصارف التجارية) .
2. مصادر ثانوية :تتضمن الكتب - والبحوث والرسائل الجامعية _المجلات العلمية - الندوات - المؤتمرات - الإنترنت.

حدود الدراسة :

1. الحدود المكانية : السودان - المصارف التجارية بولاية الخرطوم

2. الحدود الزمانية : 2010- 2022م

الدراسات السابقة:

دراسة : حمو سعدية: (2017)(1)

هدفت الدراسة الي التعرف علي الصكوك الإسلامية كأداة تمويلية وابرار مميزاتها، وبيان دور الصكوك الإسلامية في التمويل المالي، وتمثلت مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية: ألي أي مدى يمكن للصكوك الإسلامية المساهمة في التمويل؟ وباعتبار أن ماليزيا تجربة رائدة في التمويل الإسلامي وإصدار الصكوك الإسلامية، فما هو الدور الذي تلعبه الصكوك الإسلامية في تمويل الإقتصاد المالي، ولتحقيق أهداف الدراسة تم إختبار عدة فرضيات منها: تلعب الصكوك الإسلامية دورا بارزا في تمويل الإقتصاد، تتفوق الصكوك الإسلامية علي السندات التقليدية في تمويل الإقتصاد المالي، ومن نتائج الدراسة: تساهم الصكوك الإسلامية بشكل كبير في تمويل الإقتصاد المالي وتم الإعتماد عليها في تمويل مختلف القطاعات خاصة قطاع البنية التحتية، وقد أوصت الدراسة بضرورة بذل مجهودات إعلامية وترويجية لثقافة الإستثمار في الصكوك الإسلامية كمنتج جديد بديل عن أدوات الإستثمار التقليدية.

دراسة: شيماء عبدالله (2019) (2)

هدفت الدراسة الي معرفة العوامل المؤثرة في كفاءة محفظة التمويل العقاري المصرفي في السودان كهدف رئيس وبعض الأهداف الفرعية تتمثل في معرفة أثر كل من حجم التمويل والعائد بالالتزام بالسداد في كفاءة محفظة التمويل العقاري. تمثلت مشكلة الدراسة في اعتماد الحكومات والدول علي التمويل المصرفي العقاري عن طريق المحافظ في حل مشكلة الإسكان الا أن هذا التمويل يتأثر بعدد من العوامل التمويلية، لتحقيق أهداف الدراسة تم اختبار عدة فرضيات منها: هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين العوامل التمويلية المختلفة وكفاءة محفظة التمويل العقاري. هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين حجم التمويل وكفاءة محفظة التمويل العقاري. وأظهرت نتائج الدراسة: وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين العوامل التمويلية المختلفة وكفاءة محفظة التمويل العقاري. وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين حجم التمويل وكفاءة محفظة التمويل العقاري. أوصت الدراسة بعدة توصيات منها تطبيق مؤشرات دراسة الجدوى للمشاريع العقارية الممولة تجعل تكلفة التمويل واضحة ومعروفة منذ البداية، لا بد من وجود نظام لتقدير تكلفة التمويل لتأثيره في قرار طلب تقديم التمويل العقاري.

دراسة: عبدالرحمن توفيق (2020) : (3)

هدفت الدراسة الي بيان مفهوم الصكوك العقارية الاستثمارية وخصائصها التي تميزها عن غيرها من الأدوات المالية التقليدية، ودراسة متطلبات بناء هياكل صكوك عقارية استثمارية تجمع بين الكفاءة الاقتصادية والمصادقية الشرعية، وتمثلت مشكلة الدراسة في الوقوف علي حقيقة الصكوك العقارية الاستثمارية الإسلامية وخصائصها التي تميزها علي غيرها من الأدوات المالية التقليدية، وفوائدها بالنسبة لأطرافها، وتوصلت الدراسة الي النتائج الآتية: يمكن إصدار الصكوك العقارية الاستثمارية بناءً علي أكثر من عقد شرعي وهي تمثل حصصاً شائعة في ملكية المشروع العقاري. أن هيكل الصكوك العقارية الاستثمارية مبنية علي هندسة مالية إسلامية متوافقة مع موجبات الشرع الحنيف وتلبي أهداف أطراف العملية. أوصت الدراسة بالاستمرار في تطوير هياكل الصكوك العقارية التمويلية، وملاحظة تطبيقاتها في أدبيات الصكوك، وأثرها في القطاع العقاري.

التعليق على الدراسات السابقة

تناولت دراسة حمو، وتوفيق، الصكوك الإسلامية من منظور فقهي وفني وقانوني ومدى شرعية تطبيقها، كما تناولها حمو من منظور اقتصادي من حيث مساهمتها في تحقيق التنمية والتطور الاقتصادي ، وتناولها توفيق كمنتج يمكن استخدامه في التمويل العقاري من خلال صكوك استثمارية عقارية وتناولت دراسة الشيماء أثر العوامل التمويلية علي تمويل العقارات من خلال المحافظ الإستثمارية.

اتفقت هذه الدراسة مع دراسات حمو من حيث تناولها موضوع الصكوك الإسلامية من المنظور الفقهي والفني والقانوني وشرعية تطبيقها ودورها كأداة للتمويل عامة لكنها ، واتفقت مع دراسة توفيق، وتميزت هذه الدراسة باعتبارها محاولة جادة لتطوير آلية جديدة للتمويل العقاري بالمصارف السودانية من خلال إصدار صكوك عقارية استثمارية يمكن تطبيقها في الواقع العملي.

ادبيات الدراسة:

المتغير المستقل: الصكوك الإسلامية:

1/ مفهوم الصكوك الإسلامية :

لغة : الصكوك مفردتها (صك) وتجمع أيضاً على أصل وصكاك ورد في القرآن الكريم (وصكت وجها) (4) ، وصكه تعني ضربه ومنها صك العملة المعدنية ، وكلمة (الصك) كلمة فارسية مصرية أصلها (جك) وتعني كتاب ومن معانيها: أنها وثيقة اعتراف بالمال المقبوض أو وثيقة حق في ملك ونحوه. (5).

إصطلاحاً: إنها أدوات مالية إسلامية في شكل وثائق أو شهادات إسمية أو لحاملها وتصدر بموجب عقود شرعية وضوابط تفصل مالكيها ومصدريها ويحدد العقد شروط إدارتها وتداولها وتصدر الصكوك مستندة الى أصول حقيقية أو منافع أو خدمات وتعطى لصاحبها جزئية في هذه الأصول والمنافع والخدمات (ملكية على الشيوع وهي قابلة للتداول). (6)

ويلاحظ الباحث: أن جميع التعريفات للصكوك الإسلامية وإن اختلفت صياغتها أو تسميتها إلا أن مدلولها واحد، وإن مصطلح الصكوك قد انصب في عقول الناس بمعنى الاستثمار الإسلامي، ويرى الباحث أن الصكوك الإسلامية :

(عباره عن أدوات مالية في شكل شهادات ووثائق متساوية القيمة تصدر وفق عقد شرعي وتمثل حصصاً شائعة لحاملها في ملكية أصول حقيقية عباره عن منافع أو خدمات قائمة أو تم إنشاؤها) .

2/ أهمية الصكوك الإسلامية:(7)

1. تلبي الصكوك احتياجات الدولة في تمويل مشاريع البنية التحتية والتنمية بدلاً من الاعتماد على سندات الخزينة والدين العام.

2. تساعد في تحسين ربحية المؤسسات المالية والشركات ومراكزها المالية، وذلك لأن عمليات إصدار الصكوك الإسلامية تعتبر عمليات خارج الميزانية ولا تحتاج لتكلفة كبيرة في تمويلها وإدارتها.

3. المساهمة في جمع رأسمال لتمويل إنشاء مشروع استثماري من خلال تعبئة موارده من المستثمرين وذلك من خلال طرح صكوك وفق مختلف صيغ التمويل الإسلامية في أسواق المال لتكون حصيلة الاكتتاب فيها رأس مال المشروع.

4. تعمل الصكوك على تحسين القدرة الائتمانية والهيكل التمويلي للمؤسسات المصدرة للصكوك من حيث أنها تتطلب التصنيف الائتماني للمحفظة بصورة مستقلة عن المؤسسة ذاتها ومن ثم يكون تصنيفها الائتماني مرتفعاً.

3/ إصدار وتداول وإطفاء الصكوك الإسلامية :

1. اصدار الصكوك الإسلامية:

قبل البدء بعمليات التصكيك يجب ان تقوم الجهات المعنية بدراسة شاملة تشمل على تشكيل لجنة من الخبراء المعنيين

في المؤسسة الإستثمارية تقوم بدراسة أولية فيما يأتي(8):

أ. تمثيل حملة الصكوك والمستثمرين وذلك من خلال تأسيس شركة ذات قرض خاص (special purpose vehicle) وغالباً ما يتم تسجيلها في مناطق ذات إعفاء ضريبي وتكون ذات شخصية مستقلة بالرغم من أنها مملوكة للمستثمرين وذلك لتمثيلهم في إيجاد العلاقات بالجهات المختلفة وتقوم هذه الشركة بشراء الموجودات المختلفة في الصكوك .

ب. طرح الصكوك للاكتتاب بهدف جمع الأموال لتمويل الموجودات الممثلة للصكوك.

ج. تسويق الصكوك وهو إما ان يتم بالطرح مباشرة من الجمهور وإما ان يتم ببيع الصكوك التي تمثل موجودات الأعيان، أو المنافع جملة للمستثمر الأول الذي يكون بنكاً، أو مجموعة بنوك وذلك للقيام بتسويقها وبيعاً لحملة الصكوك .

د. التعهد بتغطية الإكتتاب تحدد نشرة الإكتتاب الجهة التي تتعهد بتنظيم الإكتتاب والإلتزام بشراء الصكوك التي يتم شراءها من قبل المستثمرين ليبدأ نشاط المؤسسة.

2/ تداول الصكوك: من الناحية الشرعية فإن تداول الصكوك أي انتقال ملكية الصك من شخص إلى آخر هو من التصرفات الجائزة شرعاً ، فليس الصك الا وثيقة بما يمثله من أعيان ومنافع وديون ، ويراعي في التعامل التصرفات المتعلقة بالصكوك الأحكام الفقهية في التصرف في أنواع الملك التي يمثّلها الصك، فالتصرف في الصك تصرف في العروض ، ومعروف ان أحكام الشرع لا تضيع قيوداً على التصرفات في العروض الا اذا كانت أعيانها محرمة (كالخمر) ، او شاب التعاقد ظلم أو غش..، وانما تضع أحكام الشريعة بعض القيود على التصرفات المتعلقة بالديون والنقود السائل(9).

لذلك فان الصكوك قابلة للتداول في سوق الأوراق المالية وفقاً للضوابط الشرعية (يجوز تداولها بعد قفل باب الاكتتاب وتخصيص الصكوك وبدء استخدامها وأصدرت من أجله حتى انتهاء وقتها وتصفية المشروع طالما اشتملت على موجوداتها على الأعيان والمنافع) (10).

3/ إطفاء الصكوك : يقصد بإطفاء صكوك الإستثمار استرداد لمال مضاربة من قبل رب المال في صكوك المعارضة ، او استرداد للمال الداخل في المشروع من قبل المصدر الذي يكون بمثابة الوكيل ، او الشريك في مختلف صكوك الإستثمار وهذا الإسترداد يتم بإحدى الطرق التالية (11):

أ. تصفية المشروع وتنظيمه حقيقة _ بيعه وتحويله الى نقد وسيولة _ حيث يأخذ صاحب كل صك حقه ونصيبه من الأموال المتوافرة إن ربحاً فربح ، وإن خسارة فخسارة على الجميع بقدر رؤوس الأموال.

ب. التنضيق الحكمي اي تقويم مشروع تقويماً عادلاً من لدن الخبراء ، ثم توزيع الناتج المقدر على حملة الصكوك كل على حسب حصته .

ج. تمليك الموجودات بالهبة او بتمن رمزي، او بالقيمة المتبقية في صورة صكوك الإيجار التي تنتهي بالتملك.

د. هذا الإطفاء أما أن يكون كلياً مرة واحدة نهاية الإصدار، او جزئياً بالتدرج خلال سنوات الإصدار .

4/ مخاطر الصكوك المرتبطة بصيغ التمويل الإسلامي:

الصكوك الإسلامية باعتبارها ورقة مالية تتعرض الى المخاطر التقليدية التي تتعرض لها الأوراق المالية الأخرى (المخاطر المالية التشغيلية) ومخاطر تختص بها وتتميز بها عن غيرها من الأوراق المالية وذلك وفقاً لصيغ

التمويل التي تصدرها ويمكن إختصارها في الآتي (12):

- أ. مخاطر صكك بالمضاربة : ويمكن إختصارها في المخاطر الأخلاقية (سوء الأمانة وكفاءة الشريك) وسوء الظروف الشائعة وصعوبة التدقيق ولتجنبها يجب الإحسان في إختيار المضارب . والمدقق الداخلي.
- ب. مخاطر صكوك المشاركة : وتتمثل في إدارة المشروع وسوء الظروف السوقية للسلعة المنتجة ، وصعوبة التدقيق والمتابعة ويجب أخذ الحيطة والحذر من مراعاة هذه المخاطر .
- ج. مخاطر صكوك البيوع : مثل التأخير في دفع الأقساط وهلاك السلعة بل التسليم ولتجنبها يجب المتابعة من قبل البنك .

- د. مخاطر صكوك الإستصناع : مثل مخاطر التخزين والنقل - عن سداد الأقساط - إختلاف المواصفات
- هـ. مخاطر صكوك الإجارة : مخاطر ارتفاع التضخم مع طول فترة السداد - تأخير أو عدم السداد - مشاكل صيانة العين - أو سوق العين. (13)

5/ ضمان الصكوك الإسلامية:

يتعين علي المنشآت المالية وضع آليات للتعامل علي ما يواجهها من مخاطر بعد تحديدها سواء بتجنبها إذا كان ذلك ممكناً، أو توزيعها ، أما المخاطر التي لا يمكن تفاديها ينبغي قبولها وتحملها والتعايش معها من خلال حسن إدارتها ويفضل إختيار الصكوك متعددة الضمانات حيث هذه الضمانات تأخذ أشكالاً مختلفة منها: (14)

1. الإحتياطات: تعتبر من الآليات التي تصلح للتعامل مع كافة مخاطر الصكوك الإسلامية وتكوينها رهين بتحقيق أرباح وقد جاء بقرار مجمع الفقه الإسلامي بذات الخصوص في شأن سندات المقارضة و سندات الإستثمار" ليس هنالك ما يمنع شرعاً في نشرة الإصدار علي إقتطاع نسبة معينة في نهاية كل دوره اما من حصة حملة الصكوك في الأرباح في حالة وجود تنضيض دوري، أو حصصهم في الإيراد أو القلة الموزعة تحت الحساب ووضعها في إحتياطي خاص لمواجهة مخاطر خسارة رأس المال" (15)
2. التحوط: تقوم هذه الآلية علي حماية إستثمارات الصكوك الإسلامية من التقلبات خاصة في أسواق الأصول والأسواق المالية ويمكن إعتداد تلك الآلية ضد المخاطر شريطة ألا يأخر البديلين (الثنى والمثلث) حتي لا يكون ذلك من بيع الكالي بالكالي المحرم شرعاً.

3. التنوع: وتقوم هذه الآلية علي تنوع إستثمارات الصكوك الإسلامية من أجل تخفيض درجة المخاطر دون ان يترتب علي ذلك تأثير سلبي علي العائد ، هو ما يعرف بالتنوع الكفوء ، وتوجد أسس مختلفة للتنوع كتنوع تواريخ الاستحقاق أو التنوع القطاعي، أو التنوع الدولي. (16)

يرى الباحث من خلال ما سبق ان الية الإحتياطات غير مناسبة لأنها مرهونة بتحقيق الربح غير أن آلية التنوع هي الأنسب لتقليل مخاطر الاستثمار في الصكوك الإسلامية.

ثانياً: المتغير التابع: التمويل العقاري:

1/ مفهوم التمويل العقاري:

أ. العقار لغة: "المال الذي لا ينقل كالأرض ، والمنزل ، والفندق ونحوه". (17)

ب. العقار اصطلاحاً : ولقد أعطى معيار متطلبات كفاية رأس المال لصكوك والتصكيك والاستثمار العقارية تفسيراً لشموليات العقار ، فهو على سبيل المثال يشمل : الوحدات السكنية، والمباني الصناعية والحكومية والمباني الجاهزة وكذلك المكاتب والأماكن التجارية كالفنادق والمطاعم ومتاجر التجزئة. (18)

ج. التمويل لغةً: "يعني الإمداد بالمال ، وموَّله يعني قدم له ما يحتاج إليه من المال ، يقال موَّله فلاناً وموَّل العمل". (19)

د. التمويل اصطلاحاً: " فهو يعني مجموعة الأعمال والتصرفات التي تمدنا بوسائل الدفع، وهو يعني الأمداد بالمال في وقت الحاجة إليه". (20)، ويمكن تعريف التمويل العقاري بأنه: "ذلك النشاط الاقتصادي الذي يعني بتدبير السيولة النقدية من قبل إحدى المؤسسات المالية المرخصة لتغطية نفقات تملك أو بناء أو ترميم عقار لصالح أحد الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين الخاصين أو العاميين". (21)

ويري الباحث بأن: (التمويل العقاري منظومة اجتماعية اقتصادية متكاملة لأن توفير السكن يجعل الفرد يشعر بالطمأنينة والراحة والأمان وهذا بدوره يؤدي إلى الاستقرار الاجتماعي وهو شرط ضروري كي يساهم أفراد المجتمع في التنمية الاقتصادية خصوصاً في الدول النامية ذات الدخل المنخفض مثل السودان حيث ترتفع أسعار العقارات والوحدات السكنية).

2/ أساليب التمويل العقاري في البنوك الإسلامية:

هناك العديد من أساليب التمويل العقاري في البنوك الإسلامية منها: (22)

1. التجارة في العقارات: تتمثل التجارة في العقارات في قيام البنوك الإسلامية بالاستقرار في الأراضي المعدة للبناء وكذلك المباني وما في حكمها ويأخذ التمويل والاستثمار في العقارات صور متعددة منها :
 - أ. شراء الأراضي المعدة للبناء والانتظار حتى يرتفع سعرها ثم بيعها .
 - ب. شراء قطع أرض معدة للبناء وتقسيمها وبيعها أو بناء المدن السكنية والقرى السياحية وبيعها.
 - ج. شراء العقارات المبنية الجاهزة ثم إعادة بيعها بأحد صور البيع الجائزة.
2. الاعتماد التاجيري للعقارات: الاعتماد التاجيري العقاري ليس مجرد عقد إيجار للعقارات بل هو عقد من نوع خاص ذو طبيعة مركبة حيث يقوم على اندماج عدة عقود معروفة بغرض تحقيق توازن بين رأس المال من جهة والعمل من جهة أخرى للحصول على عائد أوفر وتحقيق العدالة بين طرفي العملية الاستثمارية بصورة أعمق ويجتمع في عملية الاعتماد التاجيري العقاري ثلاث أطراف:
 - أ. البنك المؤجر : وهو الذي يقوم بالتمويل
 - ب. المستفيد: وهو المستأجر للعقارات المبنية وسيصبح ملكاً لها عند نهاية عقد الإيجار
 - ج. المشيد: وهو الذي يقوم بتنفيذ أعمال البناء تبعاً للأوصاف المحددة في العقد وتحت الإشراف الفني للمستفيد مع الاتصال بالمؤجر فيما يتعلق بالمسائل المالية.

3. عمليات المقاولات: وتكون هذه المشاركة في أعمال المقاولين الذين يسند لهم إنجاز أعمال بناء أو غير ذلك ، فعندما ترسو عملية مقاول على أحد العملاء مثلاً ويرغب في مشاركة البنك الإسلامي في تحويلها وفقاً لأساسين : أ. ان يتقاضى العميل نسبة مئوية من عائد العملية مقابل عمله وأجور ومصاريف مكتبية للآلات والمعدات، ودراساته .

ب. ما يتبقى يوزع بنسبة المدفوع من كل طرف تمويل العملية (البنك والمقاول) .

4. البيع الإيجاري العقاري : يمكن للبنوك الإسلامية اللجوء الى صيغة البيع الإيجاري لتمويل بناء العقارات والشركات ، حيث تقوم البنوك بشراء الأرض وإقامة المباني وتأجيرها للمستفيد الذي يلتزم بدفع الإيجار مضافاً اليه أقساط من ثمن العقارات المؤجرة وبعد دفع آخر قسط يكون قد سدد الثمن كاملاً ، وينقلب عقد الإيجار الى عقد بيع وتتخذ إجراءات الشهر العقاري الأمانة. وتمارسه البنوك تحت اسم المشاركة المنتهية بالتملك.

ثالثاً: العلاقة بين الصكوك الإسلامية والتمويل العقاري:

تعد الصكوك أداة محورية في نشاط البنوك الإسلامية يمكن من خلالها تطوير هيكل الموارد والاستخدامات، وتفعيل دورها الاستثماري والتمويلي وتقليل المخاطر فيها والحد من مشكلة السيولة، ويتحدد دورها من خلال الاتي(23):

1. ان استخدام آلية الصكوك في البنوك الإسلامية في جذبها للمدخرات، سينتج التفاعل بين العمل المصرفي والاستثمار، في دفع عملية التنمية، وإقامة هيكل مالي وتوظيف اكفاً بأكثر فعالية مع تخفيض المخاطر التي تتعرض لها البنوك في التعامل مع آلية الحسابات القابلة للسحب، وسوف توفر موارد طويلة الأجل لاستثمارات طويلة الأجل دون إلقاء العبء على هيكل الموارد الموجود في البنوك الإسلامية، وباعتماد وتنشيط دور الصكوك في البنوك الإسلامية يصبح لديها هيكلًا متنوعاً في جانب الموارد يشمل علي تكوين الحسابات بأنواعها والصكوك بأنواعها.

2. تمكن الصكوك عند استخدامها بالبنوك الإسلامية، من تخفيف درجة المخاطر التي تواجه تلك البنوك، بمعنى تدنية تلك المخاطر والتعامل معها بكفاءة، وذلك عن طريق التنوع في آجال واستخدامات الصكوك، وبالترباط بين هيكل الأصول والخصوم فتتخفف مخاطر اختلاف الآجال، وتكون الاستخدامات ممولة بمصادر متناسقة في خصائصها وطبيعتها مع خصائص وطبيعة الاستخدامات بمعدلات الربحية الناتجة عن التوظيف الحقيقي في الاقتصاد الحقيقي، باختلاف القيم الحقيقية للأصول الاستثمارية والنمو في الناتج.

مما سبق معرفته عن الدور الذي يمكن ان تقوم به الصكوك الإسلامية من خلال جذب المدخرات مما يوفر هيكلًا متنوعاً من الموارد وتوفير موارد طويلة الاجل لاستثمارات طويلة الأجل (التمويل العقاري)، كما تمكن من تخفيض درجة المخاطر وذلك من خلال التنوع في آجال واستخدامات الصكوك، وإذا توفرت الموارد وانخفضت المخاطر فإن ذلك يفتح الباب على مصراعيه للاستثمار في مجالات التمويل المتعددة ومن بينها التمويل العقاري لأنه يعتبر تمويل اقل مخاطرة، وذلك من خلال إصدار صكوك استثمار اسلامية عقارية.

توفر الصكوك العقارية الاستثمارية السيولة النقدية وبيان أن بروز التصكيك كأداة مالية ولدت من رحم البحث عن

حلول ناجعة لمواجهة خطر الديون الضخمة والمتراكمة بسبب القروض طويلة الأجل التي تهدد مؤسسات الإقراض العاملة في مجال التمويل العقاري بالإفلاس ويبدو انه الدافع الرئيسي للتصكيك. (24)

الدراسة الميدانية:

أولاً: المصارف موضوع الدراسة

البنك العقاري التجاري:

البنك العقاري التجاري واحد من بين أول ثلاثة بنوك متخصصة ، حيث تم تأسيسه بموجب قانون البنك العقاري رقم {34} في عام 1966م بهدف مساعدة ذوي الدخل المحدود في إمتلاك وتشيد عقارات عن طريق الإقراض والتسليف، وتم إفتتاح البنك رسمياً في عام 1967م كبنك متخصص تملكه الدولة بنسبة 100%، وظل البنك منذ تأسيسه شركة مساهمة عامة حتى 2002/12/31م حيث تم بيعه في إطار سياسة الدولة الرامية لتحرير الإقتصاد السوداني لشركة الجمعة للتجارة والإستثمار ومن ثم أصبح شركة مساهمة خاصة ذات مسؤولية محدودة بموجب قانون الشركات العام 1925م وتم تعديل الإسم الى البنك العقاري التجاري ثم أصبح شركة مساهمة عامة ذات مسؤولية محدودة بتاريخ 2009/11/12م بدخول بنك السودان المركزي كمساهم، ومن اهدافه المساهمة في تمويل الإسكان الشعبي والفئوي، إنشاء وتطوير صناعة مدخلات المباني، ودعم البحوث المتعلقة بصناعة البناء والقيام بالبحوث والدراسات المتعلقة بنفس المجال، والقيام بجميع الأعمال المصرفية والمعاملات المالية والتجارية والاستثمارية. (25)

بنك فيصل الإسلامي السوداني:

تم إنشاء بنك فيصل الإسلامي السوداني بموجب الأمر المؤقت رقم 9 لسنة 1977م بتاريخ 1977/4/4م، وتم تسجيل بنك فيصل الإسلامي السوداني كشركة مساهمة عامة محدودة وفق قانون الشركات. وباشر البنك أعماله فعلياً اعتباراً من أيار (مايو) 1978 لتحقيق العديد من الأهداف والأغراض أهمها القيام بجميع الأعمال المصرفية والتجارية والمالية وأعمال الاستثمارات والمساهمة في مشروعات التصنيع والتنمية الاقتصادية والعمرانية والزراعية والتجارية والاجتماعية، وإمتلاك واستئجار العقارات أو المنقولات وله أن يبيعها أو يحسنها أو يتصرف فيها بأي وسيلة أخرى وله على وجه العموم حق إستثمار أمواله بأي طريقة يراها مناسبة. (26)

بنك أم درمان الوطني :

بنك امدرمان احد بنوك جمهورية السودان إفتتاح بنك امدرمان الوطني ومزاولة أعماله رسمياً في يوم 1993/8/14، وقد حقق البنك توسعاً رأسياً وأفقياً بحيث غطت خدماته معظم أنحاء السودان، ومن أهدافه تحقيق معدلات الربحية العالية تساهم في تقوية مركزه المالي وتجويد خدماته بالإضافة الي أهدافه الأساسية والتي تتمثل في المساهمة في تمويل مشروع التنمية الاقتصادية و التعدين وقطاع التعاون و الحرفيين و المهنيين وإنشاء شركات خاصة بالبنك و المساهمة في إنشاء شركات مع الغير خدمة لاهداف البنك (27)

ثانياً: إجراءات الدراسة الميدانية

مجتمع وعينة الدراسة :

1. مجتمع الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة من كافة المستويات الوظيفية بالمصارف السودانية حيث يمثلون مدراء الإدارة ورؤساء الأقسام والمشرفون والموظفون والذين لهم صلة بموضوع الدراسة.

2. عينة الدراسة وخصائصها

وتم اختيار عينة البحث بطريقة العينة الحصصية، من بنك (ام درمان الوطني، وبنك فيصل الإسلامي، والبنك العقاري التجاري). حيث تم توزيع عدد (130) إستبانة مراعيًا النسبة والتناسب في الاختيار وفقاً لحجم الحصة في المجتمع حيث استرجاع (120) إستبانة سليمة.

3. أداة الدراسة

قام الباحثان بإعداد أداة الدراسة (الاستبانة) استناداً على أهداف تساؤلات الدراسة وفرضياتها لمعرفة رأي أفراد العينة حول موضوع وقد اشتملت الاستبانة على أسئلة عن البيانات الشخصية لعينة الدراسة كالنوع، العمر، الحالة الاجتماعية، المؤهل العلمي، التخصص، الوظيفة الحالية، ومدة الخبرة. كما اشتملت على ثمانية محاور رئيسة تمثل فرضيات الدراسة، وفي هذه المحاور (35) سؤال، وقد طلب من أفراد العينة ان يحددوا استجاباتهم عن ما تصفه كل عبارة وفقاً لمقياس ليكارت الخماسي المتدرج والذي يتكون من خمسة مستويات (وافق بشدة، وافق، محايد، لاوافق، لاوافق بشدة) ..

4. مقياس الدراسة:-

استخدم الباحثان مقياس ليكارت الخماسي للخمسة خيارات (وافق بشدة، وافق، محايد، لاوافق، لاوافق بشدة) حسب الأوزان التالية (1،2،3،4،5) علي التوالي والغرض من ذلك هو إتاحة المجال أمام أفراد العينة لإختيار الإجابة الدقيقة حسب تقدير افراد العينة والجدول رقم (1) يوضح ذلك:

الجدول (1) يوضح الأوزان النسبية والمرجحة والدلالة الإحصائية لخيارات الإستبانة

الرأي	الوزن النسبي	الوزن النسبي المرجح	الدلالة الإحصائية
أوافق بشدة	5	من 4.20 الى 5	درجة موافقة عالية
أوافق	4	من 3.40 الى 4.19	درجة موافقة
محايد	3	من 2.60 الى 3.39	محايدة في الرأي
لا أوافق	2	من 1.80 الى 2.59	درجة لعدم موافقة
لأوافق بشدة	1	من 1 الى 1.79	درجة لعدم موافقة عالية

المصدر: اعداد الباحثان من بيانات الدراسة الميدانية، 2022م

ومن خلال الجدول رقم (1) يلاحظ ان طول الفترة المستخدمة 5/4 ، أى حوالى 0.80 ، وقد حسبت الفترة على أساس ان الارقام 1،2،3،4،5 بينها 4 مسافات ويدل ذلك علي موافقة افراد العينة علي العبارة.

5. إختبار صدق محتوى المقياس:

بعد الإنتهاء من الصيغة الأولية لمقياس الدراسة تم عرضها في شكل استبيان علي مجموعة من

المحكمين والخبراء المختصين في مجال الدراسة وعددهم (9) طلب منهم إبداء آرائهم حول أداة الدراسة ومدى صلاحية الفقرات لتمثيل فروض الدراسة وطلب منهم أيضاً التعديل والحذف والإضافة لما يرونه مناسباً لغرض قياس صدق أداة الدراسة، وبعد أن تم استرجاع الاستبيان من جميع الخبراء تم تحليل استجاباتهم والإخذ بملاحظاتهم وإجراء التعديلات التي اقترحت علينا، وبذلك تم تصميم للإستبانة في صورتها النهائية.

6. إختبار الإتساق والثبات:

يقصد بالثبات (استقرار المقياس وعدم تناقضه مع نفسه، أي أن المقياس يعطي نفس النتائج باحتمال مساوي لقيمة المعامل إذا أعيد تطبيقه على نفس العينة)، يستخدم معامل الثبات (ألفا كرونباخ) للحكم على دقة قياس مفاهيم الدراسة، أي بمعنى أنه عند قيام باحث آخر بالدراسة نفسها سوف يتوصل إلى النتائج نفسها، وكذلك من أجل قياس مدى توافق الإجابات مع بعضها البعض بالنسبة للمتغيرات المدروسة و موثوقية النتائج، وعند حساب معامل ألفا كرونباخ من أجل مجموعة من المتغيرات فيجب أن تكون قيمته أكبر من 0.6 حتى نستطيع القول بأنه يمكن الوثوق بالنتائج، فإذا لم يكن هنالك ثبات في البيانات تأخذ قيمة المعامل الصفر ، ويزيد ثبات البيانات كلما اتجهت قيمة المعامل نحو الواحد الصحيح ، وفيما يلي اختبار ثبات البيانات:

جدول رقم (2) يوضح قيمة معامل ألفا كرونباخ لاختبار ثبات الاستبيان

عدد العناصر	معامل ألفا كرونباخ
35	94.0

المصدر: اعداد الباحثان من بيانات الدراسة الميدانية، 2022م

من خلال الجدول رقم (2) نجد ان معامل ألفا كرونباخ 0.94 وهو مرتفع جداً، مما يدل على ثبات الاستبيان وصلاحيته للقياس.

جدول رقم (3) يوضح قيمة معامل ألفا كرونباخ لاختبار ثبات محاور الاستبيان السبعة

عنوان المحور	عدد العناصر	معامل ألفا كرونباخ
حجم الإصدار	5	0.79
العائد	5	0.79
مدة الاسترداد	5	0.66
الضمان	5	0.67
الدور الاجتماعي	5	0.69
الدور الاستثماري	5	0.76
الدور الاقتصادي	5	0.82

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان 2022-)

من خلال الجدول رقم (3) يلاحظ بأن معامل ألفا كرونباخ لجميع محاور الاستبيان مرتفع ، مما يدل على ثبات محاور الاستبيان وصلاحيته للقياس.

7. الأساليب الإحصائية المستخدمة :

لتحقيق أهداف الدراسة والتحقق من فرضياتها ، استخدم الباحثان الأساليب الإحصائية التالية:-

أ. معامل (ألفا كرونباخ) لإختبار الصدق للإستبانة.

ب. التكرارات والنسب المئوية لوصف آراء أفراد العينة وإتجاه إجاباتهم علي عبارات الإستبانة.

ج. الإحصاءات الوصفية (الوسط الحسابي والمنوال) لترتيب إجابات أفراد الدراسة لعبارات الإستبانة حسب درجة الموافقة و(الانحراف المعياري) لمعرفة دلالة كفاءة الوسط الحسابي في تمثيل مركز البيانات.

د. اختبار مربع كاي لاختبار هل توجد فروقات ذات دلالة احصائية بين استجابات المبحوثين.
هـ. تحليل الانحدار الخطي و معامل الارتباط لإختبار الفرضيات، هذا وقد استخدم الباحثان البرنامج الاحصائي (spss).

8. عرض وتحليل بيانات الدراسة:

جدول رقم(4): البيانات الديمغرافية

البيان	البيانات الديمغرافية	العدد	النسبة المئوية
المبحوثين حسب النوع	ذكر	87	72.5
	انثي	33	27.5
المبحوثين حسب الفئة العمري	اقل من 30 سنة	30	25
	من 30 و اقل من 40 سنة	41	34.2
	من 40 و اقل من 50 سنة	38	31.7
	من 50 و اقل من 60 سنة	9	7.5
	من 60 سنة فأكثر	2	1.7
المبحوثين حسب الحالة الإجتماعية	أعزب	81	67.5
	مطلق	36	30
	متزوج	2	1.7
	دبلوم	1	0.8
المبحوثين حسب المؤهل العلمي	دبلوم	5	4.2
	بكالوريوس	49	40.8
	دبلوم عالي	17	14.2
	ماجستير	39	32.5
	دكتوراه	8	6.7
	زمالة	2	1.7
المبحوثين حسب التخصص	إدارة اعمال	19	15.8
	بنوك ومصارف	30	25
	اقتصاد	28	23.3
	محاسبة	30	25
	أخرى	13	10
المبحوثين حسب الوظيفة الحالية	مدير إدارة	16	13.3
	رئيس قسم	33	27.5
	موظف	71	59.2
المبحوثين حسب سنوات الخبرة	اقل من 5 سنوات	34	28.3
	من 5 و اقل من 10 سنوات	22	18.3
	من 10 و اقل من 15 سنة	17	14.2
	من 15 و اقل من 20 سنة	24	20
	من 20 سنة فأكثر	23	19.2

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان -2022)

من الجدول رقم(4) اعلاه يلاحظ بأن اكثر المبحوثين من فئة الذكور حيث بلغ عددهم 87 بنسبة مئوية 72.5% ، وهذا يدل علي ان الغالبية العظمي من العاملين في البنوك السودانية من الذكور، وبأن اكثر المبحوثين ممن ينتمون للفئة العمرية من 30 و اقل من 40 سنة حيث بلغ عددهم 41 بنسبة مئوية 34.2 ، ويعزي ذلك ان البنوك توظف الكفاءات والخبرات الشابة التي يكون لديها القدرة اكثر على الإبداع والتطور، وكذلك يلاحظ بأن اكثر المبحوثين من افراد العينة كانوا من فئة المتزوجين حيث بلغ عددهم 81 بنسبة مئوية 67.5%، مما يدل علي ان المصارف السودانية تملك شروط خدمة ممتازة يسعى من خلالها الي استقرار العاملين، و يلاحظ ايضا بأن اكثر المبحوثين من افراد العينة كانوا من حملة البكالوريوس حيث بلغ عددهم 49 بنسبة مئوية 40.8% ، ولعل ذلك يدل على التأهيل العالي للمبحوثين ومن ثم مقدرتهم على تقديم إجابات تفيد الدراسة، و يلاحظ بأن اكثر المبحوثين من افراد العينة كان تخصصهم المحاسبة، والبنوك والمصارف حيث بلغ عددهم 30 بنسبة مئوية 25% لكل منهما، ويمكن القول بأن المبحوثين لديهم تخصصات مختلفة ولها علاقة جيدة بموضوع الدراسة مما يدل علي مدي معرفة افراد العينة بطبيعة وموضوع الدراسة وهذا مؤشر جيد علي إجاباتهم تمت عن فهم وإدراك، ويلاحظ بأن اكثر المبحوثين من افراد العينة كانوا من فئة الموظفين حيث بلغ عددهم 71 بنسبة مئوية 59.2%، وهذه هي الفئة الغالبة في القطاع المصرفي، ويلاحظ بأن اكثر المبحوثين من افراد العينة كانت سنوات خبراتهم اقل من 5 سنوات حيث بلغ عددهم 34 بنسبة مئوية 28.3%، وهذا ما يتوافق مع السؤال عن العمل حيث كانت غالبية افراد العينة من 30_40 سنة وهذا مؤشر ممتاز بأن إجاباتهم تمت بمصادقية.

ثالثا: بيانات الدراسة :-

المتغير المستقل: الصكوك الإسلامية:

جدول رقم(5):_التوزيع التكراري والنسب المئوية لعبارات المحور الاول (حجم الاصدار) :-

العبارة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة
يتوقف حجم الإصدار على تكلفة المشروع	ك	0	0	4	67
	%	0	0	3.3	40.8
يراعى في تحديد حجم الإصدار مدة الاسترداد	ك	0	3	4	78
	%	0	2.5	3.3	29.2
يعتمد حجم الإصدار على نوع الاستثمار الموجه له	ك	0	1	5	69
	%	0	0.8	4.2	37.5
يتناسب حجم الإصدار ومدة الاستثمار	ك	0	4	9	71
	%	0	3.3	7.5	59.2
يتوقف حجم الإصدار على الضمانات المقدمة	ك	0	6	12	56
	%	0	5	10	46.7

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان -2022)

الملاحظ من تحليل بيانات هذا المحور ان معظم استجابات المبحوثين عن اسئلة هذا المحور تركزت حول الموافقة والموافقة بشدة وفي ذلك مؤشر عن قبول المبحوثين لما ورد من عبارات في هذا المحور وعليه يمكن الحكم بتوفر شروط حجم الإصدار بالمصارف السودانية.

عرض ومناقشة نتائج المحور الاول (حجم الاصدار):

جدول رقم(6): يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة الاحتمالية لمربع كاي والاتجاه لفقرات المحور الاول

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
يتوقف حجم الإصدار على تكلفة المشروع	4.38	0.55	52.650	2	0.000	أوافق بشدة
يراعى في تحديد حجم الإصدار مدة الاسترداد	4.21	0.62	124.467	3	0.000	أوافق بشدة
يعتمد حجم الإصدار على نوع الاستثمار الموجه له	4.32	0.59	107.067	3	0.000	أوافق بشدة
يتناسب حجم الإصدار ومدة الاستثمار	4.16	0.70	94.467	3	0.000	أوافق
يتوقف حجم الإصدار على الضمانات المقدمة	4.18	0.81	61.067	3	0.000	أوافق

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان -2022)

من الجدول رقم (6) نلاحظ بأن كل القيم الاحتمالية اقل من مستوى المعنوية (0.05) مما يدل على وجود فروق ذات دلالة احصائية في توزيع استجابات افراد العينة على خيارات الاجابة المختلفة (اوافق بشدة ، اوافق ، محايد ، لا اوافق ، لا اوافق بشدة) ، أي أن اجابات العينة تتحيز لعبارة دون غيرها ، وبالرجوع للأوساط الحسابية كما هو مبين في الجدول اعلاه يمكننا ملاحظة الآتي:-

- إن معظم عبارات المحور كانت اوساطها الحسابية تقع في المدى ما بين (4.20 الى 5) وهو المحدد سلفا بالموافقة بشدة ، أي أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارات كان الموافقة بشدة، كما إن بقية العبارات كانت اوساطها الحسابية تقع في المدى ما بين (3.40 الى 4.19) وهو المحدد سلفا بالموافقة أي أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارات كان الموافقة.
 - يمكن ملاحظة ان الانحراف المعياري لعبارات هذا المحور تراوح ما بين (0.55 الى 0.81) مما يدل على تجانس اجابات المبحوثين، مما سبق من تحليل لبيانات هذا المحور يمكن القول ان آراء افراد العينة فيه تراوحت ما بين الموافقة والموافقة بشدة.
- ولإيجاد الاتجاه العام لمتوسط المحور الاول ككل ، فيمكن ملاحظة ذلك من الجدول ادناه.

جدول رقم (7): يوضح الاتجاه العام لمتوسط محور الدراسة الاول

الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
4.25	0.49	128.733	12	0.000	أوافق بشدة

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان -2022)

من الجدول رقم(7) يمكن ملاحظة ان الوسط الحسابي لعبارات المحور مجتمعة قد بلغ (4.25) وهو المحدد سلفا بالموافقة بشدة، وعليه يمكن الحكم بتوفر شروط حجم الإصدار بالمصارف السودانية.

جدول رقم(8): التوزيع التكراري والنسب المئوية لعبارات المحور الثاني (العائد)

العبارة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة
يساعد العائد من الصكوك في تحسين ربحية المصرف	ك	0	1	3	69
	%	0	0.8	2.5	57.5
يتناسب العائد من الصكوك مع حجم الإصدار	ك	0	2	16	67
	%	0	1.7	13.3	55.8
يزداد العائد من الصكوك للمستثمرين لخلوه من تكلفة التمويل	ك	0	4	17	65
	%	0	3.3	14.2	54.2
يتناسب العائد من الصكوك ونوع الاستثمار	ك	0	1	15	67
	%	0	0.8	12.5	55.8
يعمل العائد من الصكوك على تقوية المركز المالي للمصرف	ك	0	4	9	65
	%	0	3.3	7.5	54.2

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان -2022)

من الجدول رقم(8) يمكن ملاحظة الآتي:-

انحازت كل استجابات المبحوثين عن عبارات هذا المحور للموافقة فقد حصلت على اعلى تكرار في الرأي (اوافق) حيث بلغ تكرار هذا الرأي 69 ، وذلك بنسبة مئوية 57.5% من العينة الكلية ، كما حصلت كل عبارات المحور على اقل تكرار في الاستجابة للرأي (لا اوافق بشدة)، لذلك نجد ان معظم استجابات المبحوثين عن اسئلة هذا المحور تركزت حول الموافقة والموافقة بشدة وفي ذلك مؤشر عن قبول المبحوثين لما ورد من عبارات في هذا المحور وعليه يمكن الحكم بأهمية العائد بالمصارف السودانية.

عرض ومناقشة نتائج المحور الثاني (العائد):

جدول رقم(9): يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة الاحتمالية لمربع كاي والاتجاه لفقرات المحور الثاني

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
يساعد العائد من الصكوك في تحسين ربحية المصرف	4.35	0.58	112.667	3	0.000	أوافق بشدة
يتناسب العائد من الصكوك مع حجم الإصدار	4.13	0.69	79.133	3	0.000	أوافق
يزداد العائد من الصكوك للمستثمرين لخلوه من تكلفة التمويل	4.08	0.75	69.533	3	0.000	أوافق
يتناسب العائد من الصكوك ونوع الاستثمار	4.17	0.67	82.800	3	0.000	أوافق
يعمل العائد من الصكوك على تقوية المركز المالي للمصرف	4.21	0.72	82.867	3	0.000	أوافق بشدة

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2021)

من الجدول رقم(9) نلاحظ بأن كل القيم الاحتمالية اقل من مستوى المعنوية (0.05) مما يدل على وجود فروق ذات دلالة احصائية في توزيع استجابات افراد العينة على خيارات الاجابة المختلفة (اوافق بشدة ، اوافق ، محايد ، لا اوافق ، لا اوافق بشدة) ، أي ان اجابات العينة تتحيز لعبارة دون غيرها ، وبالرجوع للاوساط الحسابية كما هو مبين في الجدول اعلاه ويمكننا ملاحظة الآتي:-

- أن معظم العبارات كانت اوساطها الحسابية تقع في المدى ما بين (4.20 الى 5) وهو المحدد سلفا بالموافقة بشدة، أي أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارات كان الموافقة بشدة، وبقيّة العبارات كانت اوساطها الحسابية تقع في المدى ما بين (3.40 الى 4.19) وهو المحدد سلفا بالموافقة أي أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارات كان الموافقة.
 - يمكن ملاحظة ان الانحراف المعياري لعبارات هذا المحور تراوح ما بين (0.58 الى 0.75) مما يدل على تجانس اجابات المبحوثين، ومما سبق من تحليل لبيانات هذا المحور يمكن القول ان آراء افراد العينة فيه تراوحت ما بين الموافقة والموافقة بشدة.
- وليجاد الاتجاه العام لمتوسط المحور الثاني ككل ، فيمكن ملاحظة ذلك من الجدول ادناه.

جدول رقم (10): يوضح الاتجاه العام لمتوسط محور الدراسة الثاني

الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
4.19	0.50	41.517	10	0.000	اوافق

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان -2022)

من الجدول اعلاه يمكن ملاحظة ان الوسط الحسابي لعبارات المحور مجتمعة قد بلغ (4.19) وهو المحدد سلفا بالموافقة ، وعليه يمكن تأكيد الحكم بأهمية العائد بالمصارف السودانية.

جدول رقم(11) يوضح: التوزيع التكراري والنسب المئوية لعبارات المحور الثالث (مدة الاسترداد)

العبارة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة
تتوقف مدة الاسترداد على مدة الاستثمار	ك	0	4	7	64
	%	0	3.3	5.8	53.3
تتوقف مدة الاسترداد على نوعية الاستثمار	ك	0	4	9	60
	%	0	3.3	7.5	50
تكون مدة الاسترداد غير محددة حين يتميز الاستثمار بالاستمرارية	ك	1	17	23	46
	%	0.8	14.2	19.2	38.3
تؤثر مدة الاسترداد في حجم التمويل الممنوح	ك	0	2	10	71
	%	0	1.7	8.3	59.2
يقوم المصرف بدراسة كافة العوامل التي تتعلق بأجل الاصدار	ك	0	2	10	57
	%	0	1.7	8.3	47.5

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول رقم (11) يمكن ملاحظة الآتي:-

انحازت كل استجابات المبحوثين عن عبارات هذا المحور للموافقة فقد حصلت على أعلى تكرار في الرأي (أوافق) حيث بلغ تكرار هذا الرأي 71 ، وذلك بنسبة مئوية 59.2% من العينة الكلية ، كما حصلت كل عبارات المحور على أقل تكرار في الاستجابة للرأي (لا أوافق بشدة)، لعل الملاحظ من تحليل بيانات هذا المحور أن معظم استجابات المبحوثين عن أسئلة هذا المحور تركزت حول الموافقة والموافقة بشدة وفي ذلك مؤشر عن قبول المبحوثين لما ورد من عبارات في هذا المحور وعليه يمكن الحكم بتوفر قيود مدة الاسترداد بالمصارف السودانية.

عرض ومناقشة نتائج المحور الثالث (مدة الاسترداد):

جدول رقم (12) يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة الاحتمالية لمربع كاي الاتجاه لفقرات المحور الثالث

العبرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
تتوقف مدة الاسترداد على مدة الاستثمار	4.25	0.71	86.200	3	0.000	أوافق بشدة
تتوقف مدة الاسترداد على نوعية الاستثمار	4.25	0.74	76.867	3	0.000	أوافق بشدة
تكون مدة الاسترداد غير محددة حين يتميز الاستثمار بالاستمرارية	3.78	1.03	47.667	4	0.000	أوافق
تؤثر مدة الاسترداد في حجم التمويل الممنوح	4.19	0.65	97.133	3	0.000	أوافق
يقوم المصرف بدراسة كافة العوامل التي تتعلق بأجل الاصدار	4.31	0.70	78.467	3	0.000	أوافق بشدة

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول رقم (12) نلاحظ بأن كل القيم الاحتمالية أقل من مستوى المعنوية (0.05) مما يدل على وجود فروق ذات دلالة احصائية في توزيع استجابات افراد العينة على خيارات الاجابة المختلفة (أوافق بشدة ، أوافق ، محايد ، لا أوافق ، لا أوافق بشدة) ، أي أن اجابات العينة تتحيز لعبارة دون غيرها ، وبالرجوع للاوساط الحسابية كما هو مبين في الجدول اعلاه يمكن ملاحظة الآتي:-

- إن معظم العبارات كانت اوساطها الحسابية تقع في المدى ما بين (4.20 الى 5) وهو المحدد سلفاً بالموافقة بشدة، أي أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارات كان الموافقة بشدة، كما إن بقية العبارات كانت اوساطها الحسابية تقع في المدى ما بين (3.40 الى 4.19) وهو المحدد سلفاً بالموافقة أي أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارات كان الموافقة.
 - يمكن ملاحظة ان الانحراف المعياري لعبارات هذا المحور تراوح ما بين (0.65 الى 1.03) مما يدل على تجانس اجابات المبحوثين.
- مما سبق من تحليل لبيانات هذا المحور يمكن القول ان آراء افراد العينة فيه تراوحت ما بين الموافقة والموافقة بشدة.

ولإيجاد الاتجاه العام لمتوسط المحور الثالث ككل ، فيمكن ملاحظة ذلك من الجدول ادناه.

جدول رقم (13) يوضح الاتجاه العام لمتوسط محور الدراسة الثالث

الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
4.16	0.50	66.400	11	0.000	أوافق

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول رقم(13) يمكن ملاحظة ان الوسط الحسابي لعبارات المحور مجتمعة قد بلغ (4.16) وهو المحدد سلفا بالموافقة ، وعليه يمكن تأكيد الحكم بتوفر قيود مدة الاسترداد بالمصارف السودانية.

التوزيع التكراري والنسب المئوية لعبارات المحور الرابع (الضمان):

جدول رقم(14): التوزيع التكراري والنسب المئوية لعبارات المحور الرابع (الضمان)

العبارة	لا أوافق بشدة	أوافق بشدة	محايد	أوافق	أوافق بشدة
تمكن الصكوك من الحصول على التمويل دون ضمانات مقارنة بالتمويل المصرفي التقليدي	2	10	18	62	28
	1.7	8.3	15	51.7	23.3
تساهم الصكوك في تقليل مخاطر الائتمان	0	2	14	64	40
	0	1.7	11.7	53.3	33.3
يهتم المصرف بالدراسات المطلوبة	0	1	8	69	42
	0	0.8	6.7	57.5	35
يقوم المصرف بتوفير الضمانات الشرعية	0	0	5	63	52
	0	0	4.2	52.5	43.3
يقوم المصرف بتتويع الاستثمارات لتوزيع المخاطر	0	1	8	62	49
	0	0.8	6.7	51.7	40.8

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول رقم(14) يمكن ملاحظة الآتي:-

انحازت كل استجابات المبحوثين عن عبارات هذا المحور للموافقة حيث فقد حصلت على اعلى تكرار في الرأي (أوافق) حيث بلغ تكرار هذا الرأي 69 ، وذلك بنسبة مئوية 57.5% من العينة الكلية ، كما حصلت كل عبارات المحور على اقل تكرار في الاستجابة للرأي (لا أوافق بشدة)، ومن تحليل بيانات هذا المحور نجد ان معظم استجابات المبحوثين عن اسئلة هذا المحور تركزت حول الموافقة والموافقة بشدة وفي ذلك مؤشر عن قبول المبحوثين لما ورد من عبارات في هذا المحور وعليه يمكن الحكم بتحقيق فائدة الضمان بالمصارف السودانية.

عرض ومناقشة نتائج المحور الرابع (الضمان):

جدول رقم (15) يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة الاحتمالية لمربع كاي والاتجاه لفقرات المحور الرابع.

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
تمكن الصكوك من الحصول على التمويل دون ضمانات مقارنة بالتمويل المصرفي التقليدي	3.87	0.93	90.667	4	0.000	أوافق
تساهم الصكوك في تقليل مخاطر الائتمان	4.18	0.70	76.533	3	0.000	أوافق
يهتم المصرف بالدراسات المطلوبة	4.27	0.62	99.667	3	0.000	أوافق بشدة
يقوم المصرف بتوفير الضمانات الشرعية	4.39	0.57	47.450	2	0.000	أوافق بشدة
يقوم المصرف بتتويع الاستثمارات لتوزيع المخاطر	4.33	0.64	90.333	3	0.000	أوافق بشدة

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول رقم(15) نلاحظ بأن كل القيم الاحتمالية اقل من مستوى المعنوية (0.05) مما يدل على وجود فروق ذات دلالة احصائية في توزيع استجابات افراد العينة على خيارات الاجابة المختلفة (اوافق بشدة ، اوافق ، محايد ، لا اوافق ، لا اوافق بشدة) ، أي أن اجابات العينة تتحيز لعبارة دون غيرها ، وبالرجوع للاوساط الحسابية كما هو مبين في الجدول اعلاه يمكن ملاحظة الآتي:-

- إن معظم العبارات كانت اوساطها الحسابية تقع في المدى ما بين (4.20 الى 5) وهو المحدد سلفا بالموافقة بشدة، أي أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارات كان الموافقة بشدة، وبقية العبارات كانت اوساطها الحسابية تقع في المدى ما بين (3.40 الى 4.19) وهو المحدد سلفا بالموافقة أي أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارات كان الموافقة.
- يمكن ملاحظة ان الانحراف المعياري لعبارات هذا المحور تراوح ما بين (0.57 الى 0.93) مما يدل على تجانس اجابات المبحوثين.

وليجاد الاتجاه العام لمتوسط المحور الرابع ككل ، فيمكن ملاحظة ذلك من الجدول ادناه:

جدول رقم (16) يوضح الاتجاه العام لمتوسط محور الدراسة الرابع

الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
4.21	0.46	78.917	10	0.000	أوافق بشدة

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول رقم(16) يمكن ملاحظة ان الوسط الحسابي لعبارات المحور مجتمعة قد بلغ (4.21) وهو المحدد سلفا بالموافقة بشدة، وعليه يمكن تأكيد الحكم بتحقيق فائدة الضمان بالمصارف السودانية.

المتغير التابع: التمويل العقاري

جدول رقم(17): التوزيع التكراري والنسب المئوية لعبارات المحور الاول (الدور الاجتماعي)

العبارة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة
يعمل التمويل العقاري على دعم التنمية الاجتماعية	0	3	3	54	60
	%	2.5	2.5	45	50
يسهم التمويل العقاري في حل مشكلة الإسكان وتوفير السكن الملائم	0	1	2	52	65
	%	0.8	1.7	43.3	54.2
المصارف الإسلامية تقدم الخدمات بشروط أكثر تيسراً مما يقلل العبء على أصحاب الدخل المحدود	1	12	17	55	35
	%	0.8	10	45.8	29.2
يساعد التمويل العقاري على تحقيق الاستقرار الاجتماعي	0	1	3	57	59
	%	0.8	2.5	47.5	49.2
يسهم التمويل العقاري في تنمية الوعي الادخاري للفرد	0	3	5	65	47
	%	2.5	4.2	54.2	39.2

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول رقم (17) يمكن ملاحظة الآتي:-

انحازت معظم استجابات المبحوثين عن عبارات هذا المحور للموافقة بشدة فقد حصلت على أعلى تكرار في الرأي (أوافق بشدة) حيث بلغ تكرار هذا الرأي 65 ، وذلك بنسبة مئوية 54.2% من العينة الكلية ، كما حصلت كل عبارات المحور على أقل تكرار في الاستجابة للرأي (لا أوافق بشدة) ، وفي ذلك مؤشر عن قبول المبحوثين لما ورد من عبارات في هذا المحور وعليه يمكن الحكم بفاعلية الدور الاجتماعي للتمويل العقاري بالمصارف السودانية.

عرض ومناقشة نتائج المحور الأول (الدور الاجتماعي):

جدول رقم (18): يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة الاحتمالية لمربع كاي والاتجاه لفقرات المحور الأول.

العبرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة كاي مربع	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
يعمل التمويل العقاري على دعم التنمية الاجتماعية	4.43	0.67	97.800	3	0.000	أوافق بشدة
يسهم التمويل العقاري في حل مشكلة الإسكان وتوفير السكن الملائم	4.51	0.58	111.133	3	0.000	أوافق بشدة
المصارف الإسلامية تقدم الخدمات بشروط أكثر تيسراً مما يقلل العبء على أصحاب الدخل المحدود	3.93	0.95	75.167	4	0.000	أوافق
يساعد على تحقيق الاستقرار الاجتماعي	4.45	0.59	104.667	3	0.000	أوافق بشدة
يسهم في تنمية الوعي الادخاري للفرد	4.30	0.67	95.600	3	0.000	أوافق بشدة

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول رقم (18) نلاحظ بأن كل القيم الاحتمالية اقل من مستوى المعنوية (0.05) مما يدل على وجود فروق ذات دلالة احصائية في توزيع استجابات افراد العينة على خيارات الاجابة المختلفة (اوافق بشدة ، اوافق ، محايد ، لا اوافق ، لا اوافق بشدة) ، أي أن اجابات العينة تتحيز لعبارة دون غيرها ، وبالرجوع للاوساط الحسابية كما هو مبين في الجدول اعلاه يمكن ملاحظة الآتي:-

- إن معظم العبارات كانت اوساطها الحسابية تقع في المدى ما بين (4.20 الى 5) وهو المحدد سلفاً بالموافقة بشدة، أي أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارات كان الموافقة بشدة، كما إن بقية العبارات اواسطها الحسابية في المدى ما بين (3.40 الى 4.19) وهو المحدد سلفاً بالموافقة أي أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارة كان الموافقة.
- يمكن ملاحظة ان الانحراف المعياري لعبارات هذا المحور تراوح ما بين (0.58 الى 0.95) مما يدل على تجانس اجابات المبحوثين.

ولايجاد الاتجاه العام لمتوسط المحور الاول ككل ، فيمكن ملاحظة ذلك من الجدول ادناه.

جدول رقم (19): يوضح الاتجاه العام لمتوسط محور الدراسة الاول

الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
4.32	0.47	72.000	11	0.000	أوافق بشدة

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول اعلاه يمكن ملاحظة ان الوسط الحسابي لعبارات المحور مجتمعة قد بلغ (4.32) وهو المحدد سلفا بالموافق بشدة، وعليه يمكن تأكيد الحكم بفاعلية الدور الاجتماعي للتمويل العقاري بالمصارف السودانية.

جدول رقم(19): التوزيع التكراري والنسب المئوية لعبارات المحور الثاني (الدور الاستثماري)

العبارة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة
يعد التمويل العقاري من الاستثمارات قليلة المخاطر	1	6	19	71	23
	0.8	5	15.8	59.2	19.2
يعمل التمويل العقاري على جذب المدخرات و توجيهها نحو الاستثمار	0	4	11	70	35
	0	3.3	9.2	58.3	29.2
يسهم التمويل العقاري في تمويل أنشطة استثمارية متعددة	0	5	12	60	43
	0	4.2	10	50	35.8
يساهم المصرف في رؤوس أموال الشركات العقارية	1	7	33	52	27
	0.8	5.8	27.5	43.3	22.5
يمنح المصرف فرص للمستثمرين نحو الاستثمار في العقارات	1	6	19	56	38
	0.8	5	15.8	46.7	31.7

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول رقم(19) يمكن ملاحظة الآتي:-

انحازت كل استجابات المبحوثين عن عبارات هذا المحور للموافقة فقد حصلت على اعلى تكرار في الرأي (أوافق) حيث بلغ تكرار هذا الرأي 71 ، وذلك بنسبة مئوية 59.2% من العينة الكلية ، كما حصلت كل عبارات المحور على اقل تكرار في الاستجابة للرأي (لا اوافق بشدة).

لعل الملاحظ من تحليل بيانات هذا المحور ان معظم استجابات المبحوثين عن اسئلة هذا المحور تركزت حول الموافقة والموافقة بشدة وفي ذلك مؤشر عن قبول المبحوثين لما ورد من عبارات في هذا المحور وعليه يمكن الحكم بفاعلية الدور الاستثماري للتمويل العقاري بالمصارف السودانية.

عرض ومناقشة نتائج المحور الثاني (الدور الاستثماري):

جدول رقم(20): يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة الاحتمالية لمربع كاي والاتجاه لفقرات المحور الثاني

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
يعد التمويل العقاري من الاستثمارات قليلة المخاطر	3.91	0.79	128.667	4	0.000	اوافق
يعمل التمويل العقاري على جذب المدخرات و توجيهها نحو الاستثمار	4.13	0.71	88.733	3	0.000	اوافق
يسهم التمويل العقاري في تمويل أنشطة استثمارية متعددة	4.18	0.77	67.267	3	0.000	اوافق
يساهم المصرف في رؤوس أموال الشركات العقارية	3.81	0.8	70.500	4	0.000	اوافق
يمنح المصرف فرص للمستثمرين نحو الاستثمار في العقارات	4.03	0.87	87.417	4	0.000	اوافق

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول رقم (20) نلاحظ بأن كل القيم الاحتمالية اقل من مستوى المعنوية (0.05) مما يدل على وجود فروق ذات دلالة احصائية في توزيع استجابات افراد العينة على خيارات الاجابة المختلفة (وافق بشدة ، اوافق ، محايد ، لا اوافق ، لا اوافق بشدة) ، أي أن اجابات العينة تتحيز لعبارة دون غيرها ، وبالرجوع للاوساط الحسابية فنجدها كما هو مبين في الجدول اعلاه ويمكن ملاحظة الآتي:-

- جميع عبارات المحور بلا استثناء كانت اوساطها الحسابية تقع في المدى ما بين (3.40 الى 4.19) وهو المحدد سلفا بالموافقة أي أن الاتجاه العام لآراء الباحثين عن هذه العبارات كان الموافقة.
- يمكن ملاحظة ان الانحراف المعياري لعبارات هذا المحور تراوح ما بين (0.71 الى 0.88) مما يدل على تجانس اجابات الباحثين.

مما سبق من تحليل لبيانات هذا المحور يمكن القول ان آراء افراد العينة فيه كانت الموافقة وبالإجماع. ولايجاد الاتجاه العام لمتوسط المحور الثاني ككل ، فيمكن ملاحظة ذلك من الجدول ادناه.

جدول رقم (21) يوضح الاتجاه العام لمتوسط محور الدراسة الثاني

الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
4.01	0.58	45.100	12	0.000	وافق

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

- من الجدول رقم (22) يمكن ملاحظة ان الوسط الحسابي لعبارات المحور مجتمعة قد بلغ (4.01) وهو المحدد سلفا بالموافقة ، وعليه يمكن تأكيد الحكم بفاعلية الدور الاستثماري للتمويل العقاري بالمصارف السودانية.

جدول رقم (22): التوزيع التكراري والنسب المئوية لعبارات المحور الثالث (الدور الاقتصادي)

العبارة		لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة
يساعد التمويل العقاري على تنشيط السوق العقارية	ك	0	1	3	50	66
	%	0	0.8	2.5	41.7	55
يسهم التمويل العقاري في التنمية الاقتصادية	ك	0	1	5	58	56
	%	0	0.8	4.2	48.3	46.7
يقوم المصرف بدور فعال في تمويل التنمية الاقتصادية	ك	0	2	9	49	60
	%	0	1.7	7.5	40.8	50
يعمل التمويل العقاري على معالجة الركود الاقتصادي	ك	1	3	15	61	40
	%	0.8	2.5	12.5	50.8	33.3
يساعد التمويل العقاري في تحريك النشاط الاقتصادي في مجالات التشييد والبناء والخدمات المتعلقة بها	ك	0	1	3	53	63
	%	0	0.8	2.5	44.2	52.5

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول رقم(22) يمكن ملاحظة الآتي:-

انحازت معظم استجابات المبحوثين عن عبارات هذا المحور للموافقة حيث حصلت على أعلى تكرار في الرأي (أوافق) حيث بلغ تكرار هذا الرأي 61 ، وذلك بنسبة مئوية 50.8% من العينة الكلية، كما حصلت كل عبارات المحور على أقل تكرار في الاستجابة للرأي (لا أوافق بشدة) .

ومن تحليل بيانات هذا المحور نجد أن معظم استجابات المبحوثين عن أسئلة هذا المحور تركزت حول الموافقة والموافقة بشدة وفي ذلك مؤشر عن قبول المبحوثين لما ورد من عبارات في هذا المحور وعليه يمكن الحكم بفاعلية الدور الاقتصادي للتمويل العقاري بالمصارف السودانية.

عرض ومناقشة نتائج المحور الثالث (الدور الاقتصادي):

جدول رقم(23) يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة الاحتمالية لمربع كاي والاتجاه لفقرات المحور الثالث

العبرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
يساعد التمويل العقاري على تنشيط السوق العقارية	4.51	0.59	108.867	3	0.000	أوافق بشدة
يسهم التمويل العقاري في التنمية الاقتصادية	4.41	0.62	97.533	3	0.000	أوافق بشدة
يقوم المصرف بدور فعال في تمويل التنمية الاقتصادية	4.39	0.70	82.867	3	0.000	أوافق بشدة
يعمل التمويل العقاري على معالجة الركود الاقتصادي	4.13	0.79	111.500	4	0.000	أوافق
يساعد التمويل العقاري في تحريك النشاط الاقتصادي في مجالات التشييد والبناء والخدمات المتعلقة بها	4.48	0.59	106.267	3	0.000	أوافق بشدة

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول رقم(23) نلاحظ بأن كل القيم الاحتمالية أقل من مستوى المعنوية (0.05) مما يدل على وجود فروق ذات دلالة احصائية في توزيع استجابات افراد العينة على خيارات الاجابة المختلفة (اوافق بشدة ، اوافق ، محايد ، لا اوافق ، لا اوافق بشدة) ، أي أن اجابات العينة تتحيز لعبارة دون غيرها ، وبالرجوع للاوساط الحسابية كما هو مبين في الجدول اعلاه يمكن ملاحظة الآتي:-

- إن معظم العبارات كانت اوساطها الحسابية تقع في المدى ما بين (4.20 الى 5) وهو المحدد سلفاً بالرأي (أوافق بشدة)، أي أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارات كان الموافقة بشدة، اما بقية العبارات كان وسطها الحسابي يقع في المدى ما بين (3.40 الى 4.19) وهو المحدد سلفاً بالرأي (أوافق)، أي أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارة كان الموافقة.
 - يمكن ملاحظة ان الانحراف المعياري لعبارات هذا المحور تراوح ما بين (0.59 الى 0.79) مما يدل على تجانس اجابات المبحوثين.
- مما سبق من تحليل لبيانات هذا المحور يمكن القول ان آراء افراد العينة فيه تراوحت ما بين الموافقة ، والموافقة بشدة.

ولايجاد الاتجاه العام لمتوسط المحور الثالث ككل ، فيمكن ملاحظة ذلك من الجدول ادناه:

جدول رقم (24) يوضح الاتجاه العام لمتوسط محور الدراسة الثالث

الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
4.39	0.50	71.767	10	0.000	أوافق بشدة

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول رقم (24) مكن ملاحظة ان الوسط الحسابي لعبارات المحور مجتمعة قد بلغ (4.39) وهو المحدد سلفا بالموافقة بشدة، وعليه يمكن تأكيد الحكم بفاعلية الدور الاقتصادي للتمويل العقاري بالمصارف السودانية.

رابعاً: اختبارات الفروض:-

لاختبار الفرضية الرئيسية (توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الصكوك الإسلامية والتمويل العقاري) تم استخدام أسلوب الانحدار الخطي البسيط ذلك لتوضيح اثر المتغير المستقل (الصكوك الإسلامية) على المتغير التابع (التمويل العقاري)، كذلك لايجاد علاقة خطية تعبر عن هذين المتغيرين، والجدول ادناه يبين نتائج تحليل الانحدار.

جدول رقم (25): نتائج تحليل الانحدار

المتغير التابع	ملخص النموذج			تحليل التباين			معاملات الانحدار			
	معامل الارتباط (R)	معامل التحديد (R ²)	معامل التحديد المعدل adjusted (R ²)	F المحسوبة	DF الحرية	درجات الحرية	المتغير المستقل	ثابت الانحدار	$\hat{\beta}$	T المحسوبة
التمويل العقاري	0.725	0.525	0.521	130.561	1	الانحدار	الصكوك الإسلامية	0.97	0.78	11.426
						البواقي				
						المجموع				
						قيمة ديرين واتسون				
					1.95					

المصدر: اعداد الباحثان (من بيانات الاستبيان - 2022)

من الجدول (25) يمكن ملاحظة الآتي:-

- قيمة معامل الارتباط (R) للمتغيرين (الصكوك الإسلامية ، التمويل العقاري) ويلاحظ فيه بأن قيمة معامل الارتباط قد بلغت 0.725 وبالنظر لمستوى المعنوية فنجد بأن القيمة (0.000) اقل من مستوى المعنوية (0.05) مما يدل على الدلالة الاحصائية لقيمة معامل الارتباط بين المتغيرين ،وبالنظر لاشارة معامل الارتباط الموجبة فإنها تدل على ان العلاقة طردية بين المتغيرين.

- مربع معامل الارتباط ويستخدم في معرفة مدى البيانات المستخدمة من المتغيرات المستقلة في تقدير المتغير التابع ويلاحظ فيه ان النموذج المقدر يعبر عن المتغيرات المستقلة معا بنسبة 53% من البيانات وزيادة قيمة هذا المقياس يفسر ان النموذج المقترح ملائم للتقدير.
- معامل التحديد المعدل (R^2 Adjusted)، ويعنى ذلك بأن 52% من التباين المفسر في المتغير التابع (التمويل العقاري) سببه المتغير المستقل (الصكوك الإسلامية)، بينما هنالك ما نسبته 48% تعود لعوامل أخرى لم توضح في النموذج.
- اختبار ديرين واتسون والذي قيمته 1.95 وهى تقترب من القيمة (2) مما يوضح بأن النموذج لايعانى من مشكلة الارتباط الذاتى.
- قيمة اختبار (F) المحسوبة (130.561) وبالنظر لقيمة الدلالة المعنوية (0.000)، والتي هي اقل من مستوى المعنوية (0.05)، فان ذلك يدل على معنوية نموذج الانحدار .
- بالنظر لقيمة (T) المحسوبة (11.426) لمعامل الانحدار للمتغير المستقل (الصكوك الإسلامية) فنجدها اكبر من قيمة (T) الجدولية (1.96)، وهى دالة احصائيا ، بمعنى ان المتغير المستقل (الصكوك الإسلامية) تؤثر فعليا على المتغير التابع (التمويل العقاري).
- معادلة الانحدار ووفقا لقيم معالم النموذج تكون النحو التالى: التمويل العقاري = $0.97 + 0.78$ الصكوك الإسلامية بناءً على ما سبق ذكره من تحليل فيمكن اثبات الفرض القائل بأنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الصكوك الإسلامية والتمويل العقاري.

النتائج والتوصيات:

اولا :النتائج:

1. تم اثبات فرضية الدراسة التي نصت علي: (توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الصكوك الإسلامية والتمويل العقاري) وتم التحقق من صحتها في جميع المحاور التي تقيسها.
2. أثبتت الدراسة أن هنالك علاقة طردية موجبة بين الصكوك الإسلامية والتمويل العقاري.
3. عدم توسع المصارف التجارية في السودان في مجال التمويل العقاري.
4. يزيد العائد من الصكوك الإسلامية في ربحية المصارف وتقوية المركز المالي للمصارف.
5. يساهم اصدار صكوك إسلامية لإستثمار في التمويل العقاري في تحريك النشاط الاقتصادي في مجالات التشييد والبناء والخدمات المتعلقة بها.

مناقشة النتائج:

إنفق نتائج الدراسة مع نتائج دراسة حمو سعدية، من حيث مساهمة الصكوك الإسلامية بشكل كبير في تمويل الإقتصاد الماليزي وتم الإعتماد عليها في تمويل مختلف القطاعات خاصة قطاع البنية التحتية، وبالتالي يساهم اصدار صكوك إسلامية لإستثمار في التمويل العقاري في تحريك النشاط الاقتصادي في مجالات التشييد والبناء والخدمات المتعلقة بها الذي يعتبر جزء من البني التحتية، وكذلك انفق مع نتائج دراسة توفيق في امكانية إصدار صكوك عقارية إستثمارية، واختلفت مع نتائج دراسة الشيماء ابو زيد بوجود

علاقة ذات دلالة إحصائية بين العوامل التمويلية وكفاءة محفظة التمويل العقاري في أنه ليس العوامل التمويل وحدها التي لها علاقة بكفاءة المحفظة بل الموارد أيضا لها علاقة بكفاءة المحفظة

ثانياً: التوصيات

1. إنشاء مراكز بحوث وتدريب متخصصة في مجال الصكوك بالمصارف التجارية في الخرطوم.
2. نشر ثقافة الاستثمار في الصكوك الإسلامية وإبراز دورها الحيوي في مجال التمويل العقاري وبيان مميزاتها والمخاطر التي تنطوي عليها .
3. توعية المستثمرين في القطاع العقاري استخدام الصكوك الإسلامية كأداة استثمارية ذات عائد مجزي حتى يتسنى لهم الأقبال عليها .
4. يوصي الباحثان بالمساهمة في رؤوس أموال الشركات العقارية وان تمنح المصارف فرص للمستثمرين نحو الاستثمار في العقارات.
5. تشجيع المصارف في إصدار صكوك استثمارية عقارية خاصة بها باعتبار إنها تمثل مصدراً تمويلياً مهماً.

الهوامش:

1. حمو سعدية، دور الصكوك الإسلامية في تمويل الاقتصاد- ماليزيا نموذجاً، (الجزائر:مجلة البشائر الإقتصادية، المجلد الثالث، العدد1، مارس 2017).
2. شيماء عبدالله ابو زيد، العوامل المؤثرة في كفاءة محفظة التمويل العقاري المصرفي في السودان، الخرطوم: جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، 2019م.
3. عبد الرحمن توفيق يوسف، الصكوك العقارية الإستثمارية الإسلامية،(غزة: الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية ، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية، المجلد28، العدد1، 2020م)
4. سورة الذاريات ، آية (29) .
5. ازهري الطيب الفكي ، الصكوك والتصكيك ، النظرية والتطبيق ،(القاهرة: مكتبة مدبولي، 2019م)، ص15.
6. المرجع السابق، ص20.
7. محمد شاهين، سياسات التمويل وأثره على أداء الشركات، (القاهرة: دار حميثراء للنشر والتوزيع، 2017م)، ص 243.
8. علي محي الدين القرة داغي ، الصكوك خصائصها وضوابطها، (جدة: مجمع الفقه الإسلامي الولي، الدورة الخامسة عشر، مجلة مجمع الفقه الأسلمي الدولي، العدد5، 2004م)، ص248.
9. عبد المالك منصور المصعبي، العمل بالصكوك الاستثمارية الإسلامية على المستوى الرسمي والحاجة الي تشريعات جديدة،(دبي: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بمؤتمر المصارف الإسلامية بين الواقع والمأمول، من 3 ابريل الي 31 مايو 2009م)، ص22.
10. باسل يوسف الشاعر ويهام محمد عبد الله، الأحكام و الضوابط الشرعية لتداول الصكوك الإسلامية الاستثمارية (عمان: الجامعة الأردنية، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد43، 2016م)،

ص1425.

11. عبد الستار ابو غادة، بحوث في المعاملات والأساليب المصرفية الإسلامية، ج3، (جدة: مجموعة دلة البركة، 2002م)، ص110.
12. زياد الدماغ : من International conference on Islamic Banking and finance : Cross Border Practices. Glitigation K 2010
13. محمد الفاتح بشير المغربي، التمويل والاستثمار في الإسلام، (عمان: دار الجنان لنشر والتوزيع، 2016م)، ص 60.
14. ازهري الطيب الفكي، الصكوك والتصكيك، مرجع سابق، ص117-118.
15. بكر أبو زيد وآخرون، (جدة: مجلة مجتمع الفقه الاسلامي، الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي الأول بجدة، الدورة الرابعة، المجلد 3)، ص2164.
16. منير هندي، الفكر الحديث في مجال الاستثمار، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 1999م)، ص283-284.
17. النكري، دستور العلماء، ج2، ص239.
18. عبد الرحمن توفيق محمد يوسف، مرجع سبق ذكره، ص10.
19. الشيخ محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي، معجم مختار الصحاح، (القاهرة: المطابع الأميرية، 1966م) ص639.
20. مصطفى كمال السيد طایل، القرار الاستثماري في البنوك الإسلامية، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2006م)، ص1
21. حامد كريم الجدراوي وآخرون، التمويل العقاري الملائم لإدارة ازمه السكن، (الكوفة: جامعة الكوفة، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد 11، العدد 34، 2015م)، ص168.
22. محمد محمود مكاي، البنوك الإسلامية، "النشأة _ التمويل _ التطوير"، (القاهرة: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، 2009م)، ص20.
23. احمد شعبان محمدعلي، الصكوك والبنوك الإسلامية، (الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 2013م)، ص37.
24. نزيه حماد، فقه المعاملات المالية والمصرفية المعاصرة _ قرأه جديدة، (دمشق: دار القلم، 2007م)، ص317.
25. إدارة البحوث والتخطيط، البنك العقاري، 2020م ص 14.
26. التقرير السنوي لبنك فيصل الإسلامي السوداني، 2020م، ص 2.
27. "UAB – Union of Arab Banks – اتحاد المصارف العربية".

المصادر والمراجع:**القران الكريم :**

سورة الذاريات ، آية (29) .

الكتب:

1. احمد شعبان محمد علي، الصكوك والبنوك الإسلامية، الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 2013م.
2. ازهري الطيب الفكي ، الصكوك والتصكيك ، النظرية والتطبيق ، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2019م.
3. الشيخ محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي، معجم مختار الصحاح، القاهرة: المطابع الأميرية ، 1966م .
4. محمد الفاتح بشير المغربي، التمويل والاستثمار في الإسلام، عمان: دار الجنان للنشر والتوزيع، 2016م.
5. محمد شاهين، سياسات التمويل وأثره على أداء الشركات، القاهرة: دار حميثراء للنشر والتوزيع، 2017م.
6. محمد محمود مكاوي، البنوك الإسلامية، النشأة _ التمويل _ التطوير، القاهرة: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، 2009م.
7. مصطفى كمال السيد طایل، القرار الاستثماري في البنوك الإسلامية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2006م.
8. منير هندي، الفكر الحديث في مجال الاستثمار، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1999م.
9. نزيه حماد، فقه المعاملات المالية والمصرفية المعاصرة _ قرأه جديدة، دمشق: دار القلم، 2007م.
10. النكري، دستور العلماء، ج2.

المجلات العلمية:

1. باسل يوسف الشاعر ويهام محمد عبد الله، الأحكام و الضوابط الشرعية لتداول الصكوك الإسلامية الاستثمارية، عمان: الجامعة الأردنية، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد43، 2016م.
2. بكر أبو زيد وآخرون، جدة: مجلة مجتمع الفقه الاسلامي، الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي الأول بجدة، الدورة الرابعة، المجلد3.
3. حامد كريم الجدرائي وآخرون، التمويل العقاري الملائم لإدارة ازمه السكن، (الكوفة: جامعة الكوفة، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد11، العدد 34، 2015م.
4. حمو سعدية، دور الصكوك الإسلامية في تمويل الإقتصاد- ماليزيا نموذجاً-، الجزائر:مجلة البشائر الإقتصادية، المجلد الثالث، العدد1، مارس 2017.
5. عبد الرحمن توفيق محمد يوسف، الصكوك العقارية الاستثمارية، غزة: مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية، المجلد28، العدد1، 2020م.
6. علي محي الدين القرعة داغي ، الصكوك خصائصها وضوابطها، جدة: مجمع الفقه الإسلامي الولي، الدورة الخامسة عشر، مجلة مجمع الفقه الأسلمي الدولي، العدد5، 2004م.

المؤتمرات العلمية:

1. زياد الدماغ : من International conference on Islamic Banking and finance

Border Practices. Glitigation K 2010

2. عبد المالك منصور المصعبي، العمل بالصكوك الاستثمارية الإسلامية على المستوى الرسمي والحاجة الي تشريعات جديدة، (دبي: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بمؤتمر المصارف الإسلامية بين الواقع والمأمول، من 3 ابريل الي 31 مايو 2009.
المنشورات:

1. إدارة البحوث والتخطيط، البنك العقاري، 2020م.
2. التقرير السنوي لبنك فيصل الإسلامي السوداني، 2020م.
3. "UAB – Union of Arab Banks – اتحاد المصارف العربية"

الرسائل الجامعية:

1. حمو سعدية، دور الصكوك الإسلامية في تمويل الإقتصاد- ماليزيا نموذجاً-، (الجزائر:مجلة البشائر الإقتصادية، المجلد الثالث، العدد1، مارس 2017).
2. شيماء عبدالله ابو زيد، العوامل المؤثرة في كفاءة محفظة التمويل العقاري المصرفي في السودان، الخرطوم: جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا، (رسالة دكتوراة غير منشورة)، 2019م.
3. عبد الرحمن توفيق يوسف، الصكوك العقارية الإستثمارية الإسلامية، (غزة: الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية ، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية، المجلد28، العدد1، 2022م).

RESEARCH TITLE

Exploring the genetic dynamics of consanguineous marriages in Libyan populations: A novel focus on the D19S433 short tandem repeats (STRs) marker within Chromosome 19's Centromere Region

Tarek Shoeib¹, Abdelmuhsen Abusneina², Ali Ksheish¹ and Zianab Alhursh³

¹Department of Forensic Sciences, Faculty of Biomedical Sciences, University of Benghazi, Benghazi, Libya

²Department of Molecular Diagnostics, Faculty of Biomedical Sciences, University of Benghazi, Benghazi, Libya.

³Department of Cytotechnology, Faculty of Biomedical Sciences, University of Benghazi, Benghazi, Libya.

Corresponding author: Tarek.shoeib@uob.edu.ly

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/2>

Published at 01/03/2024

Accepted at 08/02/2024

Abstract

This novel study investigates the utilization of a centromeric short tandem repeat (STR) marker to examine the level of homozygosity within the Libyan population. Building upon previous research that highlights challenges in kinship analysis using routine autosomal chromosomal markers. The STRs loci investigation evaluates the efficacy of 15 autosomal STRs markers and how these markers can be used to explore the implications of homozygosity in the context of consanguinity and its potential association with increasing instances of cancer risks.

This study focuses on assessing the level of inbreeding within the Libyan population through the utilization of centromeric short tandem repeats (STRs) markers. The aim is to investigate the frequency of homozygosity, particularly in the D19S433 marker located in the centromere region, among consanguineous groups compared to non-consanguineous groups. The centromere's role in recombination suppression and the potential implications for passing ancestral genes to offspring are explored. The study includes a comprehensive examination of DNA profiling, consanguinity, and its possible associations with cancer risks in the context of the unique genetic and demographic characteristics of the Libyan population.

Key Words: Consanguinity, STRs marker, D19S433, cancer, Libyan population

Introduction

Kinship analysis in forensic genetics has witnessed significant growth in recent decades, driven by the demand for robust markers capable of resolving complex relationships. While routine autosomal chromosome short tandem repeats (STRs) loci have been widely employed, challenges persist in accurately discriminating between close relatives and unrelated individuals. The study underscores the advantages of streamlining kinship cases into pairwise analyses, potentially reducing the number of individuals involved. However, the limitations of existing STRs loci in precisely distinguishing various degrees of relatedness necessitate the exploration of alternative markers (Nothnagel et al., 2010).

The focal point of this research is a set of 13 autosomal STRs markers, including clusters of closely linked markers, designed to overcome the limitations of routine autosomal chromosome STRs loci. A multiplex PCR system was developed to simultaneously analyze these markers, aiming to enhance their applicability in forensic contexts (Albastaki et al., 2022). The primary objective is to evaluate the effectiveness of this set of linked STRs for kinship analysis within the Libyan population (Wyner et al., 2020).

DNA profiling, centromeres loci and oncogenes.

The study provides a comprehensive overview of DNA profiling, emphasizing the significance of short tandem repeats (STRs) loci as markers to distinguish individuals. The Combined DNA Index System (CODIS) loci, a common set of 13 STRs loci in most of commercial kits for human identification, are introduced for instance, as a core component of DNA profiling. Additionally, certain commercial kits, such as the Qiagen kit for human identification, incorporate two additional STRs loci, namely D2S1338 and D19S433, to enhance the profiling process. Centromeres play a critical role in chromosome segregation, ensuring the accurate separation of sister kinetochores during mitosis. Notably, in the Qiagen commercial kit, the D19S433 marker stands out as the sole marker located near the centromere region (chromosome 19 - 19q12), as depicted in Figure 1. The association between centromeres and heterochromatin, the densely packed chromatin surrounding centromeres. This condensed structure plays a crucial role in maintaining cohesion between sister chromatids, mediated by cohesins and possibly catenation of DNA strands. The study emphasizes the importance of crossing over in promoting genetic variation, as it prevents chromosomes from being exclusively maternal or paternal, thereby preserving genetic diversity (Talbert and Henikoff, 2010). Several oncological investigations have identified genes situated in the 19q12 locus that are linked to various cancer types, including breast, gastric, prostate, and pancreatic cancers (Neville et al., 2003, Athanasoglou et al., 2006, Natrajan et al., 2012, Fu et al., 2014).

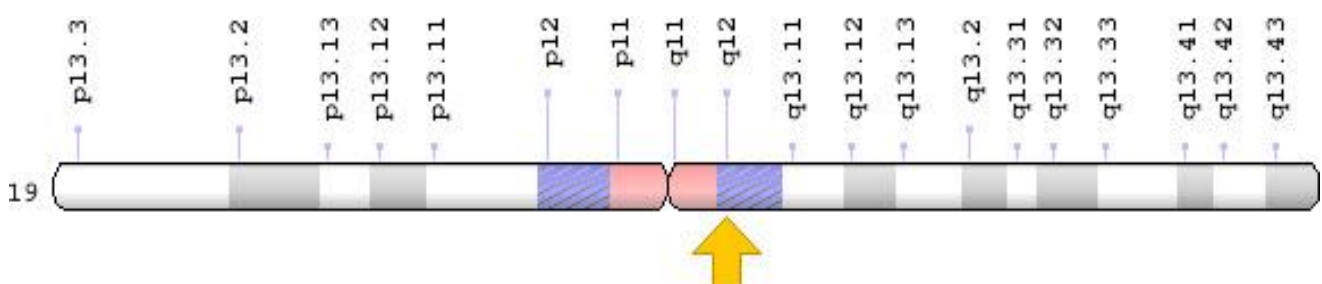


Figure 1. The mapping of the D19S433 marker on chromosome 19 (adapted from (Gholizadeh and Asadi, 2022)).

Consanguinity and Homozygosity

Consanguinity, the practice of marrying close relatives, is a prevalent social norm in many Arab populations, including Libya (Bittles and Hamamy, 2010). This practice contributes to increased homozygosity in offspring, as they are more likely to inherit the identical two alleles from both parents. The study delves into the potential genetic consequences of consanguinity, highlighting its role in the elimination of lethal oncofetal genes from the population gene pool (Abou Jamra et al., 2011).

The study reviews contradictory findings regarding the impact of consanguinity on cancer risks, particularly breast cancer. While some studies suggest a protective effect due to lower frequencies of certain alleles, others associate consanguinity with higher rates of cancer, positing a potential link to recessive cancer-predisposing loci (Bener et al., 2009).

The Libyan Population Overview

A comprehensive overview of the Libyan population is provided, tracing its historical settlements and diverse ethnic composition. The study sheds light on the genetic relationships between the Libyan people and neighbouring regions, revealing closer ties with Tunisian and Egyptian populations. Ethnically, the population is predominantly Arab, with Berbers constituting a minority along with other groups such as Tuareg and Tubo.

The demographic characteristics of the Libyan population, such as population size, growth rates, and family structures, have not been extensively studied in recent years. According to the most recent demographic study available from 2019, it is estimated that the Libyan population was around 5.32 million in 2006 (Daw and El-Bouzedi, 2019). The prevalence of consanguinity and large family sizes, as well as variations in the number of children per family, add layers of complexity to the genetic landscape of the Libyan population (Ibrahim and Serakinci, 2020).

Consanguinity and Cancer Risks

The study explores the potential links between consanguinity and cancer risks, particularly in the context of homozygosity. Contradictory findings from various studies in Arab populations suggest that while consanguinity may increase the chances of homozygosity, its impact on cancer risks is multifactorial and tumour-specific. Some studies propose a protective effect, especially in breast cancer, while others associate consanguinity with an increased risk of certain cancers, emphasizing the need for nuanced research approaches (Bener et al., 2009).

Studies from different Arab countries, including Qatar and Saudi Arabia, present varying perspectives on the relationship between consanguinity and cancer. The presence of null alleles and the high coefficient of consanguinity are factors to be considered when evaluating cancer risks in consanguineous populations. The study also acknowledges the complexity of genetic syndromes associated with specific cancers, emphasizing the need for comprehensive research methodologies (Anwar et al., 2014, Khubrani et al., 2019).

Materials and methods

The study employed a mixed-methods approach to gather data from the Libyan population. A random sample of 71 Libyan individuals residing in the UK was surveyed using a questionnaire to explore the relationships between parents and assess the level of inbreeding within the population. Consent was obtained for buccal swab collection, and DNA analysis was conducted using the QIAamp® DNA Investigator kit. The Investigator IDplex kit, encompassing 13 CODIS core loci plus an additional two STRs markers, D2S1338 and D19S433, was employed to amplify polymorphic STRs markers.

The GeneMapper V3.2 was used to obtain the STRs profiling for all the samples in this study, and all the STRs loci alleles were entered into the Microsoft Excel sheet before conducting the IBM SPSS Statistics V.21 to apply the Chi-square test.

Results

The investigation into homozygosity levels within the consanguineous group yielded noteworthy results, particularly in relation to the D19S433 short tandem repeats (STRs) marker. This specific marker stands out as the sole STRs marker exhibiting a statistically significant outcome within the consanguineous cohort, and it holds a distinctive position within the centromere region (Table 1).

The uniqueness of the D19S433 marker's significance is underscored by its location in the centromere (Figure 1), a region known for exerting recombination suppression effects. This phenomenon suggests that centromere activity plays a crucial role in inhibiting recombination and, consequently, contributes to the transmission of ancestral genes, including potentially mutant ancestral genes, to subsequent generations.

The assessment of homozygosity, specifically measured by the centromeric marker, within the endogamous group substantiates the impact of centromere activity on genetic inheritance. Significantly, the D19S433 marker emerges as the solitary marker displaying a substantial difference (Table 1), with a 48.3% higher frequency of homozygosity in the consanguineous group compared to a mere 7.3% in the non-consanguinity group (Figure 2).

This finding suggests that the centromere, specifically the D19S433 marker, plays a pivotal role in shaping the genetic landscape of consanguineous populations. The observed increase in homozygosity highlights the potential influence of recombination suppression within the centromere region, leading to a higher retention of ancestral genetic material in individuals from consanguineous unions. The specificity of the D19S433 marker's impact emphasizes the importance of considering marker location and centromere activity in understanding the dynamics of genetic inheritance in populations characterized by consanguinity.

Table 1: Chi-square analysis assessing a significant association between homozygosity alleles of all 15 STRs markers and consanguinity.

STRs Markers		Chi-square (P-Value)
1	TP0X	1.000
2	TH01	0.563
3	FGA	0.059
4	D21S11	0.536
5	<u>D19S433*</u>	<u>0.000</u>
6	D18S51	0.637
7	D16S539	0.565
8	D13S317	0.453
9	D8S1179	0.248
10	D7S820	1.000
11	D5S818	0.055
12	D3S1358	0.275
13	D2S1338	0.299
14	CSF	0.434
15	vWA	0.769

* (p-value < 0.05).

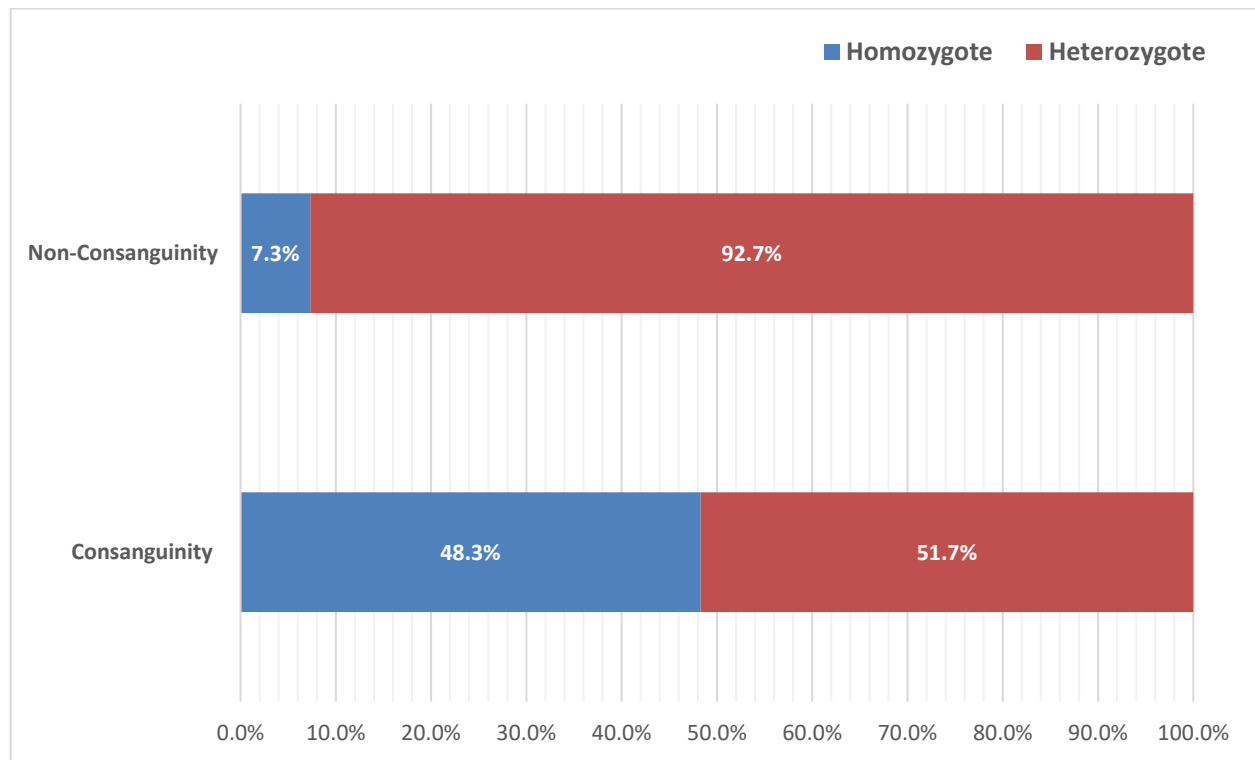


Figure 2: The percentages of homozygosity and heterozygotes alleles in D19S433 STRs marker according to the mating type group (consanguineous and non-consanguineous groups).

Discussion

The results of our study shed light on the intricate relationship between homozygosity, consanguinity, and the unique characteristics of the D19S433 short tandem repeats (STRs) marker located within the centromere. The investigation aimed to unravel the genetic dynamics within consanguineous populations, focusing on the potential impact of centromere activity on recombination and the transmission of ancestral genes.

The standout finding in our study revolves around the D19S433 marker, the only marker demonstrating a significant result within the consanguineous group in Table 1. This marker's exclusive location within the centromere region adds a layer of complexity to its role in genetic inheritance. The centromere's known function in recombination suppression suggests a mechanism through which ancestral genes, including potentially mutant ones, are passed on to subsequent generations without significant changes.

Our results indicate that when measuring homozygosity through the centromeric marker, the D19S433 marker exhibits a substantial difference between the consanguineous and non-consanguinity groups (Sundararajan and Straight, 2022). The consanguineous group shows a remarkable 48.3% higher frequency of homozygosity for the D19S433 marker compared to the non-consanguinity group's modest 7.3%. This stark contrast underscores the impact of consanguinity on the genetic makeup of populations, particularly in regions associated with recombination suppression.

The observed increase in homozygosity within the consanguineous group aligns with expectations based on the known effects of consanguineous unions. The higher retention of ancestral genetic material, as indicated by the D19S433 marker, suggests that consanguinity plays a pivotal role in shaping the genetic diversity of populations (Bittles and Hamamy, 2010). This finding supports previous studies highlighting the link between consanguinity and homozygosity, emphasizing the need to consider specific genetic markers and their locations (Alkuraya, 2010). Furthermore, our results contribute to the broader understanding of centromere activity and its implications for genetic diversity. The centromere's role in suppressing recombination, particularly in the context of consanguineous unions, highlights the intricate mechanisms influencing genetic inheritance and many cancer mechanisms inside the endogamous population (Bener et al., 2009, Mishra et al., 2020). The specificity of the D19S433 marker impact underscores the importance of marker selection in genetic studies, urging researchers to consider the genomic context and functional significance of markers.

In conclusion, our study provides valuable insights into the interplay between consanguinity, homozygosity, and the unique characteristics of the D19S433 marker within the centromere region. The results deepen our understanding of genetic dynamics in consanguineous populations and emphasize the need for further exploration into the role of specific genetic markers and their locations in shaping the genetic landscape.

References

- ABOU JAMRA, R., WOHLFART, S., ZWEIER, M., UEBE, S., PRIEBE, L., EKICI, A., GIESEBRECHT, S., ABBOD, A., AL KHATEEB, M. A. & FAKHER, M. 2011. Homozygosity mapping in 64 Syrian consanguineous families with non-specific intellectual disability reveals 11 novel loci and high heterogeneity. *European Journal of Human Genetics*, 19, 1161-1166.
- ALBASTAKI, A., NAJI, M., LOOTAH, R., ALMHEIRI, R., ALMULLA, H., ALREYAMI, A., ALMARRI, I., YU, Z., ZHANG, Y. & SHU, C. 2022. Design and development of novel single multiplex system incorporating 26 rapidly mutating Y-STRs; 26 RM Yplex. *Electrophoresis*, 43, 1911-1919.
- ALKURAYA, F. S. 2010. Homozygosity mapping: one more tool in the clinical geneticist's toolbox. *Genetics in medicine*, 12, 236-239.
- ANWAR, W. A., KHYATTI, M. & HEMMINKI, K. 2014. Consanguinity and genetic diseases in North Africa and immigrants to Europe. *The European Journal of Public Health*, 24, 57-63.
- ATHANASOGLU, P., DELIS, M. & STAIKOURAS, C. 2006. Determinants of bank profitability in the South Eastern European region.
- BENER, A., EL AYOUBI, H. R., CHOUCANE, L., ALI, A. I., AL-KUBAISI, A., AL-SULAITI, H. & TEEBI, A. S. 2009. Impact of consanguinity on cancer in a highly endogamous population. *Asian Pac J Cancer Prev*, 10, 35-40.
- BITTLES, A. H. & HAMAMY, H. A. 2010. Endogamy and consanguineous marriage in Arab populations. *Genetic disorders among Arab populations*, 85-108.
- DAW, M. A. & EL-BOUZEDI, A. H. 2019. Trends and projection of demographic indices of the Libyan population using a fifty-year census data 1954-2016. *African Population Studies*, 33.
- FU, Y.-P., KOHAAR, I., MOORE, L. E., LENZ, P., FIGUEROA, J. D., TANG, W., PORTER-GILL, P., CHATTERJEE, N., SCOTT-JOHNSON, A. & GARCIA-CLOSAS, M. 2014. The 19q12 bladder cancer GWAS signal: association with cyclin E function and aggressive disease. *Cancer research*, 74, 5808-5818.
- GHOLIZADEH, Z. & ASADI, S. 2022. The Role of Mutations on Genes TWNK, CLPP, HARS2, LARS2, HSD17B4 in Perrault Syndrome. *Journal of Neuroscience and Neurological Research*.
- IBRAHIM, Z. & SERAKINCI, N. 2020. Assessment of Awareness on the Risk of Consanguineous Marriages among University Students from Four Developing Countries: A Comparative Study. *Asian Journal of Research in Medicine Medical Science*, 6-12.
- KHUBRANI, Y. M., HALLAST, P., JOBLING, M. A. & WETTON, J. H. 2019. Massively parallel sequencing of autosomal STRs and identity-informative SNPs highlights consanguinity in Saudi Arabia. *Forensic Science International: Genetics*, 43, 102164.
- MISHRA, S., RAWAT, A. & GANESH, N. 2020. Role of plamer anthropometry and angle of triradius in cancer screening.
- NATRAJAN, R., MACKAY, A., WILKERSON, P. M., LAMBROS, M. B., WETTERSKOG, D., ARNEDOS, M., SHIU, K.-K., GEYER, F. C., LANGERØD, A. & KREIKE, B. 2012. Functional characterization of the 19q12 amplicon in grade III breast cancers. *Breast Cancer Research*, 14, 1-15.
- NEVILLE, P. J., CONTI, D. V., KRUMROY, L. M., CATALONA, W. J., SUAREZ, B. K., WITTE, J. S., CASEY, G. & CANCER 2003. Prostate cancer aggressiveness locus on chromosome segment 19q12-q13. 1 identified by linkage and allelic imbalance studies. *Genes, Chromosomes*, 36, 332-339.
- NOTHNAGEL, M., SCHMIDTKE, J. & KRAWCZAK, M. 2010. Potentials and limits of pairwise kinship analysis using autosomal short tandem repeat loci. *International journal of legal medicine*, 124, 205-215.
- SUNDARARAJAN, K. & STRAIGHT, A. F. 2022. Centromere identity and the regulation of chromosome segregation. *Frontiers in Cell Developmental Biology*, 10, 914249.
- TALBERT, P. B. & HENIKOFF, S. 2010. Centromeres convert but don't cross. *PLoS biology*, 8, e1000326.
- WYNER, N., BARASH, M. & MCNEVIN, D. 2020. Forensic autosomal short tandem repeats and their potential association with phenotype. *Frontiers in genetics*, 11, 884.

عنوان البحث

اللهجات العربية الملقبة
دراسة في ضوء علم اللغة الحديث

د/ زكريا عطيفي حماده عطيفي¹

¹ أستاذ أصول اللغة المساعد، بكلية العلوم والآداب بالقريات، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية

بريد الكتروني: z.alotify@yahoo.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/3>

تاريخ القبول: 2024/02/08م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

إن لدراسة اللهجات العربية القديمة أهمية كبيرة، ومنزلة عظيمة في الدرس اللغوي الحديث، لذلك فقد اهتم بها العلماء، واستشهدوا بها في مستويات اللغة المختلفة، الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وذلك لأن اللهجات العربية القديمة هي المرآة الصادقة التي تكشف لنا كيفية استعمال القبائل العربية الألفاظ، والكلمات، كما يمكننا من خلال دراستها رد كثير من اللهجات العربية الحديثة إلى أصولها القديمة، ومعرفة مدى التطور الذي أصاب تلك اللهجات في العصر الحديث، وهي أيضا من أهم المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في الكشف عن تاريخ العربية ومراحل تطورها، كما أنها وثيقة الصلة بالقراءات القرآنية.

وتهدف الدراسة إلى جمع اللهجات العربية الملقبة ثم دراستها، والكشف عن خصائصها، في ضوء علم اللغة الحديث، وبيان مدى ارتباط اللهجات العربية الحديثة بها.

الكلمات المفتاحية: اللهجات العربية الملقبة، دراسة، علم اللغة الحديث

RESEARCH TITLE

Arabic dialects nicknamed A study in the light of modern linguistics**Dr. Zakaria Otaifi Hamada Otaifi¹**

¹ Assistant Professor of Language Fundamentals, College of Science and Arts in Qurayyat, Al-Jouf University, Kingdom of Saudi Arabia Email: z.alotify@yahoo.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/3>

Published at 01/03/2024**Accepted at 08/02/2024****Abstract**

The study of ancient Arabic dialects has great importance and a great status in the modern linguistic lesson. Therefore, scholars have paid attention to it and cited it at the various levels of the language: phonetic, morphological, grammatical, and semantic.

This is because the ancient Arabic dialects are the true mirror that reveals to us how the Arab tribes used expressions and words. By studying them, we can return many of the modern Arabic dialects to their ancient origins, and know the extent of development that has affected these dialects in the modern era. They are also one of the most important sources. Which can be relied upon in revealing the history of Arabic and the stages of its development, and it is also closely related to Qur'anic readings.

The study aims to collect the nicknamed Arabic dialects, then study them, reveal their characteristics, in the light of modern linguistics, and indicate the extent of their connection to modern Arabic dialects.

Key Words: Arabic dialects nicknamed; study; Modern linguistics

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خالق الألسن واللغات، واضع الألفاظ للمعاني بحسب ما اقتضته حكمه البالغات، الذي علم آدم الأسماء كلها، وأظهر بذلك شرف اللغة وفضلها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح الخلق لسانا، وأبلغهم بيانا، وعلى آله وصحبه أكرم بهم أنصارا وأعوانا.

ثم أما بعد،

فإن لدراسة اللهجات العربية القديمة أهمية كبيرة، ومنزلة عظيمة في الدرس اللغوي الحديث؛ لذلك فقد اهتم بها العلماء واستشهدوا بها في مستويات اللغة المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية؛ وذلك لأن اللهجات العربية القديمة هي المرآة الصادقة التي تكشف لنا كيفية استعمال القبائل العربية للألفاظ، والكلمات، كما يمكننا من خلال دراستها رد كثير من اللهجات العربية الحديثة إلى أصولها القديمة.

ومن ثم تعد دراسة اللهجات العربية القديمة من المصادر العلمية الهامة التي يمكن الاعتماد عليها في الكشف عن تاريخ العربية ومراحل تطورها، كذلك فاللهجات العربية القديمة وثيقة الصلة بالقراءات القرآنية. وتهدف الدراسة إلى جمع اللهجات العربية الملقبة ثم دراستها، والكشف عن خصائصها، في ضوء علم اللغة الحديث، وبيان مدى ارتباط اللهجات العربية الحديثة بها.

أما المنهج الذي سرت عليه، فهو المنهج الوصفي التحليلي، فقد رتبت هذه اللهجات ترتيبا ألفبائيا، ثم قمت بتعريف كل لهجة منها، ثم تناولتها بالدراسة والتفسير الصوتي في ضوء علم اللغة الحديث، مستشهدا بالأمثلة الواردة عن العرب، وبالقراءات القرآنية والأحاديث النبوية - إن وجدت - ثم بينت مدى وجود اللهجة في اللهجات العربية الحديثة، مع عزو اللهجة إلى الناطقين بها.

ثم كانت الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي انتهى إليها البحث، ثم فهرس المصادر والمراجع.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

التمهيد

يعد أول من لقب اللهجات العربية القديمة ذلكم الرجل الجرمي الذي سأله معاوية يوما: "من أفصح الناس؟ فقال: قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، وتيامنوا عن عننة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر، ليست لهم غممة قضاة ولا طمطممانية حمير. قال: من هم؟ قال: قريش قال: ممن أنت؟ قال: من جرم".⁽¹⁾

وقد ورد هذا الخبر في مصادر كثيرة بصيغ مختلفة، من ذلك ما جاء في كتاب الكامل في اللغة والأدب، قال المبرد: "وحدثني من لا أحصي من أصحابنا عن الأصمعي عن شعبة عن قتادة، قال: قال معاوية يوما: من أفصح الناس؟ فقام رجل من السماط فقال: قوم تباعدوا عن فراتية العراق، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس فيهم غممة قضاة، ولا طمطممانية حمير. فقال له معاوية: من أولئك؟ فقال: قومي يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا رجل من جرم. قال الأصمعي: وجرم من فصحاء الناس".⁽²⁾

(1) (البيان والتبيين: 3/ 145)

(2) (الكامل في اللغة والأدب (2/ 165)، وينظر: العقد الفريد: 2/ 305)

ومن الجدير بالذكر أن هذه الروايات المتعددة للخبر الواحد قد اختلفت فيما بينها في نسبة اللهجات اللغوية إلى القبائل الواردة في الخبر، وقد ذكر بعض المحدثين أن هذا الأمر لا تعارض فيه، فالظاهرة اللغوية الواحدة قد تنتشر بين مجموعة من القبائل فيروي كل لغوي ما بلغه منها.

لكن هذا الأمر غير مقبول هنا؛ لأنه يتعلق بخبر واحد وشخص واحد أطلق تلك الصفات لا شخصين، وهو ذلك الرجل الجرمي، وإذا بالروايات المتعددة تختلف في عدد القبائل المذكورة في ذلك الخبر، والصفات اللغوية المنسوبة إلى كل منها، أما وجود الظاهرة الواحدة في أكثر من قبيلة فهذا لا خلاف فيه ونرى أن مسؤولية هذا الاختلاف تقع على عاتق الرواة والنقلة الذين غابت عن رواياتهم ونقولهم الدقة المطلوبة، وقد يكون التحريف سببا آخر لتعليل هذا الاختلاف.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ذلكم الرجل الجرمي لم يذكر جميع الصفات اللغوية، وإن كان ذكر أهمها، لكن كتب اللغويين والنحاة تكفلت بذكر الباقي.⁽³⁾

وقد وضع بعض العلماء هذه الصفات تحت (باب اللغات المذمومة) وحينما تحت (باب معرفة الرديء المذموم من اللغات)؛ والمقصود بالمذموم والرديء إنما هو تلك الصفة اللغوية التي لحقت بهذه اللهجة أو تلك، وليس اللهجة كلها، ولو كان الأمر بخلاف ذلك لما استقام مطلقا مع ما نعرفه من أن هذه القبائل التي تنتسب إليها هذه الصفات ضاربة في الفصاحة بسهم وافر، وببعضها نزل بعض القرآن الكريم، وعنها نقلت اللغة العربية، وأخذ اللسان العربي.⁽⁴⁾

وفيما يلي أتناول اللهجات العربية الملقبة بالدراسة:

الاستطاء:

هو: جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء، كأنطى في أعطى.⁽⁵⁾

وردت أمثلة كثيرة للاستطاء؛ لكنها كلها جاءت في كلمة (أنطى) ومشتقاتها فقط، من ذلك قول الأعشى:

جياذك في القيظ في نعمة
تصان الجلال وتنتطى الشعير⁽⁶⁾

ومن شواهد في الدعاء: "لا مانع لما أنطيت، ولا منطى لما منعت"، وفيه "اليد المنطية خير من اليد السفلى" الظاهرة في ضوء علم اللغة الحديث: إن انحصار هذه الصفة اللغوية في الفعل (أعطى) ومشتقاته يجعلها محدودة، بمعنى أن جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء ليس قاعدة مطردة في كل عين ساكنة تجاور الطاء، فلا يقال (أنطب) في (أعطب) ولا (ينطش) في (يعطش).⁽⁷⁾

ومن ثم فسر الدكتور/ إبراهيم السامرائي هذه الظاهرة بقوله: "وملاك الأمر في هذه النون أنها لم تكن مقابلة للعين في أعطى، وإنما جاءت من أن الفعل كان آتى، بمعنى: أعطى، ثم ضعف الفعل فصار "أتى" بتشديد التاء،

(3) ينظر: فقه اللغة مسائله ومناهل: 229، 230

(4) ينظر: فقه اللغة مناهله ومسائله: 227

(5) ينظر: المزهري: 222/1

(6) ينظر: ديوان الأعشى: 135/1، والإبدال لأبي الطيب اللغوي: 318/2

(7) ينظر: فقه اللغة مناهل ومسائله: 231

ومعلوم أن فك الإدغام في العربية، وفي غيرها من اللغات السامية يقتضي إبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين، كما تقول في العربية "جندل" وهي من "جدل" بتشديد الدال، وهذا كثير معروف⁽⁸⁾.
الظاهرة في اللهجات الحديثة: توجد هذه اللغة في بغداد، وجنوب العراق، ونابلس بفلسطين، وعند قبيلة عنيزة في الصحراء السورية، أما في اليمن ذاتها فلا توجد سوى أعطى بالعين⁽⁹⁾.
الثالثة: هي: كسر حرف المضارعة، نحو: تعلمون وتشهدون⁽¹⁰⁾.

المعروف في كتب التصريف أن حرف المضارعة يحرك بالفتح، فنقول في ضرب وعلم: تضرب وتعلم، إلا إذا كان الماضي رباعيا نحو أقسم وأكرم، فإن حرف المضارعة يضم، فنقول: تقسم وتكرم.
ومع هذا وجدنا بعض العرب يبدل الفتحة كسرة، فيكسر حرف المضارعة، وذلك في الثلاثي المبني للفاعل إذا كان الماضي على وزن (فعل) سالما أو مضاعفا أو أجوفاً أو ناقصاً، وكذلك كل فعل جاوز ثلاثة أحرف وكان ماضيه مبدوءاً بهمزة وصل مكسورة أو بتاء المطاوعة⁽¹¹⁾.
وقد اختلف العلماء في حرف المضارعة الذي يكسر، والذي عليه جل العلماء أن الكسر يكون في جميع حروف المضارعة ما عدا الياء⁽¹²⁾.

وخصه بعضهم بالتاء⁽¹³⁾، وذهب فريق ثالث إلى أن ذلك يكون في جميع حروف المضارعة عدا الهمزة⁽¹⁴⁾؛ لكن هذا مردود لورود أمثلة كسرت فيها الهمزة، من ذلك قول الشاعر:

أرجو وآمل أن تدنو مودتها *** وما إخال لدينا منك تنويل⁽¹⁵⁾

فالأرجح إذن أنها عامة في جميع الحروف ما عدا الياء⁽¹⁶⁾.

ولكن هناك سؤال: أيهما الأصل: الكسر أم الفتح؟

الذي عليه جل العلماء هو أصالة الفتح، وأن الكسر حادث، يقول الإمام سيبويه: "ويدلك على أن الأصل في: (فَعَلْتُ) أن يفتح (يَفْعُل) منه على لغة أهل الحجاز، سلامتها في الياء، وتركهم الضم في (يَفْعُل) ولا يضم لضمة (فَعُل) فإنما هو عارض"⁽¹⁷⁾.

أما في العصر الحديث فهناك من يرى أصالة الكسر، وأن الفتح حادث في العربية، يقول الدكتور/ رمضان عبد التواب: "وهذه الظاهرة سامية قديمة، توجد في العبرية، والسريانية، والحبشية، والفتح في أحرف المضارعة، حادث في رأيي، في العربية القديمة؛ بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى، وبدليل ما بقي من الكسر في بعض

(8) دراسات في فقه اللغة: 217

(9) ينظر: فقه اللغة مناهله ومسائله: 232

(10) ينظر: الخصائص 11/2، والمحكم (ت ل ل) 160/10، واللسان (ت ل ل) 442/1 .

(11) ينظر: اللهجات العربية في شرح المفصل 142/1 .

(12) ينظر: الكتاب 110/4 والمخصص 216/14 وشرح الشافية 141/1 وشرح المفصل 61/3.

(13) ينظر: الكتاب 110/4 والمخصص 216/14 وشرح الشافية 141/1 وشرح المفصل 61/3.

(14) ينظر: شرح الشافية للرضي 141/1 .

(15) ينظر: خزنة الأدب 7/4 .

(16) المخصص: 215/14 .

(17) الكتاب: 111/4 .

اللهجات العربية القديمة". (18)

وقد رد هذا الكلام الدكتور/ عبد الغفار هلال فقال: "إن العربية هي اللغة السامية التي بقيت في الجزيرة بعد هجرة أخواتها الساميات، فالفتح ليس حادثاً فيها بل إنه الأصل، والكسر هو الذي حدث بعد اختلاط الساميين بغيرهم". (19)

كما استدلل الدكتور/ رمضان عبد التواب على أصالة الكسر باستمراره حتى الآن في اللهجات العربية الحديثة كلها، وعدم بقاء فتح حرف المضارعة في اللهجات الحديثة إلا في لهجة نجد. (20)

وهذا الدليل رده أيضاً الدكتور/ ضاحي عبد الباقي، فذكر أن استمرار هذه اللهجة في اللهجات الحديثة لا يعد دليلاً على أصالتها "ذلك أن هذه اللهجات تستعمل دائماً إما متوارثة عن لغات عربية، قد يكون بعضها محافظاً على الصيغة القُدمى، وإما متطورة عن هذه اللغات غيرت نهجها وفقاً لقوانين لغوية". (21)

ويرجح الدكتور / ضاحي عبد الباقي حداثة الكسرة في العربية ويعلل ذلك بأن الكسرة كانت في زمن تسجيل العربية خاصة بوزن واحد من أوزان الثلاثي الستة، ثم تطورت بعد ذلك حتى شملت كل هذه الأوزان، فلو كان الكسر هو الأصل ثم تطور إلى الفتح في خمسة أوزان - بالنسبة للثلاثي - وبقي السادس مكسوراً دون تطور، لاختفى الكسر تماماً من اللهجات المعاصرة، لكن الذي حدث هو العكس تماماً فنسبة الفتح تقل، وبالتالي تزداد نسبة الكسر، وهذا يرجح أصالة الفتح في العربية ثم تطوره إلى كسر، فلما جاء زمن تسجيل العربية لم يكن التطور قد اكتمل دوره، ثم اكتمل بعد ذلك على لسان بعض العاميات. (22)

من هذا العرض يتضح أن الرأي الراجح هو الرأي القائل بأصالة الفتح وحداثة الكسر، وهو ما عليه جل علماء اللغة المحدثين.

التفسير الصوتي: ذكر ابن سيده أنهم: "كسروا هذه الأوائل لأنهم أرادوا أن تكون أوائلها كثواني فَعَل، كما ألزموا الفتح ما كان ثانيه مفتوحاً في فَعَل، يعني أنهم فتحوا أول المستقبل فيما كان الثاني منه مفتوحاً كقولك ضَرَبْتُ تضرب وقتلت وقتلت، وأجروا أوائل المستقبل على ثواني الماضي في ذلك؛ ولم يمكنهم أن يكسروا الثاني من المستقبل كما كسروه من الماضي لأن الثاني يلزمه السكون في أصل البنية فجعل ذلك في الأول، وجميع هذا إذا قلت فيه يَفْعَل فأدخلت الياء فتحت، وذلك أنهم كرهوا الكسرة في الياء حيث لم يهابوا انتقاض معنى فيحتملوا ذلك كما يكرهون الياءات والواوات مع الياء وأشباه ذلك يعني أن الذين يقولون تعلم بكسر التاء لا يقولون يعلم بكسر الياء لاستئثارهم الكسر على الياء ولا يدعوهم إلى كسرها داع يوجب تغيير معنى أو لفظ". (23)

وهذه اللغة تسائر القوانين الصوتية؛ لأن كسر حروف المضارعة سمة من سمات لغات البدو الذين يركنون إلى السرعة في الأداء، وهذا يتضح جلياً "إذا عرفنا أن أقرب الحركات الثلاث إلى طرف اللسان ومقدم الحنك هي الكسرة، وأن ضيق المسافة بينهما، واندفاع الهواء دون حفيف بقوة معها يجعل النطق بها أسرع من النطق بغيرها،

(18) فصول في فقه العربية : 125 .

(19) اللهجات العربية نشأة وتطورا : 295 .

(20) ينظر: فصول في فقه العربية: 125 .

(21) لغة تميم 210 .

(22) ينظر: لغة تميم 211 .

(23) المخصص: 216/14 .

يضاف إلى ذلك السهولة في أداء الكسرة للسبب المتقدم، ولانفراج الشفتين معها أيضاً؛ ولهذا كله كانت الكسرة في أول المضارع الحركة المختارة لتكون البديل المناسب عن فتح حرف المضارعة⁽²⁴⁾.

نسبة الظاهرة: عزا جمع من العلماء هذه الظاهرة إلى جميع العرب عدا الحجازيين⁽²⁵⁾ وخصص بعضهم قبيلة بعينها، فعزيت إلى تميم، وأسد⁽²⁶⁾، وقيس⁽²⁷⁾، وربيع⁽²⁸⁾، وهذيل⁽²⁹⁾، وبهراء⁽³⁰⁾.

ومع أنها عزيت لجمع من القبائل العربية؛ لكنها ارتبطت ببهراء، فقيل تلتة بهراء، والعلة في ذلك ترجع إلى أنها " من الخصائص اللهجية التي عدتها الفصحى من العيوب التي يجب أن تتجنب مثلها مثل الكشكشة والعنونة. ولما كانت الظاهرة الواحدة لا تتفرد بها قبيلة واحدة فلم ينسبوا في معرض الحديث عن الظواهر إلى القبيلة الواحدة أكثر من ظاهرة، وهذا ما نلاحظه لدى أحد الجرميين حين سأل معاوية من أفصح العرب؟ فأجابه: " قوم تباعدوا عن عننة تميم وتلتة بهراء وكشكشة ربيعة"⁽³¹⁾

وكسر حروف المضارعة أمر مشتهر بين القبائل، فهو منتشر في قبائل كثيرة كقيس وتميم وأسد وربيع وهذيل⁽³²⁾، ومن ثم فهذه اللهجة ليست غريبة ولا مستهجنة؛ لشيوعها في اللهجات العربية الحديثة، بالإضافة إلى أنها موافقة للغات السامية⁽³³⁾.

الظاهرة في القراءات القرآنية: وردت قراءات قرآنية متعددة، كسر فيها حرف المضارعة، من ذلك قوله تعالى: " ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ " بكسر همزة المضارعة⁽³⁴⁾، وقرأ بعضهم " فَإِنَّمَا إِضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي " بكسر همزة أضل⁽³⁵⁾.

هذا مما ورد في حرف الهمزة، ومما جاء في حرف النون " وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " قرئت بكسر النون⁽³⁶⁾. ومما جاء في حرف التاء " وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ " بكسر التاء⁽³⁷⁾.

كسر ياء المضارعة:

سبق القول إن العلماء اختلفوا في مفهوم التلتة، فالذي عليه جل العلماء أن التلتة هي كسر جميع حروف المضارعة عدا الياء.

وذهب بعض العلماء إلى أن التلتة عامة في جميع حروف المضارعة حتى الياء أيضاً⁽³⁸⁾.

(24) قراءة يحيى بن وثاب: 90 .

(25) ينظر: الكتاب 110/4، وشرح الشافعية 141/1، واللسان (و ق ي) 4902/6

(26) ينظر: الصاحبى 34، وإعراب القرآن للنحاس 173 /1 والبحر 617/1، واللسان (و ق ي) 4902/6 .

(27) ينظر: الصاحبى 34، والبحر 617/1، واللسان (و ق ي) 4902 /6 وتاج العروس (ى ء س) 49/9 .

(28) ينظر: إعراب القرآن للنحاس 173 /1 والبحر 617/1، واللسان (و ق ي) 4902/6

(29) ينظر: تاج العروس (ى ء س) 49/9 .

(30) ينظر: سر الصناعة 230/1 والخصائص 11/2، ومجالس ثعلب 81/1، والمحكم (ت ل ل) 160/10 .

(31) لغة تميم 206 .

(32) ينظر: البحر المحيط 42 /1 .

(33) ينظر: لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر 185 .

(34) من الآية (126) سورة البقرة، والقراءة في: إعراب القرآن للنحاس 260 /1، والكشاف 93 /1 .

(35) من الآية (50) سورة سبأ ينظر: البحر 564 /8

(36) من الآية (5) الفاتحة ينظر: إعراب القرآن للنحاس 173 /1 والبحر 42 /1 .

(37) من الآية (35) سورة البقرة، والقراءة في البحر 256 /1 .

الظاهرة في القراءات القرآنية: وردت قراءات قرآنية كسر فيها حرف المضارعة وكان ياء من ذلك قوله تعالى: "أَمَّنْ لَّا يَهْدِي" قرئت بكسر الياء يَهْدِي⁽³⁹⁾ كما قرأ بعضهم "وَهُمْ يَخِصِّمُونَ" بكسر الياء والخاء وتشديد الصاد.⁽⁴⁰⁾

ومن الجدير بالذكر ما رد به الدكتور/عبد الجواد الطيب على النحاة في تعليلاتهم لهذا الكسر، حيث قال: "والنحاة واللغويون عندما تفجؤهم هذه الظاهرة يستوحون عللهم الصناعية، فنراهم يقولون إن علة كسر الياء هنا هي أنها تقوت بالياء المجاورة لها، ولا أدري كيف تتقوى الياء بالياء، وهما مثلان متجاوران مخرجهما واحد، ولعل قلة كسر ياء المضارعة بالقياس إلى حروف المضارعة الأخرى هي التي دفعتهم إلى أن يتحسسوا هذه العلة، والحق أن ياء المضارعة مكسورة تلقائياً عند بعض من يكسرون حرف المضارعة ممن ذكرنا، ولهذا تحولت الياء الساكنة التالية لها إلى صوت لين طويل ملائم للكسرة السابقة عليها. ويتضح لنا فساد علتهم، وصحة ما ذكرنا في مثل (ييجع) (الذي أصله الفعل الواوي وجع) فكيف كسرت ياء المضارعة هنا مع وجود الواو التي ليست بياء تتقوى بها الياء كما يقولون؟

الحق أن ياء المضارعة في هذا الفعل مكسورة أصلاً عند من يكسرها أسوة بغيرها من حروف المضارعة الأخرى، فقلبت واوه الساكنة (Consonant) ياء مد (Vowel) وصارت مع الكسرة السابقة عليها صوت لين واحداً طويلاً، ولكن النحاة ينتحلون لذلك علة أخرى لا أساس لها، بل هي أشد فساداً من سابقتها، فيقولون إنهم لما أرادوا قلب الواو ياء كسروا الياء التي هي حرف المضارعة لتقلب الواو قلباً صحيحاً، فكيف أرادوا قلب الواو ياء وقبلها مفتوح - على حد قولهم - وكيف تأتي أن يكسروا ياء المضارعة عمداً وبغير موجب إلا مجرد تسويغ قلبهم للواو ياء بعد هذا الكسر المصطنع الذي افتعلوه؟ هل المسألة هكذا مجرد إرادة أو هوى؟ أو أن القوانين الصوتية هي الفصيل في الموضوع، وهي التي تعمل عملها في هذا المجال؟

الحق أنهم بصنيعهم هذا قد جانبوا الصواب، فياء المضارعة هنا مكسورة عند من ينطقونها كذلك، وكسرها هو الذي يتحكم في الحرف الساكن الذي يليها - واوا كان أو ياء - فيقلبه صوت لين طويل من جنسه بغية التيسير الذي يعمل عمله في تطور اللغات أو اللهجات، وهذا يتفق والقوانين الصوتية التي لمح بعضها القدماء وحققها المحدثون من علماء الأصوات. ومن اللغويين والنحاة من أشار إلى كسر ياء المضارعة عند بعض القبائل دون لجوء إلى هذه العلل الخاطئة، مثل أبي حيان الذي يقرر أن كسر حرف المضارعة إنما هو "لهجة غير الحجازيين... وأكثرهم لا يكسر الياء، ومنهم من يكسرها" فهو لم يلجأ هنا - كما لجأ إلى التعليل الصناعي حينما عرض لكسر ياء المضارعة عند من يكسرها من القبائل العربية "وإن كانت عبارته تشير بحق - كما يشير غيره - إلى أن كسرها قليل عند العرب؛ وذلك لأن كسر الياء أثقل من فتحها، وقد لمح ذلك القدماء أنفسهم".⁽⁴¹⁾

وخلاصة القول في هذا الأمر "أن الكسر في حروف المضارعة كلها ورد عن العرب غير أنه متفاوت فيها، فهو "في النون والتاء من بين حروف المضارعة أكثر"، وقليل في الهمزة، وأقل في المبدوء بالياء، ونقول أيضاً إن

(38) ينظر: المحرر الوجيز 3/ 119، والدر المصون 31/4 .

(39) (من الآية (35) سورة يونس، ينظر: السبعة 326، والنشر 212/2 والإتحاف 312 .

(40) (من الآية (49) سورة يس، ينظر: الدر المصون 487/5 .

(41) لغة هذيل: 39، 40 .

كسر حرف المضارعة فيما كان وزنه (فَعَلَ يَفْعَل) كعلم يعلم - كثير وفيما عداه وارد ولكنه قليل".⁽⁴²⁾
الشنشنة:

هي جعل الكاف شيئا مطلقا، كقولهم لبش اللهم لبش في لبك اللهم لبك.⁽⁴³⁾
التفسير الصوتي: يرى بعض العلماء أن قلب الكاف شيئا ليس نتيجة لسبق الكاف المكسورة كما في اللغات الشرقية؛ ولكنها صيغة تشيع في العربية الجنوبية الحديثة التي تقلب الكاف شيئا من دون شرط⁽⁴⁴⁾، وقد عزيت هذه الظاهرة إلى أهل اليمن.⁽⁴⁵⁾
وتتفق الشنشنة مع الكشكشة في بعض الوجوه - كما سيأتي إن شاء الله تعالى -
الطمطمانية:

في اللغة عرفها ابن منظور بقوله: "والطمطمة: العجمة،.... والطمطمانى: هو الأعجم الذي لا يفصح. ورجل طمطم، بالكسر أي في لسانه عجمة لا يفصح.... وفي صفة قريش: ليس فيهم طمطمانية حمير، شبه كلام حمير لما فيه من الألفاظ المنكرة بكلام العجم"⁽⁴⁶⁾.

أما في الاصطلاح: فهي إبدال لام التعريف ميم.⁽⁴⁷⁾
ومن ثم يتضح أن اللغويين شبهوا كلام حمير بكلام العجم؛ لاشتماله على هذه الألفاظ العجيبة.⁽⁴⁸⁾
وهذا يؤكد قول عمرو بن العلاء: "ما لسان حمير وأقاصي اليمن لساننا، ولا عربيتهم عربيتنا"⁽⁴⁹⁾.
وهذا التعريف الذي وضعه العلماء للطمطمانية يدل على أنها عامة - سواء أكانت اللام شمسية أم قمرية - كما يتضح هذا من الأمثلة التي ذكروها؛ لكن ابن هشام يرى أن هذا الإبدال لا يكون إلا في اللام القمرية، أي التي لا تدغم لام التعريف في أولها نحو: غلام وكتاب. أما اللام الشمسية نحو: الرمح والشمس والنيل فلا تبدل، وذكر " أن بعض طلبة اليمن كان يقول "خذ الرمح واركب امفرس" ولكن ابن هشام نفسه يقول: "لعل ذلك لغة لبعضهم، لا لجميعهم ثم يستشهد على ذلك بقول الشاعر:

هذا خليلي وذو يعاتبني ***
يرمي ورأني بامسهم وامسلمه

وبحديث النبي ﷺ "ليس من امبر امصيام في امسفر"، ويقول إنها دخلت على النوعين".⁽⁵⁰⁾
وبهذا يتضح أن الظاهرة عامة في جميع لامات التعريف، والأمثلة على ذلك كثيرة، وابن هشام نفسه رجع عن قوله، أو جعل لقوله وجها، وهي أنها لغة لبعضهم، لكنها ليست على الإطلاق، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى في المصادر العربية، من ذلك قولهم: عليك أم رأى وعلينا أم فعال⁽⁵¹⁾

(42) قراءة يحيى بن وثاب: 82 .

(43) ينظر: المزهري: 176/1

(44) ينظر: فقه اللغة مسائله ومناهله: 235

(45) ينظر: المزهري: 176/1

(46) اللسان: (ط م) 4 / 2706

(47) ينظر: فقه اللغة للثعالبي: 152، والمزهري: 1 / 223 .

(48) ينظر: اللهجات العربية في التراث: 1 / 399 .

(49) ينظر: المزهري: 1 / 174 .

(50) ينظر: مغنى اللبيب عن كتاب الأعراب: 1 / 59، 60 .

(51) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2 / 92 .

وذكر ابن دريد أن " أهل اليمن يسمون الرجل الكبير كبارا. وذو كبار رجل منهم، وسمعت رجلا يقول: أم شيخ أم كبار ضرب رأسه بالعصو: أى العصا".⁽⁵²⁾

وقد جعله ابن يعيش شاذا وقليلًا، لا يقاس عليه.⁽⁵³⁾ وجعله ابن سيده شاذًا، ولا يسوغ.⁽⁵⁴⁾

والسبب الذى جعل العلماء يستهجنون هذه اللغة يرجع إلى " أنها من بقايا اللغة العربية الجنوبية (اليمنية) وهى - وإن كانت من الفصيلة السامية التى تنتمي إليها العربية الشمالية - تختلف عنها اختلافا كبيرا جعل اللغويين المشتغلين بعربية الشمال ذات الانتشار والسيطرة على عهدهم يرونها شاذة لا يقاس عليها، والحق معهم؛ إذ كانتا لغتين مختلفتين وقديما قالوا: " ما لسان حمير بلساننا".⁽⁵⁵⁾

التفسير الصوتي: بين اللام والميم تقارب يسمح بالتبادل بينهما، فالمرجان متقاربان؛ إذ تخرج اللام من حافة اللسان من أدها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والناوب والرباعية والثنية " ⁽⁵⁶⁾ .

أما النون فتخرج "مما بين طرف اللسان وما فوق الثنايا "⁽⁵⁷⁾، كما يشترك الصوتان في بعض الصفات كالجهر والاستفال والانفتاح.⁽⁵⁸⁾

هذا بالإضافة إلى أن " العلاقة الصوتية بين (اللام والميم) واضحة جلية: فهما من أكثر الأصوات شيوعا في اللغات السامية، كما أنهما من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين، ولهذا كانت من أسبق الأصوات في نطق الطفل، فهذه الأصوات قديمة سبقت في نطق الإنسان الأول غيرها من الأصوات..... فهي مجموعة متميزة بين أصوات اللغة يحل بعضها مكان بعض".⁽⁵⁹⁾

نسبة الظاهرة: عزيت هذه الظاهرة لحمير⁽⁶⁰⁾، وهذا هو المشهور حتى ارتبط ذكر هذا المصطلح بحمير، فقالوا: طمطمانيه حمير، وعزيت إلى أهل اليمن⁽⁶¹⁾، وطيء⁽⁶²⁾، والأزد⁽⁶³⁾، وهذيل⁽⁶⁴⁾.

الظاهرة في الحديث الشريف: وردت هذه اللغة في حديث النبي ﷺ حيث قال: " ليس من امبر امصيام في امسفر "⁽⁶⁵⁾، فيجوز أن يكون النبي ﷺ تكلم بذلك لمن كانت هذه لغته، أو أنها لغة الراوي التي لا ينطق بغيرها.⁽⁶⁶⁾

(52) (الاشتقاق : 54 .

(53) ينظر: شرح المفصل: 9 / 20 .

(54) ينظر: المحكم (ب ر ر): 11 / 213 .

(55) لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر : 205 .

(56) ينظر: سر الصناعة: 1 / 47 .

(57) ينظر: سر الصناعة: 1 / 47 .

(58) ينظر: الكتاب 4 / 436، 434، 436، وسر الصناعة: 1 / 60، 61 .

(59) في اللهجات العربية : 142 .

(60) ينظر: درة الغواص 1 / 151، واللسان (ط م م) 4 / 2706، مغنى اللبيب 1 / 59 .

(61) ينظر: معانى القرآن للأخفش: 1 / 35، وشرح المفصل: 9 / 20 .

(62) ينظر: شرح المفصل 10 / 34، وشرح الشافية 3 / 215، ومغنى اللبيب 1 / 59.

(63) ينظر: مجالس ثعلب 1 / 58 .

(64) ينظر: معانى الحروف للرماني: 71 .

(65) ينظر: سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي 4 / 176، والسنن الكبرى للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقي : 408/4 والحديث فيهما " ليس من البر الصيام في السفر " .

(66) ينظر: لهجات العرب / أحمد تيمور 108، ولهجات العرب د / عيد الطيب 204 .

الظاهرة في العامية المعاصرة: لا تزال هذه الظاهرة موجودة في بعض جهات اليمن، وتوجد أيضا في اللهجة المصرية، فالمصريون يقولون في كلمة البارحة: امبارح.⁽⁶⁷⁾
العججة:

هي: إبدال الياء جيما؛ لكن العلماء اختلفوا في الياء التي تبدل إلى ثلاثة أقسام⁽⁶⁸⁾:-

- 1- أن الياء التي تبدل جيما هي الياء المشددة مطلقا سواء كانت للنسب أم لغيره.
 - 2- أن الياء التي تبدل جيما لابد أن تكون حالة الوقف سواء كانت خفيفة أم ثقيلة.
 - 3- أن الياء التي تبدل جيما هي التي تجتمع معها العين.
- والرأي الذي يساير القوانين الصوتية، " والذي أميل إليه الرأي الثاني القائل بإبدال الياء حال الوقف جيما مطلقاً سواء أكانت خفيفة أم ثقيلة؛ لأن الياء حالة الوقف تخفى في النطق فأبدلوا منها الجيم لكونها أوضح، كما أن هناك قراباً بين الياء والجيم"⁽⁶⁹⁾، وهذا الرأي ذهب إليه جمهور العلماء.⁽⁷⁰⁾
ومن الأمثلة التي وردت في الشعر:

خالي عويف وأبو عَليّ
المطعمان اللحم بالعشج
وبالغداة فلق البرنج

وقد اضطر الشاعر إلى القافية فأبدل الجيم من الياء في الوصل كما يبذلها منها في الوقف".⁽⁷¹⁾
التفسير الصوتي: يخرج هذان الصوتان من مخرج واحد - كما سبق - لكن الجيم صوت شديد عند القدامى، قليل الشدة عند بعض المحدثين⁽⁷²⁾، أما الياء فصوت بين الشديد والرخو⁽⁷³⁾.
ويرى الدكتور/ عبد الغفار هلال أن " الأولى اعتبار الجيم صوتا شديدا كما يقول الأقدمون، لا قليل الشدة على ما يراه بعض الباحثين المحدثين " ⁽⁷⁴⁾؛ وسبب الخلاف أن المحدثين يصفون جيما أصابها تطور كبير في اللهجات الحديثة.

هذا الاتحاد في المخرج، والاتفاق في كثير من الصفات كان مسوغا للتبادل بينهما، ومما تجدر الإشارة إليه أن أهل البادية آثروا الصوت الشديد، وهذا يتفق وطبيعتهم⁽⁷⁵⁾.
نسبة الظاهرة: عزا العلماء إبدال الياء جيما إلى بنى سعد⁽⁷⁶⁾، وعزيت لبعض تميم⁽⁷⁷⁾، والفراء عزاها مرة لطيء

(67) ينظر: فصول في فقه العربية : 130 .

(68) ينظر: الظواهر اللهجية في ارتشاف الضرب: 44: 46 .

(69) ينظر: الظواهر اللهجية في ارتشاف الضرب: 46 .

(70) ينظر: الكتاب 4 / 182 وشرح المفصل 9 / 10، 50، 74، وشرح الشافية 2 / 287.

(71) المحكم : (ش ج ر) 7 / 172 .

(72) ينظر: الأصوات اللغوية: 79، وأصوات اللغة العربية: 154 .

(73) ينظر: سر الصناعة: 1 / 61 .

(74) أصوات اللغة العربية: 155 .

(75) ينظر: اللهجات العربية في شرح المفصل: 1 / 87 .

(76) ينظر: الكتاب 4 / 182 ، المحكم (ش ج ر) 7 / 172 ، اللسان (ش ج ر) 4 / 2198 .

وأخرى لبنى دبير من بنى أسد⁽⁷⁸⁾. وجعلها أبو زيد لغة لبعض أهل اليمن.⁽⁷⁹⁾

وفرق الإمام أبو حيان بين الياء المشددة والياء المخففة، فعزا إبدال المشددة لطيء، وإبدال المخففة لبنى دبير⁽⁸⁰⁾، ونسبها السيوطي لقضاعة⁽⁸¹⁾.

ويذكر الدكتور الجندي أن هذا العزو كله لا تعارض فيه بل إنه يلائم طبيعة كل من عزي إليهم فالجيم أدخل والياء أخرج في جهاز النطق؛ لذلك فقانون السهولة واليسر يقتضي أن تقلب الجيم ياءً؛ لكن لما كان نطق الجيم أقوى من نطق الياء قلبوا الياء جيما، والذين صنعوا ذلك هم أهل البادية، ومعظم الذين نسبت إليهم تلك اللغة من البدو.⁽⁸²⁾

العنونة:

هي إبدال العين همزة، كقولهم في أن: عن، ومنها قول الشاعر:

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل *** لآخره لا بد (عن) ستصيرها⁽⁸³⁾

والعلماء مختلفون في الهمزة التي تبدل، فمنهم من قصر الإبدال على الهمزة المصدرة، أو المفتوحة، ومنهم من جعلها عامة في كل همزة، لكن ذلك - بالطبع - مقصور على ما سمع عن العرب.

وفي الحقيقة إن "اشتراط البدء بالهمزة، أو أن تكون مفتوحة ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية، وإنما الذي يبدو أن يكون أقرب إلى الاحتمال هو أن هذه القبائل - وكلها من البدو - كانت تميل إلى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة في السمع، أيا كان موضعها من الكلمة وبأية حركة تحركت"⁽⁸⁴⁾

وهذا تؤكد الأمثلة الكثيرة التي ورد فيها هذا الإبدال، من ذلك: "كثأ اللبن وكثع وهى الكثأة والكثعة، وذلك إذا علا دسمه وخثورته رأسه، ويقال موت زواف وزعاف وذواف وذعاف إذا كان يعجل القتل، ويقال أردت أن تفعل كذا وكذا وبعض العرب يقول أردت أن تفعل " (85).

وقال: "وعنونة تميم: إبدالهم العين من الهمزة، كقولهم (عن) يريدون: (أن) وأنشد يعقوب:

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل *** لآخره لا بد (عن) ستصيرها⁽⁸⁶⁾

وقال: "أكعفت النخلة: تقلعت من أصلها حكاها أبو حنيفة. وزعم أن عينها بدل من همزة أكأفت"⁽⁸⁷⁾.

ومن ثم فإن "هذا الإبدال عام في كل همزة، عند تميم ومن جاورهم، والدليل على هذا قول الخليل بن أحمد

(77) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب للرضي : 287 / 2 .

(78) ينظر: الإبدال لأبى الطيب 1 / 258، 260 .

(79) ينظر: النوادر في اللغة لأبى زيد الأنصاري : 455 .

(80) ينظر: الارتشاف: 1 / 329، 330 .

(81) ينظر: المزهري: 1 / 221 .

(82) ينظر: اللهجات العربية في التراث: 1 / 376 .

(83) المحكم (ع ن): 1 / 49 .

(84) في اللهجات العربية: 110 .

(85) المخصص: 13 / 274 .

(86) المحكم (ع ن): 1 / 49 .

(87) السابق (ك ع ن): 1 / 169، (ك أ ف) 7 / 73 .

الفراهيدي: " والخبع: الخبء، في لغة تميم، يجعلون بدل الهمزة عينا " (88)
والذي تطمئن إليه النفس " أن العننة ليست مقتصرة على همزة (أن) المخففة أو المشددة أو الهمزة المبدوء بها، وإنما هي عامة في كل همزة، أما من قصرها على همزة (أَنْ وَأَنَّ)، فقد يكون السبب الاستقرار غير التام، فإنه قال ما سمع فإذا ما جاء نص عن عالم ثقة يقطع بعومومها، فما علينا إلا الإذعان، قال ابن دريد: " العننة حكاية كلام، نحو قولهم عننة تميم، لأنهم يجعلون الهمزة عينا". (89)

كما أرى أن الظاهرة ليست " خاصة بتميم كما توحي به التسمية (عننة تميم) وإنما هي ظاهرة بدوية وجدت في غير تميم أيضاً، فقد ذكر ابن السكيت قولهم: أشهد عنك رسول الله وقال: وهي لغة في تميم وقيس كثيرة". (90)
وربما كنت ظاهرة أصيلة في تميم، ولكن تأثرت بها القبائل المجاورة لها، فامتدت هذه الظاهرة إلى غير تميم، وهذا التأثير والتأثر - بلا شك - سنة من سنن اللغة.

التفسير الصوتي: إن القوانين الصوتية تجيز هذا التبادل، فبين الحرفين قرب في المخرج؛ إذ تخرج الهمزة من أقصى الحلق، وتخرج العين من وسطه فهما حلقيان (91)، ويرى بعض المحدثين أن الهمزة تخرج من الحنجرة. (92)
هذا القرب في المخرج سوغ الإبدال بينهما، كما أن العين أخف من الهمزة، والإبدال عادة يتجه نحو السهولة؛ لذا كثر إبدال الهمزة عينا. (93)

وقد اختصت القبائل البدوية بهذا الإبدال؛ لأنها تميل إلى إعطاء صوت الهمزة حقه " فحين يبالغ في هذا التحقيق، ويراد أن يكون أوضح في السمع، يستبدل بها أحد الأصوات الحلقية القريبة منها مخرجاً وصفةً، وأقرب أصوات الحلق إليها هو (العين)؛ لأن العين صوت مجهور وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة مخرجاً". (94)
كذلك فالعين مناسبة لطبيعة البدو الذين يعيشون في صحراء شاسعة، فهم محتاجون إلى نبرة عالية والعين مجهورة فهي تفي بغرضهم، أما الهمزة فهي - في أرجح الآراء - لا مجهورة ولا مهموسة، أو هي مهموسة على رأي بعض المحدثين.

من هذا العرض يتضح أن هذا الإبدال "مما تستسيغه البداوة بجفافها وخشونتها أما الحضارة الناعمة الهائلة فإنها تميل إلى الصوت الأرق نسبياً" (95)

الظاهرة في العامية المعاصرة: لا تزال آثار هذه اللهجة موجودة " في مناطق كثيرة من العراق، كما في الرمادي والفلوجة والعشائر المحيطة بهما، وفي جنوب العراق في العمارة والفرات الأوسط نسمعهم يقولون مثلاً: (أسعلك سعال) أي أسألك سؤالاً، وكذلك كانت لهجة كثير من البغداديين في كلمة القرآن الكريم وكتاب القراءة، فقد كنت إلى عهد قريب أسمع القسم القرعان، والسؤال عن كتاب القراءة" (96)

(88) فصول في فقه العربية: 136، 137 .

(89) الجمهرة: (ع ن ع ن): 1 / 160

(90) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 138، وينظر: الظواهر اللغوية في أدب الكاتب: 112.

(91) ينظر: الكتاب: 4 / 433، وصر الصناعة: 1 / 46، 47 .

(92) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات العربية): 112، واللغة العربية معناها ومبناها: 79.

(93) رؤية لغوية جديدة للإبدال في ضوء الحروف الصامتة د / عبد الغفار هلال: 217.

(94) في اللهجات العربية: 110، 111.

(95) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 138.

(96) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 138.

كما نجد هذا في العامية المصرية لا سيما في الصعيد فتسمع (لع) في (لأ)، ونجد في محافظة قنا وكذا في محافظة أسيوط من يقول فقع عينه في فقاً.
نسبة الظاهرة: عزا العلماء هذه الظاهرة لتميم⁽⁹⁷⁾، وجعلها الفراء لغة تميم وقيس وأسد ومن جاورهم، ولكنه قصرها على همزة (أَنَّ، أَنْ) المفتوحة.⁽⁹⁸⁾
الْعَمْعَمَةُ:

ذكر ابن منظور أن "الغمجمة والتغمغم: الكلام الذي لا يبين ... وفي صفة قريش: ليس فيهم غمجمة قضاة؛ الغمجمة والتغمغم: كلام غير بَيِّن" ⁽⁹⁹⁾، وقال الفيروزآبادي: "والغمجمة أصوات الثَوْرَة عند الذُّعر والأبطال عند القتال والكلام الذي لا يبين كالتغمغم" ⁽¹⁰⁰⁾.

وقال ابن سيده والغمجمة - الصوت لا يبينه الإنسان من كربٍ أو قتال، وأنشد:
في حَوْمَةِ الموت الذي لا يَتَّقِي *** غَمَرَاتِهِ الأبطالُ غير تَغْمُغُ " ⁽¹⁰¹⁾.

وقال ابن دريد: "الغمجمة مثل الهمهمة كلام لا تفهمه، قال الشاعر:
كَغَمَاغِمِ الثيرانِ بَيْنَهُمْ *** ضربٌ تُغَمِّضُ دونه الحَدَقُ" ⁽¹⁰²⁾.

ولما كانت الغمجمة تعني الكلام الذي لا يبين، وأصوات الأبطال في الوغى، وأصوات الثيران عند الذعر، فقد قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة حذف الغمجمة من ألقاب اللهجات، وجاء في قراره: "لعل الغمجمة المنسوبة لقضاة هي عججة قضاة عينها، أصابها التحريف في خبر الرجل الجرمي، وبناء على ذلك تحذف الغمجمة من ألقاب اللهجات، بحيث لا ينسب لقضاة إلا العججة" ⁽¹⁰³⁾.
الفحفة:

هي إبدال الحاء عينا؛ لكن العلماء اختلفوا في الحاء التي تبدل، فبعضهم جعلها عامة في كل حاء؛ لذلك عرفوها بأنها: قلب الحاء عينا مطلقا. ⁽¹⁰⁴⁾

وقصرها بعضهم على حاء (حتى) وحدها، يقول الدكتور/ إبراهيم نجا - رحمه الله - "المشهور فيها إبدال الحاء من حتى عينا " بل إنه - رحمه الله - يتهم رأي المعتمدين بالضعف، فيقول: "وهذا النقل ضعيف؛ لأنه لم يرد لنا من نصوص العرب وشواهدهم ما يجعلنا نقبل وجهتهم، ومع هذا فقد رأينا ابن مسعود في قراءته قد اقتصر على إبدال الحاء من (حتى) ولم يبدلها من (حين)، فلو كان الإبدال عاما لقرأ بالعين في كلتا الكلمتين، فدلنا ذلك على أن الفحفة خاصة بحاء حتى " ⁽¹⁰⁵⁾.

وقد وردت في كتب اللغة - وغيرها - أمثلة أبدلت فيها الحاء عينا في حتى وفي غيرها، من ذلك:

(97) العين (ع ن): 1 / 91 ، تهذيب اللغة (ع ن ن) 1 / 111 ، والمحكم (ع ن) 1 / 49 ، واللسان (ع ن) 4 / 3143.

(98) ينظر: تهذيب اللغة (ع ن ن) 1 / 111 ، 112 ، وتاج العروس (ع ن ن) 18 / 390

(99) اللسان: (غ م م) 5 / 3304.

(100) القاموس المحيط: (غ م م) 4 / 222.

(101) المخصص: 2 / 139 ، والبيت لعنترة ، ينظر شرح ديوان عنتره : 125.

(102) الجمهرة: (غ م م) 1 / 161.

(103) فصول في فقه العربية: 138

(104) ينظر: الارتشاف: 4 / 1756 ، والمزهر: 1 / 222

(105) (اللهجات العربية د/ إبراهيم نجا: 82

"عنا الشيخ عُنْتِيَا وَعُنْتِيَا - بفتح العين - أَسَنَّ وَعُنْتِيَا بمعنى حتى هذلية، وقرأ بعضهم "عُنِي حِين" أي حتى حين" (106)، وجاء في المحكم "وحتى: حرف من حروف الجر كإلى، ومعناه الغاية..... وهذيل تقول: عُنِي في معنى حتى". (107)

ومما جاء في غير حاء حتى: "ضبعت الخيل كضبحت" (108)، وقوله: "تصوع البقل: هاج، كتصوح. وصوعته الريح: صيرته هيجا كصوحته، قال ذو الرمة:

وَصَوَّعَ البقل نَأَجَ تجيء به *** هَيْفَ يمانية في قَرِّهَا نَكَبُ (109)

أما الدكتور/ أحمد علم الدين الجندي، فله رأي خاص في هذه الظاهرة، حيث وجه لها كثيرا من النقود، ملخصها: أن (حتى) وردت كثيرا في القرآن الكريم؛ لكنها لم تبدل في سوى هذين المثالين، كما أن ابن مسعود ؓ قرأ عكس هذه القراءة فأبدل العين حاء، وذلك كقوله تعالى "قَالُوا نَعَمْ" (111) وقوله سبحانه "أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ" (112) "قرأ فيهما "نعم" و"بحثر"، بالإضافة إلى أن قراءة القارئ قد لا تعبر عن لغة قومه مطلقا، فقد وجدنا بعض القراء يقرأ بغير لغة قومه، ثم علل الدكتور الجندي تعليلا صوتيا لهذه الظاهرة، فقال: "وكل ما في الأمر أن قراءة ابن مسعود يمكن أن تفسر تفسيراً صوتياً، وذلك أن العربي يستقل الحروف المتماثلة، لأنها تشق عليه في النطق، فيحاول أن يخالف بينها؛ طلباً للخفة، ومن ذلك أن العرب قالت: "تسريت وتظنيت وتقصيت" في تسررت وتظننت، وتقصيت، فاستقل العربي التماثل وحوله إلى حرف آخر وهذا ما يسمى Dissimilation أي المخالفة. والأمر في قراءة ابن مسعود "عُنِي حِين" لا يعدو أنه خالف بين تكرار الحاءين" (113).

أما ما ذكره الدكتور الجندي فهو غير مطرد، فإن كان الغرض من الإبدال في (حتى حين) المخالفة، فلماذا أبدلوا في كلمات أخرى نحو ضبعت وضبحت، وتصوع البقل وتصوح، والعبكة والحبكة، وعصد وحصد؟ فلا توجد هنا مماثلة حتى يفروا منها إلى المخالفة.

التفسير الصوتي: هناك علاقة صوتية قوية سوغت التبادل بين هذين الصوتين، وهي الاتحاد في المخرج، إذ يخرجان من وسط الحلق؛ لكن العين مجهورة والحاء مهموسة. (114)

والقوانين الصوتية ترى أن المجهور يناسب بيئة فيها بداوة كهذيل أكثر مما يلائمها الصوت المهموس، ثم إن في الحاء رخاوة وفي العين شيء من الشدة؛ إذ هي ليست بالرخوة ولا بالشديدة؛ وإنما هي شيء بين الأمرين، أو كما يقول القدماء متوسطة بين الشدة والرخاوة؛ ولهذا أمكن أن تحل محل الحاء لاتحاد مخرجهما تقريبا، مع ملائمتها لقبيلة مثل هذيل". (115)

(106) (المحكم: (ع ت و) 2 / 240 .

(107) (السابق: (ح ت ت) 2 / 358.

(108) (السابق: (ض ب ع) 1 / 357.

(109) (ينظر: اللسان (ن أ ج) 6 / 4312، (هـ ي ف) 6 / 4738.

(110) (المحكم: (ص و ع) 2 / 217 والبيت في الديوان بلفظ (صوح) بالحاء، (قراها) بالميم، ينظر: الديوان: 14.

(111) (من الآية (44) سورة الأعراف .

(112) (الآية (9) سورة العاديات .

(113) (ينظر: اللهجات العربية في التراث: 1 / 372، 373

(114) (ينظر: الكتاب 4 / 434

(115) (لغة هذيل: 121

نسبة الظاهرة: عزا بعض العلماء هذه الظاهرة لهذيل وحدها⁽¹¹⁶⁾، وجعلها بعضهم لغة هذيل وثقيف، فقال: "حتى لغة قريش وجميع العرب إلا هذيلًا وثقيفًا فإنهم يقولون: عتي"⁽¹¹⁷⁾، ولا غرابة في هذا العزو فالقبيلتان متجاورتان في المواطن والمنازل، فليس ببعيد أن يكون ذلك لغة لهما معاً، أو على الأقل لثقيف مع جيرانها من البطون الهذلية المصاحبة لها، ولا يغض من ذلك شيء سوى أن ثقيفاً قبيلة حضرية مقرها الطائف، أما هذيل فقبيلة بدوية – أو فيها بداوة – فهذه الظاهرة ربما كانت أشبه بها من سواها".⁽¹¹⁸⁾

الظاهرة في القراءات القرآنية: قرأ ابن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى: "لَيَسْجُنَنَّهٗ حَتَّىٰ حِينٍ"⁽¹¹⁹⁾ (عتى) بإبدال حاء حتى عيناً.

الظاهرة في العامية المعاصرة: لا يزال صدى هذه الظاهرة موجوداً في عاميتنا المصرية، فنجد أهل القاهرة يقولون (حيكتب) ويستعمل أهل الصعيد العين بدلاً من الحاء فيقولون (عيكتب)⁽¹²⁰⁾.

كما وجدت هذه الظاهرة لدى بعض اليمنيين، فيقولون: ناولني الصفعة أى الصفحة (الطبق)، ومزج الصفعة أى الصفحة من الورق.⁽¹²¹⁾

الكسكة:

اختلف العلماء في تعريف الكسكة، على النحو الآتي:

1- يرى الفريق الأول أن الكسكة هي زيادة سين بعد كاف المؤنثة حالة الوقف.⁽¹²²⁾

2- أما الفريق الثاني فيرى أن الكسكة هي إبدال كاف المؤنثة المخاطبة سيناً.⁽¹²³⁾

3- ويرى الفريق الثالث أن الكسكة هي إلحاق كاف المؤنثة سيناً أو قلبها سيناً.⁽¹²⁴⁾

التفسير الصوتي: علل علماء اللغة القدامى لهذه الظاهرة بالبيان؛ أي ليفرقوا بين المذكر والمؤنث، يقول ابن جني: "ومن العرب من يزيد على كاف المؤنث في الوقف سيناً ليبين كسرة الكاف، فيؤكد التأنيث، فيقول: مررت بكس، ونزلت عليكس، فإذا وصلوا حذفوا لبيان الكسرة".⁽¹²⁵⁾

أما علماء اللغة المحدثون فأرجعوا ذلك إلى قانون الأصوات الحنكية⁽¹²⁶⁾، فهم يذهبون إلى أن "الكاف قلبت أولاً إلى "تش" ثم إلى ما يشبهه "تس" بدليل أن بعض المحدثين سمع – رجلاً في نجد يقول في (عسكري) عستري".⁽¹²⁷⁾

(116) ينظر: المحكم (ع ث و) 2، 240، والبحر المحيط 6/ 274 وتاج العروس (ف ح ح) 4/ 151

(117) الفائق في غريب الحديث للزمخشري 330/2 (عتى)، ينظر: اللسان (ج ل ل) 1/ 663، (ص د ر) 4/ 2413، إعراب القرآن للنحاس 1/ 253

(118) لغة هذيل د/ عبد الجواد الطيب: 110

(119) من الآية (35) يوسف، ينظر: القراءة في مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه: 68 .

(120) ينظر: لغة تميم د/ ضاحي عبد الباقي: 124 .

(121) ينظر: لهجات العرب دراسة تحليلية: 229 .

(122) ينظر: الكتاب: 4/ 199، الارتشاف 2/ 823، شرح الأشموني 4/ 282 .

(123) ينظر: شرح الأشموني 4/ 282 .

(124) ينظر: المزهري 1/ 221 .

(125) سر الصناعة: 1/ 202، 203 .

(126) ينظر: في اللهجات العربية: 125، وفصول في فقه العربية 145: 147 .

(127) ينظر: في اللهجات العربية 125، واللهجات العربية في التراث: 1/ 364 .

ويرى الدكتور/ عبد الغفار هلال " أن هذا غير صحيح؛ لأننا لم نسمع به مطلقاً على طريقة النطق والكتابة، ولم يرد في كتب القدماء، وإن شاع ذلك في بعض النطق الحديث بالجزيرة العربية، ولا يفسر القديم بالحديث للخلل الواقع في النطق الحديث بما أبعد عن الفصح، ولا يحتج به فقد تغير نطق بعض الأصوات وشوه تشويهاً خطيراً، فقد تحول - مثلاً - في نطق أهل الرياض صوت الكاف أول الكلمة إلى (تس) مثل كيف حالك (تسيف حالك)، وفي وسط الكلمة كذلك، فكلمة (باكر) تنطق هناك (باتسر) فلا يعول على هذا النطق المحرف لتفسير الفصح من كلام العرب.

ويرى بعضهم أن الكسكة والكشكشة حدثتا نتيجة للتطور في مرحلتين:

الأولى: انتقال الكاف إلى الصوتين المزدوجين: تس وتث.

وأما الثانية: فتطور الصوتين المزدوجين إلى السين الخالصة تارة والشين الخالصة تارة أخرى، وهذا الكلام لا يسند له الدليل العلمي أو التاريخي.⁽¹²⁸⁾

نسبة الظاهرة: عزا كثير من العلماء الكسكة إلى هوازن⁽¹²⁹⁾، وعزاها بعضهم لبكر بن وائل⁽¹³⁰⁾، وعزيت إلى ربيعة⁽¹³¹⁾، وعزيت إلى بني تميم⁽¹³²⁾ أما الذين جعلوا الكسكة إبدال كاف المذكر سينا فعزوها إلى ربيعة ومضر.⁽¹³³⁾

والروايات التي ذكرها العلماء تجمع على أن الكسكة خاصة بكاف المؤنثة المخاطبة، " ومن ثم فلسنا مع الفراء والسيوطي في تفسيرهما هذه الظاهرة بأنها تقع في خطاب المذكر، كما أننا نجد أن القبائل التي عزيت إليها هذه الظاهرة هي: ربيعة، وبكر بن وائل، وهوازن، وتميم، ويبدو أن هذه الظاهرة كانت في بكر بن وائل من ربيعة، ثم انتقلت إلى باقي القبائل المضربية كهوازن وتميم، لما كان بين هذه القبائل من صلات الجوار، وما كان بينها من حروب".⁽¹³⁴⁾

الظاهرة في العامية المعاصرة: يذكر الدكتور/ ضاحي عبد الباقي أن هذه الظاهرة لا زالت موجودة في وسط الجزيرة وتنطق "تس" وهذا موجود الآن في بريدة وعنيزة وزميقة وشقراء؛ لكنها ليست مقصورة على كاف المؤنث، فيقولون مثلاً: تسيف حالك في كيف حالك⁽¹³⁵⁾، وكذلك في نجد يقولون " على تسم " أى على كم؟.⁽¹³⁶⁾ الكشكشة:

اختلف العلماء في تعريف الكشكشة، على النحو الآتي:

(128) (اللهجات العربية نشأة وتطورا: 166 .

(129) (ينظر: سر الصناعة 1/ 229، ومجالس ثعلب: 81، واللسان (ك س س) 5 / 3875 .

(130) (شرح المفصل 9/ 48، وفقه اللغة للثعالبي: 51، وأساس البلاغة (ك س ك س) 2 / 134، ودرة الغواص: 151 .

(131) (ينظر: الصاحب: 36 .

(132) (ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (ك س س) 2 / 246 .

(133) (ينظر: الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي: 113 ، والمزهر : 1 / 221 .

(134) (لهجة ربيعة دراسة لغوية في ضوء علم اللغة الحديث: 57، 58.

(135) (ينظر: لغة تميم: 77 .

(136) (ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه: 134 .

1- يرى الفريق الأول أن الكشكشة هي إبدال كاف المخاطبة شينا مطلقا - أى وصلا ووقفا - يقول ابن سيده: " والكشكشة لغة لربيعة، يجعلون الشين مكان الكاف، وذلك في المؤنث خاصة، فيقولون: (عliš) و (منش) و (بش) وينشدون:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها *** ولكن عظم الساق منش دقيق (137)

فالشاهد الشعري هنا جاء في حالة الوصل، يقول ابن جنى: " ومنهم من يجري الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضا". (138)

2- أما الفريق الثاني فيعرف الكشكشة بأنها زيادة شين بعد كاف المخاطبة في الوقف خاصة. (139)

3- ويرى الفريق الثالث أن الكشكشة هي إبدال كاف المؤنثة شينا في الوقف فقط، قال المبرد: " والتي يدرجونها يدعونها كافا، والتي يقفون عليها يبدلون شينا". (140)

والرأي الذي ترجحه الدراسة هو الأول القائل بأن الكشكشة هي إبدال كاف المخاطبة شينا مطلقا، ربما كان في بداية الأمر هذا الإبدال خاصا بحال الوقف؛ ولكنه عمم بعد ذلك، وهذا يتضح بجلاء في الأمثلة التي أبدلت فيها الكاف شينا في حال الوصل.

كما ذكر الثعالبي مثالا من القراءات القرآنية أبدلت فيه الكاف شينا حالة الوصل، وذلك في قوله تعالى: " قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا " قرئ قد جعل ريش تحتش سريا. (141)

رأى علماء اللغة المحدثين في هذه الظاهرة:

كان لعلماء اللغة المحدثين رأي شديد له وجاهته؛ حيث إنه يساير القوانين الصوتية وكان أول القائلين بهذا الرأي الدكتور/ إبراهيم أنيس، وملخص ما ذكره في ذلك: أن المراد بالكشكشة نطق كاف المؤنثة صوتاً بين الجيم والشين، وهذا الصوت هو نفس ما سمعه القدماء في تلك الظاهرة، كذلك فهو نفس الصوت الذي لا نزال نسمعه في بعض اللهجات الحديثة بمصر، والذي يبرر قلب الكاف إلى هذا الصوت أن يليها صوت لين أمامي (كسرة أو فتحة مرققة) يجتذب مخرجها إلى وسط الحنك، فالذين روي هذه الظاهرة بين اللهجات العربية القديمة وقصروها على قلب كاف المؤنثة إلى (شين) كانوا أقرب الجميع إلى الصواب؛ لأن الكثرة في كاف المؤنث هي العامل الأساسي في هذا الانقلاب. أما جعلها في آخر الكلمة وقصرها على كاف الخطاب في حالة الوقف، فليس له ما يبرره من الناحية الصوتية.

والدليل على أن هذا الإبدال عام في كل كاف يليها صوت لين أمامي أي كان موضعها من الكلمة ورود ذلك في غير كاف المؤنثة كقوله: (حتى تنقي كنفق الديش)، كما أن الدليل الأساسي في ظاهرة الكشكشة هو وجود صوت اللين الأمامي (الكسرة أو الفتحة المرققة) بعد الكاف، أننا لا نسمع صوت (تش)، ولا يعقل أنها كانت قديما (شين) ثم تطورت عنها في اللهجات الحديثة إلى (تش)؛ لعدم وجود ما يبرر ذلك من ناحية التطور الصوتي. (142)

(137) (المحكم (ك ش ك ش) 6 / 397، 398، والبيت في ديوان مجنون ليلي من دون إبدال، ينظر: الديوان: 163

(138) (وسر الصناعة: 1 / 206 .

(139) (المحكم: (ك ش ك ش) 6 / 397 .

(140) (الكامل في اللغة والأدب للمبرد: 1 / 371 .

(141) (ينظر: فقه اللغة وسر العربية: 151 .

(142) (ينظر: في اللهجات العربية 123: 125 .

التفسير الصوتي: هذا الإبدال له مسوغ قوي، وهو قرب المخرج، فالكاف تخرج من أقصى اللسان من أسفل من موضع القاف قليلاً، ومما يليه من الحنك الأعلى، أما الشين فتخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى.⁽¹⁴³⁾ كذلك فالصوتان مهموسان، لكن الكاف صوت شديد، أما الشين فصوت رخو.⁽¹⁴⁴⁾

وقد جعل علماءنا القدماء العلة في هذا الإبدال هي البيان والوضوح؛ لخفاء كسرة الكاف حال الوقف قال ابن سيده: "وإنما هذا لتبين كسرة الكاف فيؤكد التأنيث، وذلك لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقف فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوا شينا، فإذا وصلوا حذفوا لبيان الحركة " ⁽¹⁴⁵⁾

أما علماء اللغة المحدثون فيرجعون ذلك إلى قانون الأصوات الحنكية، وملخصه: أن أصوات أقصى الحنك، كالكاف والجيم الخالية من التعطيش تميل بمخرجها إلى نظائرها من أصوات أمامية، حين يليها صوت لين أمامي كالكسرة؛ لأن صوت اللين الأمامي يجتذب أصوات أقصى الحنك إلى الأمام قليلاً، فتقلب إلى مماثلها من أصوات وسط الحنك، ومن ثم تكون قد تحولت الكاف إلى حرف مركب من "التاء والشين" "تش"، وهذا الصوت قد يخل إلى بعض السامعين أنه مكون من صوتين؛ لكنه في الحقيقة صوتاً واحداً، يتكون من عنصرين: أولهما ينتمي إلى الأصوات الشديدة، وهو ما يشبه التاء، وثانيهما: ينتمي إلى الأصوات الرخوة وهو ما يشبه الشين، وهذا هو الصوت الذي سمعه القدماء فظنوه شينا، وقد عبر عنه القدماء تارة بالشين، وتارة بالكاف والشين لعدم وجود رمز كتابي يدل عليه.

يقول ابن دريد: " وإذا اضطر الذي هذه لغته، قال (جيدش وغلماش) بين الجيم والشين، إذا لم يتهياً له أن يفرد".⁽¹⁴⁶⁾

ويرى المحدثون أن تقييد هذا الإبدال بالوقف وبكاف المؤنثة ليس له مبرر صوتي، ويستدلون على ذلك بالشواهد الكثيرة التي ساقها اللغويون لهذه الظاهرة في حالة الوصل.⁽¹⁴⁷⁾

وقد اعترض الدكتور/ عيد الطيب على العلة التي ذكرها القدماء - البيان - وحجته في ذلك: أن الموقف موقف خطاب، وهل بعد مواجهة المتكلم للمخاطب وحديثه معه يحتاج الأمر إلى بيان؟! ثم إن كانت العلة حقا هي البيان كان ينبغي أن تكون في قریش، فهي أولى بالبيان، ومن ثم فهذه الدعوى يوهنها الموقف والمقام.⁽¹⁴⁸⁾

كما أن ما ذكره علماء اللغة المحدثون لقي نقداً شديداً؛ لأنه لا يثبت أمام البحث العلمي، فلو كان هذا الصوت "تش" نشأ بسبب قانون الأصوات الحنكية، فما السبب الذي جعل هذا الإبدال يقتصر على كاف المخاطبة المؤنثة؟ ولم لم يشمل كل الكافات المكسورة؟ لا سيما وأن القوانين الصوتية شأنها الاطراد والشمول.⁽¹⁴⁹⁾

وبعد هذا العرض نخلص إلى أن هذه الظاهرة بقية من العربية الجنوبية القديمة ظلت موجودة عند عرب الجنوب الذين اتخذوا من عربية الشمال لساناً لهم فيما بعد، سواء ظلوا في أماكنهم أم هاجروا إلى مناطق الشمال، فهذا

(143) ينظر: الكتاب 4 / 433، وسر الصناعة 1 / 47 .

(144) ينظر: الكتاب 4 / 434، وسر الصناعة 1 / 61 .

(145) المحكم: (ك ش ك ش) 6 / 397، 398، وينظر: الكتاب 4 / 199، شرح المفصل: 9 / 48

(146) جمهرة اللغة 1 / 5

(147) ينظر: في اللهجات العربية: 123، 124، وفصول في فقه العربية: 145: 147

(148) ينظر: لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر: 101، 102

(149) ينظر: مقدمة في قراءات القرآن الكريم ولهجات العرب في عصر النبوة د / عبد الفتاح عبد العليم البركاوي 131.

ليس إبدالاً لكنه عادة لغوية ظلت في نطق أصحابها بعد استعراهم، يقول المسعودي: "وأهل الشحر أناس من قضاة..... ولغتهم بخلاف لغة العرب وذلك أنهم يجعلون الشين - في لهجتهم - بدلاً من الكاف في اللغة العربية المشتركة، ومن ثم فنحن لسنا أمام تحول الكاف إلى صوت آخر "تش" أو "الشين" وإنما أمام بقاء استعمال لغوي قديم، هو استعمال الشين للتعبير عن ضمير المخاطبة المؤنثة.⁽¹⁵⁰⁾

نسبة الظاهرة: عزا جمع من العلماء هذه الظاهرة لربيعة⁽¹⁵¹⁾، وعزيت أيضاً لتميم وأسد، ومضر، وبكر بن وائل، وبنى أسد.⁽¹⁵²⁾

والمأمل يجد أنه لا تناقض ولا تضارب بين هذه الآراء " فربيعة قبيلة عظيمة منها (أسد) و (بكر) بن وائل، و (مضر) قبيلة عظيمة منها (تميم). وتميم وأسد وبكر بن وائل من القبائل النجدية " ⁽¹⁵³⁾

ومن ثم فمساكن هذه القبائل التي عزيت إليها الكشكشة متجاورة، كذلك لما استعرت نيران الحرب بين تميم وبكر، أدى ذلك بدوره إلى وجود صلة بينهما، وهذا بدوره أدى إلى التأثير والتأثر - وهذا بلا شك - تجيزه القوانين الصوتية الحديثة.⁽¹⁵⁴⁾

الظاهرة في القراءات القرآنية: ذكر الثعالبي أن قوله تعالى: " قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا " ⁽¹⁵⁵⁾ قرئ " قد جعل ربش تحتش سرياً " ⁽¹⁵⁶⁾. وكذا قوله تعالى " اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ " ⁽¹⁵⁷⁾. قرئ " اصطفاش وطهرش " ⁽¹⁵⁸⁾ وهذه القراءة أعتقد أنها من الشواهد؛ بل إنني لم أعثر عليها في كتب القراءات الشاذة ولا في كتب التفسير.

الظاهرة في العامية المعاصرة: لا تزال الكشكشة بصورتها (الإبدال والإلحاق) باقية إلى يومنا هذا، فنسمع في لهجات أبناء الخليج، والمنطقة الشرقية والشمالية من المملكة العربية السعودية وبادية الأردن من ينطق الكاف بصوت ممزوج من التاء والشين = تش، وهذا امتداد لتلك الصورة من الكشكشة عند القدماء، كما أن ما نسمعه اليوم في لهجة أهل عسير من نطق للكاف شينا (أبوش) ونحوها هو امتداد - أيضاً - لما جاء في بيت المجنون.⁽¹⁵⁹⁾

كذلك توجد هذه اللهجة " في منطقة الخليج فهي موجودة في الكويت وموجودة في البحرين وفي المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، وقد سمعتها أيضاً في مصر من أحد الطلاب الصغار من قرية الزنلكون بمحافظة الشرقية، ونطقها في الزنلكون كنطق أبناء دول الخليج لها، أي لا تقلب الكاف شينا خالصة، بل هي (تش).⁽¹⁶⁰⁾ الوتم:

(150) ينظر: مقدمة في قراءات القرآن الكريم ولهجات العرب في عصر النبوة: 133 .

(151) ينظر: العين (ك ش) 5 / 269، والاشتقاق لابن دريد: 257، وسر الصناعة: 1 / 230

(152) ينظر: أساس البلاغة (ك س س) 2 / 308، والصاحبي: 34، 35، المزهري: 1 / 221، الكتاب: 4 / 199 .

(153) (اللهجات في الكتاب لسبويه، د/ صالحة راشد آل غنيم: 257، 258

(154) ينظر: اللهجات العربية في التراث: 1 / 360 .

(155) (من الآية (24) سورة مريم .

(156) ينظر: فقه اللغة: 151 .

(157) (من الآية (42) سورة آل عمران .

(158) ينظر: كتاب ألف باء للبلوي: 2 / 431، وشرح المفصل: 9 / 48، ولهجات العرب أحمد تيمور باشا: 69 .

(159) ينظر: اللهجات في الكتاب: 256 .

(160) (المقتضب في لهجات العرب: 134، 135 .

هو: قلب السين تاء عند أهل اليمن فيقولون: النات في: الناس.⁽¹⁶¹⁾
وهذا الإبدال عام فهو غير مختص بآخر الكلمة بدليل وروده في أول الكلمة نحو الكرم من سوسه وتوسه، كما جاء في وسط الكلمة نحو: (حفيصاً وحفيتاً).
كما أنه يشمل السين المخففة كالأمثلة السابقة، وكذا المشددة أو المضعفة كقوله: أخس الله حظه وأخته، وكذا الطست في الطس.⁽¹⁶²⁾
ومن ذلك قول الشاعر:
يا قاتل الله بني السعلات
ليسوا ألباء ولا أكيات

عمر بن منصور شرار النات

فأبدل التاء مكان السين في الأكياس كما أبدلها في الناس وهي لغة.⁽¹⁶³⁾
وقالوا: "الكرم من سوسه، وتوسه أي من خليقته، ويقال أخس الله حظه وأخته فهو خسيس وختيت".⁽¹⁶⁴⁾
التفسير الصوتي: الصوتان متجاوران مخرجا؛ إذ تخرج التاء من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وتخرج السين من بين طرف اللسان وفوق الثنايا ⁽¹⁶⁵⁾. فالمخرج قريب جدا بل إنهما متحدان في طرف اللسان، كما يتفق الصوتان في بعض الصفات كالههمس، لكن السين رخوة احتكاكية، والتاء شديدة انفجارية، ومن ثم أثر البدو الشديد على الرخو، وقلبو الاحتكاكي إلى الانفجاري؛ ليتواءم وطبيعتهم، فالتاء لهجة البدو ومن جاورهم، والسين لهجة الحضر ومن جاورهم.⁽¹⁶⁶⁾
كما يؤكد هذا الكلام ما ذكره الدكتور/ إبراهيم أنيس من أن الصوتين يكادان يكونان متماثلين في المخرج، كما أن كلا منهما صوت مهموس، ولم يبق إذن إلا أن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما فإذا افترقا سمعنا التاء، وإذا لم يكن الالتقاء محكما فهي السين.⁽¹⁶⁷⁾
نسبة الظاهرة: عزيت التثنية إلى حمير⁽¹⁶⁸⁾، وجعلها بعضهم لغة أهل اليمن⁽¹⁶⁹⁾، وعزيت أيضا لقضاعة⁽¹⁷⁰⁾
أما السين المضعفة فعزى إبدالها تاء إلى طيء⁽¹⁷¹⁾، وخنثم وزبيد.⁽¹⁷²⁾، وقد وصف العلماء هذه اللغة بكثير من الصفات كالشدوذ، والندرة، وأنها من قبيح البدل أو من قبيح الضرورة.⁽¹⁷³⁾

(161) (المزهر: 1/ 222).

(162) (ينظر: اللسان (ط س ت) 4 / 2670، والمصباح المنير (ط س ت) 2 / 372 .

(163) (المخصص: 3/ 26 .

(164) (المخصص: 13/ 283

(165) (ينظر: الكتاب 4 / 433.

(166) (ينظر: في التطور اللغوي 70 .

(167) (ينظر: في اللهجات العربية: 105 .

(168) (ينظر: تهذيب اللغة (ب أس) 13 / 109، 110 واللسان (ب أس) 1 / 199،

(169) (ينظر: المزهر: 1/ 222.

(170) (ينظر: مختصر في شواذ القرآن: 184 .

(171) (ينظر: اللسان (ط س ت) 4 / 2670، والمصباح المنير: (ط س ت) 2 / 372 .

(172) (ينظر: في اللهجات العربية: 105

(173) (ينظر: اللسان (ط س ت) 4 / 2670، وشرح الشافية للرضي 3/ 221. النوادر في اللغة: 345.

الظاهرة في القراءات القرآنية: قريء قوله تعالى: " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " (174) قريء بإبدال السين. (175)
الوكم:

هو: كسر الكاف من ضمير المخاطبين المتصل (كم) إذا سبق بكسرة أو ياء نحو بكم وعليكم في بكم وعليكم.
(176)

التفسير الصوتي: ذكر سيبويه أن العلة في هذا الإبدال هي الإتيان فقال: "وقال ناس من بكر بن وائل: من أحلامكم، وبكم، شبهها بالهاء لأنها علم إضمار، وقد وقعت بعد الكسرة، فأتبع الكسرة الكسرة حيث كانت حرف إضمار، وكان أخف عليهم من أن يضم بعد أن يكسر. وهي رديئة جدا...، قال الحطيئة: وإن قال مؤلاهم على جُلِّ حادثٍ ... من الدهر رُدُّوا فَضَّلَ أَحْلَامَكُمْ رُدُّوا".

أما المبرد فيرى أن هذا غلط فاحش، حيث قال: "وناس من بكر بن وائل يُجرون الكاف مُجَرِّى الهاء إذ كانت مهموسة مثلها وكانت علامة إضمار كالهَاءِ وَذَلِكَ غلط مِنْهُمْ فَاحش لِأَنَّهَا لم تشبهها فِي الخفاءِ الَّذِي من أجله جَازَ ذَلِكَ فِي الهاءِ وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَجْزِيَ الْحَرْفُ مُجَرِّى غَيْرِهِ إِذَا أَشْبَهه فِي عِلَّتِهِ فَيَقُولُونَ مَرَرْتُ بِكُمْ. أما علماء اللغة المحدثون فيخضعون هذه الظاهرة لقانون المماثلة بين الأصوات المتجاورة، حيث تأثرت ضمة الكاف بما قبلها من كسرة أو ياء فقلبت كسرة؛ لتتسجم مع ما قبلها. وقد سبقهم بذلك سيبويه، فذكر أن علة ذلك هي الإتيان والتخفيف.

نسبة الظاهرة: عزيت هذه الظاهرة لربيعة وناس من بكر بن وائل وهي لغة رديئة جدا.
الوهم: هو كسر الهاء من ضمير الغائبين المتصل، وإن لم يكن قبل الهاء ياءً ولا كسرة..، نحو منهم، وعنهم في منهم وعنهم؛ لكن اللغة الفصحى لا تكسر هذه الضمائر إلا إذا سبقت بكسرة أو ياء، نحو: من كتابهم، وناديتهم، وعلة هذا الكسر هو قانون المماثلة بين الحركات، فهم يجرون على قانون المماثلة، رغم عدم تحقق شرطه. وأما الحجازيون فلا يطبقون هذا القانون، بل يقولون عليه مال، وممررت بهو من قبل، ويقراون "فخسفنا بهو وبدار هو الأرض".
نسبة الظاهرة: عزيت هذه اللغة إلى كلب، وربيعة.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، سبحانه بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،

فيطيب لي في نهاية تلك الرحلة العلمية أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:
أولاً: أول من لقب اللهجات العربية هو ذلكم الرجل الجرمي؛ لكنه لم يذكر جميع الصفات اللغوية، بل ذكر أهمها، وجاء ذكر بقية اللهجات العربية الملقبة في كتب اللغويين والنحاة.
ثانياً: أكدت الدراسة أن العلاقة الصوتية القوية الموجودة في جل الكلمات التي حدث فيها الإبدال بين اللهجات هي التي سوّغت هذا الإبدال.

(174) الآية (1) سورة الناس.

(175) ينظر: مختصر في شواذ القرآن: 184.

(176) ينظر: الكتاب لسيبويه: 197/4، والمزهر: 222/1.

ثالثا: أكدت الدراسة أن الإبدال نشأ من اختلاف اللهجات، سواء وجدت الكلمتان في بيئتين مختلفتين أو في بيئة واحدة، كما قال أبو الطيب اللغوي: " ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد. قال: والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة ولا بالصاد مرة وبالسین أخرى.....، لا تشترك العرب في شيء من ذلك، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون "

رابعا: وضع بعض علماء العربية هذه اللهجات تحت باب (اللغات المذمومة) وحينما تحت باب (معرفة الرديء المذموم من اللغات)، والأمر ليس على إطلاقه فبعض اللهجات فصيحة ووردت في الحديث النبوي، والقراءات القرآنية.

خامسا: جاء في خبر الجرمي أن الغمغمة لغة لقضاعة ولم نعثر على أمثلة لها، وورد أيضا أن العجعة لغة لقضاعة أيضا، فعمل الغمغمة هي العجعة عينها، وقد أصابها التحريف ومن ثم رأى العلماء حذف الغمغمة من ألقاب اللهجات العربية.

سادسا: الصفات التي خلعها العلماء على بعض اللهجات الملقبة كلغة رديئة، أو من قبيح البدل، أو تسميتها باللهجات المذمومة، والرديء إنما هو خاص بتلك الصفة اللغوية التي لحقت بهذه اللهجة أو تلك، وليس اللهجة كلها، لأن بعض هذه القبائل فصيحة أخذت عنها العربية، بل ونزل ببعضها بعض القرآن الكريم

سابعا: لا يزال صدى بعض هذه اللهجات موجودا في العاميات العربية الحديثة.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المصادر والمراجع

- الإبدال لابن السكيت، تحقيق/ حسين محمد شرف، الهيئة العامة لمطابع الشؤون الأميرية 1398هـ / 1978م
- الإبدال لأبى الطيب اللغوى، تحقيق/ عزالدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي دمشق 1379هـ / 1960م
- الإبتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974 م
- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى: 1959
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق، رجب عثمان، الخانجي الطبعة الأولى، 1998
- أصوات اللغة العربية، د/ عبد الغفار حامد هلال، مطبعة وهبة، الطبعة الثالثة: 1996م
- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، مطبعة ومكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى: 1995م
- إعراب القرآن للنحاس، تحقيق، زهير غازي، طبعة: عالم الكتب: الطبعة الأولى: 1985م.
- إيضاح الوقف والابتداء، للأنباري تحقيق / محيي الدين عبد الرحمن مجمع اللغة العربية بدمشق: 1971م
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، مطبعة دار الفكر بيروت 1412هـ / 1992م.
- بحوث ومقالات في اللغة، د/ رمضان عبد التواب، مطبعة ومكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1995
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، بدون تاريخ.
- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، لابن مكي الصقلي، تحقيق د/ عبد العزيز مطر، ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1415هـ/1995م.
- التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى 1985م
- التطور اللغوى مظاهره وعلمه وقوانينه د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي: 1418هـ/1997م
- التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر، ترجمة د/ رمضان عبد التواب، الخانجي، الثالثة 1417هـ/1997م.
- تهذيب اللغة، للأزهري تحقيق ، عبد السلام هارون، ومحمد على النجار، ط، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1384هـ/1994م
- التيسير في القراءات السبع للداني، تصحيح أوتويرتزل، ط: دار الكتب العلمية بيروت: 1416هـ/1996م
- الجانب الصوتي للوقف في العربية ولهجاتها، أحمد طه سلطان، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى: 1991م
- الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، تحقيق د/ عبد العال سالم مكرم، ط، مؤسسة الرسالة، 1417هـ/1996م
- الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث د/ الموافي الرفاعي، مطبعة التركي طنطا، 1412هـ/1992م
- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، ط: دار صادر بيروت، من دون تاريخ
- الخصائص لابن جنى، تحقيق: محمد على النجار، ط، المكتبة العلمية بيروت من دون تاريخ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمن الحلبي، تحقيق الشيخ/ على محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت: الطبعة الأولى 1414هـ/1994م
- درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط: دار الفكر العربي، من دون

تاريخ

- شرح المشكل من شعر المتنبي لابن سيده، تحقيق / مصطفى السقا، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1976 م
- شرح شافية ابن الحاجب للرزي، تحقيق / محمد نور الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت 1982 م
- شرح المفصل لابن يعيش، أبو البقاء يعيش ابن أبي السرايا محمد، مطبعة عالم الكتب، بدون تاريخ
- ظاهرة التخفيف في النحو العربي د/ أحمد عفيفي، الناشر، الدار المصرية اللبنانية، الأولى 1417هـ/1996م
- العين، للخليل بن أحمد، تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي ط، دار الحرية للطباعة بغداد 1406هـ/1985م
- فقه اللغة مناهله ومسائله، د/ محمد أسعد النادري، ط: المكتبة العصرية، بيروت: الأولى: 2004م
- فقه اللغة وسر العربية للثعالبي، تحقيق د/ ياسين الأيوبي، ط: المكتبة العصرية: الطبعة الأولى 1419هـ/1999م
- في اللهجات العربية د/ أنيس، إبراهيم، مطبعة ومكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة التاسعة 1995م
- قراءة يحيى بن وثاب في ضوء علم التشكيل الصوتي د/ أحمد طه سلطان، مكتبة وهبة، 1425هـ/2004م
- الكتاب لسيبويه، تحقيق/عبد السلام محمد هارون، ط: الخانجي، القاهرة، الثانية 1402هـ/1982م
- الكشف للزمخشري، ط: دار المعرفة الجامعية بيروت لبنان، من دون تاريخ.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي القيسي، تحقيق د/ رمضان عبد التواب، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1407هـ/1987م
- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق /عبد الله على الكبير وآخرين، ط: دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ
- لغة تميم، د/ ضاحي عبد الباقي، مطبعة: الهيئة العامة للمطابع الأميرية، الطبعة الأولى: 1985م
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ط: عالم الكتب، الطبعة الثالثة، 1998م
- لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر د/ عيد محمد الطيب، ط، المطبعة الإسلامية، القاهرة 1994م
- اللهجات العربية في التراث، د/ أحمد علم الدين الجندي، ط: الدار العربية للكتاب 1983م
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية د/عبد الرأجي، ط، دار المعرفة الجامعية 1999م
- اللهجات العربية نشأة وتطورا د/عبد الغفار حامد هلال، ط: مكتبة وهبة، 1414هـ/1993م
- اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية، د/ صالحة راشد، ط: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع بالسعودية، الأولى 1405هـ/1985م
- لهجات العرب، أحمد تيمور باشا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1393هـ / 1973م
- اللهجات العربية والقراءات القرآنية دراسة في البحر المحيط د/محمد خان، ط: دار الفجر، القاهرة 2002م
- ليس في كلام العرب لابن خالويه، تحقيق / أحمد عبد الغفور، الثانية، مكة المكرمة، 1399هـ
- المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جنی، تحقيق /على النجدي وآخرين، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة 1420هـ/1999م
- المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي، تحقيق /عبد السلام عبد الشافي، ط: دار الكتب العلمية، 1413هـ/1993م.

- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، ط، معهد المخطوطات بالقاهرة، تحقيق/ مصطفى السقا، وآخرون، الأولى 1377هـ/1958م
- المخصص، لابن سيده، تقديم د/ خليل إبراهيم جفال، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى 1417هـ/1996م
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، تح/ محمد أحمد جاد المولى وآخرين، ط: عيسى الحلبي، الثالثة، بدون
- معاني القرآن للأخفش، تحقيق د/ عبد الأمير محمد أمين، ط: عالم الكتب 1405هـ/1985م
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي، ط، عالم الكتب، الطبعة الأولى 1408هـ/1988م.
- مغنى اللبيب لابن هشام، تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية بيروت 1992م.
- مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق /عبد السلام هارون، ط، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1991م.
- المنصف لابن جنى، تحقيق/ إبراهيم مصطفى ط: وزارة المعارف، الطبعة الأولى 1954م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير المكتبة العلمية، تحقيق/ طاهر الزاوي، و محمود الطناحي، بيروت، 1979م
- النوادر في اللغة لأبى زيد الأنصاري، تحقيق د/محمد عبد القادر أحمد، ط: دار الشروق، من دون تاريخ.

جماليات التشكيل الموسيقي في البناء الشعري عند الجرجاني

د / سيد أحمد عبد الرحمن محمد¹

¹ أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية العلوم والآداب بالقريات، جامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية
بريد الكتروني: saabdelrahman@ju.edu.sa

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/4>

تاريخ القبول: 2024/02/08م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

تأتي هذه الدراسة تحاول جاهدة تقديم رؤية معاصرة في التوفيق بين الدرس البلاغي والدرس النقدي الحديث من خلال دراسة بعض فنون البديع التي لها صلة وثيقة بالتشكيل الموسيقي كالسجع والجناس.. ومما لا شك فيه أن التشكيل الموسيقي في الشعر من أقوى وسائل الإيحاء فيه ، حيث أكدت تجارب جميع الشعوب وحتى البدائية منها أن الشعر يقرن اقترانا وثيقا بالموسيقى الشعرية ، ومن ثم تعلو قيمة الأسلوب الشعري بمقدار ما فيه من النغم ، وما يحمل من موسيقا وإيقاع ، والعكس بالعكس . فالشعر صناعة ذات قواعد إيقاعية دقيقة ، لا تؤخذ هونا ؛ بل يقف عندها الشاعر طويلا ، يهذب ، ويدقق ، ويحذف ، حتى تستقيم القصيدة وتتوازن إيقاعاتها ، ويحكم نسيجها ، وتحسن في الأسماع . وقد أشار الجرجاني - رحمه الله - إلى الموسيقى وارتباطها العميق بالشعر ، فلم يجد له في تعريفه غير هذا الحد .. لأنه موزون مقفي..".

الكلمات المفتاحية: مظاهر - قيمة - الإيقاع - السجع - الجناس

RESEARCH TITLE

**AESTHETICS OF MUSICAL COMPOSITION IN POETIC
STRUCTURE ACCORDING TO AL-JURJANI****Dr. Sayed Ahmed Abdel Rahman Mohammed¹**

¹ Assistant Professor of Literature and Criticism at the College of Arts and Sciences in Qurayyat, Al-Jouf University in the Kingdom of Saudi Arabia Email: saabdelrahman@ju.edu.sa

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/4>

Published at 01/03/2024**Accepted at 08/02/2024****Abstract**

This study strives to present a contemporary vision in reconciling the rhetorical lesson with the modern critical lesson by studying some of the Badi arts that are closely related to the formation of music, such as assonance and alliteration.

There is no doubt that musical formation in poetry is one of the strongest means of inspiration in it, as the experiences of all peoples, even primitive ones, have confirmed that poetry is closely associated with poetic music, and then the value of poetic style is higher by the amount of melody it contains, and what carries music and rhythm, and vice versa. On the contrary.

Poetry is an industry with precise rhythmic rules, which are not taken lightly; Rather, the poet stands there for a long time, refines, scrutinizes, and deletes, until the poem is straight, its rhythms are balanced, its texture is controlled, and the listening is improved.

Al-Jurjani - may God have mercy on him - referred to music and its deep connection with poetry, so he did not find in his definition anything other than this term "...because it is metered and rhymed..

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،
وبعد :

فمما لا شك فيه أن التشكيل الموسيقي في الشعر من أقوى وسائل الإيحاء فيه ، حيث أكدت تجارب جميع الشعوب وحتى البدائية منها أن الشعر يقترن اقترانا وثيقا بالموسيقى الشعرية ، ومن ثم تعلق قيمة الأسلوب الشعري بمقدار ما فيه من النغم ، وما يحمل من موسيقا وإيقاع ، والعكس بالعكس .
فالشعر صناعة ذات قواعد إيقاعية دقيقة ، لا تؤخذ هونا ؛ بل يقف عندها الشاعر طويلا ، يهذب ، ويدقق ، ويحذف ، حتى تستقيم القصيدة وتتوازن إيقاعاتها ، ويحكم نسيجها ، وتحسن في الأسماع .
وقد أشار الجرجاني - رحمه الله - إلى الموسيقى وارتباطها العميق بالشعر ، فلم يجد له في تعريفه غير هذا الحد " .. لأنه موزون مقفي .. " (1).

وهذه الدراسة تحاول جاهدة تقديم رؤية معاصرة في التوفيق بين الدرس البلاغي والدرس النقدي الحديث من خلال دراسة بعض فنون البديع التي لها صلة وثيقة بالتشكيل الموسيقي كالسجع والجناس .
هذا ، وقد جاءت الدراسة بعد هذه المقدمة في تمهيد ومبحثين وخاتمة .

أما التمهيد : فأشرت فيه إلى قيمة السجع و الجناس الموسيقية .
- وأما المبحث الأول : فتحدثت فيه عن التشكيل الموسيقي وقيمته في البناء الشعري ، وقد اشتمل على ما يلي :
أولاً : مفهوم التشكيل الموسيقي .
ثانياً : مظاهر الموسيقى الخارجية للقصيدة .
ثالثاً : مظاهر الموسيقى الداخلية للقصيدة .
رابعاً : قيمة التشكيل الموسيقي في الشعر .
- وأما المبحث الثاني : فتناولت فيه جماليات التشكيل الموسيقي في البناء الشعري عند الجرجاني ، وقد اشتمل على ما يلي :

أولاً : التشكيل الموسيقي للسجع في البناء الشعري عند الجرجاني
ثانياً : التشكيل الموسيقي للجناس في البناء الشعري عند الجرجاني .
- وأما الخاتمة : فقد أوجزت فيها أهم نتائج البحث .
وبعد : فهذه دراسة لا أدعى لها الكمال ولا الاقتراب منه ، ولكني أراها خطوات في طريق راشد تضاف إلى جهود الباحثين في ميدان الدراسات الأدبية ، علنا من بعد نواصل الخطى ونتبع الهداة ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

الباحث

تمهيد

قيمة السجع والجناس الموسيقية :

لا يخفي أن قيمة كل من السجع و الجناس الفنية تتحقق من خلال هذا التماثل والتشابه اللفظي بصورهما الإيقاعية المختلفة الذي يخلق نوعاً من الجرس والتلاؤم الموسيقي ، ووراء ذلك علاقة معنوية أرادها المتكلم لا يمكن إغفال مالها من التأثير في نفس المتلقي ، وهذا ما أشار إليه الجرجاني - رحمه الله - بقوله : " وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سجعاً حسناً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تتبغى به بدلاً، ولا تجد عنه جَوْلاً، ومن ها هنا كان أخلّى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصدٍ من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهّب لطلبه ... " (2) .

وبمثل هذا التوظيف الواعي بالطبيعة الفنية للسجع أو للجناس يتحقق لهذين اللونين تأثيرهما المنشود على المستوى الإيقاعي والموسيقى ، من خلال تآلف أصوات الحروف في اللفظة الواحدة ، وتآلف مجموعات الموسيقى اللفظية حين ينتظمها التركيب في الفقرات والجمل ، على أن هذا التآلف الصوتي بين الألفاظ المفردة والمركبة لا تتم جماليته الموسيقية إلا بتمام التناسق بين صوت اللفظ ودلالة محتواه ، وهذا ما أكدّه الجرجاني بقوله : " واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني، يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك. نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين " (3) .

ومن هنا تتشكل الموسيقى الشعرية من داخل الصياغة حيث يستخدم الشاعر قدرات أصوات الحروف ، ونغمات الألفاظ والتراكيب ، وينسق بينها ، ومن جزئيات الإيقاع في البيت الواحد ، ومع إيقاع البيت الآخر ، والأبيات معا ، تتكون النغمة العامة للعمل الفني من حزن ، أو فرح ، أو شوق ، أو قلق ... الخ .

المبحث الأول

التشكيل الموسيقي وقيّمته في البناء الشعري

ويشمل :

أولاً : مفهوم التشكيل الموسيقي .

ثانياً : مظاهر الموسيقى الخارجية للقصيدة .

ثالثاً : مظاهر الموسيقى الداخلية للقصيدة .

رابعاً : قيمة التشكيل الموسيقي في الشعر .

2 - ينظر : أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ص 10 وما بعدها ، تحقيق / محمود شاكر ، ط دار المدني ، جدة ، ط : الأولي 1991م .

3 - يراجع : البديع : ابن المعتز ، تحقيق / محمد عبد المنعم خفاجي ، ط : دار الجيل ، بيروت ، ط : الأولي 1990م .

أولاً : مفهوم التشكيل الموسيقي

ربما كانت إشكالية الإيقاع من أكثر إشكاليات الحداثة الشعرية بروزاً في القرن العشرين ، حتى إن آراء مرموقة لم تنزل إلى الآن لا تفهم من هذه الحداثة سوى كونها نقلة موسيقية حصلت من شعر البحور إلى شعر التفعيلة هذه الإشكالية المستمرة تتسحب للأسف وبشكل أكثر تقعيدياً على مفهوم " التشكيل الموسيقي " حتى يكاد المرء يتوهم أن التشكيل الموسيقي ما هو إلا مصطلح وافد لا علاقة للغة العربية به ... (4)

ولكن الناظر إلى صور الشعر وتركيباته في الآداب العالمية يجد أنه اتخذ أشكالاً متباينة ، فالملمحة الشعرية كانت لها صورتها وتركيبها الموسيقي ، والمسرحية الشعرية كذلك ؛ بل إن القصائد الغنائية قد اتخذت هي الأخرى عدة صور وتراكيب في الآداب العالمية الكبرى .

فالموسيقا جوهر الشعر وأقوى عناصر الإيحاء فيه ، والموسيقا تتبع من وحدة الدافع في الجملة على حسب الشعور الذي يعبر عنه ، وتطابق الشعور مع الموسيقا المعبرة عنه ، هو ما يؤلف وحدة القصيدة كلها ، ولا ينبغي أن تكون هذه الموسيقا رتيبة بحال ؛ لأنها تعبيرية إيحاءية ، وإيقاعها يضفي على الكلمات ما لا يستطيع التعبير عنه من معنى ، ووحدة الإيقاع تتغير على حسب ما يكمن فيها من قوى تعبيرية تكشف عن خلجات النفس والكلمات والأصوات .

وعلى هذا فإن للموسيقى وظيفة خاصة تؤديها في الشعر عند استنفاد الطاقة الشعرية ، وهي جزء من دلالة التعبير كالدلالة المعنوية اللغوية ،

ومن هنا كانت " الموسيقى " مكون من مكونات الإيقاع الذي يمكن تقسيمه إلى أكثر من بنية (بنية الوزن العروضي - بنية الأداء الشفوي - بنية الموازنات الصوتية ، فيما يسمى بالصوائت والصوامت) (5) . وذلك لأن هذا المصطلح وهو " الإيقاع " تعرض لاستعمالات مختلفة جعلت معناه يلتبس في أحيان كثيرة (6) ، ولعل الميل إلى البعد الصوتي الموسيقي لمفهوم الإيقاع أقرب إلى الدلالة الحقيقية للمصطلح ، خصوصاً أن الإيقاع في الأصل هو من ميراث الموسيقا (7) .

ومن ثم نرى الجرجاني - رحمه الله - يؤكد في كتابيه " الدلائل والأسرار " على أهمية تألف المعاني ، فيقول - رحمه الله - : " واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض ، ويشد ارتباط ثان منها بأول ، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً ، وأن يكون حالك فيها حال الباني ، يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك . نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين " (8) .

ويسوق الجرجاني - رحمه الله - شواهد تبين التألف في المعاني الذي يأتي تبعاً لإيقاع الألفاظ الذي يعد وسيلة هامة من وسائل التعبير ، منها قول البحراني (9) :

4 يرجع مدخل إلى مفهوم الإيقاع الداخلي للشعر - نديم دانيال الوردة

5 - يرجع بنية التوازن الصوتي في شعر الأميري ، د / مبارك عاطف ، مجلة الأدب الإسلامي ، ص 11 ، العدد 60 سنة 1429 هـ 2008 م .

6 - يرجع : فضاء البيت الشعري ، د / عبد الجبار داود ، ص 157 ، ط : دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1996 م .

7 - السابق ، ص 6 .

8 - دلائل الإعجاز ، ص 93 ، ويراجع كتاب : النديع لابن المعتز ، تحقيق / محمد عبد المنعم خفاجي ، ط : أولي ، دار الجبل ، بيروت 1990 م .

9 - ديوان البحراني : 2 / 844 ، تحقيق / حسن كامل الصيرفي ، ط : دار المعارف ، ط : الثالثة ، بدون تاريخ .

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى . أصاغت إلى الواشي فلج بها الهجر .
وقوله :

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها . تذكرت القربى ففاضت دموعها (10)

والشعور بالموسيقى في القصيدة يجعلنا نتحسس الأجواء الشعرية ، وربطها بالحالة النفسية للشاعر أثناء صياغته لها، فتتشكل علاقة بين المتلقي والقصيدة " علاقة إحساس وتذوق ، وشعور بعالم القصيدة وما يكتنفه من مؤثرات فنية وفكرية ومادية وروحية " (11) .

والموسيقى صفة مشتركة بين الفنون جميعا تبدو واضحة في الشعر والنثر الفني ، فهي إذن بمثابة القاعدة التي يقوم عليها أي عمل من أعمال الفن ، وإن كان الفن تعبيرا إيحائيا عن معاني تفوق المعنى الظاهر ، فالموسيقى وسيلة هامة من وسائل هذا التعبير ؛ لأنها لغة التواتر والانفعال (12) .

فالموسيقى : خصيصة ذاتية محسوسة في بناء اللفظة من خلال تباين أجراس حروفها التي بنيت عليها ، وتشكل هذه الحروف في انتلافها وتنافرها نغم الألفاظ وقيمتها الحسية مفردة كانت أو منظومة في سياق التعبير الأدبي ، ومن ثم تملو قيمة الأسلوب الشعري بمقدار ما فيه من النغم ، وما يحمل من موسيقا وإيقاع ، والعكس بالعكس .

والإيقاع وموسيقا الكلمة والجملة مصطلحات مشهورة جدا بين الأدباء والبلاغيين على وجه الخصوص ، حيث عنى علماء البلاغة فيما عتوا بدراسة الألوان البلاغية التي تنشأ عن القافية ، حينما يضاعف الشاعر من موسيقا البيت الداخلية ، فيأتي بالألفاظ المسجوعة ، أو يوازن بين مصراعي البيت وجزأيه ، أو يكرر اللفظ، أو يوضح المعنى بما يزيده جمالا وفيه بالقافية .

إذن فالموسيقى والنغم الناتجان من جرس الألفاظ والعبارات وانسجام وتوالي المقاطع وتردد بعضها والصور والظلال التي يعيشها اللفظ وغير ذلك فيما يعرف بموسيقا الشعر لازمة لسمو القصيدة وارتفاع منزلتها الموسيقية ، ومن هنا تبدو الموسيقى من أهم مزايا الفن الشعري ، وأكبر وجوه التمايز بينها وبين فنون الكتابة الأخرى التي تقع تحت سقف الإبداع .

ثانياً : مظاهر الموسيقى الخارجية للقصيدة

مما لا ريب فيه أن الموسيقى الشعرية تخضع لنظام خاص من الانسجام وتوالي المقاطع ، مما يساعد على الحفظ والتذكر ، بل والتغنى أيضا ، وعلى ذلك تكون النفس أشد استجابة للأشياء المتسقة التي تقوم على نظام رتيب وإيقاع موزع، في تناسب وتناغم ؛ لأن الموسيقى من أقوى الظواهر التي تستجيب إليها النفس من غير وعى ولا شعور .

وتؤلف الموسيقى عنصرها من عناصر الشعر بما تتوصل به من وزن وتقفية ، وغيرهما ، من مصادر البناء الشعري ، والشاعر يستخدم الموسيقى ليناسب بينها وبين المواقف المصورة ، ويلئم بينها وبين وحالاته الفنية

10 - ينظر : البديع بين المتقدمين والمتأخرين ، إبراهيم عبد الحميد السيد البلتي ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط : الأولي 1999م ، والبيت في ديوان البحري ج 2 ص 317 ط مطبعة هندية بمصر ، الأولي 1329هـ و 1911م .

11 - البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر ، د / عبد الرحمن بترماسين ، ص 100 ، ط : دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة 2003م .

12 - تراجع : تمهيد في النقد الأدبي ، روز غريب ، ص 107 ، ط : الأولي ، ط : دار المكشوف ، بيروت ، لبنان 1971م .

الخاصة ، وبين القافية وألفاظ البيت ودلالاتها .

والإيقاع الخارجي للقصيدة يتكون من تصافر نوعين تنشأ عنهما وحدة النغم الذي هو أساس جمال الموسيقى ، وهما (الوزن والقافية) .
أما الوزن :

فهو من أقوى عناصر الشعر ، لأن غاية الشعر التعبير عن تجربة انفعالية، والوزن هو الوسيلة الطبيعية للتعبير عن هذا الانفعال ، ومن ثم كان الوزن يخاطب فكر الإنسان وشعوره ووجدانه بطريقة مباشرة ، لذا كان " أعظم أركان الشعر وأولها خصوصية " (13)

وقد اهتم النقاد قديما وحديثا بالوزن وأثره الذي يضيفه على الشعر ، وتأثيره الذي يحدثه في المتلقي ، وحاولوا أن يربطوا بين كل بحر ونوع معين من موضوعات الشعر تتلاءم معه ، وحاول بعضهم إيجاد صلة بين المعاني والأوزان الشعرية ، فها هو ذا القرطاجني يشير إلى علاقة الأوزان الشعرية بالحالة النفسية المتعلقة بالموضوع فيقول :

" ولما كانت أغراض الشعر شتى وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة ، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقيق ، وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس. فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصدا هزليا، أو استخفافا، وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء ، وكذلك في كل مقصد " (14) .

كما حاول بعض النقاد إيجاد صلة بين الوزن والمعنى حيث ذكر الدكتور / شكري عياد: " إن دراسة الإيقاع في الشعر بمعزل عن المعنى محاولة مشكوك في قيمتها ، فالمعنى بلا شك هو العامل المهيمن في اختيار الشاعر للمؤثرات الإيقاعية التي يحدثها ، والإيقاع هو إيقاع للنشاط النفسي الذي من خلاله ندرك لا صوت للكلمة فقط، بل ما فيها من معنى وشعور " (15).

وليس الوزن وحده كافيا لإقامة الشعر، وإنما يساعد الشاعر على معرفة الطريق أمامه وهو يختار الألفاظ، ويؤلف بينها، ويعدل عنها، ويقدم فيها ويؤخر ، ويوسع لها أو يضيق ، بما يوحي من تجربته، ويكشف عن رؤيته الحاملة، ويجلو مشاعره التي يعرضها في شعره .

فالوزن أو الإيقاع أو العروض يساعد الشاعر في بناء مضمونه ، وانسياب مشاعره ، ومن هنا أباحوا له - قياسا على ما شاهدوه من أعمال الأسبقين - أن يتصرف في شعره بقدر : بالحذف ، والإضافة ، والتحريك والتسكين وغيرها من التصرفات التي سموها : زحافا وعلّة وضرورة ، وذلك حتى يواتيه بناؤه ، ويوفق بين حركة نفسه ولغته ولا يتوقف إنسيابه ، ولا يحجز عن طلقه .

هذا ، وللوزن أهميته الكبيرة في عملية التشكيل الموسيقي في الشعر ، إذ " يقوم الوزن بتنظيم الزمن

13 - العمدة لابن رشيق : 1 / 134 ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط : دار الجيل ، بيروت ، الخامسة 1401 هـ 1981 م .

14 - منهاج البلغاء ، حازم القرطاجني ، ص 266 ، تحقيق / محمد الحبيب الخوجة ، المطبعة الرسمية ، تونس 1966 م .

15 - موسيقى الشعر العربي ، د / شكري عياد ، ص 154 ، ط : دار المعرفة ، القاهرة ، ط : الثانية 1978 م .

الموسيقى على المستوى الصغير ، بينما يعمل الصوت على تنظيم هذا الزمن على المستوى الكبير " (16) عن طريق خصائص الإنشاد الصوتية التي تسير وفق ترتيب خاص ومعطيات بعينها من التركيز على مقاطع معينة ، ورفع الصوت في آونة ما ، وخفضه في أخرى ، والصمت بعض الوقت أو الاندفاع في النطق بألفاظ النص ، وتراكيبه في لحظة ما ، كل ذلك ونحوه له أهمية قصوى في الإيقاع الشعري من ناحية ، ومن ناحية أخرى المواءمة بين ذلك الإيقاع وبين مضامين النص مع الحرص الشديد على إبراز مراد الناظم كما حرص وأراد .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن الاختلاف الصوتي ينوع الموسيقى ، وينوع معاني الإيحاء الموسيقي في الوزن الواحد ، ونضرب مثلاً للإيحاء بجرس الأصوات قول أبي العلاء المعري في مطلع قصيدة يخاطب صاحبيه (17) :

عللاني فإن بيض الأمانى . فنيث ، والظلام ليس بفاني

فالمذ في الكلمة الأولى من الشطر الأول " عللاني " يناسب شكواه إلى صاحبيه من نضوب آماله ، على حين خلت الكلمة الأولى من الشطر الثاني من المد " فنيث " لتحاكى معنى انقضاء الآمال، فإنها تقع سريعة في النطق لتدل على الفناء السريع لـ " بيض الأمانى " والكلمتان الأخيرتان يمتد فيهما الصوت ليحدث تضاد في النطق بينها وبين " فنيث " ففي الشطر الثاني يدل انقطاع الصوت السريع في الكلمة الأولى على الدلالة السابقة ، ليعقبها المد في كلمتي " الظلام ، وبفاني " ليوحي الصوت إحياء قويا بأن هذا الظلام ممتد لا نهاية له (18).

والأمر في هذا التنوع الموسيقي - كما نرى - لا يقتصر على الحروف وما لها من إحياء في جرس أصواتها ... وإنما يتعداها إلى الكلمات نفسها ، بل إلى الجمل والتراكيب في كل بيت من أبيات القصيدة .

وأما القافية :

فهي : " من لوازم الشعر العربي ، وجزء من موسيقاه ، بها تتم وحدة القصيدة وتتحقق الملاءمة بين أواخر أبياتها " (19) .

وللقافية في الشعر دورها المحوري في عملية تقسيم النظم الشعري إلى أبيات ، إذ تحدد نهاية البيت ، ولذلك فهي عامل أساس في تقسيم القصيدة إلى أبيات (20) وتحقق ملاءمة ظاهرة بين أواخر الأبيات مع كونها جزءاً مهماً من إيقاعه وموسيقاه ، فهي " تاج الإيقاع الشعري ، وهي لا تقف من هذا الإيقاع موقف الحلية ، بل هي جزء لا ينفصم منه ، إذ تمثل قضاياها جزءاً من بنية الوزن الكامل ، تفسر من خلاله وتفسره ، فهما وجهان لعملة واحدة " (21) .

وتبعا لذلك كله ، فالقافية في الشعر العربي " بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة ، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى

16 - التفصيل الجمالي ، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ، د/ شاكر عبد الحميد ، ص 30 ، سلسلة عالم المعرفة، رقم 267 ، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، مارس 2001م.

17 - ينظر : شروح سقط الزند : 1 / 25 ، تحقيق / مصطفى السقا وآخرون ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب 1408 هـ 1987 م .

18 - يراجع : موسيقا الشعر ، د / محمود فاخوري ، ص 169 ، ط : مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية 1416 هـ 1996 م .

19 - أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر ، د / العربي حسن درويش ، ص 171 ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987م .

20 - يراجع : موسيقي الشعر العربي ، د / حسني عبد الجليل يوسف : 1 / 141 ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1999م.

21 - القافية تاج الإيقاع الشعري ، د / أحمد كشك ، ص 7 ، ط : مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة 1405 هـ 1985 م .

بالوزن " (22) ، وهى السبب المباشر في هذا التكرار والتوازن الذى يحسه الإنسان في النص ، وبسبب وجودها جعلت القافية أشرف ما في البيت ... فالقوافي حوافز الشعر ، فهي مركزه ونقطة تماسكه ، وعليها جريانه واطراده ، أي مواقفه ، فإن صحت استقامت جريته ، وحسنت مواقفه ونهاياته ، ولما كانت تحصينا للبيت ، وتحسينا له من الظاهر ، والباطن ، كانت أجل وأعلى ما في القصيدة ... وبحكم أن القافية جزء لا يتجزأ من المعنى ، فإنه ينبغي أن تكون متممة له ، فتأتى كالموعود المنتظر ، يتشوقها المعنى بحقه ، واللفظ بقسطه ، وإلا كانت قلقة في مقرها ، مجتلبة لمستغن عنها (23) .

ومن هنا يجب أن تأتى القافية طبيعة غير متكلفة ، وغير قلقة يتطلبها البيت ولا تتطلبه هي ، وخير الشعر ما أسلم كل بيت فيه معناه إلى الذى يليه ، واحتاج إليه في تكملة الدور الذى يؤديه عن الشاعر ، ومن ثم يُتساهل في " التضمنين العروضي " ولا يُعد عيبا كبيرا ، وهو ربط بيت ببيت آخر يقتضيه الإعراب مثل قول ابن هرمة :

وإني وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفي زنادا شاحا .
كتاركة بيضها في العراء وملبسة بيض أخرى جناحا (24) .

و لا نكاد نحس بمثل هذا القلق الذى أحسه النقاد الأقدمون ، وهم يتذوقون أمثال هذين البيتين ، فإذا كانوا هم في زمانهم ينشدون الكمال والطباع مواتية ، ففي زماننا ننشد الجمال والطباع جاسية ، وقد أشار نقاد العرب قديما إلى ما للذوق من أثر في العملية النقدية (25) .

ثالثاً : مظاهر الموسيقى الداخلية للقصيدة

ويقصد بالإيقاع الداخلي ، موسيقا الألفاظ التي تتمثل في طبيعة توالي الحروف ومخارجها ، كما تتمثل في جرس الألفاظ ونغم العبارات ، وموسيقى السياق ، فنحس التناسق والتآلف بين حروف الكلمة الواحدة ، وبين الألفاظ في الجمل والعبارات ، وارتباط الجرس الموسيقي في الكلمة بمعناها ومقامها .
ويؤيد هذا ما ذكره أحد الباحثين بقوله : " فإنني أرتضي أن تكون موسيقى الألفاظ نابعة من تآلف أصوات الحروف في اللفظة الواحدة ، والحروف أصوات متفاوتة الجرس يقرع بعضها بعضا ، حين تجتمع في اللفظ ، وينتج عن تناغم قرعها سلم موسيقي جميل ... ونابعة من تآلف مجموعات الموسيقى اللفظية حين ينتظمها التركيب في الفقرات والجمل ، فالألفاظ المفردة ، تقرع الألفاظ المفردة المجاورة لها سابقا ولاحقا ، وينجم عن تناسق تقارعها سلالم موسيقية جميلة ، علي أن هذا التناغم الصوتي بين الألفاظ المفردة والمركبة ، لا تتم جماليته الموسيقية إلا بتمام التناسق بين صوت اللفظ ودلالة محتواه " (26) .

22 - موسيقى الشعر العربي ، د / إبراهيم أنيس ، ص 246 .

23 - يراجع : موسيقى الشعر العربي ، د / صابر عبد الدايم ، ص 151 ، 152 .

24 - ينظر : العمدة لابن رشيق : 1/ 208 وما بعدها ، كما تنظر الأبيات في ديوان ابن هرمة القرشي قافية الهاء ، تحقيق محمد نفاع حسين عطوان ، طباعة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سوريا 1969م .

25 - يراجع في ذلك كتاب : طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، تحقيق / محمود محمد شاكر ، طبعة 1974 م .

26 - الإيقاع العروضي في الشعر العربي وقيمته ، رسالة دكتوراه مخطوطة في كلية اللغة العربية بأسبوط ، للباحث / محمد أحمد محمد مخلوف ، ص 291 سنة 1992 م .

فالإيقاع الداخلي يعتمد علي اختيار الكلمات وترتيبها والمواءمة بين الكلمات والمعاني التي تدل عليها (27) ومن ثم ، تنقسم موسيقا الإيقاع الداخلي إلي ظاهرة وخفية ، فالظاهرة تكون في كل محاولة للتأنيق في التعبير ، فهي تتبع من سيطرة حرف أو حرفين أو ترديد لفظة أو عبارة أو تركيب معين ، أو ترصيع ، أو جناس أو سجع ؛ لأنها تهب الكلام قوة نغمية لها رنين خاص تعطي النص الشهرة والذيق .

والخفية رهن بنجاح الشاعر في تحقيق جميع عناصر العمل الشعري ، متواءمة مع موضوع الشعر ، وملاءمة لأفكار الشاعر علي الوجه الأكمل ، يحكمها اتساق بين الأفكار والصور والألفاظ والتعبيرات ، في إطار الهدف الواحد الذي يرمي إليه النص (28) .

ويرتبط الإيقاع الداخلي بنفس الشاعر إلي حد كبير ، حتي ينقل سامعيه وقارئيه من اللغة العادية إلي لغة موسيقية ترفعهم من عالمهم الحسي ، إلي عالمه الشعري ، ويحاول الشاعر أن تكون موسيقا ألفاظه حين يطرق المعني العنيف غيرها في المعاني الهادئة .

والانسجام الموسيقي عند الشاعر ينشأ من ملائمة الموسيقا للتجربة الشعورية عنده ، ومن ثم من الإحساس والقدرة علي خلق الإيقاع عن طريق الألفاظ والحروف والمقاطع وإحداث التناغم الموسيقي ، وكذلك المناسبة التي يقول فيها الشعر .

ويدخل في هذا الجانب كل ما سجله البلاغيون من ألوان البديع الصوتية ، مثل : الجناس ، أو الطباق ، أو المقابلة ، أو تقسيم البيت ، بحيث نشعر بهذا الانسجام والإيقاع بين معاني الألفاظ وجرسها (29) .

وللمحسنات البديعية - عموماً - شخصيتها القوية ودلالاتها الغزيرة ، وإحياءاتها المكثفة في عموم النص الأدبي العربي علي تباين وتفاوت أنواعه ، ومع تنوع روافده ومشاربه وتوجهاته ، وفي الشعر العربي - خاصة - تكتسب هذه المحسنات البديعية أدواراً إضافية فوق ذلك ، وهي أدوار غاية في الأهمية والخطورة ، دلالية وإيحائية ، حيث تعمل - مع كل ما لها من أدوار مختلفة - علي إضفاء نوع بارز ، وظاهر من النغم ، والموسيقا في الشعر تتبع من طبيعة المحسن البديعي ونوعه ، وهذا النغم وتلك الموسيقا تنتوع وتنشعب مع كل محسن بديعي محدد ، تبعا لمؤثرات متعددة ، كطبيعة هذا المحسن ، ونوع الوزن ، وتنوع الموضوعات ، وتفاوت المعاني ، والمضامين ، وسواها (30) .

وهذا النوع من الموسيقا - وهو الإيقاع الداخلي - له أهميته ودوره في الشعر ، كما أنه يحتاج في إدراكه ، والوقوف عليه ، وإبرازه ، لرقعة في الطبع ، ورهافة في الحس ، مع أذن موسيقية ، وعقل متوقد ، ووعي كاف بالقواعد والأسس النظامية لعلمي العروض والقافية ، وعلوم البلاغة ، يبلغ معها الدارس درجة قصوي من التذوق الفني ، والإحساس الموسيقي العال ، ليضع يديه علي نقاط مهمة ، وخفية ، تحقق انسجاماً نغمياً ووقعاً موسيقياً له دوره وخطره في البناء الإيقاعي للشعر العربي .

27 - ينظر : في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، ص 127، ط: دار المعارف بالقاهرة، ط: الثانية 1966م.

28 - ينظر : الاتجاه الإسلامي في شعر هاشم الرفاعي ، للدكتور / عبادة إبراهيم محمد ، بحث منشور في مجلة قطاع كليات اللغة العربية بالقاهرة، ص 1533، العدد الأول، المجلد الثاني 1428هـ 2007م.

29 - يراجع : أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر ، ص 182 ، 183 .

30 - ينظر : محاضرات في الأدب - العصر الجاهلي - د / عبد الحميد المسلول ، ص 61 ، ط : دار الطباعة المحمدية ، القاهرة 1963م .

رابعاً : قيمة التشكيل الموسيقي في الشعر

ليس من شك في أن غياب الدراسات النقدية التي تعتمد التحليل العروضي للشعر العربي ، لإبراز مكنوزه الإيقاعي ، كان بسبب عدم وجود دراسات مفصلة حول إيقاع الشعر العربي نفسه ، وقد أشار عدد من الباحثين إلي عدم اهتمام النقاد المحدثين ، بل وعلماء العروض القدامى ، بمثل هذا النوع من الدراسة ، يقول الدكتور / إبراهيم أنيس : " أما هذا الإيقاع فلم يدرس حتي الآن دراسة كافية ، ولم يشر إليه أهل العروض " (31) .

ونجد الدكتور / سيد البحراوي في دراسته لموسيقا الشعر عند جماعة أبوللو يقرر : " أن هذا العنصر لم يحظ بالاهتمام الكافي عبر تاريخ الشعر العربي كله ، منذ العصر الجاهلي حتي النصف الثاني من القرن العشرين " (32) .

ولعل هذا ما يفسر لنا اهتمام بعض نقاد الشعر الحديث بالموسيقا الداخلية للقصيدة أكثر من اهتمامهم بمفهوم الصورة الموسيقية العامة التي تشمل موسيقا الأوزان ، كما يفسر لنا تركيزهم داخل إطار الموسيقا الداخلية علي الجانب التعبيري للألفاظ وجرس الأصوات ، أكثر من اهتمامهم بالعلاقات التركيبية داخل إطار الوحدات الإيقاعية العروضية (أعني التفاعيل وما يكتنفها من تشكيلات بفعل الزحاف والعله) .

وهكذا نستطيع أن نقول: إن الإيقاع الشعري في القصيدة العربية له قيمته وأهميته، وأن البناء العروضي الذي قدمه الخليل بن أحمد منذ القرن الثاني الهجري له أثر في أهمية الإيقاع الشعري قديماً وحديثاً، لما لهذا الإيقاع من صلة وثيقة بعناصره اللغوية والموسيقية.

ولعل أبلغ دليل علي ذلك ، أن القصيدة العربية الحديثة لم تستطع أن تتفقت عن البنية العروضية بصفة مطلقة ، وأما من استطاع الانفلات عن العروض من أمثال الشعر النثري ، فلم يكتب له الذبوع ، بل لقد مات بعضه في مهده .

ولذلك تجدنا نمضي مع أحد الباحثين في رؤيته لما ينبغي أن تكون عليه البنية الإيقاعية في الشعر ، وذلك في قوله : " لابد من الإشارة إلي الربط بين الظواهر الصرفية والبلاغية ، وبين تفعيلات العروض وقوافيه ، وإلي أهمية الربط بين التوزيع الصوتي للنص وعروضه وقوافيه من ناحية ، وبين التشكيل الشعري من ناحية ثانية " (33) .

31 - موسيقا الشعر العربي ، إبراهيم أنيس ، ص 129 ، ط : القاهرة ، الثانية 1952 م .

32 - موسيقا الشعر عند شعراء أبوللو ، د / سيد البحراوي ، ص 14 ، ط : دار المعارف ، مصر ، ط : الثانية 1986 م ، وينظر : الرؤية المعاصرة في النقد والأدب ، محمد زكي العشماوي ، ص 143 ، ط : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1983 م .

33 - موسيقا الشعر العربي ، مدحت الجيار ، ص 219 ، ط : دار المعارف ، ط : الثالثة 1995 م .

المبحث الثاني

جماليات التشكيل الموسيقي في البناء الشعري عند الجرجاني

ويشمل :

أولاً : التشكيل الموسيقي للسجع في البناء الشعري عند الجرجاني

ثانياً : التشكيل الموسيقي للجناس في البناء الشعري عند الجرجاني

أولاً : التشكيل الموسيقي للسجع في البناء الشعري عند الجرجاني

يعد السجع من مميزات البلاغة الفطرية ، فهو يجري علي ألسنة البشر في أكثر اللغات ، بصورة فطرية ومطرده ، في أمثالهم وحكمهم وخطبهم ، لما فيه من موسيقا رائعة لا ينكر دورها في التأثير علي العقول والقلوب ؛ بل هو علامة من علامات رقة الأسلوب ونصاعته ورونقه وجذالته ، وكلما كانت الألفاظ المسجوعة ذات رقة ورنين ، ومعني كريم ، وأناقة وحسن ترنيم ، فإن النفس الإنسانية تشتاق إلي سماعها ، والأذن ترتاح إلي إيقاعها . ولأهمية الموسيقا والإيقاع في كلام العرب شاع السجع في نثرهم لقدرته علي تحقيق ما يحققه الوزن والقافية في الشعر ، حيث رأوا فيه وسيلة جيدة لحفظ كلامهم من الضياع والنسيان ؛ إذ تبين موسيقاه علي سرعة الحفظ بما تحققة للكلام من قدرة علي استمالة المتلقي وحمله علي الإصغاء والتدبر (34) .

ولعل مرد عناية العرب من الأدباء والنقاد بالسجع ، أن الإبداع العربي في فن القول شعرا ونثراً يقوم علي المشافهة التي تقتضي من المبدع الفطنة في استمالة السامع للتأثير فيه ، ولهذا فإن كل ما يتعلق بالجانب الصوتي والإيقاع الموسيقي في البلاغة العربية ، كان يحظى باهتمام بالغ من العلماء والنقاد ، ولا يهملها في هذه الدراسة أن نتتبع نشأة السجع أو خلاف العلماء فيه ، لكن حسبنا أن نشير إلي مفهومه وقيمه وسر جماله الإيقاعي ، وجرسه الموسيقي عند الإمام عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - الذي لم يجعل للسجع باباً مستقلاً ، وإنما يأتي ذكره تبعاً لرأيه في التجنيس ؛ لأن الشيخ - رحمه الله - نظر إليهما من زاوية واحدة ، حيث يتفقان في وجه الحسن ، كما يتفقان في علته ، فأنت " لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً ، حتي يكون المعني هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه " (35) .

فالسجع في أصله مأخوذ من سجع الحمام، ومعناه : موالاة صوتها علي طريق واحد ، وتقول العرب : سجعت الحمامة، إذا دعت وطربت في صوتها، ويقال: سجعت الناقة سجعا ، مدت حنيتها إلي جهة واحدة (36) .

وفي الاصطلاح : هو تواطؤ الفاصلتين من النثر علي حرف واحد وهو ثلاثة أقسام :

(أ) السجع المطرف : وهو الذي تختلف فاصلته في الوزن وتتفان في التقفية ، وسمي مطرفاً لبلوغه طرف الحسن ونهايته بالنسبة إلي غيره (37) كقوله تعالى : { مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا } (38) .

34 - ينظر : ألوان البديع في ضوء الطبائع الفنية والخصائص الوظيفية، د/ محمد علي فرغلي، ص 148.

35 - أسرار البلاغة ، ص 10 .

36 - ينظر : بغية الإيضاح : 4 / 92 .

37 - ينظر : شروح التلخيص : 4 / 447 .

38 - سورة نوح الآيتان : 13 ، 14 .

(ب) الترصيع : وهو ما انتفتت فيه ألفاظ القرينتين أو أكثرها في الوزن والتقفية ، وسمي مرصعا تشبيها له بجعل إحدي اللؤلؤتين في العقد مقابلة الأخرى (39) ومن شواهد ، قوله - ﷺ - في الأنصار : " إنكم لتكثرن عند الفزع ، وتقلون عند الطمع " (40) ، ومنه قول الخنساء في رثاء أخيها صخر (41) :

المجد حلته والجود علتة .: والصدق حوزته إن قرنه هابا
خطاب محفلة فراج مظلمة .: إن هاب معضلة ثني لها بابا
حمال ألوية قطاع أودية .: شهاد أنجية للوتر طلابا

ففي هذه الأبيات تساوي الفقرتين في كل بيت من حيث الوزن والتقفية ، مما أحدث في داخل النص هذا الإيقاع الموسيقي الخلاب الذي يملأ الأسماع ويستميل القلوب .

(ج) السجع المتوازي : وهو ما توازت فيه الفاصلتان وزنا وتقفية ، دون غيرها من ألفاظ الفقرتين (42) ، ومنه قوله تعالى : { وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَيَّ رَبُّهَا نَاطِرَةٌ } (43) .

ولا يخفي أن بلاغة السجع وقيمتة الفنية نابغة من هذه الموسيقى والإيقاع المتكرر الذي يحدثه التوافق والتآلف بين الألفاظ المسجوعة، ومن خلال هذا الترابط اللفظي والجرس الصوتي تكمن بلاغة السجع وتظهر مزيتة علي غيره من ألوان البديع، وهذا ما صرح به الإمام عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - في حديثه عن مزية التجنيس والسجع بقوله : " وعلي الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا حتي يكون المعني هو الذي طلبه واستدعاه، وساق نحوه ، وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد المتكلم إلي اجتلابه وتأهب لطلبه " (44) . فالشيخ هنا يشرع للقول بأن السجع فاعل يؤثر في زيادة الحسن في المعاني ، بما أن المعني هو الذي يستدعيه ، وحين يتحقق هذا الشرط في السجع تهش له الآذان ، وتلذ به الأسماع ، وتصغي له القلوب لحسن لفظه وحلاوة جرسه وجميل إيقاعه .

وبناء علي فائدة السجع في أداء المعني استحسّن الإمام عبد القاهر - رحمه الله - كثيرا من أمثلة السجع ، منها قول النبي - ﷺ - : " أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام " (45) والذي ينظر في هذا الحديث النبوي الشريف الذي استشهد به الإمام عبد القاهر علي حسن السجع يجد أن السجع هنا له فائدة في أداء المعني المراد ؛ إذ المراد حث الناس علي فضائل الأعمال التي تكون سببا في دخولهم الجنة ، وقد بدأها - ﷺ - ب " أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام " وهذه الأمور محبة إلي النفس بفطرتها؛ إذ الإنسان بفطرته يحب فعل هذه الأشياء ، فإذا أمره بما يتوافق مع فطرته هيأه بعد ذلك للأمر بما يثقل علي بعض النفوس ، وهو صلاة الليل ، وصلاة الليل معروف أنها تكون وقت منام الناس ،

39 - ينظر : الحاشية ، رقم 5 .

40 - النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تح / طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي : 3 / 848 ، ط : المكتبة العلمية ، بيروت 1399 هـ 1979 م .

41 - ديوان الخنساء ، ص 14 ، ط : دار المعرفة ، الطبعة : الثانية 1425 هـ 2004 م .

42 - ينظر : بغية الإيضاح : 4 / 93 .

43 - سورة القيامة الآيتان : 22 ، 23 .

44 - أسرار البلاغة ، ص 10 .

45 - ينظر : الجامع الصحيح سنن الترمذي : 4 / 652 ، حديث رقم 2485 ، تح / أحمد محمد شاكر وآخرون ، ط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

ومع ذلك لم يكتف - ﷺ - بذلك ، وإنما جاء بالقيد " والناس نيام " وهذا القيد إلي جانب أنه تحقق به السجع لتوافقه مع أواخر الجمل السابقة ، إلي جانب ذلك فإن فيه إظهارا لفضيلة ذلك القائم ، وأنه لم ينم كعامة الناس ، وإنما خالفهم وتوجه إلي الله في هذا الوقت الذي يريح الناس فيه أجسادهم ، ولكن ذلك القائم وجد راحته في شيء آخر ، وهو التوجه إلي ربه ومناجاته والتقرب إليه في هدوء الليل وسكونه .. وكذا جاءت الجملة الأخيرة " تدخلوا الجنة " مقيدة بأنها " بسلام " وبذلك تحقق السجع بين جميع فقرات الحديث الشريف، ومعلوم أن دخول الجنة لابد وأن يكون بسلام، ولكن هذا القيد يزيد في تشويق النفس إلي الجنة، وينفي أن يكون دخول الجنة فيه ما يعكر صفوه أو يكدره، وإنما هو دخول بسلام لا يشوبه خوف ... وإلي جانب ذلك يتم الإيقاع والتناغم بين بدء الحديث ونهايته، إذ بدأ الحديث بالأمر بإفشاء السلام، وانتهى بدخول الجنة بسلام .

فالنظر إلي السجع في هذا الحديث لا يجد فيه تكلفا ، بل هو سجع طبيعي ؛ لأن المعني هو الذي طلبه ، وهذا يؤكد ما ذكره الإمام عبد القاهر - رحمه الله - من أنك " لن تجد أيمن طائراً، وأحسن أولاً وآخرًا، وأهدي إلي الإحسان، وأجلب للاستحسان، من أن تُرسل المعاني علي سجيّتها، وتدّعها تطلب لأنفسها الألفاظ، فإنها إذا تُركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها " (46) .

ولهذا ينبغي أن تكون السجعة غير قلقة ، ولا نافرة في موضعها ، فلا تساق لأجل أن تؤثر عن طريقها وحدها علي النفوس ، ويوحى من وراء التعبير بها عن المعني المراد ، وأن تكون ألفاظها رقيقة عذبة ، لا ركيكة ولا متكلفة ، بعيدة عن الغثاثة والبرودة ، وأن يكون اللفظ فيها تابعا للمعني ، وليس المعني تابعا للفظ ، كما يجب أن تكون كل فقرة من فقرات السجع دالة علي معني غير معني الفقرة الأخرى ، وإلا كان تكراراً وترادفاً للمعني ، وتطويلاً يبعد السجع عن مواطن البلاغة والجمال الموسيقي ، وعن الهدف الذي أريد منه .

ثانيا : التشكيل الموسيقي للجناس في البناء الشعري عند الجرجاني

غير خاف أن الجنس كغيره من ألوان البديع كان معروفاً لدي الشعراء المتقدمين، ثم لما كثر استعماله عند الشعراء المولدين من أمثال أبي نواس ومسلم بن الوليد وغيرهما ، وذاع بينهما واشتهرا به ، الأمر الذي جعل ابن المعتز يؤلف كتابه (البديع) ... ، وليس الهدف من هنا أن نتتبع هذا الفن في التراث البلاغي ، فذلك أمر قد تولته دراسات متعددة لكثير من الباحثين ، وليس هو موضع عناية هذه الدراسة ، وإنما سنقتصر علي تعريف الجنس وقيّمته وسر جماله الإيقاعي ، وجرسه الموسيقي عند الإمام عبد القاهر - رحمه الله - .⁴⁷

فهو في اللغة : مصدر جانس الشيء بالشيء ، أي شاكله واتحد معه في الجنس ، يقول صاحب لسان العرب: " والجنس أعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله، وفلان يجانس البهائم ولا يجانس الناس، إذا لم يكن له تمييز ولا عقل " (48) .

وفي الاصطلاح : هو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعني ، علي أن التشابه قد يكون تاما في كل الحروف ، وقد يكون في بعضها دون البعض .

والجناس هو لون من ألوان الجمال اللفظي ، له أثر موسيقي قوي علي السامع ، ينبع من تكرار الحروف

46 - أسرار البلاغة ، ص 14 .

47- يراجع مقال البديع والتشكيل الصوتي إعداد د / يوسف بن عبد الله الأنصاري

48 - يراجع : لسان العرب لابن منظور : 1 / 700 ، مادة : جنس .

وترديدها، وتقابل الألفاظ المتشابهة، وهو ينشط الذهن، وي طرح السأمة، ويسهم إسهاما كبيرا في إيضاح المعاني ، وزيادة الإفادة ، وهو لا يكون كذلك إلا إذا كان عفو الخاطر ، وسمح به الطبع من غير أن تبدو عليه لون الصنعة والتكلف ، وإلا شوه العبارة وأدى إلي التعقيد .

وقد تكلم البلاغيون والنقاد عن الجناس وبلاغته، فقال فيه الإمام عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - : " كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاه ، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووقاها " (49) .

وهذا يعني أن الجناس يحمل عنصر المفاجأة، وخداع الأفكار ؛ لأنه يوهم السامع أن اللفظ قد تكرر ولا فائدة سيجنيها من ذلك، ولكن سرعان ما يدرك ببديته وفكره ، أنه خدع وأن اللفظ الآخر يحمل معني آخر غير المعني المتوقع ، فيكون له أثر حسن في النفس ، ووقع جميل في القلب .

هذا، وقد اختلفت نظرة البلاغيين والنقاد علي مر العصور إلي الجناس، وبيان قيمته الفنية، فمنهم من أبدى إعجابه به واعتبره غرة شاذة في وجه الكلام (50)، ومنهم من عده " من أنواع الفراغ، وقلة الفائدة... ولم يحتج إليه بكثرة إلا من قصرت همته عن اختراع المعاني " (51)، ولا يخفي أن قيمة الجناس الفنية تتحقق من خلال هذا التماثل والتشابه اللفظي بصوره المختلفة، الذي يخلق نوعا من الجرس والتلاؤم الموسيقي ، ووراء ذلك علاقة معنوية أرادها المتكلم ، لا يمكن إغفال ما لها من التأثير في نفس المتلقي ، وهذا ما أشار إليه الإمام عبد القاهر الجرجاني في سياق إشادته بفنون البديع بقوله : " وعلي الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سَجْعاً حَسَنًا، حتي يكون المعني هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تتبغى به بدلاً، ولا تجد عنه جِوْلاً ، ومن ها هنا كان أخلّي تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصدٍ من المتكلم إلي اجتلابه، وتأهّب لطلبه " (52) .

ومع أن الإمام عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - قد أدرك علة القبول ، فهو لم ينف أن يكون التجنيس مبحثاً قائماً علي ظاهرة صوتية ، هي تجانس لفظين في الأصوات لكن استحسان تلك الظاهرة لا يكون " إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمي الجامع بينهما مرمي بعيدا " (53) ، وقد ظلت تلك قاعدة ثابتة لم يحد عنها في تقديره للتجنيس .

وإنما اختار الإمام عبد القاهر الجرجاني الجناس ؛ لأن الجناس من بين صنوف البديع هو الذي يظهر فيه ما أراداه الإمام من إثبات الحسن للنظم ، وليس للفظ وحده ، أو المعني وحده ، فضلا عن أن التجانس في اللفظتين يعطي من النغم والموسيقا مما لا تجده في غيره من صنوف البديع ؛ ولذا فإن الأذن تطرب عند سماعه فتصغي له ، ويزداد إنصاتاً لذلك، كما تهتز له أوتار القلب فتتجاوب في التعاطف مع النص، وهنا يظن السامع أن الحسن سببه هذا التناغم ، وتلك الموسيقا الناتجة عن الجناس، كما يمكن أن يكون السبب في اختياره للجناس من بين صنوف البديع أن الجناس مما أسرف الشعراء في استعماله؛ لظنهم أن الحسن يرجع إلي هذا وإن كان

49 - أسرار البلاغة ، ص 8 .

50 - ينظر : جنان الجناس في علم البديع ، صلاح الصفدي ، ص 201 ، مطبعة الجوانح ، ط : أولي 1299 هـ .

51 - ينظر : خزنة الأدب : 1 / 55 .

52 - أسرار البلاغة ، ص 10 وما بعدها .

53 - السابق ، ص 6 .

المعني لا يتطلبه ، فأراد الإمام أن يبين الخطأ في هذا الظن ، وأن الحسن والقبح لا يرجعان إلي ذات الجنس ، وإنما إلي موقع الجنس وأثره في أداء المعني ، وما ينتج عنه من جرس موسيقي ، ولذلك يقول أثناء حديثه عن الجنس : " وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاماً حَمَلَ صاحبه فرطُ شَغَفِهِ بأمورٍ ترجع إلي ما له اسم في البديع، إلي أن ينسي أنه يتكلم ليفهم، ويقول لبين، ويخيل إليه أنه إذا جَمَعَ بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عَنَاهُ في عمياء، وأن يُوقِع السامع من طَلَبه في خَبُطِ عَشَوَاءٍ، وربَّما طَمَسَ بكثرة ما يتكلّفه علي المعني وأفسده، كمن ثَقُلَ العروس بأصناف الحلي حتي ينالها من ذلك مكروء في نفسها " (54) .

ولا تتوقف قيمة الجنس عند إشاعة الموسيقى ، وإحداث هذا النغم الشجي ، بل يتعداها إلي إحكام الكلام ، حيث فطن الإمام عبد القاهر - رحمه الله - إلي العلاقة بين التشابه والجناس ، وأن بينهما تفاعلاً خلق جسراً ثابتاً تحركت عليه العلاقة بين اللفظ والمعني في سياق توظيف الجنس ، وقد صار من حلي الشعر ، وأن ما يعطاه التجنيس من الفضيلة أمر لا يتم إلا بنصرة المعني (55) .

فالإمام هنا يجعل الجنس وجهاً من وجوه النظم التي تحسن إذا أفادت في أداء المعني شيئاً لا يتأتي بدون الجنس ... كما ربط بين حسن الكلمة وقبحها بناء علي موقعها في النظم فقال : " فإنك تجد متي شئت الرجلين قد استعملوا كلماً بأعيانها ، ثم تري هذا قد فرع السماك ، وتري ذاك قد لصق بالحضيض " (56) . فهو - رحمه الله - يشير إلي أن الكلمة نفسها يأتي عليها الحسن في موضع والقبح في موضع آخر بناء علي موقعها في النظم ، ودورها في أداء المعني ، وكذا الجنس يأتي حسنه وقبحه من خلال موقعه في النظم وفائدته في أداء المعني ...

وكما يتفاوت الشعراء في استخدامهم لألفاظ بعينها فيحسن بعضهم غاية الإحسان حتي يصل عنان السماء ، ويسئ بعضهم غاية الإساءة حتي يلتصق بالتراب ، فكذا يتفاوت الشعراء في استخدامهم للجناس ، فيحسن بعضهم غاية الإحسان ، ويسئ بعضهم غاية الإساءة . وهكذا يبدو الجنس أداة فنية ترتكز علي قاعدة إيقاعية ، وتمتد بحسن توظيفها إلي آفاق تعبيرية كثيرة ، ويظهر هذا جلياً في بيت أبي تمام (57) :

هَنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرَتْ عِيفَةً . . . مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهِنَّ حَمَامٌ

فإن الجنس بين (الحَمَام والحِمَام) يولد إيقاعاً موسيقياً نتج عن اتحاد اللفظتين مع اختلاف حركة حروفهما ، ثم إن هذه الموسيقى تظهر ما وراء ذلك من تفرقة في المعني بين (الحَمَام) الكائن اللطيف الرامز للسلام والحب والعاطفة الرقيقة ، وبين (الحِمَام) الذي هو الموت ، وقد نبه الإمام عبد القاهر - رحمه الله - إلي ذلك في قوله : " ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة ، وقد أعطاه ، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاه " (58) .

54 - أسرار البلاغة ، ص 9 .

55 - السابق ، ص 10 .

56 - دلائل الإعجاز ، ص 48 .

57 - ينظر : شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، تقديم / راجي الأسمر : 2 / 73 ، ط : دار الكتاب العربي 1414 هـ 1994 م .

58 - أسرار البلاغة ، ص 8 .

إذن يمثل هذا التوظيف الواعي بالطبيعة الفنية للجناس يتحقق لهذا اللون البديعي تأثيره المنشود علي المستوى الإيقاعي من خلال موسيقاه التي ترجع إلي الاتحاد والتوافق في النغم والإيقاع ، وما يصدر عن هذا من تنويع في الإيحاء ، وتلوين في المعني المراد ، وهذا يعين علي شد الانتباه ، وتأكيد المعني في الصورة (59) .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام علي خاتم النبيين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين ... وبعد ،،،

فقد تم - بحمد الله وتوفيقه - هذا البحث الذي يتعلق بجماليات التشكيل الموسيقي في البناء الشعري عند الإمام عبد القاهر الجرجاني من خلال ظاهرتي التجنيس والسجع ، وبعد نهايته توصل البحث إلي نتائج كان أهمها ما يلي :

- ظهرت وظيفة الإيقاع في أنه من أهم مزايا الفن الشعري وأكبر وجوه التمايز بينه وبين الكتابات الأخرى المنضوية تحت سقف الإبداع الأدبي .
- حاول البحث في هذه الدراسة أن يثبت أهمية الإيقاع الموسيقي كأساس نقدي ضمن أسس النقد الأدبي القديم والحديث، وذلك من خلال توضيح مفهوم الصورة الموسيقية التي يدخل ضمنها هذا البناء الإيقاعي ، وبيان أهمية الوزن الشعري في هذه الصورة الموسيقية ، وأثره في تشكيل القيمة الدلالية للشعر .
- حاول البحث أن يثبت أن المكون الوحيد في الإيقاع ، مكون موسيقي صوتي ، وهذا مبرر نعت البنية الإيقاعية بموسيقا الشعر حيناً ، وبالمستوي الصوتي حيناً آخر .
- نبه الإمام عبد القاهر - رحمه الله - في أسرار البلاغة إلي ضرورة عدم إغفال الإيقاع النفسي في ذهن الشاعر عند التعرض لعنصر الجمال في الصورة الفنية، إذ أن فكرة النظم وحدها غير كافية للكشف عن هذا العنصر الجمالي ، ويرى ذلك متمثلاً في الجناس والسجع .
- حديث الإمام عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - عن السجع لا يختلف عن حديثه عن الجناس ؛ إذ قد ربط بينهما في أكثر من موضع، وهذا ظاهر في كتابيه الدلائل والأسرار .
- هذا وبالله التوفيق ، وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم .

الباحث

59 - ينظر : البناء الفني للصورة الأدبية ، د / علي علي صبح ، ص 263 ، ط : المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط : الثانية .

المصادر والمراجع

1. أسرار البلاغة الجرجاني ، عبد القاهر ، تحقيق/ محمود محمد شاكر، ط : دار المدني ، جدة ، ط : أولي 1991م .
2. ألوان البديع في ضوء الطبائع الفنية والخصائص الوظيفية ، فرغلي / محمد علي
3. انباه الرواه للقفطي ، تحقيق إبراهيم / محمد أبو الفضل، ط : أولي 1985 م .
4. الإيقاع العروضي في الشعر العربي وقيمتها ، رسالة دكتوراه للباحث : مخلوف / محمد أحمد محمد، سنة 1992م مخطوطة في كلية اللغة العربية بأسبوط .،
5. البنية الإيقاعية للقصيد المعاصرة في الجزائر ، بترماسين ، د / عبد الرحمن ، ط : دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة 2003م .
6. بنية التوازن الصوتي في شعر الأميري ، عاطف ، د/ مبارك ، مجلة الأدب الإسلامي ، العدد 60 سنة 1429هـ 2008م .
7. التجديد الموسيقي في الشعر العربي ، عيد ، د / رجاء ، ط: منشأة المعارف، الإسكندرية .
8. التفضيل الجمالي ، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ، عبد الحميد ، د / شاكر ، سلسلة عالم المعرفة، رقم 267 ، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، مارس 2001م .
9. تمهيد في النقد الأدبي ، غريب ، روز ، ط : الأولي ، ط : دار المكشوف ، بيروت ، لبنان 1971م .
10. التوجيه الأدبي ، حسين ، طه ، وآخرين ط : الرابعة 1940م .
11. الجامع الصحيح = سنن الترمذي ، تحقيق : شاكر ، أحمد محمد وآخرون ، ط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
12. جنان الجناس في علم البديع ، الصفدي ، صلاح ، مطبعة الجوانح ، ط : أولي 1299هـ .
13. حركية الإبداع ، سعيد : د / خالدة ، ط : دار العودة ، بيروت ، ط : الثانية 1982م .
14. دلائل الإعجاز، الجرجاني ، عبد القاهر ط : دار المعرفة ، بيروت .
15. الرؤية المعاصرة في النقد والأدب ، العشماوي ، محمد زكي ، ط : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1983م .
16. الشعر العربي الحديث : بنياته وإبدالاتها ، بنيس : د / محمد ، ط : دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط : الأولي 1989م .
17. الشعر والفنون الجميلة ، العريض ، إبراهيم ، ط : دار المعارف ، بدون .
18. طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، تحقيق / شاكر ، محمود محمد، طبعة 1974 م .
19. ظاهرة الإيقاع في الخطاب الشعري ، أحمد ، د / محمد فتوح ، مجلة البيان ، العدد 288 ، مارس 1990م .
20. علم البديع ، عتيق ، د / عبد العزيز ، ط : دار النهضة العربية للطبع .

21. العمدة لابن رشيق ، تحقيق / عبد الحميد ، محمد محيي الدين ، ط : دار الجيل ، بيروت ، الخامسة 1401هـ 1981م .
22. فضاء البيت الشعري ، داود ، د / عبد الجبار ، ط : دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1996م .
23. في النقد الأدبي ، ضيف ، د / شوقي ، ط : دار المعارف بالقاهرة ، ط : الثانية 1966م .
24. القافية تاج الإيقاع الشعري ، كشك ، د / أحمد ، ط : مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة 1405هـ 1985م .
25. موسيقا الشعر ، فاخوري ، د / محمود ، ط : مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية 1416هـ 1996م .
26. موسيقا الشعر العربي ، أنيس ، إبراهيم ، ط : القاهرة ، الثانية 1952م .
27. موسيقا الشعر العربي ، يوسف ، د / حسني عبد الجليل ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب .
28. موسيقا الشعر العربي : الجيار ، مدحت ، ط : دار المعارف ، ط : الثالثة 1995م .
29. موسيقا الشعر العربي بين الثبات والتطور ، عبد الدايم ، د / صابر ، ط : دار الأرقم للطباعة والنشر 1991م .
30. موسيقا الشعر عند شعراء أبوللو ، البحراوي ، د / سيد ، ط : دار المعارف ، مصر ، ط : الثانية 1986م .
31. موسيقي الشعر العربي ، عياد ، د / شكري ، ط : دار المعرفة ، القاهرة ، ط : الثانية 1978م .

عنوان البحث

القاموس المحيط ومكانته في الدراسات اللغوية الشنقيطية

د. المصطفى ولد مَعَا/ أحمدو¹

¹ باحث، موريتانيا.

بريد الكتروني: mostaphamaa9@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/5>

تاريخ القبول: 2024/02/08م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

يتناول هذا البحث العمل على إظهار المكانة التي حظي بها معجم "القاموس المحيط" للفيروز آبادي في الدراسات اللغوية الشنقيطية، وكيف اعتمده الشناقطة مرجعهم المفضل دون غيره من معاجم اللغة العربية الأخرى؟ ومدى حضوره في تراثهم وإنتاجهم اللغوي، من خلال شروحهم لمقدمته بل نَظَم بعضهم لأهم تلك الشروح، ونظم بعض الأبيات لمواد لغوية من القاموس على سبيل الاستطراد والاستدراك أحيانا آخر؛ وذكر بعض الفوائد والنكت والطرف الأدبية التي تعزى له مرة باسم القاموس، وتارة باسم الفيروز آبادي، وحينما بلفظ مجد الدين أو المجد، إلا أننا مع ذلك لم نجد لهم نظاما يستوفي المادة اللغوية كاملة للقاموس فهل من تفسير لذلك؟ وهو ما نستشفه من خلال البحث.

الكلمات المفتاحية: القاموس المحيط، الدراسات اللغوية، شنقيط

RESEARCH TITLE

AL-QAMOOS AL-MUHIT AND ITS PLACE IN SHINQEETI LINGUISTIC STUDIES**Dr. Al-Mustafa Walad Ma'a/Ahmadou¹**¹ Researcher, Mauritania.

Email: mostaphamaa9@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/5>**Published at 01/03/2024****Accepted at 15/02/2024****Abstract**

This research deals with the work to show the position that the “Al-Qamoos Al-Muhit” dictionary by Al-Fayrouzabadi enjoyed in Shinqeeti linguistic studies, and how did the Shinqeeta adopt it as their preferred reference over other dictionaries of the Arabic language, And the extent of its presence in their heritage and linguistic production, through their explanations of its introduction. Some of them even composed the most important of those explanations, and composed some verses for linguistic materials from the dictionary as a way of digression and deletion at other times. He mentioned some of the literary benefits, jokes, and jokes that were attributed to him once with the name of the dictionary, sometimes with the name of Al-Fayrouzabadi, and sometimes with the word Majd al-Din or glory. However, we did not find a system for them that fulfills the entire linguistic material of the dictionary. Is there an explanation for that? This is what we discover through research.

Key Words: Al-Qamoos Al-Muhit, Linguistic Studies, Chinguetti

مقدمة:

يعد الاهتمام بالقاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي سمة بارزة في الثقافة الشنقيطية، لذلك نروم في هذا البحث العمل على استجلاء تلك المكانة التي احتلها وتبوأها من بين معاجم اللغة العربية الأخرى؛ ذلك أن القاموس المحيط نال عناية واهتماما قل له نظير من قبل العلماء والدارسين في الدرس اللغوي الشنقيطي، إضافة إلى معرفة مدى حضور هذه الأهمية في مؤلفاتهم وتراثهم، شرحا ودراسة وحفظا واستظهارا، وكيف تمت الإحالة عليه والعزو إليه في كتبهم وأنظمتهم، فمنهم من شرح ديباجته، ومنهم من نظم هذه الديباجة مع بعض شروحها كما هو الحال مع شرح الهلالي لها الذي نظمه سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، بيد أنهم تجاوزوا ذلك كله إلى حفظه كاملا، بالإضافة إلى نظم بعض مواده، مع ذكر شيء من النكت والطرف والفوائد الأدبية على سبيل الاستطراد، وذلك ما نحاول التعرف عليه في النقاط الآتية:

موضوع البحث: هو رصد وتتبع ما لقيه معجم القاموس المحيط من عناية واهتمام من قبل العلماء الموريتانيين قديما، أو على أيدي الدارسين والباحثين في العصر الحديث.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في معرفة وتوصيف الطريقة التي اعتمدها العلماء والدارسون الشناقطة في الاستفادة من المادة اللغوية للقاموس المحيط، وشدة غرامهم بمطالعة والاهتمام به دون غيره من معاجم اللغة العربية الأخرى، وما السر في ذلك؟

حدود البحث: يهتم هذا البحث بمعرفة مظاهر الاهتمام بمادة القاموس المحيط اللغوية "حفظًا، وشرحًا، ونظمًا" حيث عرف المجتمع الشنقيطي الكثير من الأشخاص الذين حفظوا القاموس المحيط على اختلاف في ذلك فمنهم من حفظه كاملا، ومنهم من حفظ أكثره أو جله أو بعض مواده، ومنهم من شرح مقدمته، ومنهم من نظمها، ومنهم من نظم الكثير من المواد اللغوية للفيروز آبادي.

أهمية البحث: تتضح أهمية هذا البحث في ذلك الإثراء اللغوي المعرفي الثر الذي وفّره العلماء الموريتانيون وقربوه وجعلوه سهلا متداولًا لمن يروم اقتنائه والاطلاع عليه من الدارسين ورواد المعرفة أينما كانوا، ومن ثم يسهل فهم المادة اللغوية والاستفادة منها في معجم القاموس المحيط.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تلمس وتتبع مظاهر الاهتمام بالمادة اللغوية للقاموس المحيط في تراثهم ومؤلفاتهم اللغوية، وإيضاح أهمية معجم القاموس المحيط عند الشناقطة حيث ظل هو معتمد مرجعهم المفضل في دراسة جميع فروع اللغة: نحوا وصرفا وبلاغة ومعجما...إلخ.

منهج البحث: اتخذ منهج البحث مناهج عدة كالمنهج الاستقرائي حيث تم استطلاع وجمع المادة العلمية على تنوعها واختلافها، والمنهج الوصفي الذي يصف عناية واهتمام الدراسات اللغوية الشنقيطية بالقاموس المحيط، وكيفية ذلك الاهتمام، والمنهج التحليلي الذي يعتمد على تحليل أقوال الدارسين والباحثين حول هذه المادة اللغوية للمعجم المذكور، والوصول إلى الغايات المرجوة منه والأهداف المنشودة.

الدراسات السابقة: تختلف الدراسات السابقة في اهتمامها بهذا الموضوع اختلافا واضحا؛ كما يأتي:

أ_ الخليل النحوي في كتابه: "بلاد شنقيط المنارة والرباط"، حيث أشار إشاراتٍ عابرةً إلى أهمية القاموس المحيط عند العلماء الشناقطة وشغفهم بملازمته وحفظ بعضهم له كاملا، في إطار الاهتمام بالتراث والثقافة العربية بصفة

عامة دون التوسع في المجال.

ب_ العلامة: محمد سالم بن جدو في كتابه: "ذيل الطائوس بتحقيق وشرح شواهد القاموس المحيط"، الذي اختص بتحقيق وشرح الشواهد الشعرية خاصة، دون الاهتمام بأصل المادة اللغوية للقاموس المحيط. وقد اعتمدنا في هذا البحث على الكتابين المذكورين لأنهما يتكاملان في توفير جوانب مهمة من المادة العلمية، إلى جانب المصادر الأولى للمادة اللغوية والثقافية لموضوع البحث، وتم بناء هذا البحث حسب هيكلته العامة وفق الخطوات التالية:

- مقدمة: تم الحديث فيها عن: موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة.
- المحور الأول: القاموس المحيط في ميزان العلماء اللغويين العرب
- المحور الثاني: القاموس المحيط وظاهرة الحفظ عند الشناقطة قصص وعجائب
- المحور الثالث: أسباب عناية الشناقطة بالقاموس المحيط دون غيره من المعاجم
- المحور الرابع: العلماء الشناقطة واهتمامهم بشرح خطبة القاموس
- المحور الخامس: العلماء الشناقطة وإسهامهم في نظم القاموس
- المحور السادس: العلماء الشناقطة وإسهامهم في تحقيق وشرح شواهد القاموس
- الخاتمة: وفيها تلخيص لأهم النتائج التي سعى البحث إلى تحقيقها والوصول إليها من خلال إثارة إشكالات البحث ومناقشتها.

المحور الأول: القاموس المحيط في ميزان العلماء اللغويين العرب:

يعتبر معجم القاموس المحيط من أمهات كتب اللغة التي وجدت قبولا واسعا، ورأت حظا كبيرا من العناية عند اللغويين العرب قديما وحديثا؛ فمنهم من شرحه كاملا كالإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الطيب بن موسى الفاسي المتوفى سنة (1170هـ) وقد سماه "إضاءة الراموس إضافة الناموس على إضاءة القاموس" ومنهم كذلك الإمام اللغوي مرتضى الزبيدي الحنفي المتوفى سنة (1205هـ) في معجمه المعروف "بتاج العروس من جواهر القاموس" موضحا أسباب تصديه لشرحه وذلك لأهميته في بابته الذي يقول في مقدمته: «وبعد فإن التصنيف مضمار تنصب إليه خيل السباق من كل أوب ... وقد تصديت للانصباب في هذا المضمار تصدي القاصد بذرعه الرابع على ظله فتدبرت فنون العلم التي أنا كائن بصدد تكميلها وقائم بإزاء خدمتها وتحصيلها فصادفت أصلها الأعظم الذي هو اللغة العربية خليقة بالميل في صغو الاعتناء بها والكدح في تقويم عنادها وإعطاء بداهة الوكد وعلايته إياها، وكان فيها كتاب القاموس المحيط للإمام مجد الدين الشيرازي أجل ما ألف في الفن لاشتماله على كل مستحسن من قصارى فصاحة العرب العرباء وبيضة منطقها وزبدة حوارها ... ولعمري هذا الكتاب إذا حوضر به في المحافل فهو بهاء، وللافاضل متى وروده أبهة قد اخترق الآفاق مشرقا ومغربا وتدارك سيره مصعدا ومصوبا، وانتظم في سلك التذاكر وإفادة أزلام التناظر ومد بحره الكامل البسيط وفاض عبابه الزاخر المحيط، وجلت منه عند أهل الفن وبسطت أياديته واشتهر في المدارس اشتهار أبي دلف بين محتضريه وباديه، وخف على المدرسين أمره إذ تناولوه وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه (...) ولعمري لقد جمع فأوعى وأتى بالمقاصد ووفى وليس لي في هذا الشرح فضيلة أمثُ بها ولا وسيلة أتمسكُ بها سوى أنني جمعت فيه ما تفرق في

تلك الكتب من مفهوم ومنطوق، وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسير وطالب العلم منهوم، فمن وقف فيه على صواب أو زلل أو صحة أو خلل فعهدته على المصنف الأول، وحده وذمه لأصله الذي عليه المعول (...) وسميته: تاج العروس من جواهر القاموس⁽¹⁾».

وأعاد ترتيبه الشيخ الطاهر بن أحمد الزاوي على طريقة "المصباح المنير وأساس البلاغة" حيث يقول في مقدمته: «أما بعد فإن القاموس المحيط من أصح ما ألف في اللغة العربية نقلاً وأدقها وضعاً وأوسعها مادة (...) ولقد لوحظ عليه أن مؤلفه نحا في ترتيبه نحو جعل من العسير على كثير من طلاب اللغة البحث فيه، والوصول إلى بغيتهم من طريقه (...) وقد زاد في صعوبة هذه الطريقة أنه رتب مواده على آخر حروف الكلمات حيث تكثر الحروف الزائدة ويصعب تمييز الأصلي من الزائد وكان هذا من أكبر أسباب صعوبة البحث فيه، وانصراف طلاب اللغة عن الاستفادة منه (...) وطلاب العلم عذرهم في الانصراف عن مراجعته إذ كيف يعلم طالب العلم أن يوسف في: أ س ف، وإسرائيل في: س ر ا، وفيروز آبادي في: ف ر ز، وقد ظهر لي أن القاموس يكون أكثر فائدة لطلاب العلم، ويكون إقبالهم عليه أشد إذا أزيلت عنه هذه الصعوبة، وقدم إليهم في ثوب جديد بحيث يرتب على حروف أوائل الكلمات كما درج عليه بعض المؤلفين⁽²⁾».

أما نقده والاستدراك عليه فقد ألفت فيه كتب كثيرة لعل من أشهرها:

أ. كتاب "الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط" للشيخ محمد بن مصطفى الداودي المعروف بدادود زاده التركي المتوفى سنة (1028هـ) قال في مقدمته: «وبعد فلما وفقني الله . عز وجل . إلى المطالعة في القاموس وهو كتاب نشأ من وحي الناموس قد صنّفه الفاضل العلامة ذو الأيادي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي أن أجمع الغلط التي عزاها إلى الإمام الهمام العبقري أبي نصر بن حماد الجوهري مع إضافة شيء من لوائح أنظاري القاصرة وإفاضة نبذ من سوانح أفكار الفاترة⁽³⁾».

وقال عنه محقق الكتاب: «يعد كتاب الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط ثمرة من ثمار الحركة النقدية الواسعة التي أثارها معجما الصحاح والقاموس، فقد جمع فيه مؤلفه الأغلاط التي نسبها المجد إلى الجوهري⁽⁴⁾».

ب. الجاسوس على القاموس: للعلامة اللغوي أحمد فارس الشدياق الذي تبع فيه منحى الاستدراك على القاموس وتتبع بعض هفواته وأغلاطه، وقد لخص سبب تأليفه لهذا الكتاب في قصور تعاريف القاموس وإيجازه وإبهامه، وما يلقاه المطالع من تعب وعناء في ترتيب أفعاله ومشتقاتها رغم رضى الناس عنه وروايتهم لما فيه دون تمحيص أو تحقيق، قائلاً في مقدمته: «وبعد فإني لما رأيت في تعاريف القاموس للإمام القاضي مجد الدين الفيروزآبادي قصوراً وإبهاماً، وإيجازاً وإيهاماً، وترتيب الأفعال ومشتقاتها فيه محوج إلى تعب في المراجعة ونصب في المطالعة والناس راوون منه وراضون عنه، أحببت أن أبين في هذا الكتاب من الأسباب ما يحض أهل العربية في عصرنا هذا على تأليف كتاب في اللغة يكون سهل الترتيب واضح التعريفات شاملاً للألفاظ التي استعملها

(1) - مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر، ط1، 1306هـ، ص: (1.5).

(2) - الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ط3، دار الفكر بدون تاريخ، ج1، ص: (43).

(3) - محمد بن مصطفى داود زاده، الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط، تحقيق ودراسة: سكيته بنت عبد الله بن أحمد الكحلاني، تحت إشراف الدكتور: محمد بن أحمد خاطر، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية اللغة العربية جامعة أم القرى) بالمملكة العربية السعودية، للعام الدراسي: 1417هـ / 1997م)، ص: 1.

(4) - نفسه، في مقدمة التحقيق، ص: 30.

الأدباء والكتاب وكل من اشتهر بالتأليف سهل المجتئى داني الفوائد بين العبارة وافي المقاصد (...) فمن ثم مست الحاجة إلى تفصيل لمفردات لغتنا ومركباتها، وتبيين لأصولها من متفرعاتها وإفراز لأفعالها من مشتقاتها، وذلك لا يتأتى إلا بإظهار ما في القاموس من القصور والخلل، بنوع لا يحمل القارئ على الملل ولا يقنطه من تحصيل فوائد اللغة التي هي خير محصل، غير قاصد بذلك التثديد بالمعاييب أو التعديد للمثالب، غير أنني معترف بأن لصاحب القاموس علي فضلاً كبيراً ومنه توجب علي أن أكون لها ما عشت شكوراً، فإنه هو الذي ألجاني إلى الخوض في بحر اللغة الزاخر لاستخراج جوهرها الفاخر بعزم غير فاتر وجد غير عائر، حتى أبرزته عياناً للنظر (...) وسميته الجاسوس على القاموس (5)».

ج. سر الليال في القلب والإبدال: لم يكتف فارس الشدياق في استدراكاته على القاموس بمعجم الجاموس، بل زاد عليه بكتابه هذا الذي ضمنه ثلاثة مقاصد كان ثالثها استدراكاً على ما فات صاحب القاموس من لفظ أو مثل أو إيضاح عبارة أو نسق مادة وقد أضاف إليه نقدين من كتابه الجاموس على القاموس قائلاً: «وقد أضفت إلى هذا المقصد الأخير في آخر المؤلف نقدين من كتابي الجاموس على القاموس، أحدهما فيما ذكره صاحب القاموس في غير محله المخصوص به، والثاني فيما لم يذكره مطلقاً وقد اشتهر عند الأدباء والمؤلفين (6)».

المحور الثاني: القاموس المحيط وظاهرة الحفظ عند الشناقطة قصص وعجائب:

تدور حكايات وروايات كثيرة حول ظاهرة الحفظ عند الشناقطة التي عادة ما يكون بعضها أقرب إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة، وبغض النظر عن واقعيتها أو عدمها فإن أغلب هذه الحكايات يكثر تداولها عند ما يكون هذا الكتاب من أمهات الكتب التي يصعب حفظها واستظهارها سواء في الفقه أو الحديث أو اللغة أو غير ذلك، مثل الحكاية التي تقول: "إنه كانت توجد في مدينة تنيكي ثلاثمائة شابة فارقة تحفظ الموطأ" والذي يعيننا في هذا السياق هو تلك الحكايات التي تروى من حين لآخر في حفظ بعض الأشخاص للقاموس المحيط، ومنها الرواية التي تقول إن العلامة اللغوي: محمد محمود بن التلاميذ التركي يحفظ الكثير من أمهات كتب الأدب واللغة وخاصة المعاجم ومن بينها "القاموس" وذلك ما صرح به في أبياته الشهيرة التي رثا بها نفسه كما فعل ابن عبد البر مستطرداً بعض أعماله الجليلة قائلاً:

تذكرت من يبكي علي فلم أجد سوى أمهات الكتب بعدي أو علمي
وغير الفتى المفتي محمد عبده صديقي الصدوق الصادق الوعد والكلم
وعصم علوم كنت أنزلها له إذا اعتاص أرواها على كل ذي فهم
مخصصها المطبوع يشهد مفصحا بحفظي عند الحذف والبتير والخرم
وقاموسها المشهور يشهد بالضحي بذاك وفي بيض الليال والدهم (7).

وزيادة على ذلك وصفه بعض معاصريه كالشيخ: محمد رشيد رضا بأنه "العلامة المحدث الذي انتهت إليه رئاسة علوم اللغة والحديث في هذه الديار (8) يعني مصر، كما وصفه الزركلي بأنه "علامة عصره في اللغة والأدب (9)".

(5) _ أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، دار صادر بيروت، مطبعة الجوائب، سنة: 1299هـ، ص: (1.6).

(6) _ أحمد فارس الشدياق، سر الليال في القلب والإبدال، بدون تاريخ، ص: 6.

(7) _ خليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987، ص: (270. 271).

(8) _ نفسه، ص: 270.

(9) _ نفسه، ونفس الصفحة.

ويلخص طه حسين إعجاب معاصريه بالعلامة التركيبي قائلا: «كان أولئك الطلبة الكبار يتحدثون بأنهم لم يروا قط ضرباً للشيخ الشنقيطي في حفظ اللغة ورواية الحديث سندا ومتنا عن ظهر قلب»⁽¹⁰⁾. ويروي العلامة خليل النحوي عدة روايات من هذا القبيل منها قوله: «وحدثني العلامة محمد سالم بن عبد الودود أن مريم بنت اللأ عمّة والدته كانت تحفظ القاموس، وقد استوعبته بطريقة غريبة حيث كان والدها يرسلها من حين لآخر إلى خيمة أحد علماء الحي تنظر له معنى كلمة في القاموس فتعود وقد حفظت المادة كلها»⁽¹¹⁾.

ومنها كذلك قوله «وقد حفظ محمد الأمين بن الدود القاموس إلى حرف الراء ثم نهي عن إتمامه خوفاً عليه من العين»⁽¹²⁾.

ويحكى أن جدي وسمي: المصطفى بن محمود بن أبي المعالي بن محمد بن أبي عبيد الفودي التندغي الجكني رحمه الله تعالى المعروف "بالمصطفى بن مَعَا" كان يحفظ القاموس المحيط، وذات يوم خلال الحرب العالمية الثانية عز عليه وجوده لمطالعة والنظر فيه فشد العزم على شرائه فامتطى جملاً له وسافر إلى دكار وباع جملة ليشتري به القاموس، وها هو الآن في مكتبتنا في حالة جيدة⁽¹³⁾.

إضافة إلى ذلك فقد «كان أباه بن محمد الأمين يمتحن صفوة طلبته بحفظ صفتين من القاموس في قراءتين»⁽¹⁴⁾. «وقد حفظ محمد بن محمد سالم حرفين من القاموس فاتهمه زملاؤه بقصد المباهاة فأقلع عن حفظ البقية»⁽¹⁵⁾.

وقد شهد للشناقطة بهذه المكانة العظيمة في حفظ اللغة ومتونها والاهتمام بروايتها وأسانيدها الأديب اللبناني: محمد يوسف مقلد حيث يقول:

للضاد	في	إفريقيا	راية	خفاقة	رفافة	عالية
يرفعها	العرب	بنو	عمنا	الب	يضان	أهل
هم	ناشروها	هم	أساتيزها	هم	حصنها	هم
إن	الذكا	كل	الذكا	كائن	تالله	بين
					النهر	والساقية

(16).

المحور الثالث: أسباب عناية الشناقطة بالقاموس المحيط دون غيره من المعاجم:

من المعروف أن القاموس المحيط من أهم المصادر اللغوية والمعجمية في الثقافة العربية عامة وفي الثقافة الموريتانية خاصة؛ حيث كان المصدر الأساس في اللغة في جميع اختصاصاتها معجماً ونحواً وصرفاً وبلاغة وعروضا، بل يُرجع إليه في ضبط أسماء الأعلام والأماكن والبلدان، والبحث عن الشواهد الشعرية والأمثال

(10) _ نفسه، ص: 269.

(11) _ نفسه، ص: (230-231).

(12) _ نفسه، ونفس الصفحة.

(13) _ رواية شفوية، تروى بالتواتر من أبناء المرحوم وأبناء عمومته، ولد المصطفى بن محمود المعروف "بالمصطفى بن مَعَا" حوالي: 1908 هـ وتوفي في مارس: 1997 م.

(14) _ خليل النحوي، مرجع سابق، ص: 205.

(15) _ نفسه، ونفس الصفحة.

(16) _ محمد يوسف مقلد، شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء . بيروت، 1962، ص: 26.

والحكم... إلخ، وهو ما يشهد له أحدهم قائلاً: «ومهما تنوعت التأليف في علوم اللغة العربية وتعددت، واختلفت عصورها وتباعدت وتشعبت أساليبها وتباينت، فإن القاموس المحيط للفيروز آبادي لا يزال يحتفظ بالمقام الأول على رأس معاجم اللغة العربية من المرجعية والتداول؛ لا سيما في ربوعنا نحن الشناقطة لم ينافسه صاحب الجوهري لتداوله واشتهاره بخصوصها، واعتماد المدرسين على نقوله ونصوصه، ولا لسان ابن منظور بالشمولية والإجادة، وأنه يزيد عليه بعشرين ألف مادة. فالقاموس إذاً هو أوسع المعاجم اللغوية انتشاراً وتداولاً في المكتبة العربية عامة، وبين الشناقطة بالخصوص بدرجة أنه من أهم الكتب في مكتباتهم⁽¹⁷⁾».

وقد أُرْجِعَ الشيخ عبد الحميد بن محمد الأنصاري في مقدمة تحقيقه لطرة الحسن بن زين وخياطتها على لامية الأفعال سبب ذلك وموضاً مراجعه ومصادره في شيء من التوضيح والإسهاب قائلاً: «وقد اعتنى المتأخرون بالقاموس عناية فائقة منقطعة النظير، جعلت منه مرجعاً أساسياً وأولياً للغة العربية (...) وقد يرجع تأصيل القاموس كمرجع أساسي إلى نقطتين أساسيتين هما:

1. كونه مختصراً ومفهرساً للمواد فتبحث عن الكلمة في بابها، وتجد ما اشتهر من معانيها وتصاريفها مجملة في موضع واحد، مما لا يوجد له نظير في أي معجم.
2. صغر حجمه، فيمكن حمله إلى أي مكان وبقعة من العالم، وأنا لا أشك في فضل هذا الكتاب ولا أناقش فيه، ولكني أريد أن أصحح مفهوم كون القاموس مرجعاً كاملاً ونهائياً لمعضلات اللغة فما ليس فيه ليس إليه سبيل، وما كان فيه كان هو الصواب⁽¹⁸⁾».

ويؤكد ذلك أكثر في كون مدرسة ابن مالك الصرفية مدرسة فعلية في الغالب وموضاً مصادرها في ذلك: «تعتني بالفعل في التصريف وأهم مصادرها المتأخرة الصحاح للجوهري والقاموس المحيط للفيروز آبادي فما كان فيهما فهو حجة، وما لم يكن فيهما رمي به، ولو قاله عدنان أبو العرب⁽¹⁹⁾». وفوق ذلك فقد أحصى إحالات "بحرق الحضرمي" على القاموس المحيط قائلاً: «وقد صرح بالنقل عنه في أكثر من أربعة وثلاثين (34) موضعاً⁽²⁰⁾».

وبين الشيخ عبد الحميد بن محمد الأنصاري سبب اعتماد اللغويين منذ زمن "بحرق الحضرمي" إلى اليوم على "القاموس المحيط والصحاح" وأن ذلك يعود إلى سهولة سردهما للمفردات وحصرهما للأمثلة «إن الحضرمي . كما ذكرنا . اعتمد على الصحاح والقاموس المحيط فقط في كتابه، فافتقروا به الناس في إثبات المرجعية اللغوية لهذين الكتابين، ولم يعلموا أن الحضرمي اعتمدهما لسردهما المفردات لا غير، لأنه في عمل إحصائي لا استكشاف واستشهاد، فحسب ما توصلت إليه أن اعتماد القاموس اعتماداً كلياً في المغرب العربي وعموم المشرق كمرجع لغوي قد يرجع إلى فعل الحضرمي، حيث بين انحصار كلام العرب فيما ذكره من الأمثلة، ثم ذكر أنه أخذها من القاموس والصحاح فانبهر الناس بالكتابين واعتمدوا عليهما دون غيرهما، ولم يعرفوا عن كنههما غير القليل⁽²¹⁾».

(17) محمد سالم بن جدو، ذيل الطائوس بتحقيق وشرح شواهد القاموس، تقديم: محمد بن باب خي شيخ محظرة "أفجار" مطبعة المنارة، ط1، (1431هـ/2010م)، ص: ج، من التقديم.

(18) الحسن ولد زين الشنقيطي، الطرة توشيح لامية الأفعال لابن مالك بخياطة وترشيح: محمد سالم بن عدود، تحقيق: عبد الحميد بن محمد الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (دون تاريخ)، ص: (103. 104).

(19) نفسه، ص: 83.

(20) نفسه، ص: 90.

(21) نفسه، ص: 100.

ومن الطريف في الأمر أنهم كانوا يحتكمون إلى القاموس في خلافاتهم حول صحة بعض الكلمات لغويا نحو أو صرفا والبحث في مدى ملاءمتها لسلامة القياس اللغوي وهنا نذكر قصة الشاعرين: محمود بن محمدي وسيدي محمد بن الشيخ سيديا التي يرويها أحمد بن الأمين في كتابه الوسيط قائلا: «فاتفق أن أحد الأدباء من تلامذة الشيخ سيدي أنشد أبياتا لسيدي محمد المذكور أولها:

يا معلمين قلاصا حاكيت الحرفا صارت وصارت لها أنواعه حرفا

فتوقف محمود المذكور في جمع حرف على حرف وهو في الحقيقة غير مقيس ولم ينكر، فأبلغ ذلك الأديب سيدي محمد المذكور أن ابن محمدي لحنه فكتب إليه:

يا منكرا جمعنا حرفا على حرف لستتد لا تكن للمرتمي هدفا
إنكار من ليس يدري اشد به غررا إذ هو من جرف الألحان فوق شفا
ينهار من هذر والصمت يثبته والفر قبل اللحاق للجبان شفا
لو خضت لجة قاموس وجدت به درا جلا جلو مصباح الدجي السدفا
حرف الكدى لا سواه جمعه حرف وزانه عنب والجمع قد عرفا
ثانيه طل ولم يجمع على فعل فعل سوى زين قد كانا به اتصفا
والعلم ذو كثرة في الصحف منتشر وأنت يا خل لم تستكمل الصحفا⁽²²⁾»

فاعتذر له ابن محمدي بقصيدة يقول فيها:

«لا تسمعن ما وشى بعض الوشاة به واسمع مقالى فليس الأمر ما وصفا
إذ قد حكى البيت راويه على حرف فقلت مستفهما لا منكرا حرفا
وهل سمعتم بحرف جمعه حرف قد كان ذا عن قياس الجمع منحرفا
ومن يخض لجة القاموس ليس له فلك تقيه من الألحان قد تلقا
أهدى إلي من الأشعار مضحكة للخلق أودعها من لحنه كسفا
إذ صير الهمز همز القطع متصلا وقال جلوى وجلوا ثم ما ألفا⁽²³⁾»

المحور الرابع: العلماء الشناقطة واهتمامهم بشرح خطبة القاموس:

نالت خطبة القاموس المحيط اهتماما بالغا من العلماء الموريتانيين حتى صارت من المقررات اللغوية المعتمدة عندهم في الدرس المحظري الشنقيطي، فكان الطلاب يدرسونها باعتبار أهمية لغتها المعجمية وما فيها من الغريب والشواهد، وهو ما أدى بالعلماء إلى شرحها أحيانا، ومن أشهر شروحها وأقدمها شرح الشيخ العلامة اللغوي: محمد بن حنبل الحسني (ت: 1302 هـ)، قال في مقدمة هذا الشرح: «أما بعد فهذه كلمات في حل ألفاظ القاموس وضعها أحوج عباد الله إلى رحمة الله وغفرانه وتتابع نعمه وإحسانه محمد بن حنبل بن الفاضل بن محم بن الفك وسماها "الناموس في حل ألفاظ خطبة القاموس" راجيا من ربه التوفيق والتيسير ولطفه الجميل عند إمام كل ملم عسير إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، قال الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أباذي اللغوي الشافعي رحمه الله تعالى بعد التيمن بالبسملة حسب ما تظافر عليه عمل الأئمة وأخبار الأمة مبتدأ بما بدأت به

(22) - أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط1، (1329هـ/ 1911م)، ص: 60.

(23) - نفسه، ص: 61.

فاتحة الكتاب الكريم مقتدياً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، الحمد: لغة الوصف لأجل جميل اختياري أو قديم، لله: اللام الجارة للاختصاص، واسم الجلالة علم على مولانا المعبود بالحق تبارك وتعالى وهو أعرف المعارف إذ لا يعرض له اشتراك بوجه ما، وأصله عند سيبويه إله، واشتقاقه من الآلهة كالعبادة وزنا ومعنى فهو فعال بمعنى مفعول، ككتاب وبساط بمعنى مكتوب ومبسوط (24)».

ولعل من أحسن هذه الشروح وأشملها شرح شيخنا الشيخ العلامة المجدد: محمد الحسن بن أحمد الخديم اليعقوبي؛ مبينا مصادره في هذا الشرح وموضحاً منهجه فيه، يقول في مقدمته: «أما بعد؛ فيقول الفقير إلى ربه الغني الكريم: محمد الحسن بن أحمد الخديم الشمشوي اليعقوبي الجوادي: هذا تعليق لطيف وضعته على خطبة القاموس، أكثر اعتماداً فيه على فتح القدوس: شرح العلامة المحقق سيدي أحمد بن عبد العزيز الهاللي رحمه الله تعالى، وإياه أعني بالفتح، وربما نقلت من شرح أبي الطيب ومن التاج ومن غيرهما، وقد سميت: "نزهة النفوس في روضة خطبة القاموس" وهذه الخطبة . كما في الفتح . محققة أن تسمى وحدها قاموساً؛ فقد أحرزت قصب السبق في ميدان حسن الصنيع، وفي التقنن في فنون البديع، من أنواع الجناس والترصيع، والمقابلة والالتزام، وحسن السبك وقوة الانسجام، والاستعارات التصريحية والمكنية والتخييلية ... إلى غير ذلك مما يحسن، وعن وصفه تقصر الألسن من جزالة المباني والمعاني، ونكت البيان والمعاني، بيد أنني عدلت في الغالب . إثارة للاختصار . عن بيان بديعها، إلى الاقتصار على المهم مما يتبين به المبنى، ويتعين به المعنى، والله المسؤول أن يضع عليه القبول، وهو المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (25)».

وقد قال في مستهل هذا الشرح: «وقد ابتدأ كغيره بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم: اقتداء بكتاب الله العزيز، وعملاً بالحديث: (كل امرئ ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتى أو أقطع أو أجزم) على اختلاف الروايات، ثم ثنى بالحمد لله: ابتداء بما بدئت به فاتحة الكتاب الكريم، واقتفاء للأثرين وإعمالاً للحديثين وجمعاً بين الروايتين؛ فقال: الحمد لله: اللام: للاختصاص، واسم الجلالة: علم على مولانا المعبود بالحق، وهو أعرف المعارف؛ إذ لا يعرض له اشتراك بوجه ما، أصله عند سيبويه: إله؛ فأدخلت عليه الألف واللام ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام، فأسكنت اللام الأولى وأدغمت، وفخم تعظيماً لكنه يرقق مع كسر ما قبله، وقيل: إنه مرتجل، والمختار أن الإله: اسم من الإلهة كالعبادة وزنا ومعنى . فعلها ككُتِبَ . فهو فَعَالٌ: بمعنى مفعولٌ ككِتَابٍ وبِسَاطٍ: بمعنى مكتوب ومبسوط، والأداة في الحمد: للحقيقة من حيث هي هي، أو لها في ضمن جميع الأفراد، وهي الاستغراقية، أو للعهد الخارجي، والمعهود: حمده تعالى لنفسه، ثم وصف الجلالة بما يدل على براعة الاستهلال (26)».

في هذين الشرحين يستجلي الفروق التالية:

أ_ أن شرح الشيخ محمد بن حنبل أشد اختصاراً، لأنه لا يزيد غالباً على شرح الألفاظ اللغوية.

ب_ أن شرح الشيخ محمد الحسن أكثر توسعاً؛ حيث يهتم بالشرح اللغوي للكلمات وعلاقاتها المجازية، وما فيها من ألوان البديع... إلخ.

ج_ أن شرح الشيخ بن حنبل يستطرد فيه إعراب بعض الكلمات ويورد بعض الأوجه الإعرابية، والخلافات الواردة

(24) محمد بن حنبل، الناموس في حل ألفاظ خطبة القاموس، (مخطوط بحوزتنا نسخة منه)، ص: 4.

(25) الشيخ: محمد الحسن بن أحمد الخديم، نزهة النفوس في روضة خطبة القاموس، تصحيح وإشراف: أحمد فال بن أحمد الخديم، ومحمد سالم بن أحمد الخديم، دار الشمس للطباعة والنشر والتوزيع، بجمهورية مصر العربية العربية، (دون تاريخ)، ص: (1، 2).

(26) نفسه، ص: (3، 4).

في ذلك ويبين الراجح فيها عند النحاة.

د- أن شرح الشيخ محمد الحسن يستطرد فيه شرح الشواهد الشعرية، ويورد فيه بعض الفوائد المنظومة من القاموس وغيره، وبعض النكات والطرف الأدبية.

بيد أنهم لم يكتفوا بهذا الحد بل نظمها بعضهم، ومن أشهر من نظمها: الشيخ العلامة الأديب: سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي المتوفى سنة (1250 هـ) وهو في الأصل نظم لشرح الهلالي لخطبة القاموس المعروف بـ"إضاءة الأدموس شرح خطبة القاموس" يقول في بدايته بعد الحمد والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم:

«وبعد فاللغة فضلها ظهر لأنها لفظ الكتاب والخبر
ومن إلى سمائها قد سارا بلا دليل من نجوم حارا
ومذ بدا بين نجومها القَمَرُ قمرٌ مجد الدين دَلَّ وَبَهَرُ
والمجد في القاموس دره اختصر لأنه أفرغ في زِفَرٍ زُفَرُ
فكان محتاجا إلى التبيان فصغْتُ هذا النظم كالعنيان
أعشو إلى إضاءة الهلالي بدر التمام منهل الرجال (27)»

ثم يقول في فصل ترتيب الحروف وما يتعلق به:

«قد رتب الأبواب والفصولا ترتيب أهل المشرق المعقولا
فهو بعد الزاي فيه بادي بالسين فالشين فحرف الصاد
فالضاد فالطاء فحرف الظاء فالعين فالغين فحرف الفاء
فالهاء فالياء وباب الياء والواو واحد يآثر الهاء (28)»

المحور الخامس: العلماء الشناقطة وإسهامهم في نظم القاموس:

نورد في هذا المحور محاولة بعض العلماء الموريتانيين نظم بعض المواد اللغوية من القاموس المحيط، وتقيدهم لبعض الفوائد العلمية والنكات والطرف الأدبية رغم استعصاء القاموس على النظم لتشعب مادته وضخامتها، وهو ما شكل حاجزا قويا وسدا مانعا من نظمهم لمادة القاموس كاملة، مقارنة بنظمهم لأمّهات الكتب الأخرى كما هو الحال مع: التسهيل لابن مالك الذي مزجه العلامة المختار بن بونا بالألفية وسماه "الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة" المعروف اختصارا بـ"الطرة" ونفس الشيء مع: مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي الذي نظمه غير واحد من العلماء في أزيد من عشرة آلاف بيت من الرجز من أمثال الشيخ: محمد المامي بن البخاري الباركي، والشيخ: محمد سالم بن عدود، لأن الثقافة الموريتانية ثقافة نظم في الغالب، إلا أن القاموس المحيط لم تسعفنا مصادر التراث الموريتاني له بنظم يستوفي المادة اللغوية كاملة للقاموس المحيط، أو لم نطلع له على نظم رغم بحثنا عنه، لذلك تنصب جهود أغلب العلماء حول تقيد بعض المواد اللغوية التي نجدها من حين لآخر في بعض الكتب على سبيل الاستطراد من ذلك قول العلامة اليعقوبي

(27) سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، نظم إضاءة الأدموس في شرح خطبة القاموس، تحقيق: عمار خميسي، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، (1426هـ/2005م)، ص: (25 . 26).

(28) نفسه، ص: 27.

الشيخ محمد المامي ناظما قول الفيروز آبادي في خطبة القاموس «وإذا ذكرت المصدر مُطْلَقًا أو الماضي بدون الآتي ولا مانع فالفعل على مثال كَتَبَ:

إن ذكر الفيروزيادي مصدرا من دون فعل أو مضيا ذكرا
دون المضارع سواء قد ذكر مصدره أولا فمن باب نصر (29)»

وقال العلامة محمد الحسن بن أحمد الخديم في شرحه لخطبة القاموس: «جنتان: تثنية جنة بالفتح؛ وهي الحديقة ذات النخل والشجر جمعها: جنان بالكسر، وشاع في عرف الفقهاء والعامّة إطلاق الجنان على الحديقة الواحدة؛ كأنه روعي فيها أولا: أن كل بقعة منها جنة؛ ثم تنوسي فيها معنى الجمعية» وقد قيد هذه الفائدة نظما فقال:

«حديقة فيها نخل وشجر جنة الجمع جنان واشتهر
إطلاق هذا الجمع في العرف على حديقة واحدة إذ أولا
كان قد اعتبر كل بقعة من تلك جنة لذا جمعت
ثمت إنه تنوسي معنى جمعية فيها هناك تعنى
شرح الهالي خطبة القاموس أبرز ما من ذاك في طموس (30)»

ومن الفوائد الأدبية الطريفة أن بعضهم نظم بيتين عزا فيهما للقاموس المحيط ضبط اسم "الشنفري" الشاعر الصعلوك مذكرا أنه أوردها في مادة "غرب" لأنه من أغربة العرب، ولم يذكرها في مادة "شفر" ولا "شنفر" يقول:

«قد ذكر القاموس أن الشنفري بالفتح وهو مومن بلا امترا
والأخذ في الغراب إذ هو منا أغربة العرب فزت بالمنى (31)»

ومن درر هذه الأنظام قول العلامة: محمد عبد الله بن الصديق الشنقيطي الجكني ناظما استدراك القاموس على الجوهري في "مراتب النخل" وزاد عليه، قال في القاموس: "وقول الجوهري: أول البسر طلع ثم خلال: إلخ غير جيد، والصواب: أوله طُلُع، فإذا انعقد فسياب، فإذا اخضر واستدار فجداً وسرادً وخلالاً، فإذا كبر شيئاً فبغُو، فإذا عظم فبسر، ثم مخطم، ثم موكت، ثم تذنب، ثم جمسة، ثم ثعدة، وخالع، وخالعة، فإذا انتهى نضجه فرطب، ومعو، ثم تمر، وبسطة ذلك في "الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف" فلينظر إن شاء الله تعالى؛ والأبيات هي:

«هاك مراتب ثمار النخلة مقطوفة وهي مني نحلة
الطلع فالسياب فالجدال ومثله السراد والخلال
فالبغُو ثن البسر فالمخطم ثم موكت بوكت معلّم
وبعده التذنب ثم بعده جُمستة وبعد ذلك ثعدة

(29) محمد الحسن بن أحمد الخديم، نزهة النفوس في روضة خطبة القاموس، مرجع سابق، ص: (96. 95).

(30) نفسه، ص: (192. 191).

(31) د. محمد بن أحمد بن المحبوبي، (مقال: المسحة الشنفريّة في المعارف المحظريّة)، مجلة العرب، صادرة عن دار اليمامة في الرياض بالمملكة العربية السعودية، عدد (يناير/ فبراير)، 2013، ص: (634. 635).

فخالع فخالعة فالرطب والمعو فالتمر أخيرا يحسب
أوضح ذا القاموس فيما أوضا لكنه نسي منه البَلَحَا
وعده في بابه بالتالي فقال بين البسر والخلال
والزهو للبسر الذي قد لونا وذاك في القاموس جاء بينا
وصاحب التاج عزا للأصمعي ما ستره وهو حبر ألمعي
فالأصمعي قال ما استدارا هو الخلال إن حوى اخضرارا
ثم إذا عظم فهو البسر وبعده الشُّقْحَةُ إذ تَحْمَرُّ (32)».

ومن أجل هذه الأعمال وأغزرها مادة نظم الشيخ العلامة: محمد بن الكرار اليعقوبي لمحرك القاموس، وهي الكلمات المحركة بالفتح، يقول مقدّمًا لهذا النظم «أما بعد فهذه أرجوزة نظمها أفقر العباد إلى ربه محمد بن الكرار اليعقوبي في محركات القاموس لمجد الدين الفيروز أبادي طيق اصطلاحه المخصص للفتح دون غيره من الحركات وربما أتيت بأشياء غير محركة، أو محركة بغير الفتح لتمام الفائدة (33)». وهو حسب ما يبدو من مخطوطته أنه يقع في جزأين، إلا أنني لم أجد منه إلا جزأه الأول الذي يقع في أربع وأربعين صفحة (44) من الحجم الكبير، وقد رتب أبوابه على الترتيب الألفبائي بدءًا بالهمزة فالباء فالتاء فالثاء فالجيم فالحاء فالخاء والدال والذال وتوقف عند نهاية حرف الراء، وقد بلغ هذا النظم (1229 بيتًا)، يقول في مقدمته:

«حمدي وشكري دائما للملك لدى سكوني ولدى تحرك
فهو الذي علمنا بالقلم وعلم الانسان مالم يعلم
مصليا مسلما على النبي محمد أفصح كل العرب
وآله وصحبه الأنجاء من جاهدوا بالسيف والكتاب
هذا وإن لغة القرآن إتقانها أمر عظيم الشأن
وهاك نظما يعتني بالحركة في ذلك العلم رجا البركة
ومرجعي في ذلك القاموس ليعرف الوحشي والمأنوس
سميته الدولاب ذا الحركة لأنه يسقي حياض اللغة
وذلك التحريك بالفتح فقط مصطلح بالأصل كان مرتبط
أي فعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل
وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل
وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل
وربما تركت لا عن جهل لفظا مقيسا تبعا للأصل
وربما خرجت عن ذي القاعدة محرّكا مسكنا للفائدة (34)».

(32) رويت هذه الأرجوزة عن الفتى النبه: أحمد الشيخ بن الشيخ العلامة: محمد عبد الرحمن محمد، بتاريخ: يوم الثلاثاء: 11 / 07 / 2023م.

(33) محمد بن الكرار اليعقوبي، نظم محرك القاموس، (مخطوط بحوزتنا نسخة منه)، ص: 1.

(34) نفسه، ص: 1.

ويقول في باب الهمزة:

«لَقَرِيَّةٌ بِمَضَرَ جِيَّ بِأَجَا مُحَرِّكًا وَجَبَلٍ لَطِيَّيَ
بَسِيَّ بِالشَّيْئِ إِذَا أَنَسَ بِهِ وَالْمَصْدُرُ الْبَسَاءُ مِنْهُ فَانْتَبَهَ
وَفِي جُمُوعِ الْجَبِّ جَاءَ الْجَبُّ وَوَزْنُهُ لَدَى الْقِيَاسِ نَبَأُ
وَالْجَبُّ بِالْكَمَةِ وَالْأَكْمَةُ وَبَنَقِيرٍ يَجْمَعُ الْمَاءَ انْعَبَتْ
وَجَنِيَّ الرَّجُلُ فَهَوَ يَجْنَأُ أَكَبَّ وَالْمَقْيُسُ فِيهِ الْجَنَأُ (35)».

ويقول في نهاية حرف الراء وبه ختم المؤلف هذا الكتاب:

«وَالْاِخْتِياَجُ جَكَرَ وَالْحَاجَةُ جَكَرَةٌ تَصْغِيرُهَا جُكِرَةٌ
وَالْجَمْرَاتُ فِي الْمَنَاسِكِ ثَلَاثُ حَدَثَ بِهَا لَا فَضَّ فَوْكَ يَا عُلَاثُ
فَالْجَمْرَةُ الْأُولَى مَعَ الْوُسْطَى الَّتِي كَانَتْ تَلِيهَا جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ (36)».

المحور السادس: العلماء الشناقطة وإسهامهم في تحقيق وشرح شواهد القاموس:

لم يحظ القاموس المحيط بتحقيق شواهد وشروحها من قبل العلماء والباحثين بما فيه الكفاية؛ رغم المكانة التي تبوأها عندهم كما رأينا سابقا من الاعتماد عليه في دراسة اللغة والبحث في تأصيلها باستثناء العمل الجليل الذي قدمه الشيخ العلامة: محمد سالم بن جد حيث تتبع شواهد القاموس وشرحها وحقق نسبتها إلى قائلها في كتابه الموسوم "ذيل الطاؤوس بتحقيق وشرح شواهد القاموس" وهو أول تحقيق علمي لمادة القاموس، وقد صرح بذلك أحدهم في تقديمه لهذا الكتاب «ورغم هذا الارتباط العضوي بينهم وبينه وقيمتها التي تجاوزت الحدود إلى حيث وصلت لغة الضاد، فإنَّ شواهدَه لم تحظَ عندهم ولا عندَ غيرهم من بني جلدتهم _ فيما أعلم _ بما ينبغي من التحقيق والتعليق؛ بل ظلت شبه مجهولة القائل والمناسبة عند الجمهور (37)».

ويُرجع المؤلف سبب تأليفه لهذا الكتاب إلى شغفه بالقاموس مبينا قصده من هذا التحقيق ومتسائلا ما الذي أحجم العلماء والباحثين عن تحقيق هذه الشواهد مع أهمية القاموس وعظم قدره؟ فيقول: «وَلِمَ لَا يَكُونُ هَذَا الشَّيْءُ مَغَامَرَةً مَحْرَجَةً مَمْتَعَةً؛ تَشْبَعُ النَّهْمُ وَتَرْضَى الْمِيلَ إِلَى الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ؟ فليكن تحقيق شواهد "القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط" للفيروز أبادي ولم لا؟ ألم يعمل العلماء أعمالا وصل بعضها إلى عشرة مجلدات لشواهد كتب لا تصل إلى مقدار القاموس؟ فما الذي حرم القاموس مما ناله غيره مما لا يوزن بغباره؟ من هنا فقد ارتأيت أن أتناول شواهد القاموس المحيط بالتحقيق والشرح والتعليق، وأعني بالشواهد الأبيات وأنصافها وما يدخل في سياقها من الأمثال (38)».

وقد جاء هذا الكتاب في سبعة وعشرين وثلاث مائة صفحة (327) من الحجم المتوسط، تشتمل على اثنين وستين ومائتين من الشواهد الشعرية من الأبيات وأنصاف الأبيات مبينا قائلها محسنا العزو إلى مصادره في نسبتها ومناسبتها أحيانا، مع ذكر البيت أو الأبيات التي تسبق الشاهد والبيت الذي يليه بعده، وموضحا محل الشاهد فيه، وبدأ المؤلف هذه الشواهد بالشرط التالي:

(35) _ نفسه، ص: 2.

(36) _ نفسه، ص: 44.

(37) _ محمد سالم بن جد، ذيل الطاؤوس بتحقيق وشرح شواهد القاموس، مرجع سابق، ص: ج، من المقدمة.

(38) _ نفسه، ص: 7.

«.....كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ»

فقال: «هذا الشطر عجز البيت السادس من قصيدة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي عدتها خمسة عشر بيتاً يمدح بها أبا سعيد الثغري تبدأ بقوله:

قل للأمير الأريحي الذي كفاه للبادي وللحاضر

إلى أن يقول:

لا زلت من شكري في حلة لابسها في سلب فاخر
يقول من تقرر أسنانه: كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ؟

وجملة "كم ترك الأول للآخر" بمثابة مثل دائر على الألسنة (39). وانتهى بذكر صدر البيت الآتي:

«ألم يأتيك والأنباء تنمي.....»

فقال عنه «شطر من مقطوف الوافر ورد في قول المجد عن الياءات: والياء الساكنة تترك على حالها في موضع الجزم (ألم يأتيك والأنباء تنمي) الشطر لقيس بن زهير العبسي وبيته:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

وقد ورد من قبل شاهداً على زيادة الباء وجاء هنا شاهداً على إثبات الياء مع عامل الجزم لأن جمهور العرب يحذفونها معه (40). هذا بالإضافة إلى ملحقات التحقيق التي جاءت في حدود ثمانين صفحة، وهي ستة كالاتي:

1. دليل الشواهد

2. ملحق العروض والقوافي

3. من نسبت لهم الشواهد والتعريف بهم

4. جدول القوافي والبحور والقائلين

5. معجم المفردات الغريبة

6. معجم المصادر والمراجع.

الخاتمة:

من خلال هذه الجولة في ثنايا التراث اللغوي الشنقيطي نخلص إلى جملة من النتائج أهمها ما يلي:

- أن بعض العلماء الشناقطة قد أكثر من الإحالة على القاموس المحيط في مؤلفاتهم اللغوية.
- أن بعضهم قام بنظم جملة من مواد القاموس اللغوية، إضافة إلى نظم بعض النكت والطرف والفوائد الأدبية كما رأينا آنفاً.
- أن العلماء الشناقطة رغم أهمية القاموس عندهم لم يحظ بنظم شامل لمادته اللغوية كاملة حسب ما أسعفتنا به مصادر التراث الشنقيطي، على غرار نظمهم لأمّهات الكتب الأخرى كما هو الحال مع نظم المختار بن بونا الجكني في طرته التي جمع فيها بين "التسهيل والخلاصة" في النحو والصرف، وكما هو الشأن مع "مختصر الشيخ خليل" في الفقه المالكي الذي نظمه غير واحد من العلماء من أمثال: الشيخ محمد المامي الباركي، والشيخ محمد سالم بن عدود رحمهم الله تعالى.

(39) نفسه، ص: 9.

(40) نفسه، ص: 254.

المصادر والمراجع:

- أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط1، (1329هـ/ 1911م).
- أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، دار صادر، بيروت، مطبعة الجوائب، سنة: 1299هـ.
- أحمد فارس الشدياق، سر الليال في القلب والإبدال، (بدون تاريخ).
- الحسن ولد زين الشنقيطي، الطرة توشيح لامية الأفعال لابن مالك بخياطة وترشيح: محمد سالم بن عدود، تحقيق: عبد الحميد بن محمد الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987.
- سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، نظم إضاءة الأدموس في شرح خطبة القاموس، تحقيق: عمار خميسي، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، (1426هـ/ 2005م).
- الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ط3، دار الفكر، بدون تاريخ.
- مجلة العرب، صادرة عن دار اليمامة في الرياض بالمملكة العربية السعودية، عدد (يناير/ فبراير) 2013.
- محمد الحسن بن أحمد الخديم، نزهة النفوس في روضة خطبة القاموس، تصحيح وإشراف: أحمد فال بن أحمد الخديم، ومحمد سالم بن أحمد الخديم، دار الشمس للطباعة والنشر والتوزيع، بجمهورية مصر العربية، بدون تاريخ.
- محمد بن مصطفى داود زاده، الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط، تحقيق ودراسة: سكيئة بنت عبد الله بن أحمد الكحلاني، تحت إشراف الدكتور: محمد بن أحمد خاطر، (رسالة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية) بكلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، للعام الدراسي: (1417هـ/ 1997م).
- محمد سالم بن جدو، ذيل الطائوس بتحقيق وشرح شواهد القاموس، تقديم: محمد باب خي، مطبعة المنارة، ط1، (1431هـ/ 2010م).
- محمد يوسف مقلد، شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء بيروت، 1962.
- مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر، ط1، 1306هـ.

نظام رباعي الابعاد مشتق من نظام Sprott-B

احمد ذنون شيت¹

¹ مدرس في وزارة التربية العراقية.

بريد الكتروني: ahmed.20csp139@student.uomosul.edu.iq

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/6>

تاريخ القبول: 2024/02/08م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

تم بناء نظام جديد رباعي الابعاد (4D) شديد الاضطراب مع نقطتي اتزان غير مستقرة، وذلك من خلال الاقتران بين نظام Sprott-B ثلاثي الابعاد ونظام خطي ذي بعد واحد (1D) باستخدام استراتيجية اقتران (Coupling strategy). بالمقارنة مع الأنظمة التقليدية، يعتبر النظام الجديد بسيطاً لأنه يتكون من سبعة حدود مع حدين غير خطيين. نظراً لطبيعة نقاط الاتزان، ينتمي هذا النظام إلى فئة الجواذب المتحفزة ذاتياً (Self-excited). أخيراً، تمت دراسة مسألة التزامن (Synchronization) للنظام المقترح من خلال نظرية الاستقرار وأظهرت المحاكاة العددية موافقتها مع النتائج النظرية.

الكلمات المفتاحية: أسيات Lyapunov (LEs)، متحفزة ذاتياً، نظام Sprott-B، التزامن.

RESEARCH TITLE

THE 4D SYSTEM IS DERIVED FROM THE SPROTT-B SYSTEM**Ahmed T. Sheet¹**¹ Teacher at the Iraqi Ministry of Education

Email: ahmed.20csp139@student.uomosul.edu.iq

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/6>**Published at 01/03/2024****Accepted at 08/02/2024****Abstract**

A new highly disordered four-dimensional (4D) system with two unstable equilibrium points was built by coupling a three-dimensional Sprott-B system with a one-dimensional (1D) linear system using a coupling strategy. Compared with traditional systems, the new system is simple because it consists of seven terms with two nonlinear terms. Due to the nature of the equilibrium points, this system belongs to the class of self-excited attractors. Finally, the issue of synchronization of the proposed system was studied through stability theory, and numerical simulation showed agreement with theoretical results.

I المقدمة

اكتسب تزامن الأنظمة غير الخطية المتصلة عبر شبكات واسعة النطاق شعبية في مجموعة متنوعة من التطبيقات، مثل شبكات الطاقة وشبكات الاستشعار وعلم الأحياء. في عام 1990، قدم كل من Pecora و Carroll أنظمة ذات جواذب متحفزة ذاتياً حيث تعتبر الظاهرة الأولى في تزامن الفوضى [1] التي حظيت باهتمام كبير في مختلف المجالات مثل الهندسة [2] والترميز [3] ومجالات أخرى. يتم وصف التزامن الكامل (Complete)synchronization من خلال تكافؤ نمو متغيرات الحالة بمرور الوقت. في هذه الأيام، يستخدم معظم علماء الرياضيات والفيزياء والمهندسين طريقة Lyapunov الثانية كأداة رئيسية في أعمالهم لتحديد استقرار الأنظمة الديناميكية [4].

يشير هذا البحث بشكل أساسي إلى أن التزامن الفوضوي لنظام شديد الاضطراب الجديد الذي قدمه Sprott كشف عن تسعة عشر نظاماً [5] بما في ذلك نظام Sprott-B المعروف، حيث تم الحصول على LEs بحيث يكون أكبر عنصر موجب من LEs هو 0.2169 وهو أكبر من النظام الأصلي، مما شجعنا على تكوين نظام جديد هو أننا تمكنا من تكوين نظام يحتوي 7 حدود، و يعتبر أبسط الأنظمة من هذا النوع، هذا هو أحد شروط تكوين النظام التي ذكرها Sprott [6]. **الجدول (1)** يلخص بعض أنظمة 4D المتاحة، ويركز على أهم الخصائص، بما في ذلك العدد الإجمالي للحدود، وآسية Lyapunov وكذلك سلوك الجواذب.

جدول (1) ملخص تصنيفات مختلفة للأنظمة الفوضى 4D.

التسلسل	سلوك النظام	$+veLEs$	عدد الحدود	سلوك الجواذب	المصدر
1.	فوضى	$n - 3$	10	مخفية	[7]
2.	شديد الاضطراب	$n - 2$	9	مخفية	[8]
3.	شديد الاضطراب	$n - 2$	9	متحفزة ذاتياً	[9]
4.	فوضى	$n - 3$	10	مخفية	[10]
5.	شديد الاضطراب	$n - 2$	11	متحفزة ذاتياً	[11]
6.	شديد الاضطراب	$n - 2$	12	متحفزة ذاتياً	[12]
7.	فوضى	$n - 3$	8	مخفية	[13]
8.	فوضى	$n - 3$	8	مخفية	[14]
9.	فوضى	$n - 3$	8	مخفية	[15]
10.	شديد الاضطراب	$n - 2$	9	متحفزة ذاتياً	[16]
11.	فوضى	$n - 3$	9	مخفية	[17]
12.	شديد الاضطراب	$n - 3$	7	متحفزة ذاتياً	هذا العمل

II وصف النظام

لإنشاء أنظمة جديدة تعتمد على الأنظمة متوفرة سابقًا، يمكن أن نستخدم سيطرة التغذية الراجعة (State feedback controller) واستراتيجية الاقتران (Coupling strategies). تتطلب الإستراتيجية الأولى إدخال متغير جديد في النظام الأصلي بالإضافة إلى المعادلة المقابلة. بينما بالنسبة للاستراتيجية الثانية، هناك حاجة فقط إلى الجمع بين نظامين مختلفين.

في عام 1994 اكتشف الباحث Sprott تسعة عشر نظامًا تتميز ببساطتها. يُعرّف النظام الفوضوي ثلاثي الأبعاد Sprott-B بأنه [5]:

$$\begin{cases} \dot{x} = yz \\ \dot{y} = x - y \\ \dot{z} = 1 - xy \end{cases} \quad (1)$$

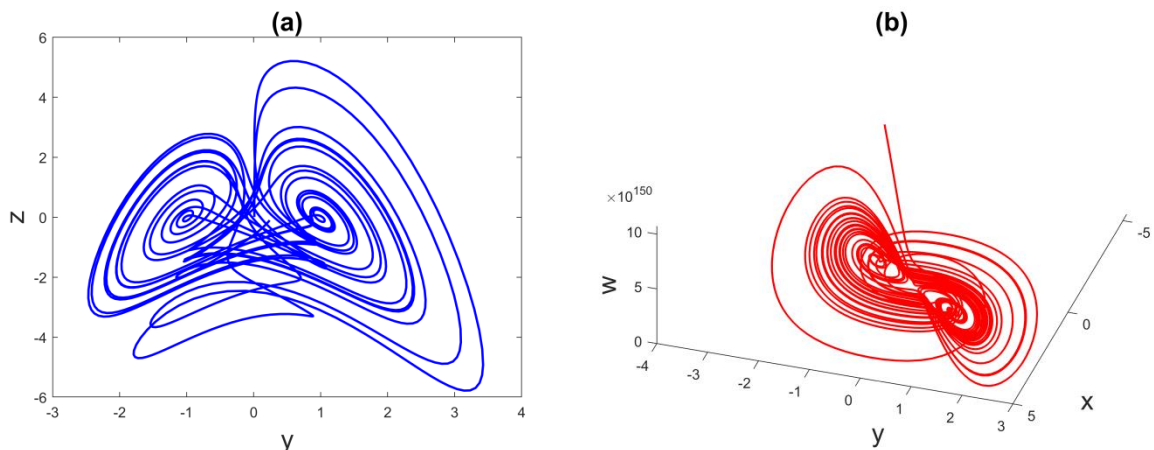
من الواضح أن هذا النظام يتكون من خمسة حدود فقط مع أسية Lyapunov موجبة واحدة وكما يلي:

$$\begin{cases} LE_1 = 0.210 \\ LE_2 = 0 \\ LE_3 = -1.210 \end{cases}$$

وأكبر أس يساوي $LE_1 = 0.210$. استنادًا إلى إستراتيجية الاقتران والنظام أعلاه، يتم إضافة نظام 1D ذي حدين خطيين بما في ذلك معلمة اقتران إلى النظام (1)، والذي ينتج نظامًا بسيطًا جديدًا Sprott-B رباعي الأبعاد شديد الاضطراب، يتم تقديمه على النحو التالي:

$$\begin{cases} \dot{x} = yz \\ \dot{y} = x - y \\ \dot{z} = 1 - xy \\ \dot{w} = ax + w \end{cases} \quad (2)$$

أن النظام الجديد (2) يتكون من سبعة حدود من ضمنها اثنان غير خطية. كما أنه نظام شديد الاضطراب (Hyperchaotic)، يمتلك نقطتي اتزان ذوات جواذب متحفزة ذاتيًا عند $a = 0.07$ مع القيمة الابتدائية (a): (0.01,0.01,0.01,0.01) وعند $a = 0.01$ (b): (0.3,0.2,0.3,0.1)، كما موضح في الشكل (1).



الشكل (1) جواذب النظام المتولد مع $a = 0.07$ في المستوى (a): $z - y$, $a = 0.01$ في فضاء الطور (b): $w - y - x$.

III تحليل النظام

يتم تحليل بعض الخصائص الأساسية للنظام الجديد (2) نظرياً وعددياً، أي نقاط الاتزان والاستقرارية و آسية Lyapunov ونُعد Kaplan–Yorke.

• نقاط الاتزان و الاستقرار (Equilibrium Points and Stability)

في الرياضيات، وتحديدًا في المعادلات التفاضلية، تعتبر نقاط الاتزان حلاً ثابتاً للمعادلات التفاضلية. لإيجاد نقاط الاتزان للنظام (2)، نحل المعادلات التالية:

$$\begin{cases} yz = 0 \\ x - y = 0 \\ 1 - xy = 0 \\ ax + w = 0 \end{cases} \quad (3)$$

فان النظام المتولد يمتلك نقطتي اتزان متناظرتين هما $E_1(1,1,0,-a)$ و $E_2(-1,-1,0,a)$. المصفوفة اليعقوبية (Jacobian matrix) عند E_1 و المعادلة المميزة (Characteristic equation) للنظام (2) يتم عرضهم بالتوالي على النحو التالي:

$$J = \begin{bmatrix} 0 & z & y & 0 \\ 1 & -1 & 0 & 0 \\ -y & -x & 0 & 0 \\ a & 0 & 0 & 1 \end{bmatrix} \Rightarrow J(E_1) = \begin{bmatrix} 0 & 0 & 1 & 0 \\ 1 & -1 & 0 & 0 \\ -1 & -1 & 0 & 0 \\ a & 0 & 0 & 1 \end{bmatrix} \quad (4)$$

$$\lambda^4 + \underbrace{\lambda}_{B_3} - \underbrace{2}_{B_4} = 0 \quad (5)$$

أما أثر المصفوفة (4) فيحسب كما يلي:

$$\nabla v = \frac{\partial \dot{x}}{\partial x} + \frac{\partial \dot{y}}{\partial y} + \frac{\partial \dot{z}}{\partial z} + \frac{\partial \dot{w}}{\partial w} = 0$$

بما انه أثر $(\nabla v = 0)$ ، فإن النظام يكون محافظاً (Conservative).

لتحديد استقرارية المعادلة (2) باستخدام معيار Routh–Hurwitz [18],

حيث $B_1 = B_2 = 0$, $B_3 = 1$, $B_4 = -2$ و بذلك تكون $B_4 < 0$ اذن النظام المتولد (2) غير مستقر (Unstable) وبذلك يصنف ذا جواذب متحفرة ذاتيا (Self-excited) شديد الاضطراب (Hyperchaotic).

ملاحظة: عند حل المعادلة (5) نحصل على

$$\begin{cases} \lambda_1 = 1 \\ \lambda_{2,3} = 0.1766 \pm 1.2028 i \\ \lambda_4 = -1.3532 \end{cases}$$

وبذلك النقاط E_2, E_1 تصبح Saddle-focus [5].

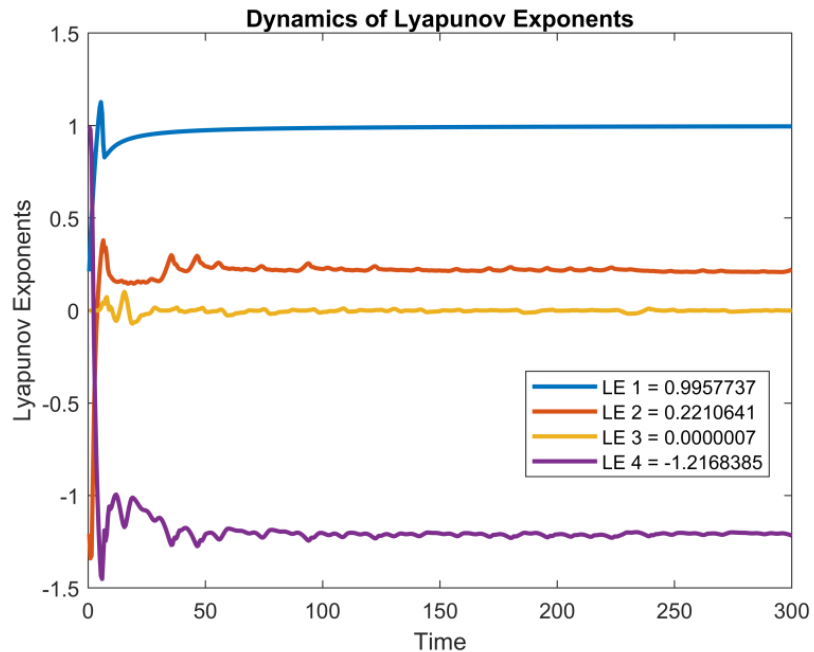
• آسية ليابونوف (Lyapunov Exponent)

باستخدام المعلمة $a = 0.1$ و القيمة الابتدائية $(0.01, 0.01, 0.01, 0.01)$ فإن آسية Lyapunov للنظام الجديد (2) هي:

$$\begin{cases} LE_1 = 0.9958 \\ LE_2 = 0.2211 \\ LE_3 = 0.0000 \\ LE_4 = -1.2168 \end{cases} \quad (6)$$

نلاحظ أن أكبر آسية Lyapunov للنظام الجديد (2) هي $(LE_1 = 0.9958)$ وبذلك تكون أكبر من النظام

الأصلي (1)، ($LE_1 = 0.21$)، مما يدل على أن النظام الجديد أكثر كفاءة من النظام الأصلي [19]، كما إن النظام الجديد يمتلك السمة $(n - 2) + ve$ اثنتان من أسية Lyapunov الموجبة كما موضح في الشكل (2).



الشكل (2) أسية Lyapunov للنظام (2) عند القيمة الابتدائية (0.01,0.01,0.01,0.01). كذلك مجموع أسية Lyapunov ($\sum_{i=1}^4 LE_i = 0$) وبما أنه $\sum LE_S = \nabla v$ ، إذن النتائج متطابقة مع الحلول العددية (Wolf's Algorithm).

و يتم حساب بعد Lyapunov (بعد Kaplan-Yorke) للنظام (2) هو:

$$D_{LE} = j + \frac{1}{|LE_{j+1}|} \sum_{i=1}^j LE_i = 3 + \frac{LE_1 + LE_2 + LE_3}{|LE_4|} = 3.9999$$

من خلال برنامج Wolf's algorithm فإن النظام المتولد دائما يكون شديد الاضطراب تحت القيمة الابتدائية (0.01,0.01,0.01,0.01) و الجدول (2) يعرض هذا السلوك مع قيم مختلفة للمعلمة a .

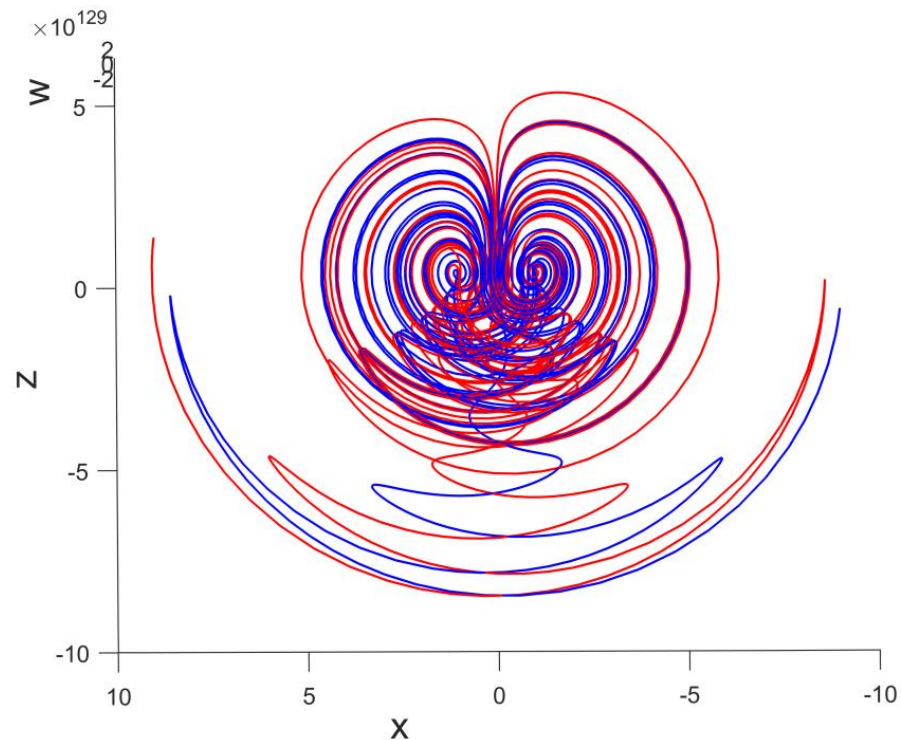
جدول (2) LE_S للنظام (2) مع القيمة الابتدائية (0.01,0.01,0.01,0.01) وقيم مختلفة للمعلمة a .

a	LE_1	LE_2	LE_3	LE_4	اشارات LE_S	السلوك	التسلسل
0.3	0.9994	0.2285	-0.0006	-1.2274	(+, +, 0, -)	شديد الاضطراب	1.
0.09	0.9954	0.2117	0.0000	-1.2071	(+, +, 0, -)	شديد الاضطراب	2.
0.58	1.0016	0.2135	-0.0002	-1.2149	(+, +, 0, -)	شديد الاضطراب	3.
0.587	1.0017	0.2097	0.0000	-1.2115	(+, +, 0, -)	شديد الاضطراب	4.
0.619	1.0019	0.2232	0.0000	-1.2251	(+, +, 0, -)	شديد الاضطراب	5.
0.914	1.0031	0.2141	0.0003	-1.2175	(+, +, 0, -)	شديد الاضطراب	6.

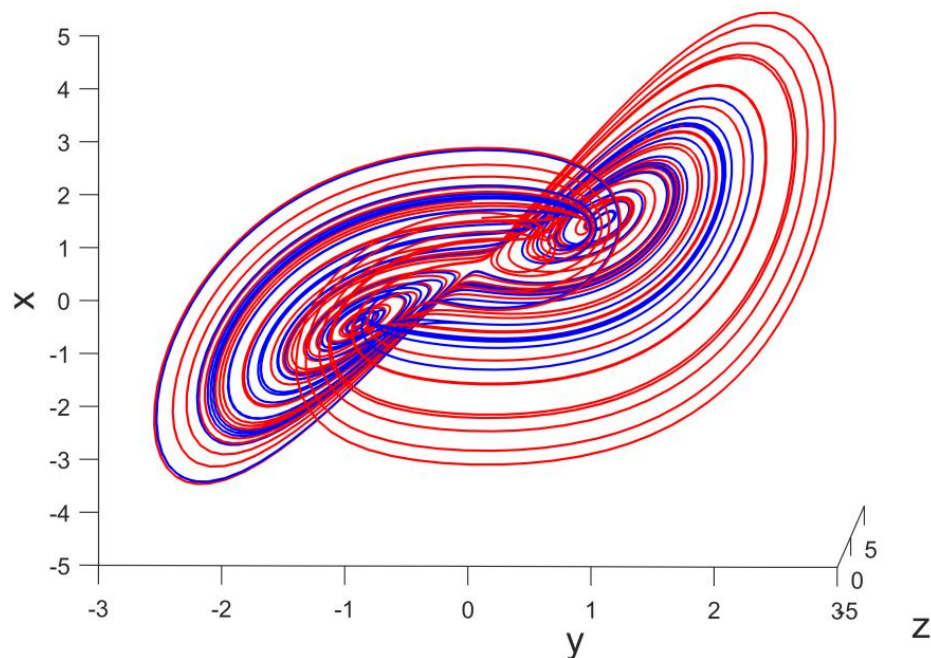
IV سلوك التعايش (Coexistence of attractors)

باستخدام فضاء الطور، فإن جواذب النظام المتولد تتمثل في الشكل (3) تحت نفس المعلمة $a = 0.01$ و القيم الابتدائية المتناظرة، القيمة الاولى (9,5,1,0.1) باللون الأحمر و القيمة الثانية

(4) الشكل (4) تحت المعلمة $a = 4.1$ مع القيم الابتدائية المتناظرة، $(-9, -5, -1, -0.1)$ و باللون الأزرق. و القيمة الأولى $(1, 0, 0.02, 0)$ (أحمر) و القيمة الثانية $(-1, 0, -0.02, 0)$ (أزرق).



(3) الشكل (3) الفضاء $x-z-w$, التعايش لجاذبين مع $a = 0.01$ والقيمة الابتدائية المتناظرة $(9, 5, 1, 0.1)$ (أحمر) و $(-9, -5, -1, -0.1)$ (أزرق).



(4) الشكل (4) الفضاء $x-y-z$, التعايش لجاذبين مع $a = 4.1$ والقيم الابتدائية المتناظرة $(1, 0, 0.02, 0)$ (أحمر) و $(-1, 0, -0.02, 0)$ (أزرق).

V التزامن الكامل (Complete synchronization)

يمكن تعريف نظامي القيادة (Drive) و الاستجابة (Response) للنظام الجديد (2) من خلال المعادلتين (7) و (8)، على التوالي:

$$\begin{cases} \dot{x}_1 = y_1 z_1 \\ \dot{y}_1 = x_1 - y_1 \\ \dot{z}_1 = 1 - x_1 y_1 \\ \dot{w}_1 = a x_1 + w_1 \end{cases} \quad (7)$$

$$\begin{cases} \dot{x}_2 = y_2 z_2 + u_1 \\ \dot{y}_2 = x_2 - y_2 + u_2 \\ \dot{z}_2 = 1 - x_2 y_2 + u_3 \\ \dot{w}_2 = a x_2 + w_2 + u_4 \end{cases} \quad (8)$$

و نعرف خطأ التزامن (Synchronization error) بين النظامين (7) و (8) كالتالي:

$$\begin{bmatrix} e_1 \\ e_2 \\ e_3 \\ e_4 \end{bmatrix} = \begin{bmatrix} x_2 \\ y_2 \\ z_2 \\ w_2 \end{bmatrix} - \underbrace{\begin{bmatrix} 1 & 0 & 0 & 0 \\ 0 & 1 & 0 & 0 \\ 0 & 0 & 1 & 0 \\ 0 & 0 & 0 & 1 \end{bmatrix}}_K \begin{bmatrix} x_1 \\ y_1 \\ z_1 \\ w_1 \end{bmatrix} \quad (9)$$

يطلق على هذا التزامن بالتزامن الكامل، حيث ان K هي مصفوفة القياس و ان

$(\forall k_{ii} = 1; i = 1, 2, 3, 4)$ وبذلك فإن مصفوفة القياس هي مصفوفة الوحدة.

بتطبيق العلاقة (9) نحصل على خطأ النظام الديناميكي بين النظامين (7) و (8) في المعادلة (10).

$$\begin{cases} \dot{e}_1 = e_2 e_3 + y_1 e_3 + z_1 e_2 + u_1 \\ \dot{e}_2 = e_1 - e_2 + u_2 \\ \dot{e}_3 = -e_1 e_2 - x_1 e_2 - y_1 e_1 + u_3 \\ \dot{e}_4 = a e_1 + e_4 + u_4 \end{cases} \quad (10)$$

و لتحقيق التزامن يجب تطبيق الشرط التالي:

$$\lim_{t \rightarrow \infty} \|e_i(t)\| = 0; i = 1, 2, 3, 4 \quad (11)$$

مبرهنة: إذ تم تصميم وحدة السيطرة (Controller) كالتالي:

$$\begin{cases} u_1 = -e_1 - e_2 - a e_4 \\ u_2 = -z_1 e_1 + x_1 e_3 \\ u_3 = -e_3 \\ u_4 = -2 e_4 \end{cases} \quad (12)$$

فان نظام الاستجابة يتبع نظام القيادة.

البرهان: بتعويض السيطرة (12) في المعادلة (10)، نحصل على:

$$\begin{cases} \dot{e}_1 = e_2 e_3 + y_1 e_3 + z_1 e_2 - e_1 - e_2 - a e_4 \\ \dot{e}_2 = e_1 - e_2 - z_1 e_1 + x_1 e_3 \\ \dot{e}_3 = -e_1 e_2 - x_1 e_2 - y_1 e_1 - e_3 \\ \dot{e}_4 = a e_1 - e_4 \end{cases} \quad (13)$$

$$V(e_i) = e_i^T P e_i$$

و باختيار دالة Lyapunov نحصل على:

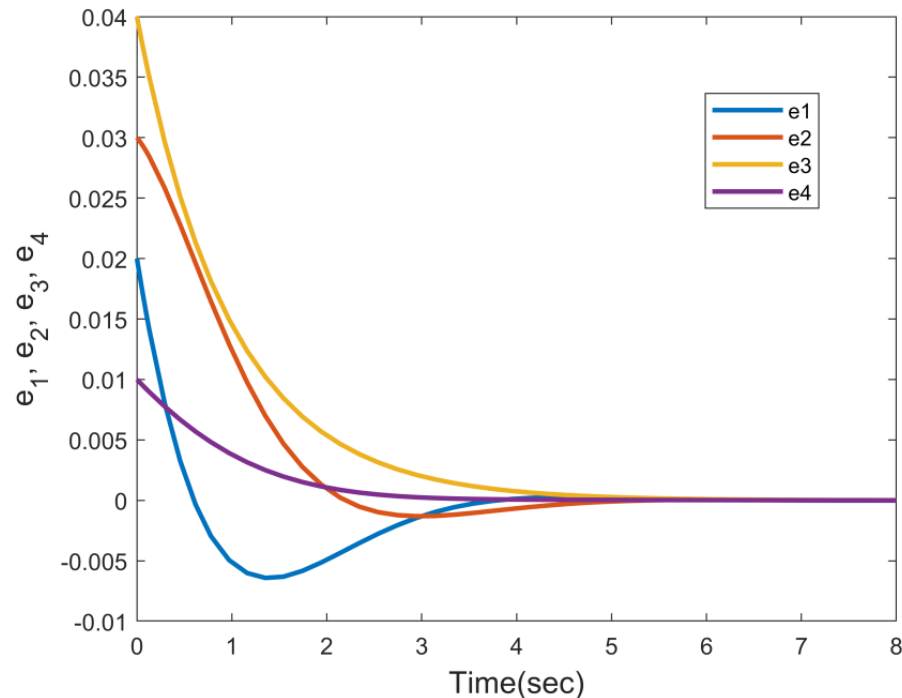
$$\Rightarrow V(e_i) = [e_1 \ e_2 \ e_3 \ e_4] \underbrace{\begin{bmatrix} 3 & 0 & 0 & 0 \\ 0 & \frac{1}{2} & 0 & 0 \\ 0 & 0 & \frac{1}{2} & 0 \\ 0 & 0 & 0 & \frac{1}{2} \end{bmatrix}}_P \begin{bmatrix} e_1 \\ e_2 \\ e_3 \\ e_4 \end{bmatrix} \quad (14)$$

و مشتقة المعادلة (14) بالنسبة للزمن تكون:

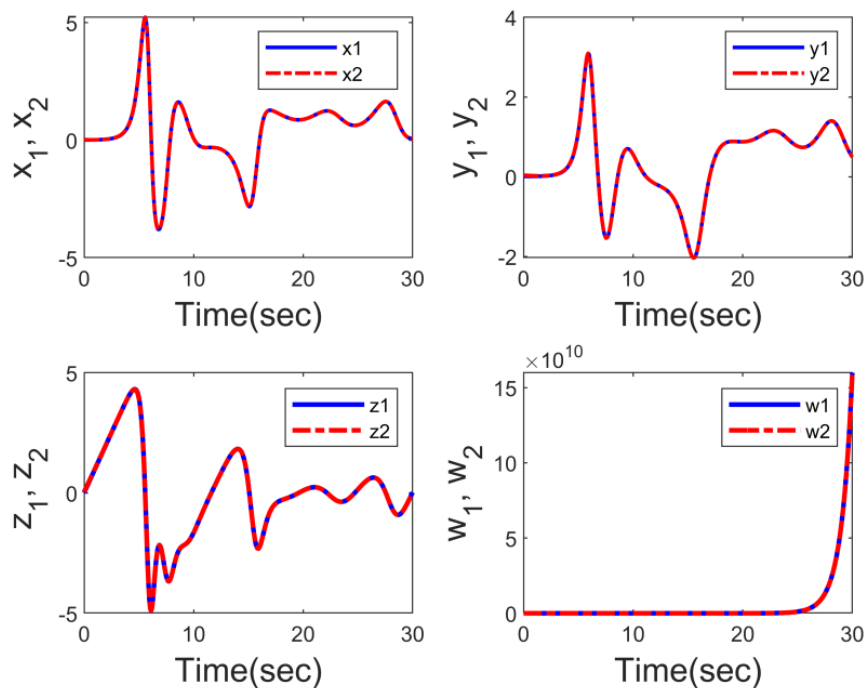
$$\begin{aligned} \dot{V}(e_i) &= 6e_1\dot{e}_1 + e_2\dot{e}_2 + e_3\dot{e}_3 + e_4\dot{e}_4 \\ \dot{V}(e) &= 6e_1(e_2e_3 + y_1e_3 + z_1e_2 - e_1 - e_2 - ae_4) + e_2(e_1 - e_2 - z_1e_1 + x_1e_3) \\ &\quad + e_3(-x_1e_2 - e_3) + e_4(ae_1 - e_4) \\ \dot{V}(e_i) &= -6e_1^2 - e_2^2 - e_3^2 - e_4^2 \\ &= -[e_1 \ e_2 \ e_3 \ e_4] \underbrace{\begin{bmatrix} 6 & 0 & 0 & 0 \\ 0 & 1 & 0 & 0 \\ 0 & 0 & 1 & 0 \\ 0 & 0 & 0 & 1 \end{bmatrix}}_Q \begin{bmatrix} e_1 \\ e_2 \\ e_3 \\ e_4 \end{bmatrix} \end{aligned}$$

$$\dot{V}(e_i) = -e_i^T Q e_i \quad (15)$$

حيث $Q = \text{diag}(6,1,1,1)$ يؤدي الى $Q > 0$. كما ان $\dot{V}(e_i) < 0$ على R^4 . السيطرة (12) يحقق عدديا التزامن الكامل (Complete synchronization). كما موضح في الشكلين (5) و (6)، التزامن الكامل الحاصل بين النظامين (7) و (8) مع القيم الابتدائية (0.01,0.01,0.01,0.01) و (0.03,0.04,0.05,0.02)، وهذا يؤكد صحة النتائج النظرية.



الشكل (5) خطأ التزامن (Synchronization error) مع السيطرة (12).



الشكل (13.2) التزامن الكامل (The complete synchronization).

VI المستخلص

بالاعتماد على نظام Sprott-B المعروف وطريقة الاقتران، تم تقديم نظام جديد بسيط شديد الاضطراب رباعي الأبعاد مع سبعة حدود. يحتوي النظام المقترح على نقطتي انتران غير مستقرتين وينتميان إلى فئة الجواذب المتحفزة ذاتيًا، بالإضافة إلى أنه يحتوي على ميزة $(n-2)$ من أسية Lyapunov الموجبة، و أكبر أس Lyapunov التي تم الحصول عليها هي أكبر من النظام الأصلي. نعتقد أن العمل البحثي يجب أن يكون مفيداً ويمكن تعيينه للمساهمة في المؤلفات العلمية حول طرق المزامنة الكاملة التي قد يكون لها تطبيقات في مختلف مجالات الرياضيات التطبيقية مع الاتصال آلامن.

المصادر

- [1] L. M. Pecora and T. L. Carroll, 'Synchronization of chaotic systems', *Chaos*, vol. 25, no. 9, p. 097611, Sep. 2015, doi: 10.1063/1.4917383.
- [2] S. Santhanalakshmi, K. Sangeeta, and G. K. Patra, 'Design of group key agreement protocol using neural key synchronization', *Journal of Interdisciplinary Mathematics*, vol. 23, no. 2, pp. 435–451, Feb. 2020, doi: 10.1080/09720502.2020.1731956.
- [3] S. A. Fadhel, Z. N. Al-Kateeb, and M. J. AL-Shamdeen, 'An Improved Data Hiding using Pixel Value Difference Method and Hyperchaotic System', *J. Phys.: Conf. Ser.*, vol. 1879, no. 2, p. 022089, May 2021, doi: 10.1088/1742-6596/1879/2/022089.
- [4] S. F. AL-Azzawi and A. S. Al-Obeidi, 'Chaos synchronization in a new 6D hyperchaotic system with self-excited attractors and seventeen terms', *Asian-European J. Math.*, vol. 14, no. 05, p. 2150085, May 2021, doi: 10.1142/S1793557121500856.
- [5] J. C. Sprott, 'Some simple chaotic flows', *Phys. Rev. E*, vol. 50, no. 2, pp. R647–R650, Aug. 1994, doi: 10.1103/PhysRevE.50.R647.
- [6] J. C. Sprott, 'A proposed standard for the publication of new chaotic systems',

- Int. J. Bifurcation Chaos*, vol. 21, no. 09, pp. 2391–2394, Sep. 2011, doi: 10.1142/S021812741103009X.
- [7] Q. Deng, C. Wang, and L. Yang, ‘Four-Wing Hidden Attractors with One Stable Equilibrium Point’, *Int. J. Bifurcation Chaos*, vol. 30, no. 06, p. 2050086, May 2020, doi: 10.1142/S0218127420500868.
- [8] Z. Wang, S. Cang, E. O. Ochola, and Y. Sun, ‘A hyperchaotic system without equilibrium’, *Nonlinear Dyn*, vol. 69, no. 1, pp. 531–537, Jul. 2012, doi: 10.1007/s11071-011-0284-z.
- [9] S. Dadras, H. R. Momeni, G. Qi, and Z. Wang, ‘Four-wing hyperchaotic attractor generated from a new 4D system with one equilibrium and its fractional-order form’, *Nonlinear Dyn*, vol. 67, no. 2, pp. 1161–1173, Jan. 2012, doi: 10.1007/s11071-011-0060-0.
- [10] M. A. Al-hayali and F. S. Al-Azzawi, ‘A 4D hyperchaotic Sprott S system with multistability and hidden attractors’, *J. Phys.: Conf. Ser.*, vol. 1879, no. 3, p. 032031, May 2021, doi: 10.1088/1742-6596/1879/3/032031.
- [11] H. Yu, G. Cai, and Y. Li, ‘Dynamic analysis and control of a new hyperchaotic finance system’, *Nonlinear Dyn*, vol. 67, no. 3, pp. 2171–2182, Feb. 2012, doi: 10.1007/s11071-011-0137-9.
- [12] G. Laarem, ‘A new 4-D hyper chaotic system generated from the 3-D Rössler chaotic system, dynamical analysis, chaos stabilization via an optimized linear feedback control, it’s fractional order model and chaos synchronization using optimized fractional order sliding mode control’, *Chaos, Solitons & Fractals*, vol. 152, p. 111437, Nov. 2021, doi: 10.1016/j.chaos.2021.111437.
- [13] S. Zhang, Y. Zeng, Z. Li, M. Wang, X. Zhang, and D. Chang, ‘A novel simple no-equilibrium chaotic system with complex hidden dynamics’, *Int. J. Dynam. Control*, vol. 6, no. 4, pp. 1465–1476, Dec. 2018, doi: 10.1007/s40435-018-0413-3.
- [14] J. P. Singh and B. K. Roy, ‘Multistability and hidden chaotic attractors in a new simple 4-D chaotic system with chaotic 2-torus behaviour’, *Int. J. Dynam. Control*, vol. 6, no. 2, pp. 529–538, Jun. 2018, doi: 10.1007/s40435-017-0332-8.
- [15] J. P. Singh and B. K. Roy, ‘Coexistence of asymmetric hidden chaotic attractors in a new simple 4-D chaotic system with curve of equilibria’, *Optik*, vol. 145, pp. 209–217, Sep. 2017, doi: 10.1016/j.ijleo.2017.07.042.
- [16] P. Prakash *et al.*, ‘A Novel Simple 4-D Hyperchaotic System with a Saddle-Point Index-2 Equilibrium Point and Multistability: Design and FPGA-Based Applications’, *Circuits Syst Signal Process*, vol. 39, no. 9, pp. 4259–4280, Sep. 2020, doi: 10.1007/s00034-020-01367-0.
- [17] V.-T. Pham, X. Wang, S. Jafari, C. Volos, and T. Kapitaniak, ‘From Wang–Chen System with Only One Stable Equilibrium to a New Chaotic System Without Equilibrium’, *Int. J. Bifurcation Chaos*, vol. 27, no. 06, p. 1750097, Jun. 2017, doi: 10.1142/S0218127417500973.
- [18] L. Allen, *Introduction to Mathematical Biology*, An. Upper Saddle River, NJ: Pearson, 2006.
- [19] P. Zhou, X. Hu, Z. Zhu, and J. Ma, ‘What is the most suitable Lyapunov function?’, *Chaos, Solitons & Fractals*, vol. 150, p. 111154, Sep. 2021, doi: 10.1016/j.chaos.2021.111154.

عنوان البحث

الارتقاء التقني للتهجين الوظيفي في الفضاءات الداخلية المعاصرة

أ.م.د. محمد حسن حياوي الحلوي¹ محمد مؤيد حاتم الانباري²

¹ الجامعة التقنية الوسطى، معهد الفنون التطبيقية، العراق. بريد الكتروني: Mah.alhilo@mtu.edu.iq

² الجامعة التقنية الوسطى، كلية الفنون التطبيقية، العراق. بريد الكتروني: mohamedalanbary60@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/7>

تاريخ القبول: 2024/02/08م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

الارتقاء التقني للتهجين الوظيفي في التصميم الداخلي يعني استخدام التكنولوجيا والتقنيات المتقدمة لتحسين وتطوير المساحات الداخلية، يتضمن هذا التحديث تكامل العناصر الوظيفية والجمالية والتكنولوجية بطرق مبتكرة لتحقيق توازن مثالي وتلبية احتياجات المستخدمين، حيث يتم تحسين الأداء والكفاءة باستخدام الأنظمة الذكية، وتعزيز الراحة والأمان، مما يساهم في خلق بيئات داخلية متعددة الأبعاد تجمع بين الوظيفة والجمال والتكنولوجيا، ومن خلال اطلاع الباحثان على العديد من تصاميم (المعارض العالمية) اتضح ان للارتقاء التقني للتهجين الوظيفي دورا في تصميم المعارض العالمية، وفي ضوء ذلك تم تحديد مشكلة البحث بالتساؤل الاتي: ما الدور الذي يحققه الارتقاء التقني للتهجين الوظيفي للتصاميم الداخلية المعاصرة؟ في حين تبرز أهمية هذه الدراسة بكونها تبحث في زيادة الوعي التصميمي لدى المصممين بالاطلاع على تطورات الفكر الانساني في تهجين الفضاء الداخلي، وكذلك معرفه مدى الفاعلية التصميمية للتهجين الوظيفي في الفضاءات الداخلية لمعارض (اكسبو) العالمية، بينما يتجسد هدف البحث من خلال الكشف عن الدور الذي يحققه الارتقاء التقني للتهجين الوظيفي للتصاميم الداخلية المعاصرة في الفضاءات الداخلية لمعارض (اكسبو) العالمية، حيث نتمكن من فهم أفضل لكيفية تحقيقه والمشكلات المرتبطة بحلوله، للوصول إلى القواعد التي يجب إتباعها عند القيام بتصميم فضاء داخلي هجين.. كما تضمنت حدوده المكانية والزمانية الفضاءات الداخلية والمتمثلة المعارض العالمية، المتمثلة بمعرض (اكسبو) في دولة الامارات لسنة (2020م) من ثم تناول الباحثان الإطار النظري للبحث، ومن بعد ذلك تناول الباحثان إجراءات البحث للوصول الى استخلاص نتائج واستنتاجات الدراسة البحثية.

الكلمات المفتاحية: الارتقاء التقني، التهجين، المعاصرة.

RESEARCH TITLE

**TECHNICAL ELEVATION OF FUNCTIONAL
HYBRIDIZATION IN CONTEMPORARY INTERIOR SPACES****Prof. Ass. Dr. Mahmud Hasan H. Nama Alhilo¹ Mahmud Moied H. Nama**¹ Applied Arts Institute - Middle Technical University, Baghdad, Iraq.Mah.alhilo@mtu.edu.iq² College of Applied Arts - Middle Technical University, Baghdad, Iraq.mohamedalanbary60@gmail.comHNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/7>**Published at 01/03/2024****Accepted at 08/02/2024****Abstract**

The technological elevation of functional hybridization in interior design refers to the use of advanced technology and techniques to improve and develop interior spaces. This update includes integrating functional, aesthetic, and technological elements in innovative ways to achieve an ideal balance and meet user needs, enhancing performance and efficiency through smart systems, and promoting comfort and safety. Through the researchers' examination of numerous designs (global exhibitions), it became clear that the technological elevation of functional hybridization plays a role in designing global exhibitions. In light of this, the research problem was identified by the following question: What role does the technological elevation of functional hybridization achieve for contemporary interior designs? The importance of this study emerges as it explores increasing design awareness among designers by examining the developments in human thought in hybridizing interior space, as well as understanding the design effectiveness of functional hybridization in the interior spaces of global (Expo) exhibitions. The research aim is manifested through uncovering the role that technological elevation of functional hybridization achieves for contemporary interior designs in the interior spaces of global (Expo) exhibitions. The spatial and temporal boundaries included the interior spaces and the represented global exhibitions, represented by the (Expo) exhibition in the UAE for the year (2020). Then, the researchers addressed the theoretical framework of the research, and after that, the researchers addressed the research procedures to arrive at extracting the results and conclusions of the research study.

Key Words: Advancement or Elevation, Technology, Hybridization, Interior Space, Contemporary or Modernity

المقدمة:

الارتقاء التقني في مجال التهجين الوظيفي للفضاءات الداخلية المعاصرة يشير إلى استخدام التكنولوجيا والتقنيات المتقدمة لتحسين وتطوير تلك الفضاءات، يتضمن هذا المفهوم تطبيق التكنولوجيا بشكل مبتكر لتعزيز الجودة والأداء والاستدامة في التصميم الداخلي، حيث يمكن أن يتضمن الارتقاء التقني في التهجين الوظيفي تطبيق أنظمة الذكاء الاصطناعي لتحسين إدارة الطاقة والإضاءة داخل الفضاء، واستخدام أنظمة الاستشعار لجمع البيانات حول استخدام المكان واستهلاك الموارد، مما يمكن أصحاب المباني من اتخاذ قرارات أفضل لتحسين الكفاءة والاستدامة، بالإضافة إلى ذلك، يُمكن استخدام التكنولوجيا لتعزيز تجربة المستخدم داخل الفضاء، ذلك يشمل استخدام الواقع الافتراضي وتقنيات التفاعل البصري والصوتي لخلق تجارب مثيرة و ممتعة، هذا التطور يشمل أيضًا مفهوم الأمان والخصوصية، حيث يتم استخدام التكنولوجيا لحماية المعلومات والبيانات الشخصية للمستخدمين داخل هذه الفضاءات. باختصار، الارتقاء التقني في مجال التهجين الوظيفي للفضاءات الداخلية يهدف إلى توظيف التكنولوجيا بشكل إبداعي لتطوير وتحسين جميع جوانب تصميم الفضاءات الداخلية، وذلك بما في ذلك الأمان والكفاءة والاستدامة وجودة التجربة الإنسانية.

مشكلة البحث والحاجة الية.**1-1 مشكلة البحث:**

نتيجة للتطور التقني الحاصل على مستوى العالم ظهرت احتياجات جديدة للمستخدمين مما أدى الى انتاج فضاءات جديدة غير مألوفة سابقا، والتي يجب ان تؤدي الوظائف التي وجدت من اجلها، ومن خلال ذلك ولعدم وجود تصور واضح عن الارتقاء التقني ودوره في التهجين الوظيفي في التصميم الداخلي، مما قادنا الى التساؤل الاتي: ما الدور الذي يحققه الارتقاء التقني للتهجين الوظيفي للتصاميم الداخلية المعاصرة؟

2-1 أهمية البحث:

تتجسد أهمية الدراسة البحثية من خلال الاتي: -

أ- زيادة الوعي التصميمي لدى المصممين بالاطلاع على تطورات الفكر الانساني في تهجين الفضاء الداخلي.

ب- تكمن اهمية الدراسة البحثية في معرفه مدى الفاعلية التصميمية للتهجين الوظيفي في الفضاءات الداخلية لمعارض (اكسبو) العالمية.

3-1 هدف البحث:

يتجسد هدف البحث من خلال الكشف عن الدور الذي يحققه الارتقاء التقني للتهجين الوظيفي للتصاميم الداخلية المعاصرة في الفضاءات الداخلية لمعارض (اكسبو) العالمية¹.

4-1 حدود البحث:

أ- الحد الموضوعي: دور الارتقاء التقني للتهجين الوظيفي في التصميم الداخلي المعاصر.

ب- الحد المكاني: المعارض العالمية، المتمثلة بمعرض (اكسبو) في دولة الامارات.

ت- الحد الزمني: (2020) م.

¹ معرض اكسبو هو معرض دولي يقام كل خمس سنوات في إحدى مدن العالم منذ القرن التاسع عشر. يُعد معرض اكسبو حدثًا عالميًا يقام لعرض أحدث الابتكارات في مجموعة متنوعة من المجالات، بما في ذلك التكنولوجيا والعلوم والفن والثقافة. (<https://www.expo2020dubai.com/ar>)

1-5 تحديد المصطلحات:

- **الارتقاء التقني:** هو اعتلاء الفكرة التصميمية تخطيطاً وتنفيذاً وصولاً إلى الرقي بتصميم متميز ومبهر باستعمال مكونات تصميمية تفاعلية عن طريق الالتقاء والتنوع فكرياً وتطبيقياً، ليواكب تطور العصر وصولاً إلى مستويات ترتقي بالتصميم الداخلي. (روزنتال، 1981، ص 286).
- **التهجين:** (هي تلك السمة الأساسية، لشيء مشتق من مصادر وعناصر غير متجانسة، لكنه يظهر بالنتيجة ككيان متميز). (كاثرين ميتشل، 2000، ص 1).
- **المعاصرة:** هو أن يتضمن العمل التصميمي سمات وملامح عصره ومعطياته الجمالية فضلاً عن بعده الزمني الراهن. (الدباغ، 1993، ص ١٧).

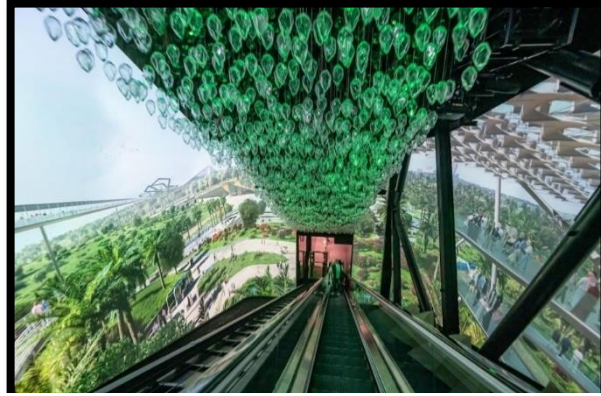
الإطار النظري:

1-2 التهجين الوظيفي والتصميم الداخلي: -

ان أصل مصطلح "التهجين" يعود إلى مجال علم الوراثة وعلم الأحياء، حيث يُستخدم مصطلح "التهجين" لوصف عملية انتاج نسل جديد يمتلك صفات تركيبية ووراثية مختلفة عن الوالدين، وفي سياق علم الوراثة، يشير التهجين إلى دمج أنواع مختلفة من الجينات أو الأنماط الوراثية لإنتاج نسل جديد يحمل صفات موروثية مختلفة، ان هذا النوع من التكاثر يلعب دوراً هاماً في تطور الكائنات الحية وتعزيز التنوع الوراثي، كما ان مفهوم التهجين يمكن أن يطبق أيضاً في سياقات أخرى خارج علم الوراثة، مثل التصميم والتكنولوجيا والفنون، حيث يُستخدم لوصف دمج عناصر مختلفة معاً لإنتاج شيء جديد أو مبتكر. (اليسون جيلبرت، ص 211، 2016)

ان معنى الوظيفة بصورة عامة هو ان تؤدي الاشياء المصنوعة الاغراض التي صنعت من اجلها، اما مفهوم التصميم الداخلي فيمكن عدّه هو تحقيق بيئة داخلية مدروسة ضمن الفكرة التصميمية المبنية ضمن مجموعة من القوانين والبيانات التصميمية التي تحدد الفضاءات الداخلية التي على اساسها تتم معالجتها بحسب عناصرها المادية. (لقاء احمد عبد الرحمن، اسراء وليد حميد، ص 299، 2022)

اما التهجين في التصميم الداخلي هو مفهوم يهدف إلى دمج مختلف العناصر والعوامل في تصميم الفضاءات الداخلية بهدف تطوير وتحسين جميع جوانب تصميم الفضاءات الداخلية، يشمل هذا الأسلوب الجمع بين العناصر العملية والجمالية والتكنولوجية لإنشاء فضاءات داخلية تلبي احتياجات المستخدمين بشكل متكامل، حيث يتم التفكير في كيفية استغلال المساحة بشكل أفضل لتلبية الاحتياجات الوظيفية والعملية، مثل الراحة والكفاءة، فضلاً عن النظر في جعل المساحة جميلة وجاذبة بواسطة العناصر الجمالية والفنية، يمكن أيضاً استخدام التكنولوجيا المتقدمة لتحسين أداء المساحة وراحة المستخدمين، مما يساهم في تحسين تجربتهم، كما انه يساهم في خلق بيئات داخلية متعددة الأبعاد تجمع بين الجودة والفن والتكنولوجيا، ينظر للشكل رقم (1)، مما يساعد في تحقيق توازن مثالي يلبي احتياجات وتوقعات المستخدمين الحديثين. (ماري ستيل ودانييل رينولدز، ص 167، 2017)



الشكل رقم (1) يوضح دور التهجين في التصميم الداخلي باستخدام الجدران والسقوف الافتراضية.
المصدر: <https://2u.pw/MSkvU2m>

التهجين هو مصطلح يُستخدم أصلاً في علم الوراثة لوصف دمج أنواع مختلفة لإنتاج نسل جديد، يُطبق هذا المصطلح أيضًا في مجال التصميم الداخلي لوصف دمج العناصر الوظيفية والجمالية والتكنولوجية لإنشاء فضاءات داخلية مثالية تجمع بين الوظيفة والجمال وراحة المستخدمين.

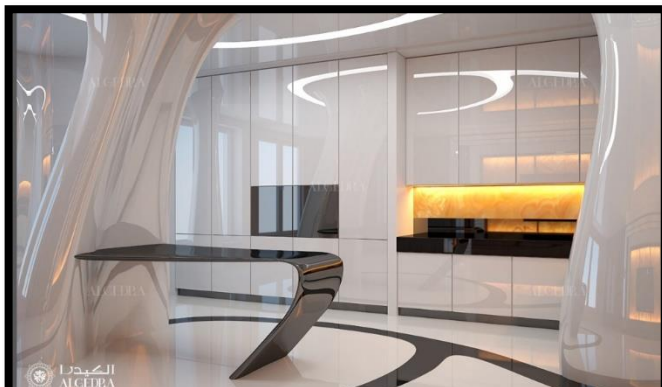
2-2 الارتقاء التقني في التصميم الداخلي: -

ظهر الارتقاء التقني كأسلوب جديد ومتكامل في ملائحته لسرعة الحياة ومتطلبات الإنسان وإشباع رغباته وحل المشكلات، إذ إن بعض الفضاءات الداخلية تحتاج إلى ترقية وتطوير في تصاميمها ضمن احتياجات المجتمع والاهتمام في بعض الفئات (ياسر كريم حسن، نرمين وميض احمد، ص284، 2022)، وخاصة المعارض العالمية الحديثة.

ونتيجة التطور الحاصل ظهرت أنماط جديدة من المباني والتصاميم التي تحمل روح العصر من النواحي الشكلية سواء كان ذلك في عمليه التصميم او الانشاء وقد ظهرت العديد من المشاريع المعمارية التي تحمل قيمة شكلية معاصرة، (محمد حسن الحلو، ليليان عجاج، ص66، 2021) وذلك من خلال الدمج بين التقنيات الحديثة وهو انعكاس للتهجين الوظيفي.

فالارتقاء التقني في التصميم الداخلي يشير إلى تطبيق التكنولوجيا والابتكار في خلق وتنفيذ مساحات داخلية أكثر فعالية وجاذبية، هذا المفهوم يتيح للمصممين والمهندسين المعماريين استخدام أحدث التقنيات والأدوات لتحسين تجربة المستخدم في المساحات الداخلية، كما يشمل الارتقاء التقني في التصميم الداخلي استخدام الأتمتة المنزلية، وأنظمة التحكم عن بعد، والإضاءة الذكية، وأنظمة التدفئة والتبريد الذكية، والصوت والفيديو المنزلي المتقدمة، وتكنولوجيا الواقع الافتراضي والواقع المعزز. (عدلي محمد عبد الهادي ومحمد عبد الله الدرايسة، ص234، 2023).

هذا التفاعل بين التصميم الداخلي والتكنولوجيا يهدف إلى تحسين راحة وأمان المستخدمين وتحقيق استدامة بيئية، يتم استخدام أنظمة الاستشعار والذكاء الصناعي لإدارة استهلاك الطاقة والموارد بشكل فعال، مما يسهم في تقليل تأثير المساحات الداخلية على البيئة، بصفة عامة، يهدف الارتقاء التقني في التصميم الداخلي إلى تحقيق توازن بين الجمالية والوظيفة والتكنولوجيا في المساحات الداخلية، مما ينتج عنه مساحات تلبي توقعات واحتياجات المستخدمين بشكل أفضل وتوفر تجربة مميزة، ينظر للشكل رقم (2)، وخاصة في تصاميم المعارض العالمية، يتيح الارتقاء التقني استخدام تقنيات مبتكرة لجذب الزوار وتحسين فعالية المعرض بشكل عام. (جينيفر هنت، ص167، 2019).



الشكل رقم (2) يوضح دور الارتقاء التقني في التصميم الداخلي.

المصدر: <https://2u.pw/5ehbrbg>

الارتقاء التقني في التصميم الداخلي يعتمد على استخدام التكنولوجيا والابتكار لإنشاء فضاءات داخلية أكثر جاذبية وفعالية، حيث ان الهدف العام هو تحقيق توازن بين الجمال والوظيفة والتكنولوجيا في المساحات الداخلية لتلبية احتياجات المستخدمين بشكل أفضل وتقديم تجربة استثنائية.

2-3 دور التهجين الوظيفي في التحكم الذكي: -

التهجين الوظيفي في التحكم الذكي يُعد تقدماً مهماً في مجال التصميم الداخلي والتكنولوجيا. يُعنى بالتهجين الوظيفي دمج وتوحيد وظائف متعددة في وظيفة واحدة، مما يتيح للمستخدمين التحكم بشكل شامل وفعال في بيئتهم، في هذا السياق، يمكن لأنظمة التحكم الذكي أن تتفاعل مع بعضها البعض بطرق متعددة، حيث يُمكن للمستخدمين التحكم في الإضاءة وأجهزة التدفئة والتبريد والأمان وأنظمة الصوت والفيديو باستخدام أجهزة ذكية أو تطبيقات محمولة. (عدلي محمد عبد الهادي ومحمد عبد الله الدرايسة، ص176، 2023).

يمكن تكامل تصميم المعارض العالمية مع نظم المنازل الذكية لتحقيق تجربة فريدة للمستخدم، على سبيل المثال، يمكن للزوار استخدام جهاز ذكي لتخصيص إعدادات الإضاءة ودرجة الحرارة في المعرض باستخدام أوامر صوتية أو تطبيق على الهاتف المحمول. بالإضافة إلى ذلك، يمكن ربط نظام الأمان مع كاميرات المراقبة بأنظمة الإضاءة والإنذار لضمان الحماية القصوى، هذا التفاعل الذكي يعزز التجربة الشخصية للزوار ويجمع بين جمالية المعرض ووظائفه التكنولوجية. (ليزا ماري، ص145، 2019). ينظر للشكل رقم (3).



الشكل رقم (3) يوضح التحكم بالمنزل الذكي

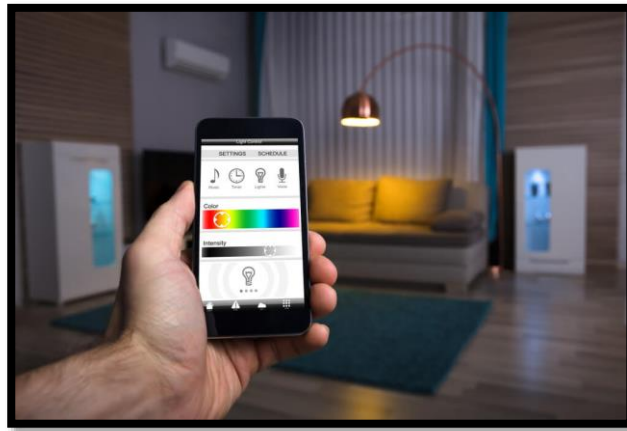
المصدر: <https://2u.pw/VV3fhq5>

ويتبين مما سبق انه يمكن للمستخدمين من السيطرة الكاملة والفعالة على بيئتهم المنزلية من خلال دمج وتوحيد وظائف متعددة في الفضاءات الداخلية، مستفيدين من مفهوم "التهجين الوظيفي في التحكم للمنزل

الذكي". يعتمد هذا على تطبيق أحدث التقنيات والتكنولوجيا المتقدمة، مثل التحكم الذكي، ويهدف إلى تحقيق الراحة والكفاءة وزيادة مستوى الأمان والراحة داخل المنزل.

2-4 التهجين الوظيفي والإضاءة الذكية: -

التهجين الوظيفي باستخدام الإضاءة الذكية في التصميم الداخلي يُعتبر تطوراً مهماً في عالم التصميم الداخلي الحديث، يتيح هذا التهجين دمج التكنولوجيا والجمالية في تصميم المساحات الداخلية بشكل تفاعلي ومرن. من خلال الإضاءة الذكية، يمكن للمستخدمين تخصيص وتحكم في الإضاءة داخل المساحة بشكل دقيق. يمكنهم ضبط السطوع واللون وحتى جداول التشغيل بسهولة باستخدام تطبيقات الهواتف الذكية أو بواسطة الأوامر الصوتية. هذا التهجين يلبي احتياجات المستخدمين بشكل مثالي. (ليزا ماري، ص 189، 2019) عند العمل أو الدراسة، يُمكن زيادة السطوع لتعزيز التركيز، بينما يمكن خفضه لخلق جو من الاسترخاء والهدوء، أما في اللقاءات الاجتماعية، يمكن تعديل الإضاءة لإنشاء أجواء مريحة ودافئة، بالإضافة إلى الجوانب الجمالية، يُسهم التهجين الوظيفي في تعزيز استدامة الطاقة، يُحسن استهلاك الكهرباء من خلال استخدام مصادر إضاءة فعالة من حيث الطاقة وإغلاق الإضاءة تلقائياً عندما لا يكون هناك أحد في المكان، إن التفاعل بين التكنولوجيا وتصاميم المعارض العالمية يُعزز تجربة المستخدم ويجعل المساحات الداخلية تتجاوب مع احتياجاتهم واختياراتهم بشكل أفضل، بفضل هذا التهجين، ينضّر الى الشكل رقم (4)، وكذلك يُمكن للمساحات الداخلية أن تصبح ذكية وجميلة في الوقت نفسه، مما يجعلها مكاناً يمكن الاستمتاع به والاستفادة منه بأقصى قدر من الكفاءة.. (جيمس سميث وروبرت جونز، ص 234، 2023).



الشكل رقم (4) يوضح والإضاءة الذكية
المصدر: <https://2u.pw/Q3PYUDx>

التهجين الوظيفي باستخدام الإضاءة الذكية في التصميم الداخلي يسمح بتوفير إضاءة مخصصة وفعالة في المساحات الداخلية. يجمع بين التكنولوجيا والجمالية بشكل مرن، مما يلبي احتياجات المستخدمين بشكل مثالي ويحسن استدامة الطاقة.

2-5 التهجين الوظيفي باستخدام المواد والتصميم المتقدم تكنولوجيا: -

استخدام المواد والتصميم المتقدم تكنولوجيا يلعبان دوراً أساسياً في تحقيق التهجين الوظيفي في مجال التصميم الداخلي، يتيح تطبيق التكنولوجيا المتقدمة في المواد والتصميم إمكانية خلق مساحات داخلية متعددة الاستخدامات

وقابلة للتكيف بسهولة، على سبيل المثال، يمكن استخدام المواد الذكية والتكنولوجيا في تصميم الأثاث والأسطح لتحقيق أقصى استفادة من المساحة، كما يمكن للأثاث أن يكون قابلاً للتحويل، حيث يمكن تعديله وتغيير شكله لتناسب مختلف الاحتياجات، وعلى سبيل المثال، يمكن تحويل مكتب في المنزل إلى طاولة طعام أو أريكة إلى سرير بسهولة. (كامل، أحمد، 2012، ص98).

في سعيها للتطور والابتكار، تضمنت التصاميم العالمية للمعارض توظيف مبدأ التهجين الوظيفي بشكل بارع، هذا الاتحاد بين الجمالية والوظيفية يتيح إنشاء هياكل معمارية متحركة وقابلة للتكيف، تلبي احتياجات المستخدمين وتعكس التناغم بين الفعالية والجمال، يمكن رؤية ذلك في ترتيب المساحات بشكل مرن، حيث يتم تحويل البيئة الداخلية بفعالية باستخدام هياكل متحركة، كما ان تصاميم المعارض العالمية تعتمد على التكنولوجيا المتقدمة والتفاعل بين التصميم والتكنولوجيا لتحقيق تجارب فريدة وممتعة للزوار، يتيح هذا التفاعل تكامل التكنولوجيا في العناصر المعمارية بطريقة تجمع بين السحر الجمالي والوظيفية الفعالة، ينظر للشكل رقم (5)، مما يخلق بيئة متطورة ومبهرة في نفس الوقت. (جينيفر هنت، ص168، 2019).



الشكل رقم (5) التهجين الوظيفي باستخدام المواد والتصميم المتقدم
المصدر: <https://2u.pw/tW0hwVM>

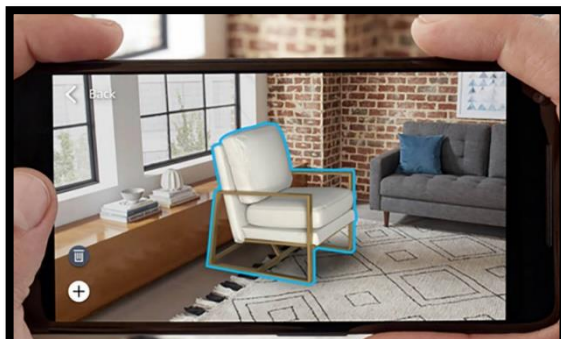
استخدام التكنولوجيا المتقدمة في المواد والتصميم يساهم في تحقيق التهجين الوظيفي في التصميم الداخلي. حيث يمكن تعديل وتحويل الأثاث والهياكل بسهولة لتناسب متطلبات المساحة والاحتياجات.

2-6 التهجين الوظيفي باستخدام الواقع المعزز والواقع الافتراضي

التهجين الوظيفي باستخدام الواقع المعزز والواقع الافتراضي يمثل تطوراً مهماً في مجال التصميم الداخلي والتفاعل بين المستخدم والبيئة المحيطة، حيث يتيح الواقع المعزز والواقع الافتراضي للمصممين والمستخدمين تجربة مساحات داخلية بطرق جديدة ومبتكرة، كما ان باستخدام الواقع المعزز، يمكن للمصممين تضمين عناصر رقمية مبتكرة في المساحات الداخلية الحقيقية، وكذلك يمكن للمستخدمين استخدام تطبيقات الهواتف الذكية أو الأجهزة اللوحية لعرض معلومات إضافية أو تفاصيل التصميم أو حتى لتغيير الألوان والأنماط الموجودة في المكان الفعلي. (ماري ستيل ودانييل رينولدز، ص167، 2017).

في عالم التصميم الداخلي المعاصر، يتم تحقيق تكامل مثالي بين التكنولوجيا المتقدمة وتصاميم المعارض العالمية، حيث تمكننا التقنيات الحديثة، مثل الواقع الافتراضي والواقع المعزز، من استكشاف المساحات الداخلية

بشكل افتراضي، مما يتيح للمستخدمين فهم وتقييم التصميم بشكل دقيق قبل التنفيذ الفعلي، ويسعى هذا التفاعل بين التكنولوجيا وتصاميم المعارض العالمية إلى تحسين تجربة المستخدم وتحقيق أقصى استفادة في استخدام المساحات الداخلية، ينظر الشكل رقم (6)، مما يجعلها تتألق بجمالها وتوفير وظائفها بكفاءة. (جيمس سميث وروبرت جونز، ص189، 2023).



الشكل رقم (6) الواقع المعزز والواقع الافتراضي
المصدر: <https://2u.pw/Xf05XY2>

التهجين الوظيفي باستخدام الواقع المعزز والواقع الافتراضي يعتمد على توظيف التكنولوجيا في تصميم المساحات الداخلية وتفاعل المستخدم معها. يتيح ذلك استخدام العناصر الرقمية في المساحات الحقيقية وتجربة المساحات الداخلية افتراضياً، مما يعزز فهم المستخدمين للتصميم ويساعد في تحسين جودته واتخاذ قرارات أفضل.

7-2 الارتقاء في محددات الفضاء الداخلي الهجين:

1-الأرضيات الافتراضية: -

من خلال النظم والتقنيات الحديثة في الأرضيات، توفر هذه الأرضيات للمستخدم التفاعل معه والاستجابة له بردود أفعال مبرمجة تقدم تقنية الأرضيات التفاعلية العروض الضوئية والتي تقدم تجربة تفاعلية ممتعة ومشاركة تفاعلية مؤثرة إذ تعد من التقنيات الحديثة كأحدى الوسائل التكنولوجية أذ تتكون هذه التقنية من كاميرات خارجية مثبتة ملحقة تعمل بالأشعة تحت الحمراء متصلة بجهاز الحاسوب ومتصل به جهاز إسقاط ضوئي الذي يتفاعل مع الصور المتوقعة كشخص وتعمل الكاميرات على التقاط مسار الحركة للفرد من خلال أجهزة تتبع الوضع وبعدها يتم إحداث وهم التواجد للشخص نفسه عن بعد أو يتم التأثير بوجوده من خلال أجهزة تتبع الوضع والتي تحتوي على مجسات للحركة في فضاءات المعارض وتقوم على التقاط حركات المستخدم بدقة وتضبط رؤيته عبر الشاشة ومن ثم نقلها للكمبيوتر والذي يقوم بدوره على ضبط وتعديل الصور لجعلها تبدو كرد فعل لحركة الشخص وذلك في الزمن الحقيقي أي زمن حدوث الشيء نفسه في الواقع وب نفس سرعة الاستجابة الحقيقية، ينظر للشكل رقم (7)، وهذا جزء من الارتقاء ما بين التصميم والفعل والزمن (علا محمد ، 2012 ، ص70).

ويوجد نوعين من الأرضيات الافتراضية التفاعلية: -

❖ الأرضيات الافتراضية التفاعلية المستندة إلى الاستشعار.

❖ الأرضيات الافتراضية التفاعلية المستندة إلى الرؤية.

وقد ظهر التجديد في الواقع الافتراضي والتصميم التفاعلي عن طريق التكامل بين جميع أجزاء الفضاءات الداخلية وذلك عن طريق عمل نوع من الانبهار والانغمار في العلاقات والتكوينات الشكلية واللونية متجددة زمنياً سواءً في التصميم الداخلي أو العمارة ويتحقق باستخدام التكنولوجيا الرقمية التفاعلية الحديثة عبر التصميم في الفضاء الإلكتروني، مستلهما التصميم من الطبيعة (Thomas Grechenig,2008,p82)



الشكل رقم (7) يوضح الارضيات الافتراضية
المصدر: <https://2u.pw/sxpyTYv>

ان من اشكال التهجين الوظيفي هي الأرضيات الافتراضية، حيث تمكّن التكنولوجيا الحديثة في هذه الأرضيات المستخدمين من التفاعل والاستجابة بطرق مبرمجة، يُعزز هذا التفاعل تجارب المستخدمين ويُقدم تجارب تفاعلية ممتعة ومؤثرة.

2- السقوف الافتراضية: -

هو نوع من الأسقف المعلقة المصممة بشكل إبداعي وهو سقف معلق ويستدعي الانتباه والجذب البصري ويسمى أيضاً بالسماء الافتراضية ويتكون من مزيج من الألواح ومنها ألواح الأكريليك الزجاجي وأضاءه وهياكل وهمية ومن أهم عناصر السقوف الافتراضية هي الإضاءة ، حيث ان الإضاءة هي التي تعرض الصورة بشكل جميل قدر الإمكان كلما كانت الإضاءة أكثر دقة كلما كانت الصور أكثر وضوحاً، اذ يتم تركيب هياكل السماء الافتراضية بعد ربط الإضاءة اذ يتم ربط هيكل السقف الزائف وهناك أنواع مختلفة من هياكل الأسقف المعلقة ويتم اختيارها حسب ذوق مستخدم الفضاء أو تعتمد على المصمم وحسب طبيعة ووظيفة الفضاء المصمم له، ومن التصميمات المتنوعة اعتماد الزخرفة أو صور للسماء والأشجار والبحار،(مقداد ومحمد سليم، يونس محمود،2002، ص32) وفي المعارض العالمية تستخدم لعرض صور ثلاثية الأبعاد مع مؤثرات ضوئية أو قد يتم تعليق بعض المجسمات لإضاءة عنصر المتعة والتشويق.

يتم اختيار السقوف الافتراضية تبعاً للشاشات الافتراضية ومحتوى العرض في المحددات الأفقية والعمودية لتجعل المستخدم ينغمز في بيئة داخلية افتراضية ويمتاز بمقاومته للماء وسهل التنظيف وبالإمكان نقله إلى أي مبنى أو فضاء آخر و قد تستخدم نوع من طباعة الصور وتسمى بطباعة الملصقات أذ يلصق مباشرة على البلاط وقد تكون هذه السقوف مرنة وذات اشكال مختلفة دائرية او مستطيلة او مربعة اذ يتم بواسطة شاشات مائلة عرض مناظر وأشكال رقمية كالخطوط والأشكال الهندسية أو اقتباس أشكال كالنجوم والبحر والمناظر الطبيعية (رنا مجيد ياسين ،2006، ص69) كما مبين في الشكل(8).



شكل (8) يوضح سقف متحرك وسقف سماوي افتراضي <https://www.bbc.com>

الأسقف الافتراضية تعزز التهجين الوظيفي بتوفير تجربة جمالية ووظيفية في التصميم الداخلي، حيث تدمج التكنولوجيا لتحسين التفاعل مع المستخدمين وتجعل المساحات الداخلية ذكية وجميلة.

3-الجدران المزودة بالشاشات الافتراضية:

إن الهدف الأساس من تصميم الجدران المزودة بشاشات افتراضية هو الاتصال والتفاعل المباشر بينها وبين المستخدم فتستخدم فكرة الجدران بشاشات افتراضية كما في المعارض العالمية والمؤتمرات التي تتم عن بعد، حيث امتازت بأنها تُشعر المستخدمين بالحميمية والتفاعل كما لو كانوا في نفس المكان أذ تعمل على التفاعل بين المستخدمين بعضهم البعض في أماكن متفرقة من خلال نظام يتكون من وحدات عرض معلومات تعمل على ذلك التفاعل وكاميرات تراقب المستخدمين، وميكروفونات مثبتة في كل مكان بحيث يكون الاتصال والتفاعل عن طريق الصوت والصورة (فايزة محمد أحمد،2006،ص28).

اما (فتحات العدسة التفاعلية) وهي عبارة عن مصفوفة من الفتحات تشبه عدسة الكاميرا يتم تثبيتها على واجهات العرض الافتراضي مرتبطة هذه الفتحات بمجسات تتأثر بالضوء وتقوم عند تعرضها إلى حركة أمامية منها بتشكيل صور مرئية ديناميكية أن الأساليب التقنية للجدران التفاعلية تكون سيناريوهات تتيح للمستخدم معرفة الأحداث وتسلسلها من خط ومحدد زمني لعرض الأحداث المتسلسلة زمنياً والأحداث المحددة ومراحل تسلسلها عبر الزمن لتروي قصة ما ومراحل تنفيذها زمنياً عن طريق خط متصل أما سيناريوهات الأسطح التفاعلية ثلاثية الأبعاد للجدران تتيح للزائر التفاعل معه والاستجابة له بردود أفعال مبرمجة لديها لما يقوم به من تصرفات وهي عبارة عن شبكة من الوحدات الإلكترونية توضع على أسطح الجدران تتفاعل مع الحركة والصوت عبر أنظمة إلكترونية مبرمجة محدثة حركة إلكترونية ثلاثية الأبعاد بطريقة متناغمة مع الصوت وتصنع سيناريوهات تكنولوجيا الجدران دور كبير إذ يوجد فرق بين الشاشات التقليدية والجدران المزودة بشاشات افتراضية تمثل حالة خاصة جداً من الشاشات المجهزة بمجسات خاصة ومحولات للطاقة من شأنها أن تتعرف على المستخدم وتتفاعل معه وتستجيب بردود أفعال مبرمجة لديها لما يقوم به من تصرفات، فبعض الجدران يتيح للناس التكيف و تتفاعل بشكل تعليمي أو وظيفي (فرانك كليش،2000، ص365) كما في الشكل رقم(9).



الشكل رقم (9) الجدران المزودة بالشاشات الافتراضية

المصدر: <https://2u.pw/r4FYW1G>

الجدران المزودة بشاشات افتراضية تسهم في التهجين الوظيفي من خلال توفير تفاعل مباشر بين المستخدمين والبيئة المحيطة بهم، مما يخلق تجربة تفاعلية وتعليمية أو وظيفية داخل الفضاء ولاسيما في فضاءات المعرض العالمية.

2-8 التقنيات المعاصرة واشتغالاتها في الفضاء الداخلي الهجين:

يستند مفهوم التهجين الوظيفي في الفضاء الداخلي (على قاعدتين أساسيتين هما التلاقح والتمازج الوظيفي بين التقنيات بالإضافة الى التجديد والتطوير التصميمي ، وهذا يعتمد على ارتباط الفكر التصميمي بجوانب التحولات الوظيفية والاجتماعية والمادية من جانب وكذلك على اساس التطورات العلمية من الجانب الآخر وبذلك فقد شمل الجانبين الموضوعي بما يتعلق بالفضاء الداخلي والوظيفي أي بما يتعلق بذات الفكر التصميمي الهجين، المرتكز على اساس اختيار التقنية باعتبارها تمثل نسق من المعارف المستمدة من علوم مختلفة ، بحيث تهدف كلها الى غاية واحدة ، وهي تطوير الانتاج وتنويع وسائله بالإضافة الى تحديد دور الانسان من خلالها ، وهي بهذا تمثل سمة كبيرة من سمات العصر الحالي)، (ابراهيم مذكور ، 1983، ص53) . ولتشكل منطقاً لمفهوم التقنيات

المعاصرة بحسب اشتغالاتها المتنوعة في الفضاء الداخلي الهجين، لذلك يحدد (أندريه لا لاند) مفهوم التقنية الحديثة المعاصرة (بأنها الوسائل و الطرق والاساليب من حيث عموميتها وعلاقاتها المرتبطة بنمو الحضارة)، (لا لاند ، اندريه ، 2008، ص 429)، وذلك لأن التقنية المعاصرة (تساهم نحو الانتظام ، هذا من حيث أن الكيفية في التنظيم هي التي تعمل على انسجام الإنتاج ووحدته بين كل المستويات أي بين كل المراتب)، (أمني مشهور، 2005، ص78). وعليه يشير مصطلح التقنية المعاصرة (إلى كل الطرق التي يستخدمها الناس في اختراعاتهم واكتشافاتهم لتلبية حاجاتهم وإشباع رغباتهم، وقد يسميها بعضهم بالتكنولوجيا، والمتضمنة على اساس الدراسة النظرية لاسيما في استخدام الأدوات والآلات والمواد والأساليب ومصادر الطاقة لكي تجعل العمل ميسوراً وأكثر إنتاجية)، (أبو طالب، 2010، ص67). والذي أصبح تأثيرها واضحاً في التقنيات المعاصرة من خلال تنوع اشتغالاتها في الفضاء الداخلي الهجين والمستند على التنوع في وظائفها

كما تتضمن التقنية الحديثة المعاصرة (مجموعة الخامات والمواد والطرائق والوسائل والنظم التي تدخل في العملية التصميمية لأجل اداء وظيفة معينة ، ومن البديهي أن تتعدد التقنيات الحديثة ذات البعد المعاصر وقد تختلف في ما بينها باختلاف الأهداف الوظيفية التي تسعى الى تحقيقها ، كما أن ناتجها النهائي قد يختلف باختلاف مكوناتها مع دراسة مدى تأثير هذه المكونات في مجمل العملية التصميمية)، (وليد إبراهيم حسن ، 2019 ، ص197)، بينما يشير مفهوم الفضاء الداخلي الهجين الى (تطعيم التركيبة التصميمية بشذرات معاصره للخروج

بنكهة تصميمية مغايرة ومتنوعة ومتجددة تمنح امكانيه للفضاءات الداخلية من مسايره الحدث التكنولوجي او المتغيرات المعاصرة او المواءمة)، (نها فخري ، 2016 ، ص604) لكونه يمثل احد الركائز المهمة التي تستند عليها التقنيات المعاصرة .

ولهذا فان مفهوم الفكر المعرفية بهذا المنحى لمفهوم الفضاء الداخلي الهجين بما يتضمنه من التقنيات المعاصرة يمثل اداة للتوصل الى الافكار التصميمية ذات الاشتغالات المتنوعة من اجل الوصول بناء فكري تصميمي مدروس على مستوى في الفضاء الداخلي الهجين. مؤشرات الإطار النظري:

1- التهجين، في مجال التصميم الداخلي يستخدم لدمج العناصر (الوظيفية والجمالية والتكنولوجية) لإنشاء فضاء داخليا مثاليا يجمع بين (الوظيفة والجمال وراحة المستخدمين).

2- ان الارتقاء التقني في التصميم الداخلي يعتمد على استخدام (التكنولوجيا والابتكار) لإنشاء مساحات داخلية أكثر جاذبية وفعالية.

3- يعتمد التهجين الوظيفي في التحكم الذكي، على تطبيق أحدث التقنيات والتكنولوجيا المتقدمة، مثل التحكم الذكي الذي يؤدي الى تحقيق (الراحة والكفاءة وزيادة مستوى الأمان) ولاسيما في المعارض العالمية.

4- اتضح ان التهجين الوظيفي باستخدام الإضاءة الذكية في التصميم الداخلي يسمح بتوفير إضاءة (مخصصة وفعالة) في الفضاءات الداخلية، من خلال الجمع بين التكنولوجيا والجمالية بشكل مرّن، مما يلبي احتياجات المستخدمين بشكل مثالي.

5- استخدام التكنولوجيا المتقدمة في المواد والتصميم يساهم في تحقيق التهجين الوظيفي في التصميم الداخلي، حيث يمكن تعديل وتحويل (الأثاث والهيكل) بسهولة لتناسب متطلبات المساحة والاحتياجات.

6- يعتمد التهجين الوظيفي باستخدام الواقع المعزز والواقع الافتراضي على (توظيف التكنولوجيا في تصميم المساحات الداخلية) و (تفاعل المستخدم معها)، مما يعزز فهم المستخدمين للتصميم ويساعد في تحسين جودته واتخاذ قرارات أفضل.

7- ظهرت التقنيات الحديثة في تصميم الفضاء الداخلي الهجين من خلال استخدام (الارضيات والسقوف والجدران الافتراضية) لتحقيق تجارب مستخدم متقدمة وتكامل بين الوظيفة والجمال.

8- ان مفهوم الفكرة المعرفية لمفهوم الفضاء الداخلي الهجين بما يتضمنه من التقنيات المعاصرة يمثل اداة للتوصل الى الافكار التصميمية ذات الاشتغالات المتنوعة من اجل الوصول بناء فكري تصميمي مدروس على مستوى في الفضاء الداخلي الهجين.

9- يستند مفهوم التهجين الوظيفي في الفضاء الداخلي (على قاعدتين أساسيتين هما التلاقح والتمازج الوظيفي بين التقنيات بالإضافة الى التجديد والتطوير التصميمي).

إجراءات البحث:

1-3 منهجية البحث: -

نظراً لطبيعة الدراسة البحثية فقد اعتمد الباحثان المنهج الوصفي (تحليل محتوى) للتعرف على (الارتقاء التقني للتهجين الوظيفي ودوره في التصميم الداخلي المعاصر)، معتمدين بالدرجة الأساس على الإطار النظري وما تمخض عنه من مؤشرات، وصولاً إلى تحقيق شامل لهدف البحث.

2-3 مجتمع البحث: -

تحدد مجتمع البحث بدراسة الفضاءات الداخلية لأجنحة معرض دبي العالمي (اكسبو) وقد تضمنت، (6) أجنحة، وتم اختيار المجتمع نتيجة ل:

1- تعدد الأجنحة في معرض دبي العالمي وتنوع اتجاهاتها الفكرية والإبداعية وتصاميمها وتقنياتها المتنوعة ذات الطابع الهجين.

2- أثرت هذه المتغيرات بصورة واضحة على المستوى العام للتصميم الداخلي وتصاميم أجنحة المعرض بشكل خاص. وقد تم اختيارها بشكل قصدي وكما في الجدول (1-3)

جدول (1-3) يوضح مجتمع البحث (اعداد ابحاث)

ت	الأجنحة في معرض دبي العالمي	الموقع	ت	الأجنحة في معرض دبي العالمي	الموقع
1-	دولة الامارات العربية المتحدة	الامارات	4-	أستراليا	الامارات
2-	السعودية	الامارات	5-	روسيا	الامارات
3-	المملكة المتحدة (بريطانيا)	الامارات	6-	تايلند	الامارات

3-3 عينة البحث: -

بما أن الدراسة تبحث عن الارتقاء التقني للتهجين الوظيفي ودوره في التصميم الداخلي المعاصر، فقد تم اعتماد الأسلوب الانتقائي القصدي للعينة من مجتمع البحث الأصلي، لاختيار النماذج التي تخدم هدف الدراسة والأقرب إلى تحقيقها والبالغ عددها (3) من مجموع (6 اجنحة) أي بنسبة (50%) من مجتمع البحث والذي تم اختيارها على وفق الشروط والأسباب الآتية: -

1. أن النماذج المنتخبة تم اختيارها بشكل مدروس لمستوى تصميمها الداخلي كمعارض عالمية.
2. تم اختيار العينة بالاعتماد على آراء الخبراء في مجال الاختصاص العلمي والمهني.
3. تم اختيار العينة بالاعتماد على فاعلية تنوع أشكال التهجين عن طريق الدمج الذاتي لبنيتين أو أكثر من العناصر التصميمية ذات التحويلات المعبرة عن الناتج في التصميم الداخلي.
4. بالرغم من وجود عدد من المعارض العالمية، إلا أنه تم استبعادها بسبب عدم الحصول على المعلومات والمصورات، ولهذا انحصرت نماذج العينة القصدية بالعدد المشار إليها.

جدول (2-3) يوضح نماذج عينة البحث (إعداد الباحث)

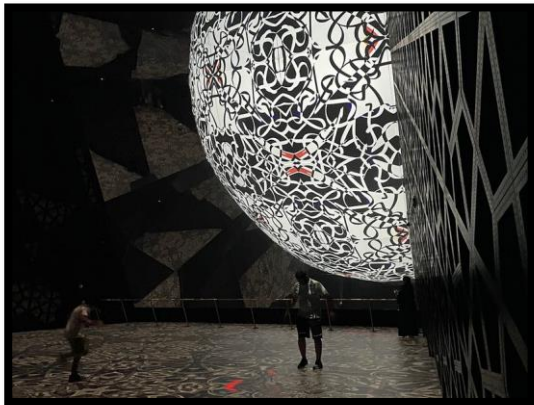
ت	الأجنحة في معرض دبي العالمي	الدولة والموقع	سنة - ومدة الإقامة
1-	الإمارات	الإمارات - دبي	2020 - (6) أشهر
2-	السعودية	الإمارات - دبي	2020 - (6) أشهر
3-	روسيا	الإمارات - دبي	2020 - (6) أشهر



شكل رقم (11) جناح دولة الامارات (الانموذج الاول)
المصدر: <https://2u.pw/JN90yXP>



شكل رقم (10) جناح دولة الامارات (الانموذج الاول)
المصدر: <https://2u.pw/BblC4Bc>



شكل رقم (13) جناح المملكة العربية السعودية (الانموذج الثاني)
المصدر: <https://2u.pw/sEcKjFn>



شكل رقم (12) جناح المملكة العربية السعودية (الانموذج الثاني)
المصدر: <https://2u.pw/qgPWTEI>



شكل رقم (15) جناح دولة روسيا (الانموذج الرابع)
المصدر: <https://2u.pw/vdYCqR7>



شكل رقم (14) جناح دولة روسيا (الانموذج الثالث)
المصدر: <https://2u.pw/SNQ73T8>

3-4 أداة البحث: -

من اجل تحقيق هدف البحث، استخدام الباحثان الأدوات الآتية في جمع المعلومات المتعلقة بالبحث وهي على النحو الاتي: -

أولاً: - الدراسة الاستطلاعية المقصودة عبر شبكة الانترنت العالمية لمواقع (المعارض العالمية).

ثانياً: - إعداد استمارة تتضمن تحديد محاور التحليل، على ضوء الإجراءات الآتية:

1- ما أسفر عنه الإطار النظري من مؤشرات والتي تمثلت خلاصة ما تمخضت عنها المصادر والمراجع وكذلك أدبيات الاختصاصات العربية والأجنبية والدراسات السابقة من نتائج في مجال التصميم الداخلي.

2- رأي الباحثان من خلال اعتماد الصورة الفوتوغرافية لاختيار تصاميم نماذج البحث.

3-5 صدق الأداة البحثية: -

ولغرض التأكيد من صلاحية وشمولية أداة التحليل، تم التحقق من صدق الأداة المستخدمة من خلال مناقشتها مع الخبراء²، ثم عرض استمارة محاور التحليل على مجموعة من الخبراء لبيان آرائهم حول صلاحيتها في ضوء ملاحظاتهم العلمية السديدة، وبهذا اكتسبت هذه الاستمارة صدقها الظاهري لأغراض تطبيق التحليل في هذا البحث، وذلك لما تتميز به من شمول فقراتها وصلاحيتها في تحديد هدف البحث.

1.2. ا.م.د محمد جارالله توفيق/ دكتوراه في فلسفة التصميم الداخلي/ الجامعة التقنية الوسطى / كلية الفنون التطبيقية / قسم تقنيات التصميم الداخلي.
2. م. د. هشام زامل / دكتوراه في فلسفة التصميم الصناعي/ الجامعة التقنية الوسطى / كلية الفنون التطبيقية / قسم التصميم الصناعي.
3. م. د. علي عبد عسل / دكتوراه في التصميم المعماري / معهد الفنون التطبيقية/ قسم التصميم والترتين المعماري.

3-6 ثبات الاداة البحثية³

كما ان ثبات الاداة البحثية يعد شرطاً أساسياً لطريقة تحليل المضمون، لهذا فقد اعتمد الباحثان أسلوب الاتساق بين المحللين ويعني توصل المحللين وبشكل منفرد الى نتائج متقاربة عند تحليل الانموذج نفسه بحسب قواعد التحليل وخطواته إذا تم اختيار محللين خارجيين ممن لهم خبرة في مجال التصميم الداخلي وتصميم الاثاث، وبعد التحليل تم استخدام معادلة (كوبر)، لتحديد نسبة الاتفاق وذلك من خلال حساب معامل الثبات بين تحليل الباحثان والمحللين الخارجيين وقد كانت معدل نسبة معامل الثبات كالآتي:

جدول (1) يوضح نسبة معامل الثبات

نسبة الثبات بين المحلل	نسبة الثبات بين المحلل	نسبة الثبات بين المحلل	نسبة الثبات بين المحلل
الأول والباحثان	الثاني والباحثان	الأول والثاني	معدل نسبة الثبات
78%	84,5%	81,25%	81,25%

وبهذا بلغت نسبة معدل معامل الثبات بين المحلل الأول والثاني والباحثان 81,25% وهي نسبة جيدة جداً يمكن بالاعتماد عليها، ما دفع الباحثان الى تحليل الانموذج الثاني. أهم نتائج واستنتاجات الدراسة البحثية.

4-1 النتائج: -

1- استخدم التهجين، في مجال التصميم الداخلي لدمج العناصر (الوظيفية والجمالية والتكنولوجية) لإنشاء فضاء داخلياً مثالياً يجمع بين (الوظيفة والجمال وراحة المستخدمين)

• حيث كانت الوظيفة متحققة في تصاميم ارضيات النموذج الاول اي بنسبه 100% بينما كانت متحققة بصورة نسبيه في تصاميم جدران النموذج الاول اي بنسبه 50% بينما كانت غير متحققة في تصاميم السقوف اي بنسبه صفر %، اما في النموذج الثاني فقط فقد كانت الوظيفة متحققة في تصاميم الجدران والارضيات اي بنسبه 100% بينما كانت غير متحققة في تصاميم السقوف اي بنسبه 0%، في حين كانت الوظيفة متحققة في تصاميم محددات الفضاء الداخلي للنموذج الثالث اي بنسبه 100%.

• اما الناحية الجمالية فقد كانت متحققة في تصاميم الجدران والارضيات للنموذج الأول والثاني اي بنسبه 100% بينما كانت متحققة بصورة نسبيه اي بنسبه 50% في تصاميم الارضيات للنموذج الأول والثاني، في حين كانت متحققة في تصاميم محددات الفضاء الداخلي للنموذج الثالث اي بنسبه 100%.

1. م. د: صفية مهدي خليل / دكتوراه هندسة معماري / الجامعة التقنية الوسطى / كلية الفنون التطبيقية / قسم تقنيات التصميم الداخلي.

2. م. د. زينب فهد / دكتوراه في التصميم الداخلي/ الجامعة التقنية الوسطى/ معهد الفنون التطبيقية/ قسم التصميم والتزيين المعماري.

- وقد برزت التكنولوجيا الحديثة متحققة في تصاميم محددات الفضاء الداخلي لجميع النماذج اي بنسبه 100%

2- يستند مفهوم التهجين الوظيفي في الفضاء الداخلي على قاعدتين أساسيتين:

- هما التلاقح والتمازج الوظيفي بين التقنيات والذي كان متحقق في تصاميم محددات الفضاء الداخلي النموذجين الثاني والثالث اي بنسبه 100%، بينما كان متحقق في تصاميم الارضيات والجدران للنموذج الاول اي بنسبه 100% في حين كان متحقق بصورة نسبيه في تصاميم السقوف اي بنسبه 50%.

- التجديد والتطوير التصميمي الذي كان متحققا في تصاميم محددات الفضاء الداخلي للنموذجين الثاني والثالث اي بنسبه 100%، بينما كان متحققا في تصاميم الجدران والارضيات للنموذج الاول اي بنسبه 100% في حين كان غير متحقق في تصاميم السقوف اي بنسبه 0%.

3- ان الارتقاء التقني في التصميم الداخلي يعتمد على استخدام (التكنولوجيا الحديثة)، والتي كانت متحققة في تصاميم محددات الفضاء الداخلي لجميع النماذج اي بنسبه 100%، وعلى (الابتكار) الذي كان متحقق في تصاميم الجدران والارضيات للنموذجين الاول والثاني اي بنسبه 100% في حين كانوا متحقق بصورة نسبيه في تصاميم السقوف اي بنسبه 50% للنموذجين الاول والثاني، في حين كان متحقق في تصاميم محددات الفضاء الداخلي للنموذج الثالث اي بنسبه 100% وذلك لإنشاء مساحات داخلية أكثر جاذبية وفعالية.

4- يعتمد التهجين الوظيفي في التحكم الذكي، على تطبيق أحدث التقنيات والتكنولوجيا المتقدمة، مثل التحكم الذكي الذي يؤدي الى تحقيق (الراحة والكفاءة) والتي كانت متحققة في تصاميم محددات الفضاء الداخلي لجميع النماذج اي بنسبه 100% و(زيادة مستوى الأمان) ولاسيما في المعارض العالمية والتي كانت متحققة بصورة نسبيه في تصاميم محددات الفضاء الداخلي للنموذجين الاول والثاني أي بنسبة 50%، في حين كانت متحققة في تصاميم محددات الفضاء الداخلي للنموذج الثالث اي بنسبه 100%.

5- اتضح ان التهجين الوظيفي باستخدام الإضاءة الذكية في التصميم الداخلي يسمح بتوفير إضاءة (مخصصة وفعالة وتلبي احتياجات المستخدمين) والتي كانت متحققة في تصاميم محددات الفضاء الداخلي لجميع النماذج اي بنسبه 100% في الفضاءات الداخلية، من خلال الجمع بين التكنولوجيا والجمالية بشكل مرن.

6- استخدام التكنولوجيا المتقدمة في المواد والتصميم يساهم في تحقيق التهجين الوظيفي في التصميم الداخلي، حيث يمكن تعديل وتحويل (الأثاث) والتي كانت غير متحققة في تصاميم محددات الفضاء الداخلي للنموذجين الاول والثاني، في حين كانت متحققة في تصاميم الجدران والارضيات للنموذج الثالث اي بنسبه 100%، بينما كانت غير متحققة في تصاميم السقوف للنموذج الثالث اي بنسبه 0%، وكذلك تحويل وتعديل (الهياكل) والتي كانت متحققة في تصاميم محددات الفضاء الداخلي لجميع النماذج اي بنسبه 100%، وذلك لتتناسب متطلبات المساحة والاحتياجات.

- 7- يعتمد التهجين الوظيفي باستخدام الواقع المعزز والواقع الافتراضي على (توظيف التكنولوجيا في تصميم المساحات الداخلية) و (تفاعل المستخدم معها)، والتي كانت متحققة في تصاميم محددات الفضاء الداخلي للنموذجين الثاني والثالث أي بنسبه 100%، في حين كانت متحققة في تصاميم الجدران والارضيات للنموذج الاول اي بنسبه 100%، ولم تكن متحققة في تصاميم السقوف للنموذج الاول اي بنسبه 0%، وذلك يعزز فهم المستخدمين للتصميم ويساعد في تحسين جودته واتخاذ قرارات أفضل.
- 8- ظهرت التقنيات الحديثة في تصميم الفضاء الداخلي الهجين من خلال استخدام (الارضيات والسقوف والجدران الافتراضية) ، والتي كانت متحققة في تصاميم محددات الفضاء الداخلي للنموذجين الثاني والثالث اي بنسبه 100%، في حين كانت متحققة في تصاميم الجدران والارضيات للنموذج الاول اي بنسبه 100% بينما كانت غير متحقق في تصاميم السقوف اي بنسبه صفر %، وذلك لتحقيق تجارب مستخدم متقدمة وتكامل بين الوظيفة والجمال.

2-4 الاستنتاجات: -

- 1- يستند الارتقاء التقني في التصميم الداخلي إلى استعمال التكنولوجيا والابتكار لإبداع مساحات داخلية أكثر جاذبية وفعالية.
- 2- يسهم الارتقاء التقني في التهجين للتصميم الداخلي في تكامل العوامل (الوظيفية والجمالية والتكنولوجية) لخلق مساحة داخلية مثالية، تجمع بين الجمال والوظيفة، بما يلبي احتياجات ورغبات المستخدمين.
- 3- اعتمد التهجين الوظيفي في التحكم الذكي على تطبيق أحدث التقنيات والتكنولوجيا المتقدمة، مثل التحكم الذكي، الذي يسهم في تحقيق الراحة والكفاءة وزيادة مستوى الأمان، خاصة في المعارض العالمية.
- 4- ان التهجين الوظيفي باستخدام اليات الارتقاء التقني كالإضاءة الذكية في التصميم الداخلي يمكنه توفير إضاءة مخصصة وفعالة في الفضاءات الداخلية، من خلال دمج التكنولوجيا والجمالية بشكل مرن، مما يلبي احتياجات المستخدمين بشكل مثالي.
- 5- استخدام التكنولوجيا المتقدمة في المواد والتصميم يساهم في تحقيق التهجين الوظيفي في التصميم الداخلي، حيث يمكن تعديل وتحويل (الأثاث والهياكل) بسهولة لتناسب متطلبات المساحة والاحتياجات.
- 6- يتأكد التهجين الوظيفي باستخدام الواقع المعزز والواقع الافتراضي من توظيف التكنولوجيا في تصميم المساحات الداخلية وتفاعل المستخدم معها، مما يُعزز فهم المستخدمين للتصميم ويساعد في تحسين جودته واتخاذ قرارات أفضل.
- 7- ظهرت التقنيات الحديثة في تصميم الفضاء الداخلي الهجين من خلال استخدام (الارضيات والسقوف والجدران الافتراضية) لتحقيق تجارب مستخدم متقدمة وتكامل بين الوظيفة والجمال.
- 8- ان التهجين الوظيفي في الفضاء الداخلي يستند (على قاعدتين أساسيتين هما التلاحق والتمازج الوظيفي بين التقنيات بالإضافة الى التجديد والتطوير التصميمي).

المصادر العربية والأجنبية ومصادر شبكة الانترنت: -

- 1- روزنتال، يودين، موسوعة الفلسفة، دار التليعة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، 1985.
- 2- الإبراهيم، محمد عيسى، "مبادئ تقنيات الهندسة"، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، 2003.
- 3- كاثرين ميتشل، الجغرافيا الثقافية، ترجمة: مظهر خليل عمر الكيلاني، كاليفورنيا، 2000.
- 4- شمائل محمد وجيه إبراهيم الدباغ، "العمارة بتفاعل حسي متعدد: دراسة تحليلية للمساحة الداخلية المتبقية في الذاكرة للمراكز التجارية المغلقة"، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة التكنولوجية، قسم الهندسة المعمارية، 2010م.
- 5- التهافي، تغريد مع الله، "مكونات التصميم الداخلي في عيادات الاستشارة الطبية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة - الهندسة المعمارية، جامعة بغداد، 1993.
- 6- أليسون جيلبرت، كتاب "التداخل في تصميم الديكور الداخلي"، روكبورت ببلشرز، 2016.
- 7- عبد الرحمن، لقاء أحمد، وإسراء وليد حميد، "الهيمنة التصميمية وتشكيلها المعماري في الفضاءات الداخلية للمتاحف العالمية"، مجلة التكني، المجلد 4، العدد 4، بغداد، العراق، 2022.
- 8- ماري ستيل ودانيال رينولدز، مقال "التداخل في تصميم الديكور الداخلي: اتجاه جديد في التصميم"، مجلة الهندسة والتصميم، 2017.
- 9- [10] حسن، ياسر كريم، ونرمين وديد أحمد - التقدم التكنولوجي في تصميم المساحات الداخلية للأشخاص ذوي الإعاقة، مجلة التكني، المجلد 4، العدد 4، بغداد، العراق، 2022.
- 10- الحلو، محمد حسن، وليليان عجاج، استخدام التكوين الزخرفي بين التقليد والحداثة في تصميم الأثاث، مجلة التكني، المجلد 3، العدد 4، بغداد، العراق، 2021.
- 11- عدلي محمد عبد الهادي ومحمد عبد الله الدرسية، كتاب "التكنولوجيا في تصميم الديكور الداخلي"، منشور من قبل دار النهضة العربية في 2023.
- 12- جينيفر هانت، كتاب "التكنولوجيا في تصميم الديكور الداخلي"، منشور من قبل دار نورتون وشركاه، 2019.
- 13- ليزا ماري جيلبرت، كتاب "تصميم الديكور الداخلي الذكي"، منشور من قبل تونتون بريس، 2019، ص145.
- 14- جيمس سميث وروبرت جونز، التداخل الوظيفي في تصميم الديكور الداخلي، مجلة تصميم الديكور الداخلي، 2023.
- 15- علا محمد عبد الكريم السعدي، أثر تطبيق الواقع الافتراضي على إدراك خصائص المساحة المعمارية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الهندسة المعمارية - جامعة التكنولوجيا، 2010.
- 16- علاء محمد عبد الكريم السعيد. أثر تطبيق الواقع الافتراضي في إدراك خصائص المساحة المعمارية. رسالة ماجستير غير منشورة، الهندسة المعمارية - الجامعة التكنولوجية، 2010. ص70.
- 17- توماس جريكينينج، "السقف التفاعلي - عرض المعلومات الجوية للبيئات المعمارية"، جامعة فيينا التكنولوجية، 2008.
- 18- الموسوعة العراقية للهندسة المعمارية، السنة الأولى، العدد الرابع، جامعة التكنولوجيا، بغداد، 2002.

- 19- رنا مجيد ياسين الدراجي، "استراتيجيات الهندسة الشمسية في هيكلها الثابت والديناميكي"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة بغداد، 2006.
- 20- فايزة محمد أحمد الدلال، "الإدراك الحسي للمعالجات البصرية في المساحات الداخلية"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الديكور، كلية الفنون الجميلة، جامعة الإسكندرية، 2006.
- 21- فرانك كيليش، "ثورة الإنفوميديا"، ترجمة: حسام الدين زكريا، مراجعة: عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000.
- 22- مذكور، إبراهيم، القاموس الفلسفي، أكاديمية اللغة العربية، الهيئة العامة للمطابع الحكومية، القاهرة، 1983.
- 23- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، الطبعة الثانية، المجلد 2، ترجمة: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عوادات، منشورات عوادات، بيروت، 2001.
- 24- أماني مشهور، "أسس ومعايير التصميم والتكنولوجيا لتأثيث المنازل الصحية"، رسالة ماجستير غير منشورة في تصميم الديكور والأثاث، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، 2005.
- 25- سلمى محمد نبيل أبو طالب، "التأثير التفاعلي للغلاف المعماري على تصميم الديكور الداخلي"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الديكور - كلية الفنون الجميلة، جامعة الإسكندرية، 2010.
- 26- وليد إبراهيم حسن، "دور هندسة العوامل البشرية في تصميم واجهات المعدن التفاعلية"، بحث منشور، مجلة الهندسة والفنون والإنسانيات، المجلد 4، العدد 17، 2019.
- 27- نهى فخري عبد السلام، "تصميم وحدات العرض بلامح مصرية في بافليونات المعارض الدولية لتعزيز الاقتصاد في مصر"، مجلة العمارة والفنون، العدد 12، الجزء 2، 2016.
- 28- Thomas Grechenig، "INTERACTIVE CEILING - Ambient Information Display for Architectural Environments"، Vienna University of Technology، 2008.
- 29- <https://www.expo2020dubai.com/ar>
- 30- <https://2u.pw/MSkvU2m>
- 31- <https://2u.pw/5ehbrbg>
- 32- <https://2u.pw/VV3fhq5>
- 33- <https://2u.pw/Q3PYUDx>
- 34- <https://2u.pw/Xf05XY2>
- 35- <https://2u.pw/sxpyTYv>
- 36- <https://2u.pw/r4FYW1G>
- 37- <https://2u.pw/BbIC4Bc>
- 38- <https://2u.pw/JN90yXP>
- 39- <https://2u.pw/qQPWTEI>
- 40- <https://2u.pw/sEckjFn>
- 41- <https://2u.pw/SNQ73T8>
- 42- <https://2u.pw/vdYCqR7>

عنوان البحث

الدلالة العقلية والدلالة الحسية في الفعل

إيمان مسلم عباس الجابري¹

¹ عضو هيئة تدريس في قسم اللغة العربية، جامعة الكوفة، كلية الآداب، العراق.

بريد الكتروني: emanm.aljabery@uokufa.edu.iq

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/8>

تاريخ القبول: 2024/02/16م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

هذه الدراسة في دلالة (الفعل) في النص الشعري. ماضيا ومضارعا وفعل أمر . فقد لاحظنا أن للفعل خصوصية قصدية ، إذ يزداد ظهور الأفعال مع التصعيد الوجدان للشاعر وهو يصف يوم الميلاد المقدس للسيدة الزهراء عليها السلام . فما سبب ذلك الظهور المتصعد مع إحساس الشاعر؟ وما وظيفة الفعل في السياق بوصفه وحدة تعبيرية تم توظيفها في بناء النص . هذا ما يتابعه البحث في دراسة القصيدة. من التوظيفات الدلالية للفعل (الحسي، والعقلي) فقد ظهرت الأفعال العقلية والمعاني المعنوية أكثر من الأفعال الحسية في العدد تصل إلى ما فوق الضعف مما شكل ظاهرة دلالية تكفل بأدائها الفعل بشكل عام غير محدد بزمن .

RESEARCH TITLE

THE MENTAL CONNOTATION AND SENSORY CONNOTATION IN VERB

IMAN MUSLIM ABBAS¹

¹ Faculty member in the Arabic Language Department, University of Kufa, College of Arts, Iraq.
Email: emanm.aljabery@uokufa.edu.iq

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/8>

Published at 01/03/2024**Accepted at 16/02/2024****Abstract**

This study provides the importance of (verb) and the resultant in this poetic text. Past, present and act. We have noticed that the verb has an intentional peculiarity in this particular poem, where the appearance of the verbs increases with the emotional and ideological escalation of the poets, peace be upon her. What is the reason for this escalating appearance with the feeling of the poet? What is the function of the verb in context as an expression unit related to time?. This is what the research continues to study the poem. uses of the verb (sensory and mental), mental verbs and intangible meanings appeared more than the sensory acts in number reaching an exceedingly doubled form, which formed a semantic phenomenon that guarantees its performance in general, with no specific time.

المقدمة : إن اللغة ظاهرة مجتمعية تعبر عن واقع استعمال عرفي بين أبنائها فهي الرمز الذي يحمل المعنى في عمليات التواصل الاجتماعي . لذلك فهي تعبر عن هموم المتكلم ومشاعره وقضايا الأمة . والشاعر هو رسول اللغة الذي يترجم تلك الهموم والقضايا ليضعها في سياق التأريخ فيوصل الأمانة عبر أجيال الأمة .

ظاهرتا البحث : تكشف الدراسة عن حقائق قصدية لتوظيف الفعل . تجلت منها ظاهرتان : الأولى ظهور الفعل بكثرة مطردة مع انفعالات الشاعر قوة وضعفا . والثانية : ارتباط كثرة ظهور الفعل بالأفعال ذات المعنى العقلي .

وتكمن أهمية البحث في كون الظاهرة لافتة وحقيقية تضيف للفعل وظيفة جديدة في سياق الدراسات اللغوية ، إذ إن الظاهرة غير مسبوق دراستها ، وإن تعددت دراسات الفعل في إطارات أخرى .

تسلك الدراسة منهجا وصفيا يركز إلى التحليل في تفسير الظاهرة . إذ يتم تقسيم الأفعال إلى قسمين : الأفعال الحسية ، والأفعال العقلية لرصد موجّهات المعنى الحسي والعقلي منها في سياق الحدث . نأخذ من القسمين ما يقوم به البحث من عينات لإجراء التطبيق . وفق خطة تعتمد المحورين المذكورين آنفا . يأتي المحور الأول : المعنى العقلي في الفعل ، والقسم الآخر وهو : المعنى الحسي . ليتم دراسة القسمين بعرض نماذج للتحليل في السياق الذي يزداد فيه ظهور الفعل أو يقل . وفي الإطار المنهجي غالبا تعدل أدوات التحليل في النص ((على نحو ما ينبثق من النص نفسه ، أو ما يسمح به نظامه الخاص ، والعلاقات القائمة بين مستوياته أو العناصر المكونة لنسيجه الكلي)) .¹ النماذج الاجرائية من قصيدة الدكتور الشاعر مسلم الجابري بحق فاطمة الزهراء عليها السلام بمناسبة المولد المبارك .⁽²⁾

الدراسة: يدرس البحث دلالة الفعل في نص القصيدة وقد شكل ظاهرة ملحوظة بتوظيفاته الخاصة . ولكي تتضح معالم الظاهرة ودلالاتها لابد من ممهّدات توضيحية تكشف عن خصائص تلك الظاهرة . وعلاقتها بالزمن والمعنى فهناك علاقة ارتباط تتمثل في الفعل إذإنّ الفعل ((كلمة تدل على المعنى في نفسها))⁽³⁾ واقتربنا بزمان حدوث الفعل دلالة على أن ((اللفظ وضع بازائهما دفعة واحدة))⁽⁴⁾ . وإن كانت التقسيمات الزمنية للفعل غير دقيقة فقولهم الماضي في زمن مضى و قد ((يأتي بناء فعل ليشير إلى أن الحدث كان قد وقع في اللحظة التي وقع فيها الكلام))⁽⁵⁾ ، أو يكون الزمن مفتوحا إلى الوراء فإنّ ((وقوع الحدث في الماضي الذي لاحدود له في حيز من فسخ الزمن الماضي فنحن لانستطيع ضبطه وتحديدده فقد يكون قريبا ، وقد يكون بعيدا ، وقد يكون مستوعبا للزمن بأكمله ، وقد يقع في جزء منه ، فالزمن في مثل هذه الجمل ماض مجهول))⁽⁶⁾ كذلك التركيب الفعلي فهو يحمل دلالة الفعل على الزمن باتجاه الماضي غير المحدد إلا أن يوجه المعنى فيه بقرينة سياقية معينة تقرر حدوده الزمنية في الماضي حتى الزمن الماضي المفتوح ، حتى الحاضر . يبنى الفعل الماضي على الفتح ، و((الإعراب والبناء ليسا أحدهما أصل في الأفعال أو الأسماء ، وإنما يأتيان على الحالتين ، وليس أحدهما أحق بالأصالة من الآخر في شيء ، فالأفعال إذن مبنية ومعربة))⁽⁷⁾.

وفي هذه الدراسة نركز على دلالة الفعل وحالاته في إطار التشكل العام للنص .

كثرة ظهور الفعل :

للفعل مركزية تعبيرية في النص ، وهو ((باعتباره وحدة لفظية اي مجموعة أصوات ذات نظام معين ،

يأخذ وظائف معينة في الاستعمال اللغوي ، الاجتماعي ، فيأخذ وظيفة دلالية ، وأخرى صرفية وثالثة نحوية))⁸ . وفي هذا الموضع بالذات نركز على وظيفة الفعل الدلالية أنى اتجه بذلك مسندا في الإخبار أو غيره من أساليب التعبير التي يتوسع بها الإسناد في الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر إذ ((كل إخبار إسناد وليس كل إسناد إخبار))⁹ . شكلت توظيفات الفعل ظاهرة لافتة وهي تعبر عن انفعالات الشاعر متناغمة مع تعبيراته . فهو حين ينفعل في التعبير عن قدسية السيدة الزهراء ، أو مظلوميتها نجد الفعل يسلك سلوكا في الظهور كثرة مع تصعيد هذه الانفعالات . وما يكثف هذه الظاهرة ويجسد ملامحها هو العطف بين الأفعال الذي يشكل تحشيدا خاصا للفعل في السياق عند كثرة الظهور .

نظام الربط بين الأفعال :

نماذج التطبيق : أولا : النور فاض بمكة فأضاءها فلتنسج البطحاء منه رداءها

لكي نتبين ملامح الظاهرة في تشكيلها التركيبي ، وهي (ازدياد ظهور الفعل تبعا لتصعيد انفعال الشاعر) ، أن ندرس نظام الربط في الأفعال . على مستويين هما العطف بين الأفعال في صدر البيت أو عجزه . والعطف بين مجموعات الأفعال بين الأبيات .

على المستوى الأول نجد الفعل (فاض) متبوعا بالفعل (أضاء) ، ثم الفعل (تنسج) رابطا بالفاء ، والربط بالفاء له دلالة السرعة في التركيب ودلالة الترتيب بلا فاصل بين الحدثين . يفسر ذلك معنى نسج رداء الأرض من النور بعد فيضانه فورا وإضاءته ، ثم فعل آخر يفهم من السياق هو (ترتدي) بدليل قوله : (رداءها) فيكون الفعل (فاض ، أضاء تنسج ، ترتدي) مع حالة العطف بالفاء . التي ظهرت يكون حضورا دلاليا واضحا يتناغم مع ما أراده الشاعر من تكثيف للمعنى بوساطة الفعل وهو يرسم صورة قدسية لميلاد السيدة الزهراء عليها السلام

ثانيا : قمرُ السماءِ أطلَّ من عليائه وهفا إليها لاثِـمـا علياءها

في هذه الأبيات يظهر الفعل مشفوعا بحالتين من العطف ، الأولى : تكون في هذه الحالة الأفعال معطوفة بـ (الواو) على بعضها البعض عطفا قريبا . فتكون الأفعال : (أطلَّ ، هفا) معطوفان على بعضهما بالواو . تسمح الواو بالمسافة الزمنية وعدم التراتبية بين الفعلين . فيكون الفعل (أطلَّ) ، ثم بعد مسافة زمنية (هفا لاثما) . وفي الحالة الثانية : يكون العطف البعيد البيت التالي يعطف بالواو الفعلين : (تهافتت ، اختار) معطوفان معا بالمجموعة السابقة بالواو . ونجده بين الفعلين (تهافت) و(اختار) عطف بالفاء وذلك للفورية في الاختيار . هذا ما لاحظناه من نظام الربط ، إذ يكون للعطف نظامين ، الأول عطف بين الأفعال ، والثاني عطف بين المجموعات الفعلية . فيشكل هذا الترابط نسقا خاصا يساعد على نسج تشكيلات فعلية متقاربة وكثيفة الظهور عند التعبير عن القدسية التي اختص بها المولد الشريف . ولا ينقطع ذلك الربط عن بقية أجزاء التركيب الأخرى لأن الفعل في التركيب النحوي ، ((أقوى العوامل لأنه لا بد أن يعمل ، ومحل عمله الاسم ، إذ إنه ليس في اللغة فعل إلا وله معمول هو الفاعل))⁽¹⁰⁾ فضلا على المفعول به . يرتبط الفعل في التركيب ارتباطا معنويا بعلاقة الإسناد وإذا وقع اسم الفاعل وغيره مسنداليه . تساعد تلك العلاقات في فهم معنى الظواهر الإسلوبية في النص الشعري .

ثالثا : هذي الحجارة في شوامخ مكة خشعت وشاطرت السما نعماءها

في هذا البيت نجد الفعلين (خشعت) و(شاطرت) يتبع أحدهما الآخر في سياق الحديث عن قدسية المولد ضمن

تصعيد نفسي واضح لدى الشاعر، إذ يرى الخشوع حتى في حجارة الأرض لكنه عطف بالواو . بينما يظهر انفعاله أقوى عند التعبير بالعطف بالفاء في

رابعاً : لله بضعة أحمد من نوره لمعت فأهدى أفقه لألاءها

فالفعل (لمع) و(أهدى) معطوفان بالفاء لقوة الفورية والترابعية في ما أراد من التعبير عن انشطار السيدة الزهراء من نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(الربط بين الأفعال بالعطف) : وفي ظاهرة العطف نستشعر انفعالية خاصة تصعد من قوة الفعل في حالات ظهوره وتتابعه رغبة من الشاعر في تحشيد كمية أكبر من المعنى كيان الفعل متخذاً منه منفذاً للتعبير وإيصال المعنى .

المثال : نالت يداه فأثقلت ثمارها ومشت خطاه فزينت خضراءها

وفي هذا المثال يظهر الربط على مستويين : الأول على مستوى الأفعال منفردة وهو الربط بالفاء . ثم الربط على مستوى الأفعال معاً فيكون بين المجموعة الأولى (نالت فأثقلت) والربط بالفاء يعطي دلالة الترابطية والسرعة بين الأفعال ما يزيد قوة في المعنى وجمالية في التعبير فبمجرد ان رغب ، نال وتلقى ماناله من الثمر بيده فأثقلت بالعطاء الإلهي ، والمجموعة الثانية (مشت فزينت) اقترنت ترابطية الفاء بين المشي وتزيين جمال الخضراء ليضاعف الجمال بتزيينها . بعد الترابط الدلالي بالفاء بين الأفعال يأتي تحكيم الربط بين المجموعتين بالعطف بالواو ودلالته الجمع الذي يحققه تعبير الشاعر وهو يجمع بين قطف الثمار وتزيين ومضاعفة الجمال وبذلك يظهر الفعل منسوجاً يترجم موجات العاطفة التي تزخر بها عاطفة الشاعر .

مثال : تلك التي أعطت فنظرت الثرى وسمت فجاز سموها جوزاءها

نجد البصمة النفسية لروح الشاعر تتجسد ب (نظام العطف) الرابط بين الأفعال : (أعطت ، نظرت) ربطاً بالفاء يقابلها : (سمت ، جاز) ربطاً بالفاء كذلك .

هذا ماتابعه البحث في القصيدة ليرصد تشكل الظاهرة الفعلية في التعبير عن وجدان الشاعر تجاه السيدة الزهراء عليها السلام .

ومن الابيات قوله : ترضى فيرضى الله في ملكوته ويسوء قلب محمد ماساءها

ترتبط الأفعال (ترضى فيرضى) مع الأفعال في عجز البيت (يسوء ماساء) بالواو كما في ارتباط الأفعال السابقة .

الفعل من موجّهات المعنى :

يتكون التركيب اللغوي من اجزاء لفظية اهمها الفعل بوصفه الحدث الذي يخبر عن المعنى ، و((إنّ للفعل دوراً مركزياً في تصور حدود البنية الدلالية للجملة ونوع المكونات التي تملأ مواضعها . ينسق بينها ويرتبطها حسب الأهمية ويخصص مايجب تخصيصه من دلالات حتى تكون ملائمة لدورها الدلالي . فهو مكون يختزل بدلالته الدلالات السياقية المحتملة)) .⁽¹¹⁾ ويعتمد الفعل في تكوين البنية على معنى الإسناد إلى الفاعل . قال في ذلك سيبيويه رحمه الله : ((هذا باب المسند والمسند إليه وهما مالا يغنى واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدّاً)) .¹² ومن مظاهر التركيب المتأثرة بالفعل ، التقديم والتأخير في اجزاء الكلام ، يتبع ذلك قصد المتكلم لان قصده مدار المعنى . ونلاحظ ذلك جلياً في التقديم والتأخير ، إذ إنهم ((يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه

أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم))¹³ من ذلك نعرف مركزية الفعل في التركيب ، وقد أظهر موجات تعبيرية صاعدة وأخرى هابطة تتناغم انفعالية الشاعر في النص .

هذي الحجارة في شواخ مكة خشعت وشاطرت السما نعماءها

ولو أنها استطاعت تذوب محبة لسعت يغير شوقها أسماءها

يتضح هذا التمزج في تتابع الأفعال كما في (خشعت ، شاطرت) حين يصف الشاعر هذا المشهد المهيّب .

وقوله : ياكعبة الله اهتفي وتعطفي حتى يزور العطر منك فناءها .

وفي خطابه للكعبة يظهر تصعيد انفعالي في تتابع الأفعال (اهتفي ، وتعطفي ، يزور) .

وقوله : وتقوم مقام النبي بليله ... يخفي النشيج عن الظلام نداءها

يظهر الفعل : (تقوم ، قام ، يخفي) .

((الفعل ركن مهم في بناء الجملة العربية . والجملة العربية اسمية أو فعلية ذات طرفين هما المسند إليه والمسند

... . وكان الأقدمون يرون أن الفعل صاحب العمل وهو عامل قوي بل هو أقوى العوامل فهو يرفع فاعلا وينصب

مفعولا كما ينصب سائر مأسموه بالفضلات كالمفاعيل والحال ونحو ذلك ، وأنه يعمل أينما كان مقدما أم متأخرا ،

ظاهرا أم مقدرا))¹⁴ .

الحسي والعقلي في الفعل :

العقلي في اللغة من العقل ، والعين ، والقف ، واللام أصل واحد منقاس مطرد يدل على على حبة في

الشيء أو مايقارب الحبة . من ذلك العقل ، وهو الحابس عن زميم القول والفعل¹⁵ .

وبذلك يكون المنسوب للعقل فهو عقلي ، وما يدرك بالعقل . وما يهمننا هنا في معناه أنه ضد الحسي وهو

مايدرك بالحواس . وحين تظهر الألفاظ بحالات خاصة ذلك لأنها ترسم مرآة الروح ، ((فاللغة تعبير عن الفكر

والفكر تعبير عن الواقع ماديا كان او غير مادي ، حسيا كان او غير حسي))¹⁶.

عن ربط البنية العميقة ببنية السطح والعميقة تمثل البنية الإدراكية في اللغة قال الراجحي : ((وهذه البنية

تقتضي - الإدراكية - فهم العلاقات لا باعتبارها وظائف على المستوى التركيبي ، ولكن باعتبارها علاقات للتأثر

والتأثير في التصورات العميقة))¹⁷ وفي إطار الإدراك تم ربط المعنى (الحسي ، والعقلي) بظاهرة تشكل الفعل

في النص ودلالات ذلك الظهور .

أولا : تحليل الأفعال الحسية :

النور فاض بمكة فأضاءها فلتنسج البطحاء منه رداءها

نأخذ من الأفعال عينات للدراسة الدلالية بمايتقوم به البحث في هذا الموضع . ومن ذلك فعل الفيضان الذي

استعاره الشاعر من الماء والطهارة ليشبه به نور السيدة الزهراء وفضل مولدها . وهي مصدر العطاء بما قدمت

من ذريتها الذين أضاءوا طريق البشرية بالحق . فقد انطبق تشبيه مولدها بالنور وفيضان النور بالماء . ورد الفعل

(فاض) وهو ثلاثي مجرد على وزن فعّل ودلالته المغالبة أي يغلب أحد الأمرين الآخر⁽¹⁸⁾) وحين يقتزن

(فيضان النور) بدلالة الفعل الماضي وفيه معنى القطع والتحقيق في الحدث يعني ذلك الثبات والدوام لفيضان

النور الذي بدأ بمولدها عليها السلام وغمر الكون بنورها لتزهر نبراسا أبديا في طريق الحق للإنسانية جميعا .

وورد الفعل (أضاء) بدلالة الماضي يتلو سابقه وهو الفعل (فاض) والفعالان كلاهما في الزمن الماضي . يعطي ذلك معنى تحقق فيضان النور بحصول الأثر . وهو الإضاءة . ويدل على امتداد ذلك الحدث ودوامه . بعد أن عرضنا للفعل وهو في حالة الإفراد لبيان معنى اللفظة المستقلة ، نحتاج الآن لبيان معنى الفعل داخل التركيب . فقد أردف الشاعر الفعل (أضاء) بالفعل (فاض) مرتبطاً بحرف الفاء . وللفاء دلالة السرعة والتراتبية بلا مهلة أو فاصل . (19) ومثل ذلك الفعل ورد (فلتسج) . ويتكون من ال (فاء الربط) + (التاء) + (لام الأمر) + الفعل المضارع (تسج) .

من ذلك يتحصل المعنى : وهو أن النور ملأ آفاق الأرض والسماء متدفقا ، زاحفا يفتش الأرض رداء والشاعر وهو يخبر عن فيضان النور ، يأمر الأرض بنسج رداءها من ذلك النور الدفاق . وفي بنية التركيب دلالة الأمر والتراتبية بالربط والمباشرة بالحدث فبمجرد فيضان النور على الأرض أن تسج منه رداءها وتتزع عنها الظلام المطبق الذي سبقه . يتضح من ذلك أداء وفاعلية الفعل داخل البيت منسجما مع قوة تعبير الشاعر عن الحدث وصدق مشاعره تجاهه . وتستمر فاعلية الفعل الماضي والمضارع كل بحسب دلالاته في النص و المقترن بحدث الولادة وفيض النور إلى الأبد ؛ لأن السيدة الزهراء سلام الله عليها هي النور الذي يضيء وهي المنهج والطريق لكل الإنسانية .

مثال (2) : أقسمت لومدت عليه غصونها لكست بوارف ظلها صحراءها

في سياق تأكيد الشاعر لمعنى انتشار الجمال في مكة لمولد الزهراء ، وهو يطلب من الكعبة أن تتبرج فرحا بهذه الزهرة التي أهداها الله لها ، ويقسم لونها مدت غصونها على صحراء مكة لغطتها بوسع الظل . وظف الشاعر الأفعال : (أقسمت ، مدت ، كست) . وقد اشتركت بدلالاتها على الزمن الماضي ، والاتصال مرة ببناء الفاعل كما في (أقسمت) ومرتان بتاء التأنيث كما في (مدت ، كست) فلم يترك الشاعر الأفعال مبهمه إنما قيدها بالتخصيص والوضوح بوصلها بالضمير والتاء . أقسمت : يتكون هذا الفعل من (أقسم) + (تاء الفاعل) وفيه من ملامح التأكيد دلالة القسم على المضي فضلا عن قوة القسم في ذاته ، زاد ذلك تأكيدا نسبة الفعل للشاعر بظهور (تاء الفاعل) ، وهو الأعرف بما يقسم عليه من المعنى .

مثال 3 وبأن ماضمت عليه ضلوعها حوراء غادرت الجنان وراءها

الفعالان (ضمت) و(غادرت) ماضيان تم تحقق الحدث وحصوله فيهما .

وفي قوله : ضمت عليه ضلوعها نستشعر معنى لصيقا بروح السيدة خديجة عليها السلام وهي ترعى السيدة الزهراء وتغذيها من روحها إذ يأتي الحديث في سياق جبران خاطر السيدة خديجة بعد أن ودعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رحلة المعراج . وقوله : حوراء غادرت الجنان وراءها يستكمل المعنى السابق في جبران خاطر، إذ إن هذا الحدث (ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام) كان قبلاً بالتضحية والصبر من قبل السيدة خديجة عليها السلام ، لتحصل على هبة الله العظيمة .

مثال 4- ما أومأت نحو السماء تضرعا إلا وسابق دمعها إيماءها

الفعل (أومأ) من الإيماء وهو الإشارة . أراد بها الدعاء من قبل السيدة الزهراء عليها السلام وهي تتعبد في محرابها . والفعل (سابق) من أفعال الحواس الملموسة عبر الفعالان عن حالة روحية عالية وهي الخشوع لأقصى

ماتكون عليه درجات الإيمان و البكاء خشوعا بين يدي الله سبحانه .

مثال 5- فإذا تجلى للسماء جبينها بدرا تساقطت النجوم إزاءها

يصف جبين السيدة الزهراء المضيء اذ تنطفئ النجوم لما يشع من ذلك النور واصلًا للسماء .

تحليل الأفعال العقلية : اقترن ظهور الأفعال (العقلية والمفاهيم الروحية المجردة) بظاهرة البحث وهي (كثرة ظهور الأفعال تزامنا مع قوة انفعالات الشاعر) فعندما يستشعر الانسان حالة نفسية معينة تجاه موقف واداء ان يفصح عن مشاعره تلك يعمد الى اللغة فيستعملها وسيلة افصاح. و ((تعتمد اللغة على الفكر والفكر وتعبير عن الواقع ماديا كان او غير مادي ، حسي كان او غير حسي))²⁰ ومعنى ذلك أن ظاهرة أخرى اقترنت بكثرة ظهور الأفعال هي الافعال العقلية تأتي متمركزة تشكل المهيمنة الدلالية في البيت . رأي جومسكي في رفض اللغة السطحية ((على اللغوي إذن أن يضع في حسبانها أولا - قدرة - الإنسان على اللغة ، ومن ثم وصف البنية السطحية لا يقدم شيئا ليعتبر علما ، لأنه لايفسر شيئا ، ولكن الأهم هو أن نصل إلى البنية التحتية أو العميقة لأنها هي التي توقعنا على قوانين الطبيعة البشرية))²¹.

مثال 1- ماكوكبُ إلا وأوجع قلبه شوقٌ يهددُ بالجوى حصباءها

في هذا المثال يظهر الفعل (أوجع) والوجع مفهوم عقلي مجرد . وبدأت الجملة بـ (ما) النافية ، وسبق الفعل بالاستثناء بـ (إلا) وذلك يزيد التأكيد على المعنى العقلي وهو الوجع .

والفعل (يهدد) مقترنا بالفعل (أوجع) يعطينا المعنى العام للبيت وهو : اشتياق الكواكب إلى النزول للأرض تواضعا وشوقا للاحتفاء بالميلاد المقدس .

مثال 2- وتهافتت زهرُ النجوم برملها فاختر قلبُ محمد (ص) زهراءها

يصور الشاعر في هذا البيت حدث الميلاد المقدس للسيدة الزهراء سلام الله عليها بالفعلين (تهافتت ، اختار) وارتباط فعل الاختيار بالتهافت بواسطة حرف الفاء ربطا تراتبيا فوريا يوحي بحالة من الانتظار والتربح لدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه فور تهافت النجوم فوق سطح الأرض ، سارع إلى اختيار أشدهن توهجا وزدهارا . وهذا معنى مجازيا يجسد جماليات العلاقة بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والسيدة الزهراء سلام الله عليها .

المعنى العام في البيت واضح إذ يصف الشاعر مجازا اختيار النبي الأكرم لأشد النجوم ازدهارا كناية عن السيدة الزهراء عليها السلام . فتكون الصورة أن السماء أمطرت نجومها لتفتش الأرض وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اختار أجملهن وأشدهن ضوءا وتوهجا .

مثال 3- وتبرجي فرحا بزهرة دوحة باهت بها أرض الحجاز سماءها

الفعل (باهت) والتباهي في معنى البيت حالة من التنافس بين السماء والأرض حيث ترتقي الأرض فتداني السماء برفعتها . بل وتنافسها ، فخرا بولادة السيدة الزهراء بدليل اقتران الفعل الماضي بتاء التانيث الساكنة . يأمر الشاعر كعبة الله بأن تتزين فرحا بميلاد الزهرة التي باهت أرض الحجاز بميلادها سماءها .

مثال 4- يحيى بها ميت الضمير وإن طغى جذب أراقت كالربيع دماءها

تظهر الأفعال الثلاث دفعة واحدة في بيت واحد تترجم انفعالية عالية في نفس الشاعر وهو يعبر عن معانيه التي تصف سمو أخلاق وطبيعة السيدة الزهراء عليها السلام في العطاء اللامنتهي حتى أنها تؤثر بميت الضمير

فيسترد حياة ضميره . وإن طغى الظلم فهي مستعدة للتضحية بالدم لتسقي شجرة العدل في الأرض .

مثال 5- هذي الحجارة في شوامخ مكة خشعت وشاظرت السما نعماءها

الفعل (خشعت) في عجز البيت والخشوع معنى مجردا في القلب . يدل على التذلل . وفي المعجم خشع : رمى بصره نحو الأرض وغض صوته .²² والخشوع في حواس الإنسان لكنه هنا يبلغ بالمعنى قمته إذ يستعير المعنى للجماد ، فتحشع الحجارة لما في الحدث من هيبة وقديسية تبعث الحياة في الحجارة لدرجة الخشوع .

الخاتمة والنتائج :

- 1- يعبر الشاعر بالأفعال لقوتها فتأتي على شكل متتابعات فعلية مترابطة بقوة العطف .
- 2- يكون الربط بين الأفعال على مستويين : الأول الربط القريب ويشكل (متتابعات) فعلية في صدر البيت أو عجزه . والثاني الربط على مستوى متتابعات فعلية في الأبيات .
- 3- يتشكل ظهور الأفعال بوصفه ظاهرة نصية تعبيرية خاصة على شكل متتابعات فعلية داخل البيت الواحد وداخل القصيدة عموما يربط بينها العطف بالحروف .
- 4- تظهر الكثرة الغالبة في الأفعال الروحية مقابل الأفعال الحسية .
- 5- تقترن ظهور الأفعال بكثرة واضحة مع تصعيد انفعالات الشاعر .
- 6- ترتبط الأفعال الروحية بتصعيد انفعالات الشاعر عن العقيدة وقديسية المولد المقدس .

الهوامش :

- (1) ترويض النص - الدكتور حاتم الصكر - الهيئة المصرية العامة للكتاب : 27
- (2) مجلة الموسم - العدد (79-80) لسنة 2009م : 144
- (3) شرح المفصل - ابن يعيش : 2/7
- (4) المصدر نفسه
- (5) الفعل زمانه وأبنيته - الدكتور ابراهيم السامرائي - مؤسسة الرسالة - ط3 - 1403 هـ - 1983م : 29
- (6) الدلالة الزمنية في الجملة العربية - الأستاذ الدكتور علي جابر المنصوري - دار الثقافة - عمان - ط1 - 2002م : 46
- (7) النحو القرآني قواعد وشواهد - د. جميل أحمد ظفر - ط2 - 1418هـ - 1998م - مكتبة الملك فهد الوطنية - مكة المكرمة : 7
- (8) السيموطيقا والعنونة - دكتور جميل حمداوي - (بحث) صحيفة المثقف عدد 4967 - 11 - 4 - 2020
- (9) دراسات في الفعل ، د. عبد الهادي الفضلي ، دار القلم ، لبنان : 17
- (10) الأشباه والنظائر - السيوطي - 11/3
- (12) العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه ودوره في التحليل اللغوي - الدكتور خليل أحمد عمايره : 54
- (15) قضايا المعنى في البنية النحوية - د. عبد السلام عيساوي - دار التونسية للكتاب - 13
- (16) الكتاب - سيبويه : 23 / 1
- (17) المصدر نفسه :
- (18) الفعل زمانه وأبنيته - الدكتور ابراهيم السامرائي - مطبعة العاني ، بغداد - : 15
- (19) معجم مقاييس اللغة ، ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر : 74 / 4 .
- وينظر : لسان العرب ، ابن منظور الأفرقي ، دار صادر ، 11 / 466
- (20) دراسات في الفعل - الدكتور عبد الهادي الفضلي : 25

- (21) النحو العربي ، عبده الراجحي ، 148
- (22) عمدة الصرف - كمال ابراهيم - جامعة ذي قار : 16
- (23) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني - الحسن بن قاسم المرادي - ت . د. فخر الدين قباوة - دار الكتب العلمية - بيروت : 61
- (24) دراسات في الفعل - الدكتور عبد الهادي الفضلي 25
- (25) النحو العربي - عبده الراجحي : 133
- (26) ينظر : لسان العرب : 8 / 17
- المصادر :

- الأشباه والنظائر في النحو - جلال الدين السيوطي - ت: د. عبد العال سالم المكرم - مؤسسة الرسالة
- البنى اللسانية الرابطة في شعر الشنفرى - د. عبد المهدي هاشم الجراح - مجلة المخبر - عدد 12 - السنة 2016 (بحث)
- ترويض النص - حاتم الصكر - الهيئة المصرية العامة للكتاب
- الجنى الداني في حروف المعاني - الحسين بن قاسم المرادي ت : د. فخر الدين قباوة - دارالكتب العلمية - بيروت
- دراسات في الفعل - د. عبد الهادي الفضلي - دار القلم
- الدلالة الزمنية في الجملة العربية - الأستاذ الدكتور علي جابر المنصوري - دار الثقافة - عمان - ط1 - 2002م
- السيموطيقا والعنونة - د. جميل حمداوي - صحيفة المثقف (بحث)
- العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه ودوره في التحليل اللغوي - الدكتور خليل أحمد عمايره
- عمدة الصرف - د. كمال ابراهيم - جامعة ذي قار
- الفعل ، زمانه وأبنيته - د. ابراهيم السامرائي - مطبعة العاني
- قضايا المعنى في البنية النحوية - د. عبد السلام عيساوي - الدار التونسية للكتاب
- الكتاب - سيبويه - ت: عبد السلام هارون - دار الجيل - بيروت
- لسان العرب - جمال الدين محمد بن مكرم - ابن منظور - دار صادر - بيروت
- معجم مقاييس اللغة - احمد بن فارس - ت: عبد السلام هارون - دار الفكر
- الموسم - محمد سعيد الطريحي - العدد (79-80) السنة 2009 (مجلة)
- النحو العربي والدرس الحديث - د. عبدة الراجحي - دار النهضة - بيروت
- النحو القرآني قواعد وشواهد - د. جميل أحمد ظفر - مكتبة الملك فهد

فهم السلف الصالح للقياس

د. يحيى إبراهيم خليل¹

¹ محاضر بقسم الحقوق بكلية علوم القانون والسياسة، بجامعة أنجمينا . تشاد

بريد الكتروني: Yahyaabraham1965@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/9>

تاريخ القبول: 2024/02/20م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

القياس لغة: التقدير، والمساواة ، ومنه قولهم: قست الثوب بالذراع، إذا قدرته به. ويقال: فلان لا يقاس بفلان؛ أي: لا يساويه. وفي اصطلاح الأصوليين يمكن تعريفه بأنه: "حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما".
أركان القياس أربعة: الأصل ، والفرع ، والحكم ، والعلة الجامعة .
أقسام القياس :
ينقسم القياس إلى أقسام متعددة بعدة اعتبارات:
أولاً: باعتبار قوته وضعفه ينقسم القياس إلى جلي وخفي.
ثانياً: باعتبار علته ينقسم القياس إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول: قياس العلة
والقسم الثاني: قياس الدلالة، والقسم الثالث: القياس في معنى الأصل .
ثالثاً: وينقسم القياس إلى: قياس طرد، وقياس عكس .
رابعاً: ينقسم القياس باعتبار محله إلى الأقسام التالية:
القياس في التوحيد والعقائد ، القياس في الأحكام الشرعية .
خامساً: باعتبار الصحة والبطلان ينقسم القياس إلى صحيح وفاسد ومتردد بينهما.

الكلمات المفتاحية: فهم – سلف – قياس

RESEARCH TITLE

UNDERSTANDING THE GOOD PREDECESSORS OF
MEASUREMENTDr. Yahya Ibrahim Khalil¹

¹ Lecturer in the Departement of Law, Faculty of low and political sciences, University of Ndjamena – Chad

E-mail: Yahyaabraham1965@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/9>

Published at 01/03/2024

Accepted at 20/02/2024

Abstract

Measurement Language: Appreciation, equality, and from it they say: I measured the dress with the arm, if it is estimated by it. It is said: Valen is not measured by Valen, that is: it is not equal to it.

In the terminology of the fundamentalists, it can be defined as: "carrying a branch on an asset in a ruling that combines them."

The pillars of measurement are four: the origin, the branch, the ruling, and the universal cause.

Measurement sections: Measurement is divided into multiple sections with several considerations: Awal e measurement is divided into clear and hidden. Considering its strength and weakness: considering its second cause, measurement is divided into three sections:

the first section: measuring the cause, the second section: measuring the signifier, and the third section: measurement in the meaning of the original. A: The third yas is divided into: parcel measurement, and reverse measurement. A: Measurement is divided into the following sections: Fourth measurement in monotheism and beliefs, measurement in legal rulings. A: Considering the fifth health and the unemployed, the measurement is divided into true, corrupt and hesitant between them.

Key Words: understanding – predecessor - measurement

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) آل عمران: ١٠٢

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) النساء: ١

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) الأحزاب: ٧٠ .

أما بعد ،

فإنه لا يختلف اثنان في أهمية علم أصول الفقه ، بل لا يجوز لأحد أن يتعرض لفقه النص وتزويله، إلا إذا كان على دراية بهذا العلم نظرياً وعملياً؛ ولا تكفي فيه الثقافة العامة أو القراءة المتعجلة، بل لابد من تمكن ورسوخ وتضلع وهذا ما أكدته الأئمة قديماً وحديثاً والنقول عنهم في ذلك - مختصرة ومطولة - كثيرة، فمن النقول المختصرة :

قولهم: (من حُرِمَ الأصول حُرِمَ الوصول)، وقولهم: (أَكْثَرُ مَا يُفْسِدُ الدُّنْيَا: نِصْفٌ مُتَكَلِّمٌ، وَنِصْفٌ مُتَقَفٍّ وَنِصْفٌ مُتَطَبِّبٌ وَنِصْفٌ نَحْوِيٌّ. هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان)¹.

ومن التقريرات المطولة :

1- يقول الشافعي رحمه الله: (لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله، بناسخه ومنسوخه، وبمُحْكَمِهِ ومُتَشَابِهِهِ، وتأويله وتزويله، ومَكِّيهِ وَمَدَنِيهِ، وما أريد به، وفيما أنزل، ثم يكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيراً باللغة، بصيراً بالشعر وما يحتاج إليه للسنة والقرآن، ويستعمل هذا مع الإنصاف، وقلة الكلام، ويكون بعد هذا مُشْرِفاً على اختلاف أهل الأمصار، وتكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هذا هكذا؛ فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي.² فهذا التخصيص من الشافعي على أهلية المفتي وأنها لا تكون إلا بمعرفة الأصول وما يلحق بها من علوم معينة على فهم الكتاب والسنة توارد عليه العلماء بعده،

2- قول الإمام شهاب الدين القرافي (ت: 684 هـ): "ذهب قوم من الفقهاء الجهال على ذمّه، والتقليل من شأنه، وتحقيره في نفوس الطلبة، بسبب جهلهم به، ويقولون: إنما يُتَعَلَّمُ للرياء، والسُّمعة، والتغالب، والجدال، لا لقصد صحيح، بل للمضاربة والمغالبة، وما علموا أنه لولا أصول الفقه لم يثبت من الشريعة قليل ولا كثير... أو ما علموا أنه أول مراتب المجتهدين، فلو عَدِمَهُ مجتهد لم يكن مجتهداً

1 مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (5/ 119).

2 إعلام الموقعين عن رب العالمين 87/2 انظر الفقيه والمتفقه 221/2.

قطعاً. غاية ما في الباب أن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم لم يكونوا يتخاطبون بهذه الاصطلاحات، أما المعاني فكانت عندهم قطعاً. ومن مناقب الشافعي رضي الله عنه أنه أول من صنف في أصول الفقه... وإنما يُدْمَقُ القصد الصارف له إلى الباطل، فما من شيء في العالم إلا هو كذلك، قال الله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ) الأنبياء: ٣٥ ، فجعل الجميع فتنة إشارة لما ذكرته، وأصول الفقه وأصول الدين من الفروض المتعين إقامتها وضبطها، لوجوب الحجة لله تعالى على خلقه، وإيضاح أحكام شريعته)³.

3- يقول الإمام الزركشي: (فإن أولى ما صُرِفَ الهمم إلى تمهيدته، وأحرى ما عَنِيَتْ بتسديد قواعده وتشبيده؛ العلم الذي هو قوام الدين، والمَرْقِي إلى درجات المتقين. وكان علم أصول الفقه جواده الذي لا يُلْحَق، وحبله المتين الذي هو أقوى وأوثق، فإنه قاعدة الشرع، وأصل يُرَدُّ إليه كل فرع. وقد أشار المصطفى صلى الله عليه وسلم في جوامع كلمه إليه، ونَبَّه أرباب اللسان عليه، فصدر في الصدر الأول منه جملة سَنِيَّة، ورموز خَفِيَّة)⁴.

4- ويؤكد شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله هذا المعنى فيقول: (لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية تُرَدُّ إليها الجزئيات؛ ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم)⁵

5- وهذا الشاطبي رحمه الله أثناء ذكره لطرق تحصيل العلم يذكر مواصفات العالم الذي ينبغي أخذ العلم منه، وأول هذه الشروط علمه بأصول العلم وتحقيقه لها، فيقول: (فإذا تقرر هذا؛ فلا يؤخذ العلم إلا ممن تحقق به، وهذا أيضاً واضح في نفسه، وهو أيضاً متفق عليه بين العقلاء؛ إذ من شروطهم في العالم بأي علم اتفق؛ أن يكون عارفاً بأصوله، وما ينبني عليه ذلك العلم، قادراً على التعبير عن مقصوده فيه، عارفاً بما يلزم عنه، قائماً على دفع الشبهة الواردة عليه فيه)⁶

ومن الموضوعات الأصولية المهمة : القياس وهو : دليل من الأدلة المتفق عليها عند أهل الأصول ، ولا سيما فهم السلف الصالح للقياس لما لهم من الخصائص والميزات التي انفردوا بها ومن هنا جاء الاختيار لهذا الموضوع .

ومن أسباب اختياره :

- 1- لابط الأمة بسلفها الصالح .
- 2- بيان حجية القياس في فهم السلف الصالح .
- 3- بيان أن السلف الصالح يلجئون إلى القياس عند عدم الدليل من الكتاب ، والسنة ، والإجماع بمنزلة أكل الميتة عند الضرورة .
- 4- التفريق بين القياس الصحيح الذي المقبول لدى السلف الصالح ، وبين القياس الفاسد المردود لديهم .

3 نفائس الأصول في شرح المحصول (1/ 100)

4 البحر المحيط 1/4-5

5 مجموع الفتاوى 20/ 205 .

6 الموافقات 1/ 146 .

- 5- تحديد مجال القياس وهو الأحكام الشرعية ، لا العقائد إلا المثل الأعلى .
- 6- الرد على من يقدس العقل حتى يقدمه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .
- 7- الرد على من يرد القياس الصحيح .

منهج البحث :

منهج البحث : منهج استقرائي .

عملي في البحث :

- 1- نسبت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر أرقامها .
- 2- خرجت الأحاديث من مصادرها .
- 3- وثقت المعلومات بذكر مصادرها مع ذكر الصفحات .
- 4- عملت فهرس للموضوعات .

خطة البحث :

- البحث يتكون من مقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة :
- أما المقدمة ، فذكرت فيها أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومنهج البحث ، وخطته .
- وأما المبحث الأول ، فذكرت فيه تعريف القياس لغة واصطلاحاً .
- وأما المبحث الثاني ، فذكرت فيه أقسام القياس باعتباراتها .
- وأما المبحث الثالث ، فذكرت فيه حجية الصحيح عند السلف الصالح .

المبحث الأول : تعريف القياس :

القياس لغة ⁷ : التقدير ، ومنه قولهم : قست الثوب بالذراع ، إذا قدرته به .

والقياس : المساواة ، يقال : فلان لا يقاس بفلان ؛ أي : لا يساويه .

وفي اصطلاح الأصوليين يمكن تعريفه بأنه : " حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما " ⁸ .

وبهذا التعريف يتضح أن للقياس أربعة أركان ⁹ :

الركن الأول : الأصل ، وهو المقيس عليه .

الركن الثاني : الفرع ، وهو المراد إلحاقه بالأصل المقيس عليه وحمله عليه .

الركن الثالث : حكم الأصل ، وهو الوصف المقصود حمل الفرع عليه .

الركن الرابع : الوصف الجامع ، وهو العلة الجامعة بين الأصل والفرع المقتضية للحمل .

7 انظر : " لسان العرب " (187/6) ، و " المصباح المنير " (521) ، و " شرح الكوكب المنير " (5/4) .

8 انظر : " روضة الناظر " (227/2) ، و " قواعد الأصول " (79) ، و " مختصر ابن اللحام " (142) ، و " منكرة الشنقيطي " (243) .

9 انظر : " الفقيه والمتفقه " (210/2) ، و " روضة الناظر " (228/2 ، 303) ، و " قواعد الأصول " (80 ، 81) ، و " مختصر ابن اللحام " (142) ، و " منكرة الشنقيطي " (243 ، 271) .

الأولى تسمية القياس بما سَمَّاهُ الله به :

قال ابن القيم رحمه الله : (والقياس الصحيح هو الميزان؛ فالأولى تسميته بالاسم الذي سَمَّاهُ الله به، فإنه يدل على العَدْل، وهو اسم مَدْح واجب على كل واحد في كل حال بحسب الإمكان، بخلاف اسم القياس فإنه ينقسم إلى حق وباطل، وممدوح ومذموم، ولهذا لم يَجِئ في القرآن مَدْحُه ولا ذَمُّه، ولا الأمر به ولا النهي عنه، فإنه مورد تقسم إلى صحيح وفاسد؟. فالصحيح هو الميزان الذي أنزله مع كتابه)¹⁰.

المبحث الثاني : أقسام القياس :

ينقسم القياس إلى أقسام متعددة بعدة اعتبارات:

أولاً: باعتبار قوته وضعفه ينقسم القياس إلى جلي وخفي¹¹.

فالقياس الجلي: ما قُطِع فيه بنفي الفارق المؤثر، أو كانت العلة فيه منصوفاً أو مجمعاً عليها، فهذه ثلاث صور.

وهذا النوع من القياس لا يُحتاج فيه إلى التعرض لبيان العلة الجامعة، لذلك سُمي بالجلي، وذلك مثل قياس إحراق مال اليتيم وإغراقه على أكله في الحرمة الثابتة في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) النساء: ١٠ .

وهذا النوع من القياس متفق عليه، وهو أقوى أنواع القياس لكونه مقطوعاً به، وقد اختلف في تسميته قياساً كما سيأتي بيان ذلك في الكلام على مفهوم الموافقة .

والقياس الخفي: ما لم يُقَطِع فيه بنفي الفارق ولم تكن علته منصوفاً أو مجمعاً عليها، وذلك مثل قياس القتل بالمنقل على القتل بالمحدد في وجوب القصاص.

فهذا النوع لا بد فيه من التعرض لبيان العلة وبيان وجودها في الفرع، فيحتاج إلى مقدمتين:

المقدمة الأولى: أن السكر مثلاً علة التحريم في الخمر، فهذه المقدمة إنما تثبت بأدلة الشرع، وهي مسالك العلة الآتي بيانها .

المقدمة الثانية: أن السكر موجود في النبيذ، فهذه المقدمة يجوز أن تثبت بالحس والعقل والعرف وأدلة الشرع. وهذا النوع متفق على تسميته قياساً.

ثانياً: باعتبار علته ينقسم القياس إلى ثلاثة أقسام¹² : القسم الأول: قياس العلة، وهو: ما صرح فيه بالعلة فيكون الجامع هو العلة، وذلك كقوله تعالى: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) آل عمران: ١٣٧ يعني: هم الأصل، وأنتم الفرع، والعلة الجامعة التكذيب، والحكم الهلاك.

والقسم الثاني: قياس الدلالة، وهو: ما لم تُذكر فيه العلة، وإنما ذُكر فيه لازم من لوازمها؛ كأثرها أو حكمها فيكون الجامع هو دليل العلة، وذلك كقوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ

10 إعلام الموقعين 251/2 .

11 انظر: "الرسالة" (513)، و"جامع بيان العلم وفضله" (74/2)، و"روضة الناظر" (254/2 - 257)، و"مجموع الفتاوى" (207/21)، و"مختصر ابن اللحام" (150)، و"شرح الكوكب المنير" (207/14، 208)، و"مذكرة الشنقيطي" (250) .

12 انظر: "إعلام الموقعين" (133/1) وما بعدها، و"مختصر ابن اللحام" (150)، و"شرح الكوكب المنير" (209/4، 210)، و"مذكرة الشنقيطي" (270)، (271) . وقد زاد البعض قسماً رابعاً وهو قياس الشبه. انظر: "قواعد الأصول" (92، 93)

اَهْتَرَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخْيِي الْمَوْتَى ۚ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فصلت: ٣٩

فالأصل القدرة على إحياء الأرض، والفرع القدرة على إحياء الموتى، والعلة هي عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته، وإحياء الأرض دليل العلة.

والقسم الثالث: القياس في معنى الأصل، وهو: ما كان بإلغاء الفارق فلا يحتاج إلى التعرض إلى الجامع، وذلك كالحاق الضرب بالتأفيف، وهذا القسم هو القياس الجلي؛ ويسمى: بمفهوم الموافقة.

ثالثاً: وينقسم القياس إلى: قياس طرد، وقياس عكس¹³.

فقياس الطرد: ما اقتضى إثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الأصل فيه¹⁴. وقياس العكس: ما اقتضى نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه.

ومثال هذين القسمين يوضحه ابن تيمية بقوله:

"وما أمر الله به من الاعتبار في كتابه يتناول قياس الطرد وقياس العكس؛ فإنه لما أهلك المكذبين للرسول بتكذيبهم، كان من الاعتبار أن يُعلم أن من فعل مثل ما فعلوا، أصابه مثل ما أصابهم، فينقي تكذيب الرسل حذراً من العقوبة، وهذا قياس الطرد، ويعلم أن من لم يكذب الرسل لا يصيبه ذلك، وهذا قياس العكس"¹⁵.

رابعاً: ينقسم القياس باعتبار محله إلى الأقسام التالية:

أ- القياس في التوحيد والعقائد¹⁶ :

اتفق أهل السنة على أن القياس لا يجري في التوحيد إن أدى إلى البدعة والإلحاد، وتشبيه الخالق بال مخلوق، وتعطيل أسماء الله وصفاته وأفعاله.

وإنما يصح القياس في باب التوحيد إذا استدل به على معرفة الصانع وتوحيده، ويستخدم في ذلك قياس الأولى، لئلا يدخل الخالق والمخلوق تحت قضية كلية تستوي أفرادها (لَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) النحل: ٦٠ ، ولئلا يتمثلان أيضاً في شيء من الأشياء (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الشورى: ١١

بل الواجب أن يُعلم أن كل كمال - لا نقص فيه بوجه - ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولى بنفيه عنه.

ب- القياس في الأحكام الشرعية¹⁷ :

منع البعض إجراء القياس في جميع الأحكام الشرعية، لأن في الأحكام ما لا يعقل معناه فيتعذر إجراء القياس في مثله.

وهذا غير صحيح؛ بل كل ما جاز إثباته بالنص جاز إثباته بالقياس، لأنه ليس في هذه الشريعة شيء يخالف القياس. قال ابن تيمية: "ومن كان متبحراً في الأدلة الشرعية أمكنه أن يستدل على غالب الأحكام بالنصوص

13 "مجموع الفتاوى" (239/9) .

14 انظر: "جامع بيان العلم وفضله" (74/2) ، و"الفقيه والمتفقه" (209/2) ، و"مجموع الفتاوى" (349/12، 350) ، و"إعلام الموقعين" (68/1)

15 "مجموع الفتاوى" (239/9) .

16 انظر: "جامع بيان العلم وفضله" (74/2) ، و"الفقيه والمتفقه" (209/2) ، و"مجموع الفتاوى" (349/12، 350) ، و"إعلام الموقعين" (68/1)

17 انظر: "مجموع الفتاوى" (288/19، 289) ، و"إعلام الموقعين" (205/1، 3/2) ، و"شرح الكوكب المنير" (224/4، 225) .

وبالأنقيسة" ¹⁸ .

وقال ابن القيم: "... فهذه نبذة يسيرة تطلعك على ما وراءها من أنه ليس في الشريعة شيء يخالف القياس، ولا في المنقول عن الصحابة الذي لا يعلم لهم فيه مخالف، وأن القياس الصحيح دائر مع أوامرها ونواهيها وجوداً وعدمًا" ¹⁹ .

خامساً: باعتبار الصحة والبطلان ينقسم القياس إلى صحيح وفساد ومتردد بينهما: فالصحيح: هو ما جاءت به الشريعة في الكتاب والسنة، وهو الجمع بين المتماثلين، مثل أن تكون العلة موجودة في الفرع من غير معارض يمنع حكمها، ومثل القياس بإلغاء الفارق. والفساد ما يضاده ²⁰ . قال ابن تيمية: "وكل قياس دل النص على فساده فهو فاسد، وكل من ألحق منصوصاً بمنصوص يخالف حكمه فقياسه فاسد، وكل من سوى بين شيئين أو فرق بين شيئين بغير الأوصاف المعتبرة في حكم الله ورسوله فقياسه فاسد" ²¹ .

والقسم الثالث: هو القياس المتردد بين الصحة والفساد فلا يقطع بصحته ولا بفساده، فهذا يتوقف فيه حتى يتبين الحال فيقوم الدليل على الصحة أو الفساد ²² . فمراد من ذمه: القياس الباطل، ومراد من استعمله واستدل به: القياس الصحيح ²³ .

- ولهذا أيضاً لم يجئ في القرآن الكريم مدحه ولا ذمه، ولا الأمر به ولا النهي عنه، فإنه مورد تقسيم إلى صحيح وفساد ²⁴ .

المبحث الثالث : القياس حجة لإثبات الأحكام الشرعية عند السلف الصالح : وعلى هذا كان سلف هذه الأمة قال المزني صاحب الإمام الشافعي: إن الفقهاء من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا استعملوا المقاييس في جميع الأحكام في أمر دينهم، وأجمعوا على أن نظير الحق حق ونظير الباطل باطل؛ فلا يجوز لأحد إنكار القياس، لأنه التشبيه بالأموال والتمثيل عليها. وقال ابن عقيل الحنبلي: وقد بلغ التواتر عن الصحابة باستعماله وهو قطعي.

وقال ابن دقيق العيد: عندي أن المعتمد اشتهاه العمل بالقياس في أقطار الأرض شرقاً وغرباً قرناً بعد قرن عند جمهور الأمة إلا عند شذوذ متأخرين .

ومن نماذج ذلك :

18 "مجموع الفتاوى" (289/19) .

19 "إعلام الموقعين" (71/2) .

20 انظر: "مجموع الفتاوى" (504/20، 505) ، و"إعلام الموقعين" (133/1، 3/2، 4) .

21 "مجموع الفتاوى" (287/19، 288) .

22 انظر المصدر السابق (288/19)

23 انظر: "إعلام الموقعين" (133/1) .

24 المرجع السابق .

- 1- وَفِي كِتَابِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: « فَأَعْرِفِ الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ وَقِسِ الْأُمُورَ »²⁵ .
- 2- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : بَلَغَ عُمَرُ أَنَّ سَمُرَةَ بَاعَ خَمْرًا ، فَقَالَ : قَاتَلَ اللَّهُ سَمُرَةَ ، أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ ، فَجَمَلُوهَا ، فَبَاغُوهَا²⁶ .
- 3- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلَا يَبِيعُهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَأَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ²⁷ .
- 4- وَقَائِسُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَكَاتِبِ. وَقَائِسُهُ أَيْضًا فِي الْجَدِّ وَاتَّفَقَا فِي أَنَّهُ لَا يُحْجَبُ الْإِخْوَةُ فَقَاسَهُ عَلِيٌّ وَشَبَّهَهُ بِسَيْلٍ انْشَعَبَتْ مِنْهُ شُعْبَةٌ ثُمَّ انْشَعَبَ مِنَ الشُّعْبَةِ شُعْبَتَانِ وَقَاسَهُ زَيْدٌ عَلَى شَجَرَةٍ انْشَعَبَ مِنْهَا غُصْنٌ وَانْشَعَبَ مِنَ الْغُصْنِ غُصْنَانِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُمَا فِي الْجَدِّ وَاحِدٌ فِي أَنَّهُ يُشَارِكُ الْإِخْوَةَ وَلَا يَحْجُبُهُمْ.
- 5- عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : وَيُعْرِفُ الْحَقُّ بِالْمَقَائِيسَةِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ²⁸ .
- 6- وَقَاسَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْأَضْرَاسَ بِالْأَصَابِعِ وَقَالَ: «عَقْلُهُمَا سَوَاءٌ» اعْتَبَرَهَا بِهَا
- 7- وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: «أَنَا نَأْخُذُ فِي زَكَاةِ الْبَقَرِ فِيمَا زَادَ عَلَى الْأَرْبَعِينَ بِالْمَقَائِيسِ» .
- 8- وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: «مَا كُلُّ شَيْءٍ نُسْأَلُ عَنْهُ نَحْفَظُهُ، وَلَكِنَّا نَعْرِفُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ وَنَقِيسُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ» ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ قِيلَ لَهُ: " أَكُلُّ مَا تُقْتَنِي بِهِ النَّاسُ سَمِيعَتُهُ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنْ بَعْضُهُ سَمِيعَةٌ وَقِسْتُ مَا لَمْ أَسْمَعْ عَلَى مَا سَمِعْتُ " .
- 9- وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي لَأَسْمَعُ الْحَدِيثَ وَأَقِيسُ عَلَيْهِ مِائَةَ شَيْءٍ»²⁹ .
- 10- وقد افرد البخاري بابا في إثباته بل جعله من باب الاعتصام بالكتاب والسنة وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب من شبه أصلا معلوما بأصل مبين قد بين الله حكمهما ليفهم السائل: قال :

حدثنا أصبغ بن الفرّج حدثني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن امرأتي ولدت غلاما أسود وإنني أنكرته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من إبل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر قال هل فيها من أورك قال إن فيها لورقا قال فأنى ترى ذلك جاءها قال يا رسول الله عرق نزعها قال ولعل هذا عرق نزعها ولم يرخص له في الانتفاء منه³⁰ .

وقال : حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن امرأة جاءت إلى النبي

25 سنن الدارقطني 4:206 والسنن الكبرى للبيهقي 150/10 والفقيه والمتنقيه 1/ 493 .

26 أخرجه مسلم 41/5 برقم : 4055

27 أخرجه مسلم 7/5 برقم : 3830

28 الفقيه والمتنقيه 476/1 قال ابن القيم : وقد رواه الخطيب وغيره ورفعاه غير صحيح .

29 هذه الآثار السابقة في جامع بيان العلم وفضله 873/2.

30 أخرجه البخاري 101/9 برقم : 7314 .

صلى الله عليه وسلم فقالت إن أمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج أفأحج عنها قال نعم حجي عنها أريت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته قالت نعم فقال اقضوا الله الذي له فإن الله أحق بالوفاء ³¹. وقال ابن عبد البر - في بيان العلم بعد أن ساق هذا الفصل - قد أتى الشافعي رحمه الله في هذا الباب بما فيه كفاية وشفاء والله الموفق .

وَقَالَ أَبُو عَمَرَ: " وَمَنْ الْقِيَاسُ الْمُجْمَعُ عَلَيْهِ :

صَيْدُ مَا عَدَا الْكِلَابَ مِنَ الْجَوَارِحِ قِيَاسًا عَلَى الْكِلَابِ لِقَوْلِهِ (فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ) المائدة: ٤ وَقَالَ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) النور: ٤ فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْمُحْصَنُونَ قِيَاسًا، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْإِمَاءِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ النساء: ٢٥ فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْعَبِيدُ قِيَاسًا عِنْدَ الْجُمُهورِ إِلَّا مَنْ شَذَّ مِمَّنْ لَا يَكَادُ يُعَدُّ خِلَافًا، وَقَالَ فِي جَزَاءِ الصَّيْدِ الْمَقْتُولِ فِي الْحَرَمِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) المائدة: ٩٥ فَدَخَلَ فِيهِ قَتْلُ الْخَطَا قِيَاسًا عِنْدَ الْجُمُهورِ إِلَّا مَنْ شَذَّ لِأَنَّهُ أَتْلَفَ مَا لَا يَمْلِكُ قِيَاسًا عَلَى مَا لِعِيره إِذَا أَتْلَفَهُ عَمْدًا أَوْ خَطَاً، وَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ) الأحزاب: ٤٩ فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِيَّاتُ قِيَاسًا فَكُلُّ مَنْ تَزَوَّجَ كِتَابِيَّةً وَطَلَّقَهَا قَبْلَ الْمَسِيسِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا عِدَّةٌ، وَالْخِطَابُ قَدْ وَرَدَ بِالْمُؤْمِنَاتِ، وَقَالَ فِي الشَّهَادَةِ فِي الْمَدَائِنَاتِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ) البقرة: ٢٨٢ قِيَاسًا عَلَى الدِّينِ الْمَوَارِيثِ وَالْوَدَائِعِ وَالْعُصُوبِ وَسَائِرِ الْأُمُوالِ، وَأَجْمَعُوا عَلَى تَوْرِيثِ الْبَنَتَيْنِ الثَّلَاثَيْنِ قِيَاسًا عَلَى الْأَخْتَيْنِ وَهَذَا كَثِيرٌ جِدًّا يَطُولُ الْكِتَابُ بِذِكْرِهِ، وَقَالَ فِيمَنْ أُعْسِرَ بِمَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنَ الرِّبَا (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ) البقرة: ٢٨٠ فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ كُلُّ مُعْسِرٍ بِدِينٍ حَلَالٍ وَتَبَّتْ ذَلِكَ قِيَاسًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَوْرِيثُ الذَّكَرِ ضِعْفِي مِيرَاثِ الْأُنْثَى مُنْفَرِدًا وَإِنَّمَا وَرَدَ النَّصُّ فِي اجْتِمَاعِهَا بِقَوْلِهِ: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِي) النساء: ١١ ، وَقَالَ: (وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِي) النساء: ١٧٦

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قِيَاسُ التَّظَاهُرِ بِالْبَيِّنَةِ عَلَى التَّظَاهُرِ بِالْأَمِّ؛ لِأَنَّ الْعِلَّةَ أَنْ يَكُونَ الْمُتَظَاهِرُ بِهَا رَجَمًا مُحَرَّمًا، وَقِيَاسُ الرَّقَبَةِ فِي الظَّهَارِ عَلَى الرَّقَبَةِ فِي الْقَتْلِ بِشَرْطِ الْإِيمَانِ، وَقِيَاسُ تَحْرِيمِ الْأَخْتَيْنِ وَسَائِرِ الْقَرَابَاتِ مِنَ الْإِمَاءِ عَلَى الْحَرَائِرِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَهُنَّ فِي التَّسْرِي وَالنِّكَاحِ، وَهَذَا لَوْ تَقَصَّيْنَاهُ لَطَالَ بِهِ الْكِتَابُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ ³².

لكن السلف الصالح يأخذون بالقياس عند الضرورة :

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (فإذا لم يكن عند الإمام أحمد في المسألة نص، ولا قول الصحابة، أو أحد منهم، ولا أثر مرسل، أو ضعيف: عدل إلى الأصل الخامس -وهو القياس- فاستعمله للضرورة، وقد قال في "كتاب الخلل": سألت الشافعي عن القياس، فقال: إنما يُصار إليه عند الضرورة ، أو ما هذا معناه.

وقال في "رواية أبي الحارث": ما تصنع بالرأي والقياس، وفي الحديث ما يغنيك عنه؟

وقال في "رواية عبد الملك الميموني": يَجْتَنِبُ المتكلم في الفقه هذين الأصلين: المُجْمَل والقياس ³³.

31 المصدر السابق .

32 جامع بيان العلم وفضله 874/2 .

33 إعلام الموقعين 59/2-60.

وقال رحمه الله : (الرأي ثلاثة أقسام:

رأي باطل بلا ريب .

ورأي صحيح .

ورأي هو موضع الاشتباه.

والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف، فاستعملوا الرأي الصحيح، وعملوا به وأفتوا به، وسَوَّغُوا القول به، وذَمُّوا الباطل، ومنعوا من العمل به والفتيا والقضاء به، وأطلقوا ألسنتهم بذمه وذم أهله.

والقسم الثالث: سَوَّغُوا العمل والفتيا والقضاء به عند الاضطرار إليه حيث لا يوجد منه بُدٌّ، ولم يلزموا أحدًا العمل به، ولم يُحَرِّمُوا مخالفته، ولا جعلوا مُخَالَفَهُ مَخَالَفًا للدين، بل غايته أنهم خَيَّرُوا بين قبوله ورده؛ فهو بمنزلة ما أبيح للمضطر من الطعام والشراب الذي يحرم عند عدم الضرورة إليه، كما قال الإمام أحمد: سألت الشافعي عن القياس، فقال لي: عند الضرورة وكان استعمالهم لهذا النوع بقدر الضرورة: لم يُفَرِّطُوا فيه ويُفَرِّغُوا ويُؤَلِّدُوا ويُؤَسِّغُوا كما صنع المتأخرون، بحيث اعتاضوا به عن النصوص والآثار، وكان أسهل عليهم من حفظها، كما يوجد كثير من الناس يضبط قواعد الإفتاء لصعوبة النقل عليه وتَعَسَّرَ حفظه، فلم يتعدَّوا في استعماله قدر الضرورة، ولم يَبْغُوا العدول إليه مع تمكنهم من النصوص والآثار؛ كما قال تعالى في المضطر إلى الطعام الْمُحَرَّم: فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ الْبَقَرَةُ: ١٧٣ فالباغي: الذي يبتغي الميتة مع قدرته على التوصل إلى المُذَكِّي، والعادي: الذي يتعدَّى قدر الحاجة بأكلها)³⁴.

الخاتمة :

توصلت في هذا البحث على النتائج التالية :

القياس لغة : التقدير والمساواة .

واصطلاحاً : حمل فرع على أصل لعللة جامعة بينهما .

للقياس اقسام عدة لا عتبارت متعددة .

القياس قياسان : قياس صحيح وهو حجة عند السلف الصالح

وقياس فاسد وهو مردود عند السلف الصالح .

لا مجال للقياس في العقائد إلا المثل الأعلى .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)
مجموع الفتاوى المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،
المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م
ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ) إعلام الموقعين
عن رب العالمين تحقيق مشهور حسن الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة:
الأولى، 1423 هـ

إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغزنائي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)
الموافقات المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان
الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/1997م .

أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي (384 - 458 هـ) السنن الكبرى تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد
المحسن التركي الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور / عبد السند حسن يمامة)
الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)
الفقه والمتفقه المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية الطبعة:
الثانية، 1421هـ

أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى:
385هـ) سنن الدارقطني حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف
حرز الله، أحمد برهوم الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م
أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري

المتوفى : 261 هـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المحقق
: مجموعة من المحققين الناشر : دار الجيل - بيروت الطبعة : مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في
استانبول سنة 1334 هـ

أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)
البحر المحيط في أصول الفقه الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م
أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) جامع بيان
العلم وفصله تحقيق: أبي الأشبال الزهيري الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى،
1414 هـ - 1994 م

أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجاعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن
قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ) روضة الناظر الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة

الثانية 1423هـ-2002مروضة الناظر"

الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ) الرسالة المحقق: أحمد شاكر الناشر: مكتبة الحلبي، مصر الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م.

تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (المتوفى : 972هـ) شرح الكوكب المنير المحقق : محمد الزحيلي و نزيه حماد الناشر : مكتبة العبيكان الطبعة الثانية 1418هـ - 1997 م

شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت 684هـ) نفائس الأصول في شرح المحصول المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م .

محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ) مذكرة في أصول الفقه الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة الطبعة: الخامسة، 2001 م محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه " المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى 1422هـ

محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) لسان العرب الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ

ARTICLE DE RECHERCHE

**LES SOFS DANS LE PRERIF CENTRAL: INVENTAIRE,
POTENTIALITES ET VALORISATION**

Amrani soukaina⁽¹⁾, El amrani abdlouhed⁽²⁾

⁽¹⁾ Etudiante chercheur on doctorat ; faculter de lettre et science humain ibn zohr agadir.

⁽²⁾ Enseignant chercheur à la faculter polydisciplinaire taza

E-mail : soukainaamrani2019@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/10>

Publié le 01/03/2024

Accepté le 20/02/2024

Résumé

Cette étude vise à mettre en évidence les potentiels de développement des Sofs aux Prérif central, tout en soulignant ses caractéristiques géomorphologiques et hydrogéologiques. L'étude vise également à détecter les valeurs scientifiques, culturelles et économiques les plus importants qui sont disponibles sur ces sites géomorphologiques. À cet égard, nous suivons une méthodologie basée sur le travail de terrain à partir de l'inventaire des sofs, où nous appliquons la fiche d'inventaire des géomorphosites menée au sein de l'Institut de géographie de l'Université de Lausanne (suisse). Les principaux résultats de cette recherche sont les suivants: d'abord, la région de Prérif central est bien enrichie de ces sites géomorphologiques, ensuite, ces sites présentent des potentialités touristiques importantes, et enfin, bien que ces sites englobent des potentialités importantes, ils ne sont pas intégrés dans le cycle économique dans la région.

Mots Clés: géomorphosites – Sofs - potentialités touristiques - Prérif central.

RESEARCH ARTICLE

SOFS IN THE CENTRAL PRERIF: INVENTORY, POTENTIAL AND VALUATION**Amrani soukaina⁽¹⁾, El amrani abdlouhed⁽²⁾**

(1) Doctoral research student; faculty of letters and human sciences ibn zohr agadir.

(2) Teacher-researcher at the Taza polydisciplinary faculty E-mail: soukainaamrani2019@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/10>

Published at 01/03/2024**Accepted at 20/02/2024****Abstract**

This study aims to highlight the development potential of the Sofs in the central Prérif, while emphasizing its geomorphological and hydrogeological characteristics. The study also aims to detect the most important scientific, cultural and economic values that are available in these geomorphological sites. In this regard, we follow a methodology based on fieldwork from the inventory of sofs, where we apply the geomorphosite inventory sheet carried out within the Institute of Geography of the University of Lausanne (Switzerland)). The main results of this research are as follows: first, the central Prérif region is well enriched with these geomorphological sites, then, these sites have significant tourist potential, and finally, although these sites include significant potential, they are not integrated into the economic cycle in the region.

Key Words: geomorphosites – Sofs - tourist potential - Central Prerif.

1. Introduction générale

Le Rif en général et le Prérif en particulier sont des zones caractérisées par la prédominance de formations lithologiques friables telles que les marnes, les marno-calcaires et les schistes (Ennadifi, 1974; Leblanc, 1975; Suter 1980) et aussi des formations géologique karstique (sofs).

La zone Prérifaine : Elle représente une formation géologique très complexe. Cette zone comporte deux ensembles qui sont du Nord au Sud :

- Le Prérif interne (ou zone des «Sofs»): Il est dominé par des terrains Jurassiques, en particulier le «Ferrysch» (Wildi, 1981) et les calcaires du Lias moyen et du Malm supérieur. Ces calcaires, très disloqués par la tectonique, forment des alignements d'écaillés décamétriques à kilométriques appelés «Sofs» (Lacoste, 1934 et Suter, 1965).
- Le Prérif externe (ou zone des collines): il est constitué par des terrains marneux d'âge surtout tertiaire formant des collines d'altitudes modérées.

Le Prérif caractérisé par la diversité et la richesse de son paysage à savoir les montagnes (Drinkel 1600 m ; keil 1628 m), les cours d'eau et sources, les espaces naturelles et les zones touristiques et aussi les formes karstiques mineures et superficielles se sont développées sur les sofs du Prérif central. Malgré ce site géomorphologique n'est pas utilisé dans la création d'un développement local.

Les "Sofs" désignent en arabe un volume montagneux qui se présente sous forme de suite d'alignements des reliefs rocheux. Ils représentent une unité topographique et structurale bien individualisée dans la zone de contact Rif - Prérif central marocain .Il s'agit de massifs relativement élevés (700 à 1200 m d'altitude) qui poinçonnent une topographie collinaire molle de 300 à 600 m. L'orientation de ces sofs est généralement Est-Ouest.

Le Prérif central constitue plusieurs géotopes géomorphologiques et hydrologiques, qui abrite des potentialités très importantes pour le développement local. Mais le fonctionnement de ces ressources reste limité. Dans ce contexte, les acteurs de développement sont obligés de mobiliser toutes les potentialités dans le sens du développement durable. En se basant aussi sur l'évaluation des valeurs des Sofs dans le Prérif Central.

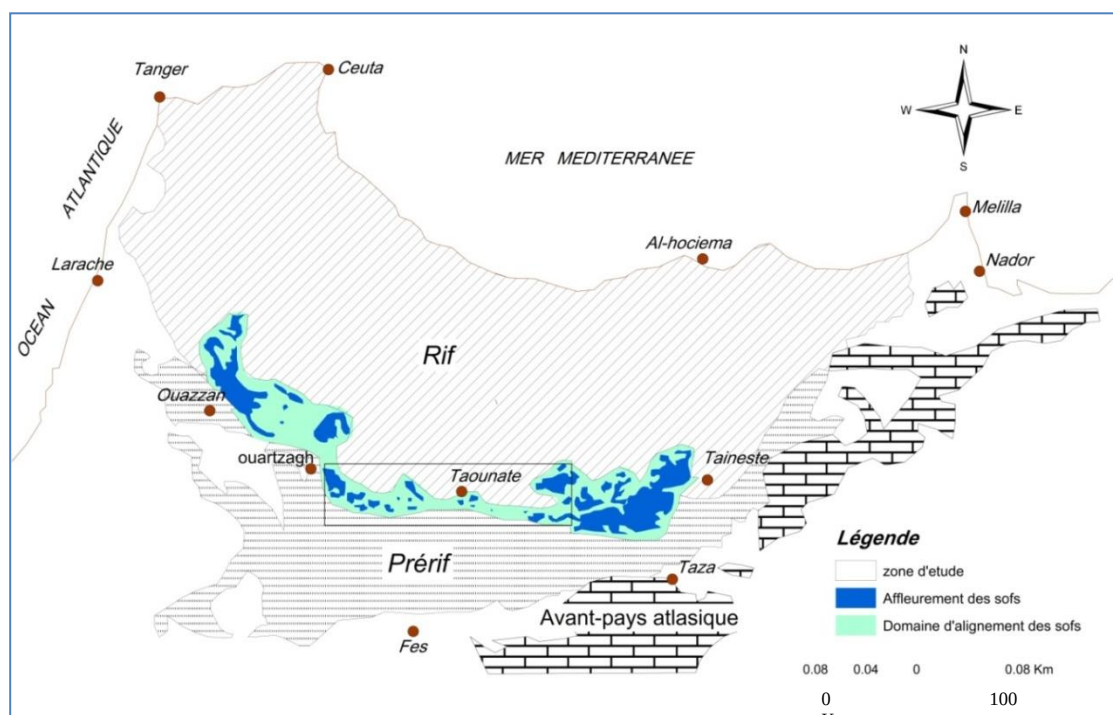
La valorisation des sofs dans cette zone d'étude, aura des impacts positifs sur le développement local de la région au niveau touristique à travers la protection des paysages et la construction des infrastructures dans la région.

1 - Le milieu physique

1-1 : Cadre géographique

La zone d'étude est située au Nord du Maroc (Figure n°1), du point de vue administratif, à la région de Fès-Meknès et comporte des communes rurales qui sont considérées parmi les principales communes de la Province de Taounate a savoir: Quartague, Ain Aicha, Taounate, Ain Medouena, Bouadel, et Bni Oualid. La zone d'étude caractérisée aussi par l'alignement des sofs la longue de Prérif central.

Figure n°1 : la carte de localisation des sofs dans la zone d'étude.



Source : Gartet A et al, 2011

2-1 : Climatologie

Le climat de la région d'étude présente les traits typiques du climat méditerranéen. La saison fraîche et pluvieuse débute en Septembre et de prolonge jusqu'à Mai ; la saison sèche et chaude dure donc au minimum quatre mois, et plutôt cinq en moyenne et basse altitude.

Tableau n° 1 : la précipitation annuelle de la zone d'étude (1981-2015)

Nom de station	Cordonnés			Précipitations annuelles (mm)		
	X (km)	Y (km)	Z (m)	Max	Moy	Min
Ain Aicha	564,70	428,80	250	874	493,2	237
Taounate	569,40	438	668	1762	842	356

Source : ABHS, 2015

Selon les données de tableau n°1, on peut dire que la pluviométrie annuelle moyenne de la région est de l'ordre 842 mm avec des maximale qui atteignent 1762mm dans la même station (Taounate). Les valeurs minimales sont ceux des stations situées en aval (Ain Aicha, Bab Ouander et Bouhoda, avec respectivement 237, 289 et 305mm). La quantité de précipitation augmente avec l'altitude, la station de Taounate à 668m d'altitude.

Les trois communes caractérisent par la présence des sources, qui joue un rôle important dans l'irrigation des superficies de 540 ha avec un débit de source atteint 450 l/s à Ain Mediouna.

D'après le Diagramme Ombrothermique sur une période de 30ans les communes étudiées bénéficient d'un climat tempéré chaud, le climat dans la zone d'étude généralement le même. Les précipitations sont plus importantes en hiver qu'en été (Ain Aicha, Taounate, Bouhoda, Bab Ouander). Selon La classification de Köppen-Geiger le climat de Taounate est de type méditerranéen. La température moyenne annuelle est de 17° C à Taounate et presque le même

pour les autres stations (Figure n°2). Les précipitations sont aussi plus importantes en hiver qu'en été. Il tombe en moyenne 655 mm de pluie par an. Juillet est le mois le plus sec, avec seulement 1 mm. En décembre, les précipitations sont les plus importantes de l'année avec une moyenne de 101 mm.

2-2 : L'hydrologie

Dans la zone d'étude les potentialités hydriques, surtout superficielles sont très importantes.

❖ Les oueds

La zone d'étude est drainée par l'oued Ouergha, considéré comme étant le principal cours d'eau au niveau de la région rifaine, de sorte qu'il représente 13% du total des ressources en eau de surface au Maroc.

En plus de l'oued Ouergha le territoire sud rifain est sillonné par un réseau hydrographiquement très dense : oued Sra, oued Sahla, oued Amzaz, oued Aoulay, oued El Guezzar ... etc.

Le débit moyen annuel de l'oued Ouergha est de 92m³/s, le débit d'étiage est de 3m³/s pour une longueur de 324 km et un bassin versant de 7330 km².

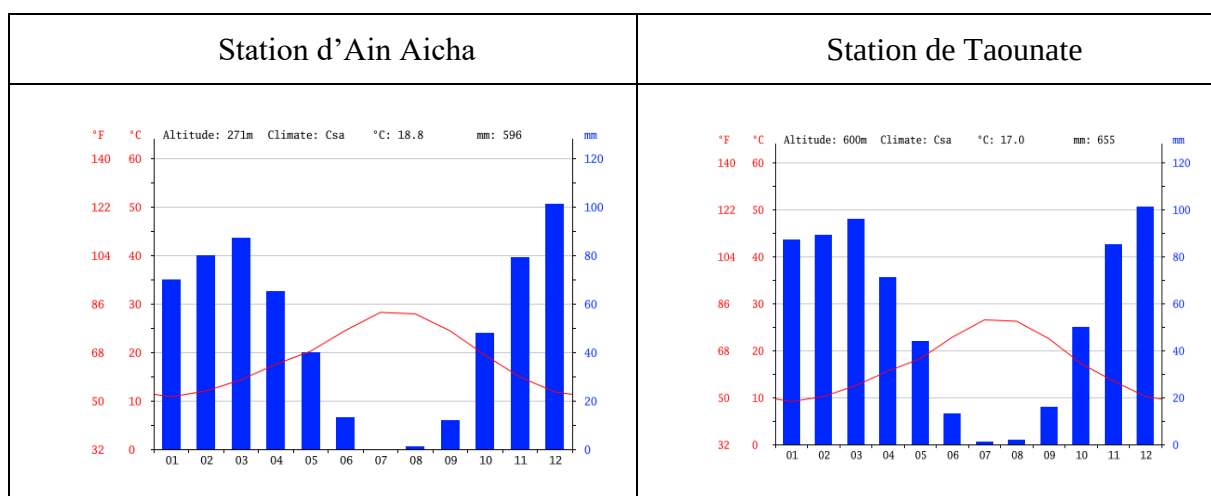
❖ Les barrages

La régularisation des apports des oueds se fait, pour l'Asfalou par le barrage d'Asfalou, pour le Sra par le barrage de Bouhouda et pour le Sahla par le barrage de Sahla.(Tableau n°2)

Tableau n°2 : les barrages et leurs capacités dans le Prérif central.

Barrage	Oued	Volume de la retenue (Million de m3)	Année de mise en eau
Asfalou	Asfalou	317	1999
Sahla	sahla	62	1994
Bouhouda	Sra	55,5	1998

Figure n° 2 : Diagramme Ombrothermique sur une période de 30 ans au niveau de quatre stations de la zone d'étude



Source : ABHS, 2015

Source : ABHS, 2010

❖ Les sources

La zone d'étude fait l'exception dans le Rif central car elle contient un grand nombre de sources, dont la plus importante est celle de Bou Adel avec un débit moyen journalier de l'ordre de 324 l/s. Ces sources assurent l'alimentation en eau de plusieurs douars, et contribuent à la formation d'un territoire hydraulique spécifique dans le Sud du Rif Central.

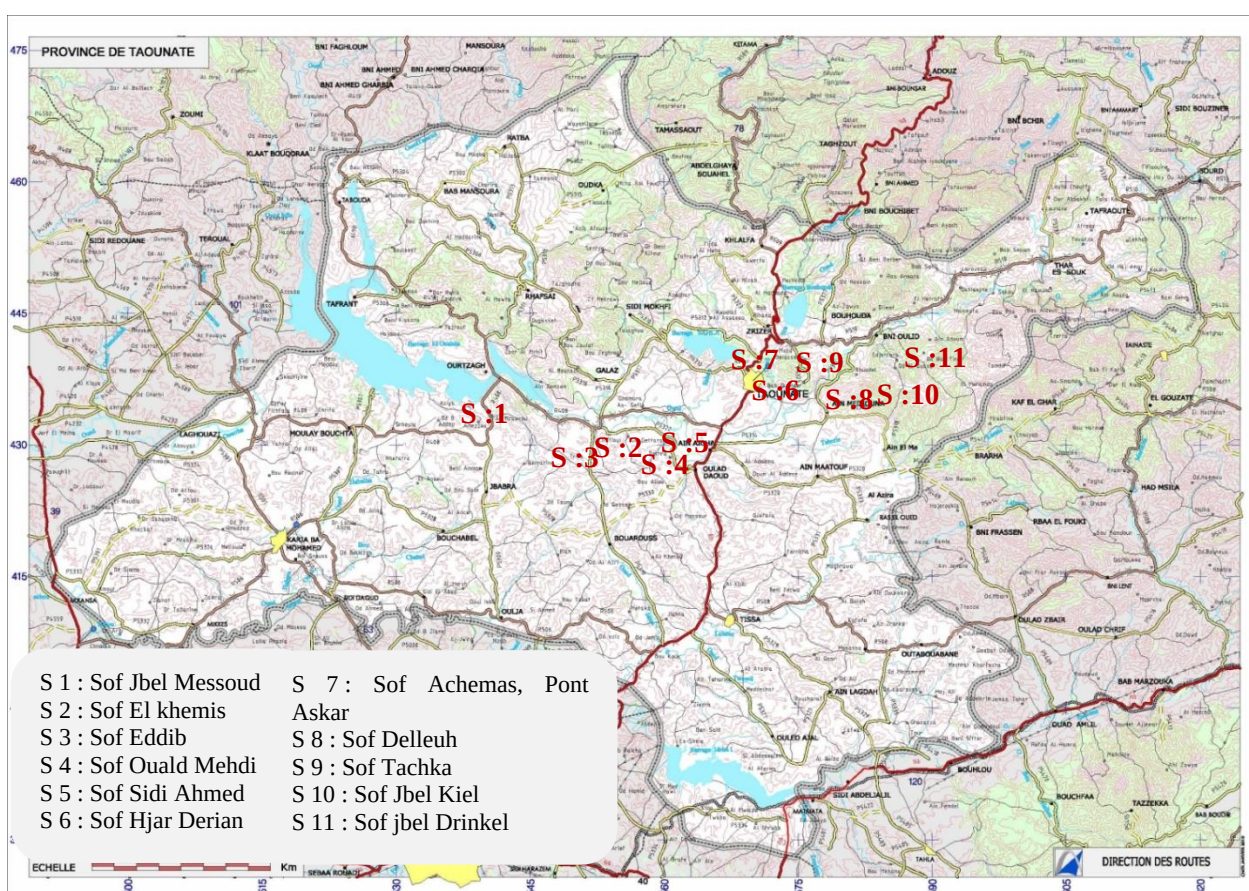
1. Les Caractéristiques du Sofs dans le Prérif central

1-1 les principaux Sofs dans le Moyen Ouergha

Le Prérif central se caractérise par un développement important des sofs. Il s'agit d'un ensemble discontinu, constitué de calcaires massifs du Jurassique et des calcaires lités et dolomitiques du Lias (Figure n° 3).

Les principales sofs de la zone d'étude (Moyen Ouargha) sont les suivants :

Figure n°3 : carte topographique de localisation des Sofs étudiées au Moyen Ouargha



Source : Direction des routes + travail de terrain, 2016

2- Les caractéristiques géologique et géomorphologique et hydrologique des sofs

2-1 : La géologie des Sofs

Les sofs du Prérif central se caractérisent par un développement important des phénomènes karstiques. Il s'agit d'un relief aligné constitué de calcaires massifs du Jurassique et des calcaires lités et dolomitiques du Lias, accidenté par des failles entrecroisées dont les principales failles majeures sont orientées Est - Ouest. C'est dans ces roches carbonatées que la karstification s'est bien développée (Gartet A, 1994). (Figure n° 4)

Les sofs appartiennent à un même domaine paléogéographique (Suter, 1965; Leblanc, 1971). Néanmoins, si les sofs présentent une lithologie semblable dans les différents affleurements, il existe quelques variations d'épaisseur, liées probablement à la structuration des bassins

intramontagnards. Selon les études géologiques réalisées dans le Moyen Ouergha (Suter, 1965, et Bachnou et Atrops, 1996), les formations lithologiques observées sont constituées de calcaires massifs et de formations présentant une succession de bancs marneux grumeleux et délités attribués au Prérif interne dont on distingue deux ensembles (Gartet A et al, 2011).

- ✓ **Les sofs du Moyen Ouergha:** les calcaires sont massifs dans la partie méridionale, mais passent à une série formée de bancs calcaires moins épais et bien stratifiés. L'ensemble de la formation présente des intercalations grumeleuses à la base. Néanmoins, les vires de marno-calcaires sont bien représentées et marquent le passage de gros bancs calcaires massifs à une série plus litée, composée de bancs calcaires peu épais et de quelques interbancs marneux (Bachnou et Atrops, 1996). Il s'agit d'une ride calcaire du Jurassique formé par des calcaires gris cryptocristalins, en bancs de 50 cm d'épaisseur environ, disposés selon la direction N60° avec un pendage de 20° N-NW et intensément tectonisés selon une direction principalement N90° (Suter, 1965 ; Farès, 1994). Ces sofs sont affectés d'un système de karstification à l'affleurement. (Photo n°1 ; Photo n°2)

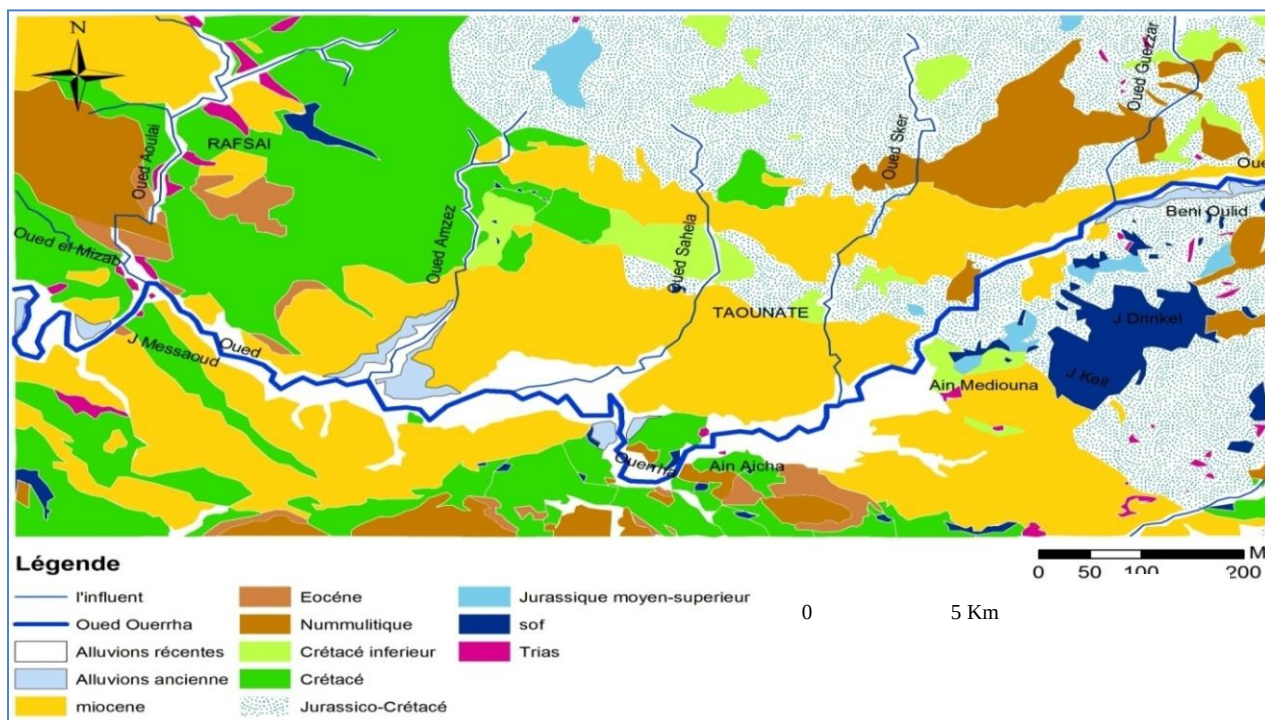
Photo n°1 : Sof Sidi Ahmed



Photo n°2: Carriere d'Ain Aicha



Figure n° 4: La carte stratigraphique de Moyen Ouergha



Source : Carte géologique du Rharb et Prérif Occidental 1/200000

- ✓ **Les sofs du Prérif central et oriental:** ils présentent des similitudes avec la formation calcaire, du type "Msila" au Nord-Ouest de Taza, qui est assez uniforme. Cette formation présente une succession lithologique différente de celle des secteurs orientaux et occidentaux. Sa particularité est l'existence, en abondance, des marno-calcaire grumeleuse (Leblanc, 1979).

Les différences lithologiques et les variations d'épaisseurs que l'on observe dans les affleurements résultent des rejeux de failles synsédimentaires, qui ont créé, pendant le Jurassique supérieur, de nombreuses irrégularités dans la topographie (Bachnou et Atrops, 1996). La différence lithologique entre les séries des sofs est due essentiellement à des variations latérales de faciès, qui seraient synchrones à des rejeux tectoniques au moment du dépôt. Les ensembles structuraux du Rif externe - étant charriés du Nord vers le Sud - et la série du Jurassique supérieur du Prérif interne devraient présenter des analogies de faciès avec les séries du Mésorif et/ou de l'Intrarif.

L'accident Fès-Tissa est visible sur le terrain entre la ville de Fès et le village de Taïneste, le long de la route de Fès-Tissa-Taounate. Cet accident est souvent souligné par des écaillles et lentilles tectoniques de sels et gypse triasiques. Cet accident livre des miroirs de failles striés orientés N50-70 sub-verticaux et montrent un jeu sénestre à composante verticale normale. Cet accident serait responsable du décalage en sénestre de 15 km environ du front de la nappe prérifaine à l'est de Fès, de la nappe de Ouezzane qui la surmonte et de la limite nord du couloir sud-rifain.

2-2-1 Les formes karstiques mineures et superficielles

- ❖ **Les lapiés de fissures:** ce sont des formes plus ou moins profondes de l'ordre du centimètre et du décimètre, qui résultent de l'activité de la dissolution. Les lapiés à profondeur métrique sont très rares et se localisent sur les sommets de certains sofs seulement, tels que les sofs Delleuh, Sof jbel Drinkil. (Photo n°3 ; Photo n°4)

Photo n°3 : Les formes des lapiés à Sof Delleuh

Photo n°4: Les formes des lapiés karstique à Sof jbel Drinkil



L'origine tectonique de ces lapiés (fracturation et microfracturation) est incontestable. La fracturation est exploitée par la dissolution et par l'action mécanique des racines de la végétation qui aboutie à l'élargissement des fissures. Ces lapiés témoignent d'une longue évolution; actuellement, elles constituent des formes exhumées, reprises par la dissolution subaérienne active (Photos n° 25 et 26). La vitesse de leur évolution demeure faible, en comparaison avec les géo - systèmes karstiques méditerranéens. Par ailleurs, si les caractéristiques climatiques semblaient avoir été favorables (Reille, 1979), les indications du couvert végétal au Plio-quaternaire font défaut et semblent avoir peu intervenu; la superficie trop réduite des terrains karstifiables devrait être à l'origine de cette faible vitesse. Dans l'évolution de ce type de karst, l'exhumation des formes a pour conséquence l'apparition des processus de dissolution subaérienne, de ciselures ou de Rillenkaren et de Kamenitza (Nicod, 1975 d'après Gartet A et al, 2011).

- ❖ **Les cannelures :** il s'agit de lapiés de ruissellement qui sont des sillons longitudinaux en forme de "V" dont les profondeurs oscillent entre 15 et 30 cm, creusés par la circulation régulière

de l'eau de pluie (Photo n°5 ; Photo n°6). Très rapprochées, elles suivent le sens de la pente et de l'écoulement des eaux. Dans la série liasique des calcaires des Tachka, sidi Ahmed et Oued el Mehdi, situés sur la rive gauche de l'oued Ouergh, la porosité est plus forte que celle de la série jurassique; elle est plus finement diaclasée (Leblanc, 1975), ce qui facilite, en l'occurrence la formation des cannelures. (Gartet A et al, 2011)

Photo n°5 : les formes de cannelures à sof tachka

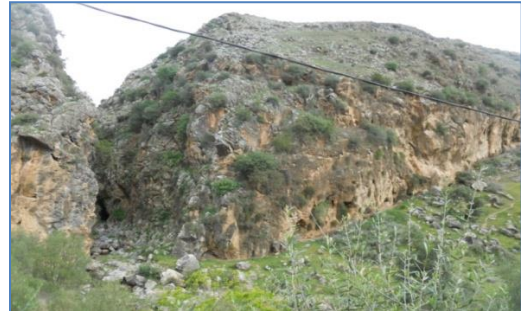


Photo n°6 : les formes de cannelures à Sof Sidi Ahmed



- ❖ **Les vasques de dissolution ou “kamenitza”** : ce sont des formes mineures qui se présentent sous forme de cuvettes semi-circulaires, d'une profondeur de 30 cm et d'un diamètre de 50 cm environ. Ces vasques de dissolution sont comblées de colluvions. D'autres, à fond plat et vide dans le Sof tachka, (Photo n°7) où les flaques d'eau séjournent longtemps. En périodes hivernales, l'humidité y subsiste et entretient l'activité des microorganismes responsables de la corrosion biochimique et de l'élargissement de la cuvette selon le processus connu dans les pays méditerranéens calcaires, décrits par Nicod en 1972 et 1975. (Gartet A et al, 2011)

Photo n°7: les formes des vasques de dissolution ou “kamenitza” à sof tachka



- ❖ **Les dépressions** : elles prolifèrent sur les sommets constitués de calcaires massifs du Jurassique supérieur. Ces petites dépressions karstiques s'esquissent à des altitudes sommitales,

généralement supérieures à 800 m. Ces formes sont peu répandues et ne se développent que très localement dans les secteurs plus à l'Est au Prérif central.

La neige serait à l'origine de ces formes de corrosion, en altitude des versants N et NNE, où elle persisterait lors des années neigeuses, témoignage des riverains. Il s'agit de "dépression nivo-karstique" qui témoigne d'une karstification évoluant vers le stade de "doline" après la phase de démantèlement total des lapiés. Ces petites dépressions sont actuellement garnies de dépôts résiduels et de gélifractions. Le rôle de la neige semble être atténué, par rapport aux phases pluviales du Quaternaire. La dissolution de l'eau stagnant dans ces proto-dépressions semble prendre le relais dans l'approfondissement des formes.

Les formes majeures du karst des sofs

Des formes karstiques majeures et mineures se sont développées sur les sofs du Prérif central. Il s'agit surtout des grottes, des gorges, des cluses et des réseaux souterrains ou vallées aveugles.

Les grottes : ce sont des cavités de tailles variables que l'on retrouve soit sur les mi-versants des sofs, soit en contrebas, au niveau des lits actuels des oueds. Elles se situent sur les bords des oueds de cette région, notamment les oueds Ouerrha et Sra mais aussi sur certains de leurs affluents. Certaines grottes sont baignées par les eaux ; d'autres, se trouvent perchées au-dessus du lit actuel. Leurs porches avoisinent les 3 à 8 m de diamètre.

Ils Constituent un patrimoine naturel, (Photo n°8 ; Photo n°9) ces formes sont héritées des périodes anciennes, pliocènes et quaternaire, d'autres sont plus récentes et encore fonctionnelles. ces éléments expliquent l'ancienneté de l'existence humaine au sud du rif centrale. Spéléologues et amateurs de la découverte trouvent bien satisfaction dans la grotte (sof Tachke et Drinkel). (Gartet A et al, 2011).

Photo n°8: la grotte chakka à sof Tachka



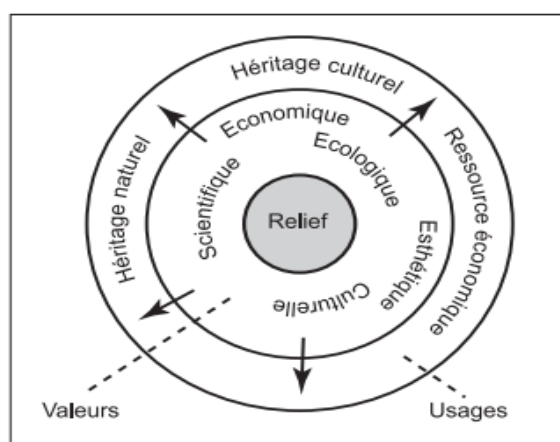
Photo n°9: la grotte Afriw à sof Tachka



D'autres cavités, de formes géométriques variées mais de dimensions nettement réduites, se rencontrent dans les sofs. Elles sont en formes d'abîme, de gouffre ou d'entonnoir. Les plus caractéristiques sont les gouffres de dimensions métriques, qui se sont développées à partir des fissures élargies par dissolution, et agrandies par décollement et effondrement du matériel des voûtes des vides créent en profondeur.

Dans le cadre d'une évaluation du potentiel géotouristique de divers sites de Prérif central, basée sur une méthode numérique mise au point par J.-P. Pralong (2005), les sofs de Prérif central obtient une valeur scientifique et esthétique élevée (respectivement 0,56 et 0,75 sur 1). Sa valeur économique et culturelle est par contre plus faible (respectivement 0,33 et 0,5). Le potentiel géotouristique, basé sur la valeur scientifique et esthétique est donc important.

Figure n°5 : Cinq valeurs des reliefs et des formes. Les reliefs et les formes étant chargés de valeurs, ils constituent de ce fait des ressources naturelles, culturelles et économiques



Source : Reynard E, 2005

Certaines espèces animales dépendent aussi de conditions géomorphologiques particulières. Certains reliefs participent à la beauté des paysages naturels et culturels. Ils acquièrent ainsi une valeur esthétique. C'est tout particulièrement le cas de certaines formes spectaculaires (lapiés, cave, cascades) ou particulières. Un relief peut également avoir une valeur culturelle au sens large, qu'elle soit archéologique, historique, symbolique ou encore religieuse. Il peut s'agir par exemple de sites recelant des vestiges archéologiques (abris sous roche, pierres gravées, grottes), de lieux de culte, de fortifications (sommets de collines abritant des édifices religieux ou militaires) ou encore de particularités ayant suscité une certaine production artistique. Finalement, selon l'utilisation que l'Homme peut en faire, un relief peut être la source de profits économiques découlant des caractéristiques propres du site. Un relief acquiert aussi une certaine valeur économique en tant que surface foncière. C'est le cas des roches dures (calcaire) souvent utilisées comme source de matériaux de construction (carrière de Sof Sidi Ahmed). En raison de ces différentes valeurs, le relief doit être vu comme une entité multifonctionnelle dans laquelle la société va puiser des biens et des services. Les usages, qui s'appuient sur les cinq valeurs décrites ci-dessus, peuvent être regroupés en trois grands domaines : l'héritage naturel, l'héritage culturel et finalement, la ressource économique (figure n°5). En ce sens, un relief doit être considéré comme une ressource naturelle (Reynard E, 2005). Ce relief a avant tout une valeur scientifique élevée, tant du point de vue géologique que sous l'angle de la géomorphologie. La valeur d'un paysage géomorphologique ne se limite pas à sa seule beauté esthétique. L'exploitation de gravières, dont l'impact visuel est généralement négatif, peut avoir une valeur scientifique significative car elle permet, par exemple, de reconstituer des paléo-environnements. La valeur d'archive s'oppose ici à la valeur esthétique. La valeur d'un site, et notamment l'équilibre entre les cinq composantes de cette valeur, peuvent aussi évoluer au cours du temps, en raison de modifications paysagères du site (dégradation ou revalorisation), de son contexte (modifications de sa vision) ou encore de la représentation de cette valeur par la société (Reynard E, 2005).

Les valeurs scientifiques et additionnelles sont multiples, mais l'intervention des autorités responsables reste faible et limitée. Pour cela il faut proposer des techniques et des méthodes de valorisation.

1- La valorisation des géomorphosites dans le Prérif central

Les sofs constituent des géotopes importants dans le Prérif central, ils préservent plusieurs formes karstiques connaissent une biodiversité extraordinaire. Tout cela exige la valorisation de ces sites pour l'intégration dans le cercle économique, afin d'en profiter et d'en faire une ressource essentielle de revenus pour les populations locales. Dans ce contexte, on propose quelques suggestions pour l'aménagement de ces sites, qui sont les suivantes :

- ✓ L'intégration des géomorphosites dans les circuits touristiques locaux et régionaux;
- ✓ La réalisation des panneaux didactiques de ces sofs ;
- ✓ La protection de la biodiversité des sites contre les facteurs naturels et humains, à partir de l'élaboration des parcs locaux ;
- ✓ L'établissement des musées et des laboratoires géologiques à ciel ouvert dans ces sites, constituent un témoin de l'histoire géologique et climatique;
- ✓ Aménager des espaces de services dans les géomorphosites ;
- ✓ Mettre en place des espaces spéciaux pour les activités sportives récréatives comme l'alpinisme et la randonnée à pied, à travers la création des accès et des itinéraires routiers;
- ✓ La réexploitation de quelques sofs, non caractérisées par la biodiversité, en carrières de pierre.

Conclusion

Le Prérif central, se caractérise alors par l'abondance d'un certain nombre de potentialités importantes et diversifiées. Ces potentialités devraient être valorisées afin de pouvoir créer une activité touristique continue au cours de toute l'année, cela permet également d'améliorer la situation de revenu annuel des populations locales.

Les basses montagnes du Rif central sont caractérisées par une biodiversité et par une géodiversité très riches et variées en ressources naturelles.

Les sites de Prérif central sont dotés de valeurs esthétiques et économiques jouant un rôle important dans le développement local de la région, et répondant surtout aux besoins locaux des paysans.

liste bibliographique :

AMRANI , S , (2016) : Les Sofs dans le Prérif Central: Inventaire, Potentialités et Valorisation . mémoire master Université Sidi Mohammed Ben Abdellah, FLSH, Sais - Fès (78 p).

- ✓ **AGENCE DE BASSIN HYDRAULIQUE DE SEBOU, (2006) :** Agence de Bassin hydraulique de Sebou : un établissement au service de l'eau et leurs utilisateurs. Edition Bel graphe New Fès – Maroc (23 p). (en arabe)
- ✓ **BACHNOU, A. & ATROPS, F. (1996):** Stratigraphie du jurassique supérieur dans la région du Moyen Ouerrha (Prérif interne) : Comparaison avec l'avant-pays rifain oriental. Mines, Géologie et Energie, n° 55, Rabat, pp : 21-30.
- ✓ **EL-AMRANI, A. (2014) :** Atlas des sources d'eau dans le bassin de moyen Ouergha et leur rôle dans l'organisation spatiale et sociale : cas des communes rural d'Ain Medouena, Bouadel et Bni Oualid» Thèse doct, Université Sidi Mohammed Ben Abdellah, FLSH, Sais - Fès (378 p). (en arabe)
- ✓ **GARTET, A. (1994):** Morphogenèse et hydrologie dans le bassin versant de l'oued Lebène (Rif méridional et Prérif central et oriental, Maroc). Thèse Doctorat Université d'Aix-Marseille I, 342 pp., Aix-en-Provence.
- ✓ **GARTET, j. (2001):** Contribution à la connaissance de la dynamique fluviale au Pléistocène supérieur et à l'Holocène dans la vallée de l'Ouergha : Étude des dépôts des basses et très basses terrasses (Rif, Maroc). Thèse Doctorat Université d'Aix-Marseille I, 543 pp., Aix-en-Provence.
- ✓ **GARTET, A ; EL FENGOUR, M et GARTET, J (2011):** Modèle karstique et évolution des versants des sofs du prerif central, Maroc septentrional, in Papeles de Geografía, 137-153 pp.
- ✓ **LACOSTE, J. (1934) :** Etude géologique dans le Rif méridional. Notes Mém, Serv, géol, Rabat, Maroc, n° 31, vol 2, (660 p).
- ✓ **LEBLANC, D. (1975):** Etudes géologiques dans le Rif externe oriental au nord de Taza. Notes et Mém. Serv. géol. Maroc, 281, 160 p.
- ✓ **LEBLANC, D. (1979):** Allochtonie des unités du Mésorif (Maroc). Comptes-Rendus de l'Académie des Sciences, t. 288, n° 1, Série D, pp. 27-30, Paris.
- ✓ **MOREL, J. L (1987):** Etats de contrainte et cinématique de la chaîne rifaine (Maroc) du Tortonien à l'actuel. Geodinamica. Acta, 3, 283-294.

- ✓ **NICOD, j. (1975):** Corrosion de type cryptokarstique dans les karsts méditerranéens. In Proceedings of the international symposium on standardization of field research methods of karst denudation (corrosion), Ljubljana, pp. 171-179.
- ✓ **Reynard E. (2005) :** Géomorphosites et paysage, Géomorphologie. Relief, processus, environnement, 3/2005, 181-188.
- ✓ **SUTER, G. (1965):** La région du moyen Ouerrha (Rif, Maroc) : étude préliminaire sur la stratigraphie et la tectonique. Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc n° 183, pp. 7-18, Rabat.
- ✓ **Wildi, W. (1981) :** Le Ferrysh : cône de sédimentation détritique en eau profonde à la bordure nord- ouest de l'Afrique au Jurassique moyen à supérieur (Rif externe, Maroc). Ecolog. Géol. Helv., Vol. 74/2, pp. 481- 527

عنوان البحث

**أثر الحوافز المادية وغير المادية على أداء العاملين بمصنع الزبادي لشركة النسيم
للصناعات الغذائية مصراته**

أنور علي النعيري¹، عبدالحكيم فرج فليفل²

¹ كلية الاقتصاد والتجارة، الجامعة الاسمية الإسلامية، a.niri@asmarya.edu.ly

² كلية الاقتصاد والتجارة، الجامعة الاسمية الإسلامية، a.flifel@asmarya.edu.ly

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/11>

تاريخ القبول: 2024/02/20م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

هذه الدراسة هدفت إلى التعرف على أثر الحوافز المادية وغير المادية على أداء العاملين بمصنع الزبادي لشركة النسيم للصناعات الغذائية- مصراته، من خلال دراسة على عينة عشوائية عددها 45 مفردة، تمثل مدراء ورؤساء أقسام وبعض العاملين بالمصنع. وتم تصميم الاستبيان وتوزيعه على المستهدفين بالمصنع في مواقع عملهم، حيث تم توزيع 45 استمارة استبيان واسترجع 33 استمارة. كما تم استخدام حزمة تحليل البيانات الإحصائية (SPSS) لمطابقة تلك البيانات وأيضاً تم استخدام الإحصاء الوصفي الاستنتاجي لتحليل البيانات. بالإضافة إلى مواءمة الأدوات الإحصائية المستخدمة مع الهدف المحدد للدراسة. بالإضافة إلى ذلك، تمت معالجة البيانات باستخدام الإحصاء الاستدلالي كمعامل الارتباط اللحظي الناتج من بيرسون. وأظهرت النتائج أن هناك تأثير إيجابي كبير للحوافز غير المادية على أداء العاملين بمصنع الزبادي لشركة النسيم مصراته مقارنة بالحوافز المادية، حيث كان معامل الارتباط بين الحوافز غير المادية و أداء العاملين (0.71) ومعامل الارتباط بين الحوافز المادية و أداء العاملين (0.65). بالإضافة إلى ذلك ان الحوافز المادية بمصنع الزبادي تقدم بشكل أكبر من الحوافز غير المادية، والدليل على ذلك ان الوسط الحسابي العام لممارسة الحوافز المادية كان (3.73) والوسط الحسابي العام لممارسة الحوافز غير المادية كان (3.46). وأوصت هذه الدراسة بالتركيز على زيادة تفعيل الحوافز غير المادية وتقديم دورات تدريبية باستمرار لتطوير مهاراتهم التخصصية.

الكلمات المفتاحية: الحوافز غير المادية، أداء العاملين.

RESEARCH TITLE

The Effect of Material and Non-material Incentives on the Performance of Workers in the Yogurt Factory of Al Naseem Food Industries Company-Misurata

Anwer Ali Niri¹, Abdalhkiem F A Flifel²

¹ Alasmarya Islamic University, a.niri@asmarya.edu.ly

² Alasmarya Islamic University, a.flifel@asmarya.edu.ly

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/11>

Published at 01/03/2024

Accepted at 20/02/2024

Abstract

This study aimed to identify the impact of material and non-material incentives on the performance of workers at the Yogurt factory of Al Naseem Food Industries Company-Misurata, through a study on a random sample of 45 individuals, representing managers, heads of departments, and some employees of the factory. The questionnaire was designed and distributed to those targeted at the factory at their work sites, wherein 45 questionnaire forms were distributed and 33 of them were retrieved. The statistical data analysis package (SPSS) was also used to match those data, and inferential descriptive statistics were also used to analyse the data. In addition to aligning the statistical tools used with the specific objective of the study, the data were processed using heuristic statistics as the resulting Pearson instantaneous correlation coefficient. The results showed that there is a significant positive effect of non-material incentives on the performance of employees at the Yogurt Factory of Naseem Misrata Company compared to material incentives, where the correlation coefficient between non-material incentives and employee performance was 0.71 and the coefficient between material incentives and worker performance was 0.65. In addition, the material incentives at the Yogurt factory are provided more than the non-material incentives, as evidenced by the fact that the general arithmetic mean for the exercise of material incentives was 3.73 and the general arithmetic mean for the exercise of non-material incentives was 3.46. This study recommended focusing on increasing the activation of non-material incentives and constantly offering training courses to develop their specialized skills.

Key Words: non-material incentives, performance of workers.

الإطار التمهيدي:

1. المقدمة :

في السنوات الأخيرة، أصبحت الحوافز بشكل عام وتأثيرها على أهداف المنظمة مصدر قلق لجميع المنظمات على حد سواء. وكذلك أصبح نظام الحوافز أداة تنافسية للعديد من الشركات اليوم. لذلك، تتعامل الإدارة الفعالة مع تحديد الحوافز للموظفين بحيث تتبنى سياسات وعمليات واستراتيجيات تتناسب مع ذلك. والشيء الأساسي في إدارة الحوافز هو مكافأة العمال بما يتناسب مع عملهم وفق نظام عادل ومنصف لجميع العاملين بالمنظمة. وتشير حوافز العمال هنا إلى عنصر الدفع المرتبط بأداء عمل فرد أو مجموعة نتيجة لترتيب مسبق (Tumwet, E., at el. 2015). ولا تهتم الإدارة بالأجر والرواتب والمزايا فقط، بقدر ما تهتم بالمكافآت غير المادية مثل الاعتراف بالكفاءة وشهادات التقدير وغيرها من الحوافز. وهذا يتطلب إدارة أفضل للموارد والاستجابة السريعة لاحتياجات المستهلك كمحدد رئيسي للبقاء. وأن الموارد البشرية هي أهم مجال من بين جميع موارد الشركة الأخرى، ومن أولويات إدارة الموارد البشرية تحديد الأهداف الرئيسية التي تحتاج المنظمة لتحقيقها، مثل هدف الأداء، و يعد تعظيم الأداء للمنظمات هو القضية الرئيسية للمنظمة. كما أنه لا يمكن للألات والمعدات والمصانع أن تولد الإنتاج المطلوب لأنها تتمتع بقدرة إنتاجية ثابتة نسبياً، وإن الموارد البشرية فقط هي التي تخضع للعديد من العوامل المؤثرة والمحفزة لمخرجاتها. كما أن نجاح المؤسسة لا يعتمد فقط على جودة مواردها البشرية المتاحة، ولكن أيضاً على القدرة على إطلاق الإنتاج الأمثل من الموظف. بالإضافة إلى ذلك، أن النجاح في بيئة اليوم التنافسية المتزايدة هو إلى حد كبير وظيفة للإدارة الفعالة للموارد البشرية المتاحة لمنظمة الأعمال. وأفضل استراتيجية هي أن تكون في مكانها وهيكل تنظيمي يتماشى مع أهداف المنظمة بحيث تكون فعالة، حيث لا يمكن القيام بذلك إلا عندما يتم تحفيز الأفراد على الأداء على مستوى عالٍ. ولا يمكن برمجة البشر والتحكم فيهم، ومستوى إنتاجيتهم محكوم بمستوى تحفيزهم. وأن أداء الموظف يشير إلى النتيجة وإكمال العمل بالإضافة إلى النتائج المحققة، والتي تتعلق بالأهداف الاستراتيجية للمؤسسة ورضا العمال (Walters, N., et al. 2019). ووفقاً لـ (Tumwet, E., at el. 2015)، تركزت إدارة الأداء في المؤسسات التقليدية على تقييم الأداء وتعزيز الحوافز، حيث يُنظر إلى الأداء الفعال على أنه نتيجة للتفاعل بين القدرة الفردية والتحفيز، وهذا يسير جنباً إلى جنب مع أهداف الأداء. ويرى (Aktar, et,al 2012)، أن الحوافز المادية و الغير مادية أحد العناصر المهمة المستخدمة لتشجيع الموظفين والعمال على المساهمة بأقصى جهودهم لتوليد أفكار مبتكرة تؤدي إلى أداء العمل بشكل أفضل .

2. مشكلة البحث:

تلعب الحوافز المادية وغير المادية إلى حد كبير في تشجيع العاملين على تحقيق الأهداف للمنظمات العامة والخاصة على حد سواء وذلك من خلال تحسين مستوى الأداء وخلق أعلى مستوى من الإنتاجية. وأن نجاح المنظمة لا يعتمد فقط على جودة الموارد البشرية المتاحة، ولكن أيضاً يعتمد على القدرة على تقديم الأداء المتميز من الموظف (Pratheepkanth 2011). وإن قلة الاهتمام بالعنصر البشري والمؤثرات النفسية والاجتماعية والبيئية التي تؤثر في مستويات أدائه من خلال تحفيزه وصولاً إلى تحقيق الأهداف المرجوة وكذلك عدم توزيع

الحوافز سواء كانت مادية او غير مادية على العاملين بشكل عادل يؤثر سلباً على أدائهم. هذا الامر الذي دفع الباحثان إلى إجراء دراسة استطلاعية في المنظمة قيد البحث لتحديد العوامل الرئيسية لتحفيز الافراد نحو تحقيق مستوى أداء عالي. مما سبق يمكن صياغة المشكلة في التساؤل التالي:

ما هو أثر الحوافز المادية وغير المادية على أداء العاملين بالمصنع قيد البحث؟

3. فرضيات البحث:

الفرضية الاساسية: تتمثل هذه الفرضية في وجود أثر معنوي ذو دلالة إحصائية بين الحوافز المادية والحوافز غير المادية كمتغير مستقل على أداء العاملين كمتغير تابع بالمنظمة قيد البحث، ويتفرع منها الفرضيات التالية:

أ. تواجد أثر معنوي للحوافز المادية على أداء العاملين في الشركة محل البحث.

ب. تواجد أثر معنوي بين الحوافز غير المادية و أداء العاملين في الشركة محل البحث.

4. أهمية البحث:

أ. يأمل الباحثان من نتائج هذا البحث ان يضيف المزيد من الاهتمام لدى المستجوبين على المشاركة وروح التعاون بين الأعضاء بالمنظمة قيد الدراسة.

ب. يساهم هذا البحث في زيادة رفع مستوى المعرفة وإعطاء مؤشرات يمكن من خلالها تطوير وتحسين المنظمات.

ج. المساهمة في تطوير آلية الربط بين الحوافز المادية والحوافز غير المادية (كأبعاد للمتغير المستقل) على أداء العاملين كمتغير تابع.

5. أهداف البحث:

التعرف على اثر الحوافز المادية وغير المادية كمتغير مستقل على أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي لشركة النسيم للصناعات الغذائية مصراته. وتم تحديد الأهداف على النحو التالي لمعرفة:

أ. اثر الحوافز المادية على أداء العاملين بالمصنع.

ب. اثر الحوافز غير المادية على أداء العاملين بالمصنع.

ج. كيفية استخدام المصنع لنظام الحوافز المادية وغير المادية بشكل أكثر فعالية.

6. منهجية البحث:

اقتصر هذا البحث على مصنع الزبادي لشركة النسيم للصناعات الغذائية مصراته. حيث اعتمد الباحثان على المنهج الوصفي التحليلي لأجل الحصول على البيانات التفصيلية. وأجريت التحليلات باستخدام المقابلات وصحائف الاستبيان التي خضعت للتحليل الإحصائي SPSS. وتم تطبيقه على الإداريين وبعض العاملين في هذا الاستطلاع والبالغ عددهم 45 فرداً يعملون في المصنع قيد الدراسة. حيث تم تصميم الاستبيان في شكل مقياس ليكرت. وأجرى الباحثان اختباراً أولياً على ورقة الاستبيان للتأكد من صدق هذه الأداة. كما تم استخدام معامل الارتباط الفوري لمعامل بيرسون لاختبار الفرضيات.

7. تصميم البحث:

تم استخدام مراجع من الكتب والأبحاث والدراسات ذات الصلة التي أجريت حول هذا الموضوع لدعم هذا البحث. وتم استخدام ورقة استبيان ذاتية التصميم لجمع البيانات ذات الصلة من عينة البحث، فيما يتعلق بتأثير الحوافز المادية والغير المادية (كأبعاد للمتغير المستقل) على أداء العاملين كمتغير تابع. علاوة على ذلك، فإن الطريقة

المختارة معروفة باقتصادها من حيث التكلفة والزمن والجهد.

8. حدود البحث:

أ.الحدود الموضوعية: أثر الحوافز المادية وغير المادية على أداء العاملين.

ب.الحدود البشرية: اقتصر البحث على المدراء ورؤساء الأقسام وبعض العاملين بمصنع الزبادي لشركة النسيم للصناعات الغذائية مصراته.

ج.الحدود الزمانية: يغطي هذا البحث الفترة الزمنية (2022 / 2023).

د.الحدود المكانية: مصنع الزبادي لشركة النسيم للصناعات الغذائية – مصراته.

الإطار النظري:

1. تعريف الحوافز:

عرفت بأنها المؤثرات والإغراءات الخارجية تشجع الفرد على تحسين أدائه وتقدمه بسبب التفوق والأداء المتميز وتؤدي إلى زيادة رضاه وولائه للمنظمة، وبالتالي زيادة إنتاجه (المرعي، 2010). كما إنها عوامل خارجية تدفع الفرد وتشجعه على الأداء بشكل أفضل (كافي، 2014). وتم تعريفها أيضاً بأنها العناصر الخارجية التي تقود الأفراد في الشركة للعمل بكل قوتهم لتحقيق الأهداف المحددة، وإشباع حاجاتهم الذاتية (العريقي، 2012). وتعرف الحوافز بأنها مؤثرات خارجية تنشئ سلوك الأداء، والأجر والمزايا المادية المطلوبة ليست هي المحرك الوحيد لسلوك الموظف. فالمميزات، تلك العناصر، بما في ذلك المشاركة والسلطة والنفوذ، تشكل تحدياً في التعبير عنها باستخدام قيم مادية. إنها عناصر ذات طابع غير ملموس، ولكنها تمثل محفزات وعوامل تحديدية لسلوك الفرد والمجتمع. (شاويش، 2005).

والحوافز المادية هي مجموعة من الإجراءات الخاصة بزيادة الراتب السنوي، وزيادة الاستثنائية على الراتب، والمكافأة، وبدل سكن، وما إلى ذلك (ابوشيحة، 2000). وكذلك عرفها الاشهب بأنها ما تمنحه الشركة للعاملين بها من اجر أساسي او راتب او مكافأة تشجيعية او تقاسم الأرباح وغيرها، لضمان مستويات معيشة مناسبة للعمال ومواجهة أعبائهم المالية (الاشهب، 2014).

وتعرف الحوافز غير المادية، وفقاً لكردي (2010)، على أنها الجهود التي تقوم بها المنظمة لتعزيز سعادة العاملين فيها. تتضمن هذه الجهود إشعار الموظفين بأهميتهم ومكانتهم داخل المنظمة، وتعزيز الانتماء الشعوري، وتعزيز الاحترام لأرائهم ومقترحاتهم. وتقوم المنظمة بتحفيز الموظفين من خلال تقديم الاعتراف والتقدير لهم، مثل منحهم أوسمة النجاح وشهادات التقدير، ونشر أسمائهم وتسليط الضوء على إنجازاتهم ومساهماتهم. وبناءً على ما سبق يتضح أن، الحوافز هي العوامل الخارجية التي تؤثر في العوامل الداخلية للفرد لإحداث تصرف أو سلوك أو تغيير يتماشى مع هدف الشركة.

2. تعريف الأداء:

يعتبر الأداء هو تنفيذ الفرد لأعماله وواجباته الموكلة إليه من قبل المنظمة أو الجهة التي يعمل بها (زكريا، عمر، 2018). وكذلك يعرف الأداء بأنه المخرجات والاهداف التي يسعى النظام لتحقيقها، أي أنه يربط بين جوانب النشاط وبين الأهداف التي تسعى هذه الأنشطة إلى تحقيقها داخل المنظمة (معمري، 2022). أيضاً يقصد به مجموع النتائج والمخرجات التي يحققها الفرد من خلال جهوده في تنفيذ المهام والواجبات والمسؤوليات الموكلة إليه (مصطفى، 2014). كما عرف الأداء بأنه الجهد البدني أو الفكري الذي يبذله العامل لتحقيق الأهداف

التنظيمية في إطار المهام المطلوبة للوظيفة، استناداً إلى الموارد المتاحة ونظام العمل (محمد، شعبان، 2022).

3. الدراسات السابقة:

أ-دراسة غازي (2013)، بعنوان: أثر الحوافز في تحسين الأداء لدى موظفي امانة عمان الكبرى تهدف هذه الدراسة إلى فحص العلاقة بين الحوافز وتحسين الأداء، بالإضافة إلى كشف الفروق ذات الدلالة الإحصائية في ردود فعل العينة بشأن تأثير الحوافز على تحسين الأداء، وذلك باستناد إلى المتغيرات الديموغرافية. تم اختيار عينة تضم 150 موظفًا، وشملت هذه العينة مديرين ورؤساء أقسام وموظفين إداريين، باستخدام طريقة العينة العشوائية الطبقية.

أظهرت النتائج أن تأثير الحوافز المادية كان منخفضًا، في حين كانت الحوافز المعنوية على مستوى متوسط. بالإضافة إلى ذلك، كانت الحوافز الاجتماعية أيضًا على مستوى متوسط. توصي الدراسة بتعزيز العلاقات الإيجابية في البيئة العملية، سواء كان ذلك من خلال دعم العلاقات الرسمية أو غير الرسمية بين الموظفين، وتوجيهها بشكل يتناسب مع أهداف المؤسسة. كما تشدد الدراسة على أهمية تعزيز ثقافة العمل الجماعي كحافز معنوي لتحفيز الأفراد وتحسين أدائهم.

ب-دراسة نادر (2010)، بعنوان : أثر الحوافز على مستوى الأداء الوظيفي في شركة الاتصالات الفلسطينية تهدف إلى تقييم تأثير الحوافز على مستوى الأداء الوظيفي، حيث تم توزيع 220 استبانة على موظفي الشركة. أظهرت الدراسة نتائج مهمة، حيث توصلت إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الحوافز المادية والحالة المعنوية للعاملين، بالإضافة إلى تأثير إيجابي على أدائهم. كما تبين وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الترقيات وأداء الموظفين، وكذلك بين الانصاف في منح الحوافز وأدائهم. استنتجت الدراسة من هذه النتائج أهمية الاهتمام بالحوافز المادية كمتغير مستقل، وتوجيه اهتمام خاص لربط الرواتب بجدول غلاء المعيشة. كما أشارت الدراسة إلى ضرورة إعادة النظر في معايير الترقيات للموظفين، مع التركيز على تعزيز العدالة في منح الحوافز.

ج-دراسة فيصل، كريم (2019)، بعنوان: نظام الحوافز ودوره في تحسين مستوى أداء العاملين، قصدت هذه الدراسة استكشاف دور الحوافز والمكافآت وتأثيرها على تحسين أداء العاملين كمتغير تابع في مؤسسة اتصالات الجزائر. وركزت الدراسة على فحص العلاقة بين نظام الحوافز المطبق داخل المؤسسة وفعاليتها في تحسين الأداء. تم استخدام استبانة تتكون من محاور متعددة وتوزيعها على 42 موظفًا.

أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الحوافز المادية كمتغير مستقل ومستوى أداء العاملين كمتغير تابع. كما توضح الدراسة أيضًا وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الترقيات ومستوى الأداء. يبرز هذا البحث أهمية فهم كيفية تأثير نظام الحوافز على أداء العاملين في السياق الخاص بمؤسسة الاتصالات الجزائرية.

د-دراسة (Ngwa, Walters T, et al. 2019)، بعنوان : تأثير نظام المكافأة على أداء الموظفين في شركات التصنيع بالكاميرون، وقصدت هذه الدراسة تقييم الدرجة التي تؤثر بها مشاركة الأرباح علي التزام الموظف في شركة التصنيع وكذلك تأثير أنظمة المعدل الثابت على قيم عمل الموظفين في شركات التصنيع. واعتمدت الدراسة على عينة مقدارها 538 موظفًا من اصل عشر شركات مختارة، حيث تم اختيار العينة باستخدام صيغة كوكران بمستوي ثقة 95%. وحصيلة هذه الدراسة: ان تقاسم الأرباح كان له تأثير إيجابي كبير علي التزام الموظفين في شركات التصنيع، وكان لأنظمة المكافأة الاجتماعية والمفاوضة الجماعية تأثير إيجابي كبير على تماسك الموظفين في شركات التصنيع. كما اقترحت هذه الدراسة: تصميم أنظمة المكافأة لشركات التصنيع بحيث

يحق للموظفين الحصول علي نسب من الأرباح التي تحققها الشركة كوسيلة لتعزيز الإنتاجية وتماسك مجموعات الموظفين.

هـ-دراسة الخرابشه (2017)، بعنوان : الحوافز وأثرها على أداء الموظفين، وكان الهدف من هذه الدراسة التعرف على أثر الحوافز على أداء الموظفين في محكمة بداية عمان، وتم استخدام الاستبانة لقياس أثر ذلك، وتكونت عينة الدراسة من 50 موظف بالمحكمة. وخلصت هذه الدراسة الي نتائج أهمها: وجود أثر هام للحوافز في إشباع حاجات الموظف، وكان للمكافئات والتعاون بين الموظفين دور في رفع مستوى أداء الموظفين وتحسين جودة تقديم الخدمة.

الجانب العملي:

1. منهج البحث:

للتعرف على " أثر الحوافز المادية و غير المادية كمتغير مستقل على أداء العاملين كمتغير تابع" في مصنع الزبادي بشركة النسيم للصناعات الغذائية - مصراته، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى تعميمات ذات معنى تخص موضوع البحث.

2. مجتمع وعينة البحث :

نظراً لأن المستهدف في هذا البحث هم المدراء ورؤساء أقسام وبعض الموظفين بمصنع الزبادي مصراته، فقد تم اختيار عينة عشوائية من مجتمع البحث، حيث قام الباحثان بتوزيع 45 استمارة استبيان، وتم استرجاع عدد 33 استمارة استبيان مكتملة من قبل الأفراد المشمولين في العينة المحددة.

جدول رقم (1): يبين عدد الاستبانات الموزعة والفاقد منها والصالحة للتحليل

الاستمارات الموزعة	الفاقد منها	المتحصل عليها	المستبعد	الخاضع للدراسة	نسبة الاستجابة %
45	9	36	3	33	73%

المصدر: من إعداد الباحثان

3. أداة الدراسة :

حيث تم إعداد استمارة استبيان لأثر الحوافز المادية و غير المادية كمتغير مستقل على أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته.

حيث تم إعداد قائمة حول "الحوافز المادية و الحوافز غير المادية كمتغير مستقل و أداء العاملين كمتغير تابع"، حيث تقيس هذه الاستبانة الحوافز (المادية و غير المادية) بمصنع الزبادي ودورها في تحسين أداء العاملين كمتغير تابع.

تم تصميم الاستبانة لتشمل ثلاثة محاور رئيسية:

أ. المحور الأول: الحوافز المادية كمتغير مستقل : يتألف من (7) فقرات تستعرض جوانب الحوافز المادية وتأثيرها على الموظفين.

ب. المحور الثاني: الحوافز غير المادية كمتغير مستقل: يضم (8) فقرات تتناول الجوانب غير المادية للحوافز وتأثيرها على رضا وأداء الموظفين.

ج. المحور الثالث: أداء العاملين كمتغير تابع: يشمل (8) فقرات تقييم أداء الموظفين والتأثيرات المحتملة للحوافز على هذا الأداء.

تم استخدام مقياس ليكرت الخماسي لقياس تقييم المشاركين لفقرات الاستبيان، حيث يتيح هذا المقياس للمشاركين التعبير عن آرائهم بشكل تدريجي عبر خمسة مستويات مختلفة.

جدول رقم (2): مقياس ليكرت الخماسي لأراء المستقصي منهم

الاستجابة	غير موافق بشده	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشده
درجة التأثير	ضعيفة جداً	ضعيفة	متوسطة	عالية	عالية جداً
القيمة	1	2	3	4	5

4. صدق أداة الدراسة :

تم التأكد ما إذا كانت أسئلة الاستبيان تقيس ما وضعت لقياسه، حيث قام الباحثان بالتأكد من الاتساق الداخلي والصدق البنائي للاستبيان:

أ- صدق الاستبيان:

- الاتساق الداخلي لاستبيان الحوافز (المادية والغير مادية كمتغير مستقل) ودورها في تحسين أداء العاملين كمتغير تابع.

يوضح الجدول رقم (3) معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الأول والدرجة الكلية للمحور، والذي يبين أن معاملات الارتباط المبينة دالة عند مستوى معنوية $\alpha = 0.01$ وبذلك يعتبر المحور صادق لما وضع لقياسه.

جدول رقم (3): يبين معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الأول والدرجة الكلية للمحور

م	العبارة	الاتجاه نحو المحور الأول	
		معامل سبيرمان للارتباط	القيمة الاحتمالية P- Value
المحور الأول: الحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل:			
1	إدارة المصنع تشجع العاملين على بذل المزيد من الجهد والابداع في العمل.	0.39	0.023*
2	بشكل دوري تقدم إدارة المصنع مُنح للمرؤوسين.	0.57	0.001**
3	يشعر العاملين بأهمية المكافأة التشجيعية المتاحة من المصنع.	0.70	0.00**
4	إدارة المؤسسة تمنح العاملين نسبة من الأرباح لتعزيز الإنتاجية وفاعلية الأداء.	0.53	0.001**
5	تساعد الحوافزالمادية على رفع الروح المعنوية للعاملين.	0.57	0.001**
6	الحوافز المادية تقدم للعاملين وفق أسس ومعايير وخطط منظمة.	0.50	0.003**
7	إدارة المصنع تمنح للمتميزين علاوة تشجيعية بشكل دوري.	0.84	0.00**

*وجود ارتباط معنوي عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$

**وجود ارتباط معنوي عند مستوى معنوية $\alpha = 0.01$

ووضح الجدول رقم (4) معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الثاني والدرجة الكلية للمحور، والذي يبين أن معاملات الارتباط المبينة دالة عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$ ، وبذلك يعتبر المحور صادق لما وضع لقياسه.

جدول رقم (4): يبين معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الثاني والدرجة الكلية للمحور

م	العبارة	الاتجاه نحو المحور الثاني	
		معامل سبيرمان للارتباط	القيمة الاحتمالية P-Value
المحور الثاني: الحوافز غير المادية كبعد للمتغير المستقل:			
1	الحصول على شهادة تقدير في المصنع تخضع لمبدأ الكفاءة في العمل.	0.54	0.001**
2	تقدم إدارة المصنع وسائل نقل لتحفيز العمال.	0.59	0.00**
3	إدارة المصنع تقوم بترشيح المتميزين إلى دورات تدريبية بالخارج.	0.65	0.00**
4	تمنح إدارة المصنع حوافز معنوية للعاملين نظير الأداء المتميز (شهادة تقدير- الترقية الاستثنائية).	0.69	0.00**
5	هناك مكافأة عادلة للأداء المتميز في مكان العمل لرفع الإنتاجية.	0.72	0.00**
6	يساهم تفويض السلطة للمرؤوسين في رفع الروح المعنوية والمشاركة في اتخاذ القرار.	0.64	0.00**
7	يهتم العاملون في المصنع بالحصول على شهادات الشكر والتقدير.	0.51	0.003**
8	تقوم إدارة المصنع بمنح حوافز وهدايا نظير زيادة معدل المبيعات والحصول على حصة سوقية أكبر.	0.67	0.00**

**وجود ارتباط معنوي عند مستوى معنوية $\alpha = 0.01$

يوضح الجدول رقم (5) معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الثالث والدرجة الكلية للمحور، والذي يبين أن معاملات الارتباط المبينة دالة عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$ ، وبذلك يعتبر المحور صادق لما وضع لقياسه. جدول رقم (5): يبين معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الثالث والدرجة الكلية للمحور

م	العبارة	الاتجاه نحو المحور الثالث	
		معامل سبيرمان للارتباط	القيمة الاحتمالية P-Value
المحور الثالث: أداء العاملين كمتغير تابع:			
1	تقوم إدارة المصنع بتقييم أداء العاملين بصورة دورية وفق جدول زمني وتستخدم معايير الكفاءة.	0.66	0.00**
2	تقوم المؤسسة بتخصيص أنظمة تحفيز لتشجيع الأفراد على زيادة الأداء.	0.70	0.00**
3	منح حوافز مادية ، غير مادية يساهم في زيادة ورفع الأداء عند القيام بالابتكار في العمل.	0.65	0.00**
4	الكفاءات الفردية في المصنع تمثل نقاط قوة لدى المؤسسة.	0.39	0.03**
5	إن تحديد واكتشاف المعرفة الحالية يساهم في تحديد الاحتياجات التدريبية الملائمة لتطوير الأداء.	0.56	0.001**
6	إدارة المصنع تأخذ بعين الاعتبار غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار بتقديم الدخل الملائم لذلك.	0.72	0.00**
7	تقوم المؤسسة بتحسين قدرات العاملين بإخضاعهم لبرامج جديدة للتدريب.	0.65	0.00**
8	إدارة المصنع تعمل على تخصيص نظام للتأمين لتشجيع العاملين على كفاءة الأداء.	0.62	0.00**

**وجود ارتباط معنوي عند مستوى معنوية $\alpha = 0.01$

- الصدق البنائي : Structure Validity

يعتبر الصدق البنائي أحد مقاييس صدق الأداة الذي يقيس مدى تحقق الأهداف التي تريد الأداة الوصول إليها، ويبين مدى ارتباط كل محور من محاور الدراسة بالدرجة الكلية لفقرات الاستبيان. الصدق البنائي لاستبيان الحوافز (المادية وغير المادية كمتغير مستقل) بمصنع الزبادي واثرا في أداء العاملين. الجدول رقم (6) يبين أن جميع محاور الاستبيان دالة إحصائياً عند مستوى معنوية $\alpha = 0.01$ وبذلك تعتبر جميع محاور استبيان الحوافز (المادية وغير المادية كمتغير مستقل) بمصنع الزبادي واثرا في أداء العاملين كمتغير تابع صادقة لما وضعت لقياسه. جدول رقم (6): يبين معامل الارتباط بين كل محور من محاور استبيان الحوافز (المادية وغير المادية كمتغير مستقل) بمصنع الزبادي واثرا في أداء العاملين كمتغير تابع.

م	المحور	معامل للارتباط	سبيرمان	القيمة الاحتمالية P-Value
1	الحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل	0.86		0.00**
2	الحوافز غير المادية كبعد للمتغير المستقل	0.90		0.00**
3	أداء العاملين كمتغير تابع	0.89		0.00**

**وجود ارتباط معنوي عند مستوى معنوية $\alpha = 0.01$

ب- ثبات الاستبيان Reliability

يُقصد بثبات استبيان البحث أن يعطي هذا الاستبيان نفس النتائج إذا تم إعادة توزيعه أكثر من مرة تحت نفس الشروط. وقد قام الباحثان بالتحقق من ثبات استبيان البحث باستخدام معامل ألفا كرونباخ، والذي يُستخدم لتحليل صدق وثبات الاستبيان.

معامل ألفا كرونباخ هو اختبار إحصائي يُظهر مدى مصداقية وثبات إجابات المشاركين على أسئلة الاستبيان. ويُعتبر اختبار ألفا كرونباخ أحد الأساليب الهامة لتقييم الثبات الداخلي للاستبيان. يمكن أن يأخذ قيم بين 0 و1، حيث تكون القيمة 1 تُظهر ثباتاً تاماً. اختبار ألفا كرونباخ يساعد في تحديد ما إذا كانت الأسئلة في الاستبيان مترابطة وتقيس نفس البُعد أو المفهوم، وبالتالي يُظهر إلى أي مدى يمكن الاعتماد على النتائج. إذا كانت قيمة ألفا كرونباخ تتجاوز 0.70، فإن ذلك يُعتبر عادةً قيمة مقبولة لثبات الاستبيان، وكلما كانت القيمة أعلى، كان الثبات أفضل.

$$\alpha = \frac{K}{K-1} \left(1 - \frac{\sum S_i^2}{S_T^2} \right)$$

حيث: K عدد الأسئلة في الاستبيان.

$\sum S_i^2$: مجموع تباينات العناصر.

S_T^2 : تباين الدرجة الكلية.

ومعامل ألفا يتراوح قيمه بين (0 و1)، ويُظهر مدى ارتباط إجابات مفردات العينة. عندما تكون قيمة ألفا (0)، يشير ذلك إلى عدم وجود ارتباط مُلموس بين إجابات مفردات العينة. بالمقابل، إذا كانت قيمة معامل ألفا تساوي

واحد تمامًا، فإن ذلك يُظهر وجود ارتباط تام بين إجابات مفردات العينة. تُعرف القيمة المقبولة لمعامل ألفا عادةً بأنها 0.60 كحد أدنى، والقيمة المثلى تتراوح بين (0.70 إلى 0.80). كلما زادت قيمة ألفا عن 0.80، زادت جودة الارتباط بين مفردات العينة. في حال كانت قيمة معامل ألفا كرونباخ أقل من 0.60، يتم حذف الإجابات غير المرتبطة باستخدام برنامج SPSS. يتم هذا الحذف لتحسين جودة البحث. استخدم الباحثان طريقة ألفا كرونباخ لقياس ثبات الاستبانة، وكانت النتائج كما في الجدول (7).

جدول رقم (7): يبين نتائج اختبار ألفا كرونباخ لقياس ثبات استبيان البحث

نوع المتغير	المتغيرات	معامل ألفا كرونباخ
المتغيرات المستقلة (الحوافز المادية، الحوافز غير المادية)	الحوافز المادية كبعد أول للمتغير المستقل	0.70
	الحوافز غير المادية كبعد ثانٍ للمتغير المستقل	0.78
المتغير التابع	أداء الموظفين	0.73
معامل كرمباخ ألفا لجميع فقرات استبيان الدراسة		0.89

المصدر: من إعداد الباحثان اعتماداً على مخرجات برنامج (spss) يتضح من النتائج بالجدول السابق أن قيمة معامل ألفا كرونباخ كانت مرتفعة جداً لجميع الفقرات الاستبيان حيث كانت (0.89) وهي قيمة مرتفعة، وكذلك كانت قيمة معامل ألفا كرونباخ جيدة لكل محاور الاستبيان وبذلك فإن استبيان البحث في صورته النهائية كما في الملاحق قابل للتوزيع.

بذلك يكون الباحثان قد تأكدوا من صدق وثبات استبيان البحث مما يجعله على ثقة بصحته وصلاحيته لتحليل النتائج والإجابة عن تساؤلات الدراسة واختبار فرضياتها.

5. تحليل البيانات المتعلقة بمتغيرات البحث:

تم إجراء تحليل إحصائي لجميع المتغيرات المدروسة استناداً إلى إجابات أفراد عينة البحث على البنود المدرجة في الاستبيان. تم حساب الوسط الحسابي والانحرافات المعيارية، مع مراعاة تدرج المقياس المستخدم في الدراسة. استناداً إلى هذه القيم، تم الاعتماد على الوسط الحسابي لتوجيه الفهم والتفسير، ويمكن تفسير البيانات بناءً على المعايير التالية:

جدول رقم (8) معيار متوسط إجابات المبحوثين لمقياس ليكرت الخماسي

الوسط الحسابي الحسابي	اتجاه الرأي	المستوى
1.00 – 1.80	غير موافق بشدة	منخفض
1.81 – 2.60	غير موافق	
2.61 – 3.40	محايد	متوسط
3.41 – 4.20	موافق	مرتفع
4.21 – 5.00	موافق بشدة	

- ما مستوى تقديم الحوافز المادية كمتغير مستقل في مصنع الزبادي بشركة النسيم للمواد الغذائية - مصراته؟

للتعرف على مستوى ممارسة تقديم الحوافز المادية كمتغير مستقل في مصنع الزبادي قام الباحثان بإيجاد الوسط الحسابي والانحراف المعياري للمحور الأول (الحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل) فكانت

النتائج كما في الجدول التالي:

الجدول (9) المقاييس الإحصائية للمحور الأول (الحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل)

المحور الأول	الوسط الحسابي الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
الحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل	3.7273	0.58831	عالية

المصدر: من إعداد الباحثان اعتماداً على مخرجات برنامج (spss)

يتضح من الجدول (9) أن قيمة الوسط الحسابي العام للمحور الأول (الحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل) كانت (3.73) وبانحراف معياري 0.588 وبالتالي فإنه يقع في منطقة الموافقة مما يعني أنه ومن وجهة نظر الموظفين بعينة البحث أن الحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل تقدم للموظفين بشكل جيد في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته.

- ما مستوى تقديم الحوافز غير المادية كمتغير مستقل في مصنع الزبادي بشركة النسيم للمواد الغذائية - مصراته؟

للتعرف على مستوى ممارسة تقديم الحوافز غير المادية كمتغير مستقل بمصنع الزبادي قام الباحث بإيجاد الوسط الحسابي الحسابي والانحراف المعياري للمحور الثاني (الحوافز غير المادية كبعد للمتغير المستقل) فكانت النتائج كما في الجدول التالي:

الجدول (10) المقاييس الإحصائية للمحور الثاني (الحوافز غير المادية كبعد للمتغير المستقل)

المحور الأول	الوسط الحسابي الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
الحوافز غير المادية كبعد للمتغير المستقل	3.4621	0.66986	عالية

المصدر: من إعداد الباحثان اعتماداً على مخرجات برنامج (spss)

يتضح من الجدول (10) أن قيمة الوسط الحسابي العام للمحور الثاني (الحوافز غير المادية كبعد للمتغير المستقل) كانت (3.46) وبانحراف معياري 0.670 وبالتالي فإنه يقع في منطقة الموافقة مما يعني أنه ومن وجهة نظر الموظفين بعينة البحث أن الحوافز غير المادية كبعد للمتغير المستقل تقدم للموظفين بشكل جيد في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته.

- ما مستوى أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم للمواد الغذائية - مصراته؟
للتعرف على مستوى أداء العاملين كمتغير تابع بمصنع الزبادي قام الباحثان بإيجاد الوسط الحسابي والانحراف المعياري للمحور الثالث (أداء العاملين كمتغير تابع) فكانت النتائج كما في الجدول التالي:

الجدول (11) المقاييس الإحصائية للمحور الثالث (أداء العاملين كمتغير تابع)

المحور الثالث	الوسط الحسابي الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
أداء العاملين كمتغير تابع	3.7614	0.57822	عالية

المصدر: من إعداد الباحثان اعتماداً على مخرجات برنامج (spss)

يتضح من الجدول (11) أن قيمة الوسط الحسابي العام للمحور الثالث (أداء العاملين كمتغير تابع) كانت (3.76) وبانحراف معياري 0.578 وبالتالي فإنه يقع في منطقة الموافقة مما يعني أنه ومن وجهة نظر الموظفين

بعينة الدراسة هناك مستوى جيد من أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته. وبما أن البحث اشتمل على عدة فرضية رئيسية تتناول جميع محاور موضوع البحث، سنقوم فيما يلي باختبار هذه الفرضية للتأكد فيما إذا كان هناك تأثير للحوافز ممثلة ببعديها (الحوافز المادية، الحوافز غير المادية كمتغير مستقل) على المتغير التابع المتمثل في أداء العاملين بمصنع الزبادي وسيتم اختبار هذه الفرضية باستخدام تحليل الانحدار الخطي المتعدد Linear Regression Multi، لذلك وقبل تطبيق تحليل الانحدار المتعدد لاختبار الفرضية الرئيسية للدراسة، تم إجراء بعض الاختبارات وذلك من أجل ضمان ملائمة البيانات لافتراضات تحليل الانحدار وذلك على النحو التالي :

فيما يتعلق بافتراض عدم وجود ارتباط عالي بين المتغيرات المستقلة "Multi-Collinearity" قام الباحثان بإيجاد معامل التباين "Variance Inflation Factor – VIF" واختبار التباين المسموح به "Tolerance" لكل متغير من المتغيرات المستقلة، ومن المعروف أنه إذا كان معامل تضخم التباين (VIF) للمتغير يتجاوز (10) وكانت قيمة التباين المسموح به أقل من (0.05) فإنه يمكن القول أن هذا المتغير له ارتباط عالٍ مع متغيرات مستقلة أخرى وبالتالي سيؤدي إلى حدوث مشكلة الارتباط الذاتي في تحليل الانحدار، وقد تم الاعتماد على هذه القاعدة لاختبار الارتباط الخطي المتعدد "Multicollinearity" بين المتغيرات المستقلة.

وكما يشير الجدول (12) الذي يحتوي على المتغيرات المستقلة وقيمة معامل التضخم للتباين (VIF) والتباين المسموح به "Tolerance" لكل متغير، نلاحظ أن قيمة معامل التضخم للمتغيرات المستقلة كانت أقل من (10) وتساوى (6731.) للمتغيرين المستقلين (الحوافز المادية، غير المادية كمتغير مستقل) كما نلاحظ أن قيمة التباين المسموح به "Tolerance" للمتغيرين المستقلين كانت أكبر من (0.05) حيث كانت بين (0.598) ولذلك يمكن القول إنه لا توجد مشكلة حقيقية تتعلق بوجود ارتباط ذاتي عالٍ بين المتغيرات المستقلة.

جدول رقم (12): نتائج اختبار معامل تضخم التباين والتباين المسموح به ومعامل الالتواء

المتغيرات	التباين المسموح به Tolerance	معامل تضخم التباين (VIF)	معامل الالتواء Skewness
الحوافز المادية كبعد أول للمتغير المستقل	0.598	1.673	- 0.089
الحوافز غير المادية كبعد ثان للمتغير المستقل	0.598	1.673	0.009

المصدر: من إعداد الباحثان اعتماداً على مخرجات برنامج (spss)

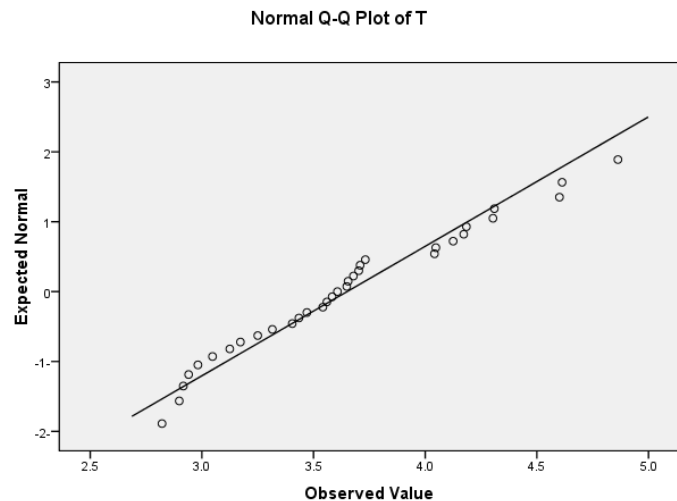
تم اعتماد تحليل معامل الالتواء للمتغيرات للتحقق من افتراض توزيع البيانات على شكل منحنى طبيعي (Normal Distribution). وفقاً للجدول رقم (12)، تبين أن قيم معامل الالتواء لجميع المتغيرات كانت أقل من (1). استناداً إلى هذه النتائج، يُمكن القول بأنه لا توجد مشكلة فعلية تتعلق بتوزيع البيانات في الدراسة. ومن أجل تعزيز الثقة في توزيع البيانات، أجرى الباحثان اختبار Kolmogorov-Smirnov. كانت نتائج هذا الاختبار على النحو التالي:

جدول رقم (13): نتائج اختبار Kolmogorov-Smirnov

المتغيرات	درجات الحرية df	مستوى المعنوية المحسوب P-value
جميع المتغيرات	33	0.122

المصدر: من إعداد الباحثان اعتماداً على مخرجات برنامج (spss)

نلاحظ من الجدول السابق أن قيمة مستوى المعنوية المحسوبة P-value كانت (0.122) وهي أكبر من مستوى المعنوية المعتمد في الدراسة (0.05)، وبالتالي فإننا نقبل فرضية العدم القائلة بأن هذه البيانات تتبع التوزيع الطبيعي.



الشكل رقم (1): يبين التمثيل البياني لمدى ملائمة البيانات للتوزيع الطبيعي
6. اختبار فرضيات الدراسة:

أ- الفرضية الرئيسية للبحث: تساهم الحوافز المادية وغير المادية كمتغير مستقل في تحسين أداء العاملين كمتغير تابع.

للتعبير عن هذه الفرضية بشكل مختلف، يمكن صياغتها كما يلي:
الفرضية الصفرية: لا يوجد أثر معنوي للحوافز المادية وغير المادية كمتغير مستقل على أداء العاملين كمتغير تابع.

الفرضية البديلة: يوجد أثر معنوي للحوافز المادية وغير المادية كمتغير مستقل على أداء العاملين كمتغير تابع.
عند إجراء اختبار تحليل الانحدار المتعدد كانت النتائج على النحو التالي:

جدول رقم (14): نتائج تحليل التباين للانحدار للتأكد من صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الرئيسية

المصدر	درجات الحرية	معامل الارتباط	معامل التحديد 2R	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة F المحسوبة	مستوى المعنوية
الانحدار	2	0.76	0.57	6.097	3.049	19.874**	0.00
الخطأ	30			4.602	.1530		
الكلية	32			10.699			

** معنوية عند مستوى معنوية 0.01

ويتضح من الجدول (14) صلاحية النموذج لاختبار فرضية البحث الرئيسية، حيث بلغ مستوى الأهمية المحسوب (0.00)، وهو أقل من مستوى الأهمية المعتمد في الدراسة (0.05)، وذلك من خلال قيمة إن معامل التحديد

والحوافز المادية والحوافز غير المادية كمتغير مستقل يفسر (57%) التباين في متغير (أداء العاملين كمتغير تابع)، وكل هذا يؤكد دور الحوافز (المادية وغير المالية) وأثرها في تفسير التباين في أداء العاملين كمتغير تابع بمصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته، وبناء على ذلك يمكننا اختبار الفرضية الرئيسية للدراسة.

جدول رقم (15): نتائج تحليل الانحدار المتعدد لاختبار أثر الحوافز المادية، غير المادية كمتغير مستقل في أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته

نموذج الانحدار	B	الخطأ المعياري	Beta	قيمة t المحسوبة	مستوى المعنوية
ثابت الانحدار	1.052	0.456		2.308*	0.028
الحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل	0.327	.1520	.3330	2.151*	0.040
الحوافز غير المادية كبعد للمتغير المستقل	0.430	.1340	.4980	3.218**	0.003

* * معنوية عند مستوى معنوية 0.01، * معنوية عند مستوى معنوية 0.05

يتضح من النتائج الإحصائية الواردة في الجدول (15)، ومن متابعة قيم اختبار (t) أن المتغيرات المستقلة (الحوافز المادية، الحوافز غير المادية) لها تأثير في تحسين أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته، حيث بلغت قيم (t) المحسوبة للمتغيرات المستقلة (2.151، 3.218)، وهي قيم معنوية عند مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$)، ومما سبق يقتضي ما يلي:

رفض الفرضية الصفرية والتي تنص على أنه: لا يوجد أثر معنوي للحوافز المادية وغير المادية كمتغير مستقل على أداء العاملين كمتغير تابع، وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه يوجد أثر معنوي للحوافز المادية وغير المادية كمتغير مستقل على أداء العاملين كمتغير تابع.

وحيث ان قيمة معامل الارتباط كانت (0.76) فإن للحوافز المادية وغير المادية كمتغير مستقل الممنوحة للعاملين تأثير ايجابي كبير على أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته.

ب- الفرضية الفرعية الأولى: تساهم الحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل في تحسين أداء العاملين كمتغير تابع:

للتعبير عن هذه الفرضية بشكل مختلف، يمكن صياغتها كما يلي:

الفرضية الصفرية: لا يوجد أثر معنوي للحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل على أداء العاملين كمتغير تابع.

الفرضية البديلة: يوجد أثر معنوي للحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل على أداء العاملين كمتغير تابع.

عند إجراء اختبار تحليل الانحدار الخطي البسيط كانت النتائج على النحو التالي:

جدول رقم (16): نتائج تحليل التباين للانحدار للتأكد من صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الفرعية الأولى

المصدر	درجات الحرية	معامل الارتباط	معامل التحديد 2R	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة F المحسوبة	مستوى المعنوية
الانحدار	1			4.508	4.508		
الخطأ	31	0.65	0.42	6.190	.2000	22.577**	0.00
الكل	32			10.699			

* * معنوية عند مستوى معنوية 0.01

يوضح الجدول (16) صلاحية نموذج اختبار الفرضية الفرعية الأولى وذلك نظراً لأن مستوى الدلالة المحسوب كان (0.00) وهو أقل من مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة (0.05)، ومن خلال قيمة معامل التحديد فإن الحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل تفسر (42%) من التباين في متغير (أداء العاملين كمتغير تابع)، وجميع ذلك يؤكد دور الحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل وأثرها في تفسير التباين في أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته، وبناء على ذلك نستطيع اختبار الفرضية الفرعية الأولى للبحث.

جدول رقم (17): نتائج تحليل الانحدار الخطي البسيط لاختبار أثر الحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل في أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته

نموذج الانحدار	B	الخطأ المعياري	Beta	قيمة t المحسوبة	مستوى المعنوية
ثابت الانحدار	1.383	0.506		2.731 *	0.010
الحوافز المادية كمتغير مستقل	0.638	.1340	.6490	4.752**	0.00

** معنوية عند مستوى معنوية 0.01، * معنوية عند مستوى معنوية 0.05

يتضح من النتائج الإحصائية الواردة في الجدول (17)، ومن متابعة قيم اختبار (t) أن بعد المتغير المستقل الحوافز المادية له تأثير في تحسين أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته، حيث بلغت قيم (t) المحسوبة للمتغير المستقل (4.752)، وهي قيمة معنوية عند مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$)، ومما سبق يقتضي ما يلي:

رفض الفرضية الصفرية والتي تنص على أنه: لا يوجد أثر معنوي للحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل على أداء العاملين كمتغير تابع، وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه يوجد أثر معنوي للحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل على أداء العاملين كمتغير تابع.

وحيث ان قيمة معامل الارتباط كانت (0.65) فإن للحوافز المادية كبعد للمتغير المستقل الممنوحة للعاملين تأثير ايجابي على أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته.

ج- الفرضية الفرعية الثانية: تساهم الحوافز غير المادية كبعد ثان للمتغير المستقل في تحسين أداء العاملين كمتغير تابع:

للتعبير عن هذه الفرضية بشكل مختلف، يمكن صياغتها كما يلي:

الفرضية الصفرية: لا يوجد أثر معنوي للحوافز غير المادية كبعد ثان للمتغير المستقل على أداء العاملين كمتغير تابع.

الفرضية البديلة: يوجد أثر معنوي للحوافز غير المادية كبعد ثان للمتغير المستقل على أداء العاملين كمتغير تابع. عند إجراء اختبار تحليل الانحدار الخطي البسيط كانت النتائج على النحو التالي:

جدول رقم (18): نتائج تحليل التباين للانحدار للتأكد من صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الفرعية الثانية

المصدر	درجات الحرية	معامل الارتباط	معامل التحديد 2R	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة F المحسوبة	مستوى المعنوية
الانحدار	1			5.388	5.388		
الخطأ	31	0.71	0.50	5.311	.1710	31.446**	0.00
الكل	32			10.699			

** معنوية عند مستوى معنوية 0.01

ويتضح من الجدول (18) صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الفرعية الثانية، حيث بلغ مستوى الأهمية المحسوب (0.00) وهو أقل من مستوى الأهمية المعتمد في الدراسة (0.05)، وذلك من خلال القيمة لمعامل التحديد فإن الحوافز غير المادية كمتغير مستقل تفسر (50%) من التباين في متغير (أداء الموظف) وكل ذلك يؤكد دور الحوافز غير المادية كبعد للمتغير المستقل وأثرها في تفسير التباين في أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته، وبناء على ذلك يمكننا اختبار الفرضية الفرعية الثانية للبحث.

جدول رقم (19): نتائج تحليل الانحدار الخطي البسيط لاختبار أثر الحوافز غير المادية كبعد للمتغير المستقل في أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته

نموذج الانحدار	B	الخطأ المعياري	Beta	قيمة t المحسوبة	مستوى المعنوية
ثابت الانحدار	1.641	0.385		4.262 **	0.00
الحوافز غير المادية كبعد للمتغير المستقل	0.613	.1090	.7100	5.608**	0.00

** معنوية عند مستوى معنوية 0.01

يتضح من النتائج الإحصائية الواردة في الجدول (19)، ومن متابعة قيم اختبار (t) أن المتغير المستقل الحوافز غير المادية له تأثير في تحسين أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته، حيث بلغت قيم (t) المحسوبة للمتغير المستقل (5.608)، وهي قيمة معنوية عند مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$)، ومما سبق يقتضي ما يلي:

رفض الفرضية الصفرية والتي تنص على أنه: لا يوجد أثر معنوي للحوافز غير المادية كبعد للمتغير المستقل على أداء العاملين كمتغير تابع، وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه يوجد أثر معنوي للحوافز غير المادية كبعد للمتغير المستقل على أداء العاملين كمتغير تابع.

وحيث ان قيمة معامل الارتباط كانت (0.71) فإن للحوافز غير المادية الممنوحة للعاملين تأثير ايجابي على أداء العاملين في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته.

النتائج:

- 1- للحوافز (المادية وغير المادية كمتغير مستقل) تأثير ايجابي كبير في تحسين أداء العاملين كمتغير تابع في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته.
- 2- منح الحوافز المادية للعاملين يساهم بشكل ايجابي في الرفع من مستوى الأداء.
- 3- تحرص إدارة مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته على تقديم الحوافز التشجيعية (المادية، غير المادية) للعاملين بالمصنع.
- 4- للحوافز غير المادية تأثير ايجابي على أداء العاملين في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته أكبر من تأثير الحوافز المادية، حيث كان معامل الارتباط بين الحوافز غير المادية وأداء العاملين (0.71) بينما كان معامل الارتباط بين الحوافز المادية وأداء العاملين كمتغير تابع (0.65).
- 5- تقدم الحوافز المادية بمصنع الزبادي بشكل أكبر من الحوافز غير المادية، حيث كان الوسط الحسابي العام

لممارسة الحوافز المادية (3.73) بينما كان الوسط الحسابي العام لممارسة الحوافز غير المادية (3.46).

6- يقدم العاملين في مصنع الزبادي بشركة النسيم - مصراته مستوى جيد من الأداء.

التوصيات :

1. يوصي الباحثان إدارة المصنع بالتركيز على زيادة تفعيل الحوافز غير المادية لما لها من دور ايجابي فعال في تحسين أداء العاملين.
2. التنوع في تشجيع العاملين المتميزين و إتاحة الفرص لهم للحصول على دورات تدريبية لتطوير مهاراتهم التخصصية.
3. إعداد المزيد من الورقات البحثية التي تهتم بدراسة المزيد من المتغيرات المؤثرة على أداء العاملين كمتغير تابع.

المراجع:

- 1- أبو شيحة، نادر (2000)، إدارة الموارد البشرية، الاردن، دار صفاء للنشر.
- 2- شلويش، مصطفى بخيت (2005)، إدارة الموارد البشرية، الاردن، دار الشروق للنشر.
- 3- المرعي، حجاج (2010)، إدارة الافراد، عمان، الاكاديميون للنشر والتوزيع.
- 4- كافي، مصطفى (2014)، إدارة الافراد، الاردن، مكتبة المجتمع العربي للنشر.
- 5- العريقي، منصور (2012)، إدارة الموارد البشرية، صنعاء ، دار الكتاب.
- 6- الاشهب، نوال (2015)، إدارة الموارد البشرية، الاردن ، دار امجد للنشر والتوزيع.
- 7- الكردي، أحمد، نظام الاجور والحوافز الفعال في منظمات الاعمال، بوابة كنانة، من خلال الرابط التالي : <http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/downloads/7966>
- 8- صديق، زكريا ؛ بن جيمة ، عمر (2018)، دور القيادة الإدارية في تحسين الاداء الوظيفي للعاملين، مجلة البشائر الاقتصادية، 4(1).
- 9- معمرى، محمد (2022)، المداخل الحديثة لتحسين الاداء في المنظمة، مجلة دفاتر المخبر، 17(1).
- 10- مصطفى، زهرة (2014)، أثر الثقافة التنظيمية على أداء الموارد البشرية في المؤسسات الاقتصادية، مجلة الاقتصاد والتنمية البشرية، 5(2).
- 11- حامدي ، محمد ؛ بعطيش، شعبان (2022)، تأثير عمليات إدارة المعرفة على أداء العاملين، مجلة الاستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، 7(1).
- 12- فيصل، سمغوني ؛ كريم، فيصل (2019)، نظام الحوافز ودوره في تحسين مستوى أداء العمال، مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية، 18 (3).
- 13- الخرابشه، كامل (2017)، الحوافز وأثرها على أداء الموظفين، المجلة الدولية للإدارة والعلوم الانسانية، 1(1).
- 14- غازي، حسن (2013)، أثر الحوافز في تحسين الأداء لدى الموظفين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية إدارة الاعمال، جامعة الشرق الأوسط، الأردن.

- 15- نادر، حامد عبدالرزاق(2010)، أثر الحوافز على مستوى الأداء الوظيفي في شركة الاتصالات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة.
- 16- Ngwa, Walters T., et al. (2019). Effect of reward system on employee performance among selected manufacturing firms in the Litoral region of Cameroon. Academy of Strategic Management Journal, 18(3), 1-16.
- 17- Pratheepkanth, P. (2011). Reward system and its impact on employee motivation in commercial bank of sri lanka plc, in jaffna district. Global Journal of management and business research, 11(4), 85-92.
- 18- Tumwet, E., et al. (2015). Effects of Employee incentives on employee performance in private Universities in Kenya: A case of Kabarak University. Kabarak Journal of Research & Innovation, 3(2), 9-22.
- 19- Aktar, S., Sachu, M. K., & Ali, M. E. (2012). The impact of rewards on employee performance in commercial banks of Bangladesh: An empirical study. IOSR Journal of business and Management, 6(2), 9-15.

عنوان البحث

ظواهر أسلوبية في سورة يوسف (ع)

م.م. وسام مزهر جاسم¹

¹ المديرية العامة لتربية محافظة البصرة ، العراق.

بريد الكتروني: wm.wm13@yahoo.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/12>

تاريخ القبول: 2024/02/20م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

احتوت سورة يوسف ظواهر أسلوبية ، قام الباحث بتتبعها وتسليط الضوء عليها وتحليلها وتتبع آراء علماء العربية والمفسرين الأجلاء في هذه السورة المباركة ، هذه الظواهر صبت في بحر المقاصد التعبيرية القرآنية كالحذف والذكر والتقديم والتأخير وغيرها وهي محاولة منه لتذكير القارئ بعظمة وروعة كتاب الله المنزل هدى للناس.

RESEARCH TITLE

STYLISTIC PHENOMENA IN SURAT YUSUF (PEACE BE UPON HIM)

Wissam Mazhar Jassim¹¹ General Directorate of Education of Basra Governorate, Iraq. Email: wm.wm13@yahoo.comHNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/12>

Published at 01/03/2024

Accepted at 20/02/2024

Abstract

Surat Yusuf contained stylistic phenomena, which the researcher traced, shed light on, analyzed, and followed the opinions of Arabic scholars and eminent commentators on this blessed Surah. These phenomena poured into the sea of Qur'anic expressive purposes such as deletion, mention, introduction, delay, and others, and it is an attempt on his part to remind the reader of the greatness and splendor of the Book of God revealed as a guidance for the people.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا (صلى الله عليه وآله وسلم) سيد الخلق أجمعين وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين وجعل لنا القرآن نوراً و فصل الآيات تفصيلاً لتكون للمسلمين دستوراً...

أما بعد ، كان القرآن الكريم موضعاً لإبهار كل من يقرأه ويتدبر آياته فكلما قرأناه تتكشف لنا آفاق رحبة وتفتح لنا نوافذ جديدة كأننا لم نقرأ هذا القرآن وكأن بعض آياته لم تمر علينا أو أنها نزلت للتو فهذا الكتاب الذي أعجز فصحاء العرب أن يأتوا بآية من مثله وإلى هذا اليوم ما زال يبهرنا فلم يفشل في ذلك فتمر عليه الدهور وما زال فتياً لم يبح بجميع أسرارهِ ومازال معينا لم ولن ينضب يغترف منه العالم والمتعلم كل يأخذ منه حسب حاجته وإدراكه ومنهم كاتب هذه السطور الذي لاحظ وجود ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم بشكل عام وفي سورة يوسف بشكل خاص تلفت الانتباه كالتقديم والتأخير والحذف والذكر والتعريف والتكثير واستعمال حرف مكان آخر وكلمة مكان أخرى وفعل مكان فعل آخر، وهذا الأمر حتماً لم يكن جزافاً أن ينتقي الباري جل وعلا هذا الأسلوب أو ذاك إلا لمقاصد وأحدها هو إعجاز القارئ وإبهاره فكانت هذه الدراسة محاولة لتسليط الضوء على هذه الظواهر ، وقد تناول هذا البحث بالدراسة الظواهر الأسلوبية في هذه السورة المباركة من تقديم وتأخير وحذف وذكر وتكثير وتعريف والبناء للمجهول والعدول من الإضمار إلى الإظهار والدقة في الأسلوب القرآني ، أما عن فائدة هذا البحث وإضافته للعربية وللدراسات القرآنية فقد سلطت الضوء على هذه الظواهر وقيمتها من خلال معرفة انزياح المعنى الذي حصل بسبب هذه الظواهر ، ولا يفوتني أن أذكر إلى أن هذه الدراسة تحاشت بعض القضايا منعاً لتوسع الدراسة أو أنها ليست من صلب موضوع الدراسة أذكر منها للتمثيل لا للحصر: الحذف للإيجاز و التقديم والتأخير لتناسب فواصل الآي والاكتفاء بالتعريف ب(ال) وبالإضافة وغيرها عسى الله ان يتقبل من كاتبها ، خدمة للقرآن الكريم ورفداً للمكتبة القرآنية

المبحث الأول: الدقة في الأسلوب القرآني

تُعد الدقة في الأسلوب من الظواهر المهمة في الأسلوب القرآني ، فالملاحظ أنه لا يمكن أن تحل لفظة محل أخرى وتؤدي المعنى نفسه ؛ لما للألفاظ من فروق دلالية بينة فالفعل (جاء) غير الفعل (أتى) وكذلك الفعل (أقبل) ، وقد أكد القرآن الكريم هذا الأمر عندما قال: (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)¹ ، فالقرآن الكريم يختار اللفظة كأنها خلقت له ولا يمكن أن تتفع أي لفظة أخرى ولن تؤدي المعنى المطلوب.

أ-الدقة في اختيار الحرف

1-قال تعالى: ((يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ))² ، هذه الآية الكريمة من المواضع التي نلمس فيها دقة اختيار الحرف إذ اختار الأسلوب القرآني حرف الحاء دون الجيم في الفعل {تحسسوا} ؛ لأن التحسس أعم من التجسس وهو شدة التطلب والتعرف ، أما التجسس فهو التطلب مع إخفاء وتستر⁽³⁾ ، وقيل: التجسس: البحث

¹ الحجرات:14² يوسف:87⁽³⁾ تفسير التحرير والتتوير 13:45

عن عورات الناس والتحسس: الاستماع لحديث قوم⁽⁴⁾ ، فاختيار الحاء على الجيم تشعر المستمع كأن يعقوب عليه السلام يطلب من أولاده البحث عن يوسف وأخيه بوساطة الإحساس لما لهم من صلة القرابة فقد يشعر المرء بأخيه وعاطفة الأخوة قد تتغلب على الخلافات بينهم .

2-قال تعالى: (قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي)⁵ ، ونقف عند قوله تعالى إذ اختار الحرف {سوف} دون السين والفرق بين الحرفين فيما يخص المدة الزمنية جلي فلم يقل يعقوب عليه السلام لبنيه: {سأستغفر لكم} بل استعمل السين في حين أن يوسف عليه السلام قال لهم: { قَالَ لَا تَتْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ } يوسف:92 ، وقوله تعالى: {سأستغفر لكم ربي} يدل على أن الكبار يحتاجون لوقت أكبر من وقت الشباب ؛ لذلك أجل يعقوب الاستغفار لما بعد⁽⁶⁾ ، أو أن يعقوب عليه السلام أراد أن يشعرهم بعظمة ذنبهم فأجل الاستغفار .

3-قال تعالى: (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ)⁷ ، من المعروف أن الفعل [أحسن] يتعدى بالباء واللام وعده كثيرون من باب التضمين⁽⁸⁾ ، واختار الأسلوب القرآني حرف الباء بدل اللام في {أَحْسَنَ بِي} ومثلها قوله تعالى: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} الإسراء:23، فمن يقرأ الآية الأولى بعينيه وقلبه يشعر وكأن يوسف عليه السلام يُشعر السامع أن إحسان الله لعظمته قد تغلغل في جسمه ووجدانه ولو جاء التعبير باللام قد يكون سطحياً ولم يؤدِ الدلالة التي ظهرت باستعمال الباء ، وكأن الله تعالى يوصينا في الآية الثانية أن نحسن بالوالدين لا إليهما ؛ لأن الإحسان إليهما قد يكون سطحياً وقد يصدر من أي شخص قريب أو غريب بينما يريد من الابن عميقاً يحاول أن يجزي الوالدين على صنيعهما وفضلهما ، وذهب بعض المهتمين إلى أن الباء للملابسة أي جعل إحسانه ملابساً لي⁽⁹⁾ ، أي أنهم جعلوا الإحسان كاللباس الذي يرتديه الإنسان .

ب-الدقة في اختيار الكلمة

1-قال تعالى: ((يَوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ))¹⁰ ، اختار النص القرآني التعبير بصيغة اسم الفاعل {خاطئين} ولم يقل: (من المخطئين) ، والخاطئ هو متعمد الخطأ أي من يعلم منطقة الصواب ويتعداها ، أما المخطئ فهو من لم يذهب إلى الصواب ؛ لأنه لا يعرف مكانه أو طريقه إليه⁽¹¹⁾ ، قال تعالى: { ... إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ }¹² .

2-قال تعالى: ((وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ))¹³ ، أثر الأسلوب القرآني استعمال لفظة {ملك} دون {فرعون} مثلما حصل في قصة سيدنا موسى عليه السلام إذ استعمل لفظة {فرعون} وهو من دقائق الإعجاز العلمي فقد عبرت التوراة عن ملك يوسف عليه السلام بفرعون وما هو بفرعون ؛ لأن أمته ما كانت تتكلم القبطية إنما كانت

(4) الميزان في تفسير القرآن 11:234

⁵ يوسف:98

(6) ينظر: تفسير الشعراوي:7074

⁷ يوسف:100

(8) البيان في روائع القرآن 247

(9) ينظر: التحرير والتنوير:13:57

¹⁰ يوسف:29

(11) ينظر: تفسير الشعراوي:7064

¹² القصص:8

¹³ يوسف:43

لغتهم كنعانية قريبة من الآرامية والعربية.⁽¹⁴⁾

3- قال تعالى: ((قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ)) يوسف:44، استعمل الأسلوب القرآني مفردة {أحلام} دون لفظة {رؤى} ؛ لأنهم أرادوا القول أن التعبير للرؤيا الصادقة،⁽¹⁵⁾ وأن الأحلام ليس لها تعبير فلم يقولوا {أضغاث رؤى} ؛ لأنهم لو قالوها فمعناها أنها يمكن أن تعبر .

4- قال تعالى: ((وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)) يوسف:93، استعمل الأسلوب القرآني لفظة {أهل} ولم يستعمل لفظة {آل} وهو من دقائق التعبير القرآني فلو استعمل {آل} لذهب القصد إلى طلب الأعيان فقط بينما لفظة أهل تدل على كل من لهم به صلة أو قرابة وتحاشى طلب مجيء والده ؛ لأنه لو حصل سيكون أمراً من عزيز مصر لوالده⁽¹⁶⁾ وهما أجل من ذلك.

ج- الدقة في اختيار الفعل

1- قال تعالى: ((وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ))¹⁷، أثر الأسلوب القرآني الفعل {أكل} بدل {افترس} جاء في الصحاح: {وفرَسَ الأسدُ فريسته يفرسها فرساً، وافترسها أي دق عنقها، وأصل الفرَس هذا ، ثم كثر واستعمل حتى صِيَرَ كُلُّ قَتْلٍ فرساً}⁽¹⁸⁾ ، ويقف الباحثون على لفظة {أكله} من قوله تعالى: ((فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ)) والافتراس معناه في فعل السبع القتل وحسب ، وأصل الفرَس دق العنق ، والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلاً وأتى على جميع أجزائه وأعضائه ، فلم يترك مفصلاً ولا عظماً ، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باقي منه يشهد بصحة ما ذكروه ، فادعوا فيه الأكل ؛ ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة ، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى ، فلم يصلح على هذا أن يُعَبَّرَ عنه إلا بالأكل...⁽¹⁹⁾

2- قال تعالى: ((وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ))²⁰ ، أثر الأسلوب القرآني التعبير بالفعل {شروه} عوض الفعل {باعوه} ، والملحوظ أن {شري} لها معنيين: الأول بمعنى اشترى كما جاء في قول عنتره: حصاني كان دلال المنايا فخاض غمارها وشري وباعا⁽²¹⁾

والثاني بمعنى باع وهذا هو المعنى المقصود في الآية أعلاه فلم يعبر عن المعنى المقصود بلفظة البيع ؛ وهي من ألفاظ الأضداد ليكون التعبير به تخفيفاً لوقع العبارة في النفس⁽²²⁾ ، فتحاشى الأسلوب القرآني هذا اللفظ تكريماً لنبيه يوسف عليه السلام

3- قال تعالى: ((وَالْفَيَّا سَدَّهَا لَدَا الْبَابِ))²³ ، لجأ الأسلوب القرآني إلى التعبير بالفعل {ألفيا} دون أي فعل آخر نحو: {وجد} أو {لقيا} ؛ لأن {الإلقاء} وجدان شيء على حالة خاصة من غير سعي لوجدانه ، فالأكثر أن يكون

(14) ينظر: التحرير والتنوير 12:280

(15) ينظر: دقائق الفروق اللغوية:143

(16) ينظر: تفسير الشعراوي:7067

¹⁷ يوسف:17

(18) معجم الصحاح:958

(19) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن:41 ودقائق الفروق اللغوية:56

²⁰ يوسف:20

(21) ديوان عنتره بن شداد:52

(22) ينظر: البيان في روائع القرآن:299

²³ يوسف:25

مفاجئاً ، أو حاصل عن جهل بأول حصول⁽²⁴⁾

4-قال تعالى: ((إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ))²⁵ ، استعمل الأسلوب القرآني الفعل المضارع [نرى] القلبية على لسان الفتين ؛ لأنها تعبر عن قناعة استقرت في نفسي الفتين من خلال معاشتهما لنبي الله في السجن.⁽²⁶⁾

5-قال تعالى: ((إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ))²⁷ ، أثر الأسلوب القرآني في حديث يوسف عليه السلام مع صاحبي السجن الفعل {تركت} دون تجنبته مثلاً لأن الفعل تجنبته يشي للسامع أن يوسف عليه السلام كان على عقيدة هؤلاء القوم أو فكر في اعتناقها يوماً لكنه دُعي إلى تركها فتركها مع كونه لم يلبس تلك الملة قط⁽²⁸⁾ ، والحقيقة أن الله تعالى عبر بـ{تركت} موضع {تجنبته} مع كونه لم يلبس تلك الملة قط ؛ تأنيساً لهما واستدراجاً إلى تركهما⁽²⁹⁾ وفي تخير هذا الفعل دون غيره استجلاب لهما لأن يتركا تلك الملة التي كانا فيها.⁽³⁰⁾ أو هو تطف في الحديث مع صاحبيه ليدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة.

6-قال تعالى: ((وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ))³¹ ، انتقى الأسلوب القرآني الفعل {اتبعت} وهي لفظة توحى بالانقياد التام والخضوع ويتضح ذلك أكثر عندما تقارن بالفعل {تركت} في الآية السابقة ((إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ))⁽³²⁾ فهي دعوة غير مباشرة من يوسف عليه السلام لصاحبيه بالتسليم للباري عز وجل والانقياد التام له دون تفكير أو تعطيل.

7-((قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ))³³ ، فضل الأسلوب القرآني التعبير بالفعل {وجد} دون أي فعل آخر مثل {سرق} ؛ لتحقيقهم من براءة أخيهم {بنيامين} فعلقوا الحكم على مجرد الوجدان لا السرقة ثم أكدوا ذلك بقولهم: {فهو جزاؤه}.⁽³⁴⁾ ، ولأنهم أرادوا تأكيد إبعاد التهمة عنهم فلم يستعملوا الفعل سرق .

8-قال تعالى: ((قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ))³⁵ ، أثر الأسلوب القرآني التعبير بالفعل {وجدنا متاعنا} بدل {سرق متاعنا} فلم يقل معاذ الله أن نأخذ بريئاً بجريرة سارق⁽³⁶⁾ اتقاء للكذب ؛ لأنه يعلم أن أخاه ليس بسارق⁽³⁷⁾ ولأنه أوفق بما وقع في الاستفتاء والفتوى أو لتحقيق الحق⁽³⁸⁾

9-قال تعالى: ((بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي))³⁹ ، استعمل الأسلوب القرآني الفعل {نزع} وقد صور ما

(24) التحرير والتنوير 12:256

²⁵ يوسف 36

(26) ينظر: من أسرار التعبير القرآني في حوار نبي الله يوسف مع صاحبيه في السجن: 66

²⁷ يوسف: 37

(28) ينظر: من أسرار التعبير القرآني: 69

(29) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 84 ومن أسرار التعبير القرآني: 69

(30) ينظر: البحر المحيط: ص 84 ومن أسرار التعبير القرآني: 69

³¹ يوسف 38

(32) من أسرار التعبير القرآني: 70

³³ يوسف: 75

(34) ينظر: نظم الدرر 12:171

³⁵ يوسف: 79

(36) ينظر: في ظلال القرآن: 2022

(37) ينظر: تفسير المراغي 13:24

(38) ينظر: تفسير روح المعاني 13:34

³⁹ يوسف: 100

حصل بينه وبين أخوته مجرد {نَزَع} وقد نسبته إلى الشيطان لا لأخوته ولم يكن أمراً مستقراً على درجة واحدة من السوء . أي: أن ما فعله الشيطان هو مجرد وخزة تُنْبِئُه إلى شيء ضار فيندفع له الإنسان ، وهي مأخوذة من المهماز الذي يُرَوِّضُ به مدرب الخيل أي حصان ، فهو ينغزه بالمهماز نزغة خفيفة ، فيستمع وينفذ ما أمره به ، فالنَّزْعُ تنبيه لمهمة ، ويختلف عن الطعن.⁽⁴⁰⁾ وقال تعالى: (وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ)⁴¹ ، أي هو أمر بسيط يذهب بالاستعاذة.

د- الدقة في اختيار التركيب

1-قال تعالى: ((قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ))⁴² ، أثر الأسلوب القرآني التعبير عن حزن يعقوب عليه السلام على فراق ابنه بالجملة الاسمية المؤكدة وكما يعرف تدل على الثبوت أي ثبوت حزن يعقوب على ابنه ، أو هو دال على ثبوت الغفلة من جانب الأخوة تجاه أخيهم خصوصاً أن الأب يعرف حسد أخوته له⁽⁴³⁾ ، وهذا ما حصل إذ دام حزن يعقوب عليه السلام طويلاً ولم ينقطع حتى حصل اللقاء بينهما عليهما السلام.

2-قال تعالى: ((وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ))⁴⁴ ، أثر الأسلوب القرآني التعبير عن فعل امرأة العزيز مع يوسف ع بالفعل المضارع {تراود} فلم يقل {راودت} ؛ لأن اختيار الفعل الماضي يدل على انتهاء المراودة أو أنها حصلت مرة واحدة ، لكن اختيار الفعل المضارع يدل على أن المراودة صارت سجية عندها وديدناً⁽⁴⁵⁾ وهذا موقف الغيبة ونشر الشائعة وشهوة استباحة العرض مع الهمس والتخفي.⁽⁴⁶⁾ ، أو قد تكون المراودة غير معروفة العدد لهن لكن النساء كعادتهن يبالغن عند تناقل الأخبار.

3-قال تعالى: ((قَالَ أَحْذَرُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا))⁴⁷ ، أثر الأسلوب القرآني التعبير عن رؤيتي صاحبي يوسف عليه السلام بالجملة الاسمية المؤكدة وخبرها جملة فعلية فعلها مضارع {أراني} الذي يشعر السامع أن الرؤيا ما زالت حاضرة في أذهانهما كأنهما مازالا يريانها ؛ إذ لم تمر مدة زمنية على الرؤيا ، لأنها من الأهمية بمكان يجعل الرائي ينطلق مسرعاً بحثاً على من يعبر له هذه المشاهد ، فبعض الرؤيا قد تُنسى أو ينسى النائم جزءاً منها بعد يقظته⁽⁴⁸⁾ ، فكثير من الحالمين ينسون أحلامهم أو جزءاً منها بعد فترة وجيزة.

4-قال تعالى: ((أَمَّا أَحْذَكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا))⁴⁹ ، انتقى الأسلوب القرآني التعبير بالفعل المضارع {يسقي} الذي يعطي دلالة الاستمرارية في الحاضر والمستقبل وهي لا تتعارض مع فعل الرؤيا {أعصر} ، بل تتطابق معها

(40) ينظر: تفسير الشعراوي: 7085

41 فصلت: 36

42 يوسف: 13

(43) ينظر: النظم القرآني في سورة يوسف: 70

44 يوسف: 30

(45) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 475

(46) ينظر: البيان في روائع القرآن: 182

47 يوسف: 36

(48) ينظر: من أسرار التعبير القرآني: 65

49 يوسف: 41

تماماً مما يجعل هذا التأويل مقبولاً من صاحب الرؤيا⁽⁵⁰⁾.

5- قال تعالى: ((ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ))⁵¹ ، اختار الأسلوب القرآني التعبير بصيغة الفعل المضارع {نوحيه} تصويراً لحال الإيحاء الشريف وإشارة إلى أنه لا يزال معه يكشف له ما يريد⁽⁵²⁾ .

المبحث الثاني : الحذف والذكر

افتتح عبد القاهر الجرجاني كلامه عن الحذف بقوله : (هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد إلى الإفادة ، تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين)⁽⁵³⁾ ، وعده ابن جني من باب شجاعة العربية⁽⁵⁴⁾ ، والأصل في الكلام الذكر ؛ لأن الجملة قائمة على الإسناد والإسناد قائم على المسند والمُسند إليه ، والحذف فرع لكنه يكون أحياناً أفصح من الذكر كما ذكر الجرجاني ، وفي سورة يوسف ظاهرة الحذف والذكر ظاهرة مهمة تستحق الدراسة والبحث والتأمل ، بيد أن البلاغة القرآنية في سورة يوسف لم تنحصر في الحذف ، إنما يجد الباحث أمثلة يكون فيها الذكر أظهر للمعنى من الحذف.

1- قال تعالى: ((قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ))⁵⁵ ، أثر التعبير القرآني أسلوب الذكر في هذه الآية المباركة فقال عز من قال : { لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ } فذكر اسم يوسف الصريح دون أن يعتمد على الضمير فلم يقل: {لا تقتلوه} ؛ لدلالة ما قبله عليه وذكر الاسم أبلغ ؛ استجلاباً لشفتهم عليه واستعظاماً لقتله⁽⁵⁶⁾ ، وفي نطقه للاسم تحنين لهم⁽⁵⁷⁾ عسى أن يكون ذلك سبباً في عدم قتله.

2- قال تعالى: ((فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ))⁵⁸ ، اختار النص القرآني أسلوب الحذف في هذه الآية المباركة في قوله: { صَبْرٌ جَمِيلٌ } خبر أو مبتدأ لكونه موصوفاً ، أي : فأمرني صبر جميل ، أو فصبر جميل أمثل.⁽⁵⁹⁾ وقد يكون سبب الحذف هو الحالة النفسية الصعبة التي يمر بها يعقوب أو لضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب توجعه وتألمه من الخبر الذي وصله عن هلاك يوسف.⁽⁶⁰⁾

3- قال تعالى: ((وَ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ))⁶¹ ، أثرت اللغة القرآنية أسلوب حذف حرف الجر {إلى} في { وَاسْتَبَقَا الْبَابَ } وهي : إيجاد المسابقة بغاية الرغبة من كل منهما ، هو يريد أن يهرب ، وهي تريد منعه

⁽⁵⁰⁾ ينظر: من أسرار التعبير القرآني: 78

⁵¹ يوسف: 102

⁽⁵²⁾ ينظر: نظم الدرر: 12: 235

⁽⁵³⁾ دلائل الإعجاز: 146

⁽⁵⁴⁾ الخصائص: 2: 360

⁵⁵ يوسف: 10

⁽⁵⁶⁾ ينظر: تفسير محاسن التأويل 9: 3515

⁽⁵⁷⁾ ينظر: تفسير الشعراوي: 6873

⁵⁸ يوسف: 18

⁽⁵⁹⁾ ينظر: تفسير الكشاف: 508

⁽⁶⁰⁾ ينظر: الخطاب القصصي القرآني: 157

⁶¹ يوسف: 25

فحذف حرف الجر وأوصل الفعل للمفعول بدونه ؛ ليكون دليلاً على أن كل منهما قد بلغ أقصى جهده في هذا السبق ولحقته عند الباب الأخير مع أنه يسبقها بقوة الرجولة والخوف من الله ⁽⁶²⁾ ، فجاء حذف حرف الجر ليشعر السامع بقصر المسافة بين الانطلاقة والباب.

4-قال تعالى: ((يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا))⁶³ ، إذ جاء النص القرآني بأسلوب الحذف في هذه الآية المباركة ، والمحذوف هنا حرف النداء {يا} وحذف ؛ لأنه منادى قريب مغاظن للحديث⁽⁶⁴⁾ ، وموجهاً له الأمر مسقطاً حرف النداء دلالة على أن مكانته من قلبه لم تتغير.⁽⁶⁵⁾

5-قال تعالى: ((فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ))⁶⁶ ، انتقى النص القرآني أسلوب الذكر في هذه الآية المباركة ، والذكر هنا هو ذكر حرف الباء في {بِمَكْرِهِنَّ} وهذا يدل على أن امرأة العزيز لم تسمع كلام النسوة سمعاً مباشراً وأنها لو كانت كذلك لكان الكلام {فلما سمعت مكرهن} بدون الباء وهذا معناه أنها كانت معهن بمجلس واحد فلامعنى حينئذ لقوله : { أَرْسَلْتُ إِلَيْهِنَّ } فحقق الباء الانسجام بين اللفظ والمعنى.⁽⁶⁷⁾

6-قال تعالى: ((قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ))⁶⁸ ، لجأت اللغة القرآنية إلى أسلوب الحذف في هذه الآية المباركة ، والحذف هنا حذف حرف النداء {يا} وحذفت الياء الضمير والتقدير {يا ربّي} ، ودلالات حذف حرف النداء في مثل هذا التركيب تتمثل في التقريب والتضرع وإظهار الحاجة فالمنادي يعلم أنه قريب من رب العالمين فهو أقرب إليه من حبل الوريد ولهذا يناديه نداء القريب لا البعيد ⁽⁶⁹⁾ ، دون الاستعانة بحرف نداء.

7-قال تعالى: ((وَاتَّبَعَتْ مَلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ))⁷⁰ ، انتقى النص القرآني أسلوب الذكر في هذه الآية المباركة والذكر هنا هو ذكر آبائه إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ولم يقل: {واتبعت ملة آبائي} ؛ لأن النظم العالي يقتضي ذلك وهو ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى إليه ليقوي رغبتهما بالاستماع إليه⁽⁷¹⁾ ، وثمة سر آخر وراء الذكر هو أن ليس جميع آبائه مؤمنين فعم إبراهيم كان مشركاً وخص من خص بالذكر ؛ لأنهم مختصون بالإيمان والنبوة⁽⁷²⁾ ، وقد ورثها عن آبائه المذكورين.

8-قال تعالى: ((قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ))⁷³ ، أثر النص القرآني أسلوب الحذف في هذه الآية المباركة ، والمحذوف هو المبتدأ والتقدير: {هي أضغاث أحلام} ويجوز أن يكون سبب حذف المبتدأ هي من أجل إنشاء معنى الاستخفاف والاحتقار ؛ وذلك أنهم لما طلب منهم تعبير رؤياه التي شغلته أجابوه أنها مجرد أضغاث أحلام⁽⁷⁴⁾ ،

(62) نظم الدرر: 66:12؛

63 يوسف: 29؛

(64) ينظر: الكشف: 512؛

(65) ينظر: نظم الدرر: 70:12؛

66 يوسف: 31؛

(67) ينظر: النظم القرآني: 64؛

68 يوسف: 33؛

(69) ينظر: الخطاب القصصي: 153-154؛

70 يوسف: 38؛

(71) ينظر: الكشف: 515 والنظم القرآني: 77؛

(72) ينظر: النظم القرآني: 77؛

73 يوسف: 44؛

(74) الخطاب القصصي: 157؛

ولو كان تقدير المبتدأ المحذوف هو أحلامك فقد يكون حصول الحذف خوف المتكلمين من نسب أضغاث الأحلام للملك فلم يستطيعوا القول للملك : أحلامك أضغاث أحلام بل قالوا: أضغاث أحلام.
9- قال تعالى: ((وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ))⁷⁵ ، اختار النص القرآني أسلوب الحذف في هذه الآية المباركة التي فيها هذا الحذف المشهور وتقديره: اسأل أهل القرية ، فالراجح أنه أراد أن يسأل أهل القرية ، وربما أن المسألة كانت واضحة تماماً لدرجة أن الجمد يعرف تفاصيلها ، أو أنك نبي ويوحى لك فسله أن يجعل الأرض تخبرك بما وقع عليها⁽⁷⁶⁾ وحصل فيها.

المبحث الثالث: التقديم والتأخير

تعدّ ظاهرة التقديم والتأخير بؤرة مباحث الأسلوب الدائرة حول التركيب ، ويكتسب هذا المبحث أهمية خاصة من حقيقة أنه يخضع للطابع الخاص بها فيما يتعلق بترتيب الأجزاء داخل الجملة فيها⁽⁷⁷⁾ ، وقد فصل عبد القاهر الجرجاني القول في التقديم والتأخير وأبرز فيه الأمثلة ووضع له الشواهد ومما قاله في مقدمة حديثه عنه : { هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتّر لك عن بديعه ، ويفضي إلى لطيفه ، ولا تزال ترى شعراً يروك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء ، وحلّ اللفظ عن مكان إلى مكان⁽⁷⁸⁾ } ، وقد شكل التقديم والتأخير في سورة يوسف ظاهرة أسلوبية تستحق الدراسة وتلفت النظر وتحث الدارس من أجل التعرف على كنهها وقد حققت هذه الظاهرة معاني ثمانية ، باعتبار القرائن السياقية واللغوية.

1- قال تعالى: ((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ))⁷⁹ 4 ، أثرت اللغة القرآنية أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة التي فيها ثلاثة تقديمات:- الأول هو تقديم الشمس على القمر وذلك بسبب أن ضوء القمر مستمدّ من الشمس⁽⁸⁰⁾ وهذا النوع من التقديم يسميه البلاغيون ما قدم والمعنى عليه⁽⁸¹⁾ ، والتقديم الثاني هو تقديم الكواكب على الشمس والقمر وآخر الشمس والقمر ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بياناً لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرها من الطوالع كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليهما لذلك⁽⁸²⁾ ، والتقديم الثالث هو تقديم الجار والمجرور {لي} على الحال {ساجدين} وأكد يوسف ع لأبيه أن هذا السجود كان له لا لغيره وقدّم الجار والمجرور ؛ لكي لا يتوهم السامع أن السجود كان لغير يوسف⁽⁸³⁾ مظهراً القيمة الكبيرة لظاهرة التقديم والتأخير.

2- قال تعالى: ((..وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ..))⁸⁴ ، انتقى النص القرآني

⁷⁵ يوسف:82

⁽⁷⁶⁾ ينظر: تفسير الشعراوي:7041

⁽⁷⁷⁾ ينظر: نظرية اللغة في النقد الأدبي:211

⁽⁷⁸⁾ دلائل الإعجاز: 106

⁷⁹ يوسف:4

⁽⁸⁰⁾ ينظر: النظم القرآني:72

⁽⁸¹⁾ ينظر: البرهان في علوم القرآن:3:238

⁽⁸²⁾ ينظر: الكشاف:504

⁽⁸³⁾ ينظر: الخطاب القصصي:144

⁸⁴ يوسف:6

أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة ، وفيها تقديمان:- الأول هو تقديم النعمة على المتعلق الجار والمجرور {عليك} وهذا التقديم اقتضاه النظم العالي ؛ لأن نعمة الله هي المقصودة في هذا التقديم ولولاها لم تكن ليوسف قصة تذكر⁽⁸⁵⁾ ، أما التقديم الثاني فهو تقديم يوسف على آل يعقوب ؛ لأن يوسف كان هو الوسيلة في إتمام النعمة على آل يعقوب ؛ لذلك جعله يعقوب ع أصلاً في الحديث فميزه وأفرده بالذكر وعطف غيره عليه⁽⁸⁶⁾ ، فانما يوسف عليه السلام عن اخوته بفضل ظاهرة التقديم والتأخير .

3- قال تعالى: ((قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ، أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))⁽⁸⁷⁾ ، أثر النص القرآني أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة ، فقدم الجار والمجرور {له} العائد على يوسف ع ؛ للاهتمام بشأنه واختصاص الأخوة بالنصيحة له والخوف عليه لإقناع والدهم أنهم حريصون عليه وظهروا أمامه بمظهر الذي لا يحفظ غيره ، ولو أن ترتيب الآية جاء {وإننا لناصره} -مثلاً- لتأخر الاهتمام بالشخص المقصود ، ولما كان ذلك مدعاة لتصديقهم⁽⁸⁸⁾ ، وما استطاعوا التأثير في والدهم .

4- قال تعالى: ((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ))⁽⁸⁹⁾ ، إذ اختار النص القرآني أسلوب التقديم والتأخير ، فالطبيعي أن يقدم العلم على الحكم إذ لا يتم الحكم إلا بحصول العلم أولاً ، لكن التعبير يعكس العملية هنا فقدم الحكم على العلم فالعلم من دون حكم لا فائدة منه فكم من عالم لم يكن حكيماً⁽⁹⁰⁾ ، والمراد من الحكم الحكمة العملية ، والمراد من العلم الحكمة النظرية ، وإنما قدم الحكمة العملية هنا على الحكمة النظرية ؛ لأن أصحاب الرياضيات يشتغلون بالحكمة العملية ، ثم يترقون إلى الحكمة النظرية . وأما أصحاب الأفكار العقلية والأنظار الروحانية فانهم يصلون إلى الحكمة النظرية أولاً ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية ، وطريقة يوسف عليه السلام هو الأول ؛ لأنه صبر على البلاء والمحنة ففتح الله له أبواب المكاشفات ، فلهذا السبب قال آتيناها حكماً وعلماً⁽⁹¹⁾ ، فمن الله عليه بالحكم والعلم .

5- قال تعالى: ((وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ...))⁽⁹²⁾ ، أثرت اللغة القرآنية أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة والتقديم هنا هو تقديم المفعول به الضمير المتصل {الهاء} العائد ليوسف عليه السلام على الفاعل الاسم الموصول {التي} العائد لامرأة العزيز التي اختصته بالمرادة دون غيره ، ولو جاء التركيب بتعبير {ورأوت امرأة العزيز يوسف} ربما دل ذلك على أن المرأة تراود يوسف ورجلاً آخرين⁽⁹³⁾ غيره ولولا ظاهرة التقديم والتأخير لالتبس الأمر على السامع .

6- قال تعالى: ((... كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ))⁽⁹⁴⁾ ، انتقى النص القرآني

(85) ينظر: النظم القرآني: 70

(86) ينظر: تفسير الميزان 11: 85

87 يوسف: 11

(88) ينظر: النظم القرآني: 69

89 يوسف: 22

(90) ينظر: النظم القرآني: 73

(91) ينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: 114

92 يوسف: 23

(93) ينظر: الخطاب القصصي: 142

94 يوسف: 24

أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة إذ قدم السوء على الفحشاء ؛ لأن السوء جنائية اليد ، ومقدمات الفاحشة من القُبلة والنظر بشهوة والفحشاء هو الزنا⁽⁹⁵⁾ ، فكم من كبيرة ابتدأت بذنوب صغير .

7- قال تعالى: ((... قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))⁹⁶ ، أثر النص القرآني أسلوب التقديم والتأخير على لسان امرأة العزيز في هذه الآية المباركة إذ قدمت السجن على العذاب ؛ لأن المحب لا يسعى في إيلاام المحبوب ، وكذلك هي لم تذكر أن يوسف عليه السلام يجب أن يقابل بأحد هذين الأمرين بل ذكرت ذلك ذكراً كلياً صوناً للمحبيب عن الذكر بالشر والألم⁽⁹⁷⁾ ، محاولة الحصول على ما تريد بالتهديد دون التنازل عن مكانتها أمام سيدها .

8- قال تعالى: ((... فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ...))⁹⁸ ، أثر النص القرآني أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة إذ قُدم الجار والمجرور {عنه} على المفعول به {كيدهن} ودلالة هذا التقديم هو التنزيه إذ أفاد أن النسوة لم يسبق لهن أن كدن لأحد غير يوسف ع فلو أخر لظن أن النسوة راودن يوسف عليه السلام وغيره⁽⁹⁹⁾ ، فكانت ظاهرة التقديم والتأخير طريقاً لمنع الالتباس .

9- قال تعالى: ((وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ...))¹⁰⁰ ، أثرت اللغة القرآنية أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة إذ قُدم المفعول به {السجن} على الفاعل {فتيان} ودلالة التقديم هنا للاهتمام بالسجن والتشويق للفتيين⁽¹⁰¹⁾ ؛ لأن العبرة في السجن وليس فيمن جاوره فيه .

10- قال تعالى: ((... أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ...))¹⁰² ، انتقى النص القرآني أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة على لسان يوسف ع إذ قُدم الذي سينجو على من سيُصلب ؛ لأنه المحور الذي ستركز عليه القصة فيما بعد فنجاته ستكون سبباً في تفسير رؤيا الملك وخروج يوسف عليه السلام من السجن وتغير أحواله⁽¹⁰³⁾ ، والسبب رؤيا الملك .

11- قال تعالى: ((يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ...))¹⁰⁴ ، اختار النص القرآني أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة إذ أخر أداة النداء ؛ ليكون تعبيراً عن رأي الفتى في يوسف عليه السلام وأنه يعده صديقاً بعدما رأى من حسن سيرته ودعوته إلى ترك عبادة الأرباب المتفرقين إلى عبادة الله الواحد القهار ، ولو قال أيها الصديق يوسف لأوحى ذلك أن لفظ الصديق كان لقباً متعارفاً له يُنادى به كما ينادى الشيخ فلان⁽¹⁰⁵⁾ فكان أسلوب التقديم والتأخير وسيلة في معرفة أن لقب الصديق كان محصوراً بيوسف عليه السلام .

(95) ينظر: النظم القرآني: 60

96 يوسف: 25

(97) ينظر: روح المعاني 12: 218

98 يوسف: 26

(99) الخطاب القصصي: 145

100 يوسف: 36

(101) تفسير إرشاد العقل السليم 4: 275

102 يوسف: 41

(103) النظم القرآني: 74

104 يوسف: 46

(105) ينظر: البيان في روائع القرآن: 299

12- قال تعالى: ((...الآن حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ))¹⁰⁶ ، استعمل النص القرآني أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة إذ قدّم المسند إليه على المسند الفعلي في جملة [أنا راودته] للقصر ؛ لإبطال أن يكون النسوة راودنه ، فأقرت على نفسها هذا الأمر وشهدت لغيرها بالبراءة وزادت فأكدت صدقه بـ[إن] أو اللام⁽¹⁰⁷⁾ ، فكان أسلوب التقديم والتأخير وسيلتها للاعتراف على نفسها دون غيرها.

13- قال تعالى: ((... فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكَتْلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))¹⁰⁸ ، انتقى النص القرآني أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة إذ قدّم الظرف {معنا} والجار والمجرور {له} وهذا التقديم فيه تصوير لنفوس الأخوة التي تتلظى بنار عدم القدرة على العودة إلى مصر إلّا بأخيهم ، للحصول على الطعام ، ونار نبش الماضي بطلب أخيهم من والدهم⁽¹⁰⁹⁾ ، أو للتخفيف من وطأة وقع الطلب على أبيهم في طلب أخيهم منه.

14- قال تعالى: ((... حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ))¹¹⁰ ، استعمل النص القرآني أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة إذ قدّم {الحرص} على {الهالك} وسبب هذا التقديم أن الحرص هو: المرض المشفي على الهلاك⁽¹¹¹⁾ فهو سابق له ؛ لأنه مفضي إليه بالضرورة.⁽¹¹²⁾

15- قال تعالى: ((...مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضُّرُّ...))¹¹³ ، اختارت اللغة القرآنية أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة إذ قدّم المفعول به الضمير المتصل بالفعل على الفاعل {الضر} ودلالة هذا التقديم هو التعجيل بذكر نتائج هذا الضر ومن وقع عليه كما أن تأخير {الضر} له دلالة مهمة هي عدم الاهتمام به ؛ لأنه أمر معلوم وظاهر مس جميع الناس في سنين القحط⁽¹¹⁴⁾ ، لا يحتاج إلى التنبيه عليه.

المبحث الرابع: التنكير والتعريف

من الظواهر الأسلوبية في سورة يوسف أسلوب التنكير ، والنكرة هي ما لا تدلّ على شيء بعينه والنكرات متفاوتة في المراتب فكل نكرة هي أعم من غيرها فهي أبهم⁽¹¹⁵⁾ ، والتنكير يعطي الكلمة المقدرة على العطاء المتمدد الذي يثري الدلالة فالأسلوب القرآني يتصرف فمرة يأتي بكلمة نكرة ومرة معرفة وكل حسب معناه ومؤداه ، وخرج التنكير في سورة يوسف إلى معان بلاغية ومقاصد أسلوبية تستفاد من السياق الذي تقع فيه فكأنما السياق والمقام هو الذي يصف النكرة ويحدد معناها⁽¹¹⁶⁾ ، أما التعريف فهو ضد التنكير وهو الإعلام وهو ما دلّ على شيء بعينه⁽¹¹⁷⁾ ، وله صور وأساليب متعددة يتعلق بالأغراض المطلوبة وغرض المتكلم من التعريف هو الذي يملئ

¹⁰⁶ يوسف: 51

⁽¹⁰⁷⁾ ينظر: التحرير والتنوير 12: 292

¹⁰⁸ يوسف: 63

⁽¹⁰⁹⁾ ينظر: النظم القرآني: 71

¹¹⁰ يوسف: 86

⁽¹¹¹⁾ ينظر: الكشف: 527

⁽¹¹²⁾ ينظر: النظم القرآني: 73

¹¹³ يوسف: 88

⁽¹¹⁴⁾ الخطاب القصصي: 143

⁽¹¹⁵⁾ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز 11: 2

⁽¹¹⁶⁾ من بلاغة القرآن: 128

⁽¹¹⁷⁾ الطراز 11: 2

على المتكلم أسلوب التعريف ؛ لأن لكل أداة من أدوات التعريف طعماً ومذاقاً يختلف عن الآخر ، والذي يحدد الاختلاف ثقل الكلمة ، ومكانها وقيمتها عند المخاطب ، فالضمير غير اسم الموصول ، غير التعريف بـ(ال)⁽¹¹⁸⁾.

1-قال تعالى: ((أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا...))⁽¹¹⁹⁾ ، أثر النص القرآني أسلوب التكرير في هذه الآية المباركة فنكر {أرضاً} ونكروها دلالة على أنها منكورة مجهولة بحيث يهلك فيها⁽¹²⁰⁾ ، وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف ، ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة⁽¹²¹⁾ ، في حين يرى بعض الباحثين أن الظرف ينبغي أن يكون مبهماً وهذا لا ينطبق على {أرضاً} فهي أرض مقيدة بأنها بعيدة أو قاصية فزال بذلك إبهامها⁽¹²²⁾ ، فأعطانا أسلوب التكرير معنيين ل{أرضاً} مرة بمعنى مبهمة ومرة أخرى بمعنى غير مبهمة.

2-قال تعالى: ((قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ...))⁽¹²³⁾ ، اختارت اللغة القرآنية أسلوب التكرير والتعريف في هذه الآية المباركة ، فنكر {قائل} بعد أن عدل عن اسمه العلم إلى التكرير والوصفية ؛ لعدم الجدوى من معرفة شخصه وتجنباً لما في اسمه من الثقل اللفظي الذي لا داعي له⁽¹²⁴⁾ ، وعرف {الجب} للدلالة على أنه كان جباً معهوداً فيما بينهم⁽¹²⁵⁾ ، وهو تعريف ذهني أي في جب من الجباب كانوا يعلمون أنه غير بعيد القعر وأن إلقاءه لا يهشم عظامه ولا ماء فيه فيغرقه⁽¹²⁶⁾ ، ويموت فيه.

3-قال تعالى: ((... وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ...))⁽¹²⁷⁾ ، استعمل النص القرآني أسلوب التعريف في هذه الآية المباركة فعرف {الذئب} وهو تعريف الجنس وهو تعريف الحقيقة والطبيعة لم يقصد به ذئب معين أو نوعه أو جماعة منه⁽¹²⁸⁾ ، فقصص جنس الذئب الموجودة في البرية.

4-قال تعالى: ((وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ...))⁽¹²⁹⁾ ، لجأ النص القرآني أسلوب التكرير في هذه الآية المباركة فنكر {دم} ودلالة تنكير الدم هي هوان دلالاته وضعفها على ما وصفوه⁽¹³⁰⁾ ، أي أنه دم لا يستحق أن يُعرف.

5-قال تعالى: ((... وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا...))⁽¹³¹⁾ ، اختار النص القرآني أسلوب التكرير في هذه الآية المباركة فنكر {شاهد} تجنباً لما في اسمه من الثقل ، ولعدم جدوى ذكر اسمه فالمهم من القضية هو شهادة الشاهد التي

(118) ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمال: 37

(119) يوسف: 9

(120) ينظر: نظم الدرر: 23:12

(121) ينظر: الكشف: 506

(122) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 253:9

(123) يوسف: 10

(124) ينظر: التحرير والتنوير: 1224:12

(125) ينظر: تفسير الميزان: 97:11

(126) ينظر: التحرير والتنوير: 225:12

(127) يوسف: 13

(128) ينظر: التحرير والتنوير: 231:12

(129) يوسف: 18

(130) ينظر: تفسير الميزان: 103:11

(131) يوسف: 26

تؤدي إلى براءة يوسف عليه السلام⁽¹³²⁾ وليس الشاهد نفسه.

6- قال تعالى: ((وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا...))¹³³ ، أثر النص القرآني أسلوب التكرير في هذه الآية المباركة فنكر {نِسوة} ولم يصرح بأسمائهن ؛ لأن العبرة في القصة لا في الأسماء إضافة إلى الثقل اللفظي الناتج عن ذكر أسمائهن ، ونكر {حُباً} ودلالته الكثرة والتعظيم⁽¹³⁴⁾ ؛ لأنه وصل شغاف قلبها.

7- قال تعالى: ((وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ...))¹³⁵ ، لجأ النص القرآني أسلوب التكرير في هذه الآية المباركة فنكر {فتيين} بعد تأخيرهما⁽¹³⁶⁾ ؛ لأن العبرة ليست فيهما ، إنما العبرة في القصة والأحداث التي ستترتب على دخولهما السجن.

8- قال تعالى: ((إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...))¹³⁷ ، انتقى النص القرآني أسلوب التكرير في هذه الآية المباركة فنكر {قوم} ودلالة التكرير هنا هو التحقير وتقليل شأنهم ؛ لأنهم مستمرين بالكفر⁽¹³⁸⁾ ، فأعطاه هؤلاء القوم اسماً كرامة لا يستحقونها.

9- قال تعالى: ((وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا...))¹³⁹ ، استعملت اللغة القرآنية أسلوب التعريف في هذه الآية المباركة فعرف {ملة} بإضافتها إلى آبائه ودلالته الفخر أمام الفتين صاحبي السجن ولكي يوضح لهم أنه على دين قديم يتصل بالآباء ، وعرف {فضل الله} تعظيماً لهذا الفضل خصوصاً بعد إضافته للفظ الجلالة.

10- قال تعالى: ((مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا...))¹⁴⁰ ، انتقى النص القرآني أسلوب التكرير في هذه الآية المباركة فنكر {أسماء} ؛ لأنها فارغة لا مطابق لها في الخارج ؛ لأن ما ليس فيه مصداق إطلاق الاسم عليه لوجود له أصلاً فكانت عبادتهم لتلك الأسماء فقط⁽¹⁴¹⁾ ، فزاد من تحقيرها بتكريرها.

11- قال تعالى: ((وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ...))¹⁴² ، أثر النص القرآني أسلوب التكرير في هذه الآية المباركة فنكر {أخ} ودلالة تنكيه هو إيهام أخوته أنه ليس لديه علم عن أخيه ؛ لأنه لا يريد أن يكشف لهم عن شخصيته إلا في الوقت المناسب بينما التعريف يوحى بشيء من العلم والعهد بين المتكلم والمخاطب ، وأوضح السلف هذا الأمر ومنهم من قال : {ألا ترى فرقاً بين مررت بغلامك ، ومررت بغلام لك ؟ إنك في

⁽¹³²⁾ ينظر: النظم القرآني: 49

¹³³ يوسف: 30

⁽¹³⁴⁾ ينظر: النظم القرآني: 44

¹³⁵ يوسف: 36

⁽¹³⁶⁾ وردت دلالة تأخيرهما في مبحث التقديم والتأخير .

¹³⁷ يوسف: 37

⁽¹³⁸⁾ ينظر: النظم القرآني: 46

¹³⁹ يوسف: 38

¹⁴⁰ يوسف: 40

⁽¹⁴¹⁾ ينظر : إرشاد العقل السليم: 278:4

¹⁴² يوسف: 59

التعريف تكون عارفاً بالغلام ، وفي التنكير أنت جاهل به...⁽¹⁴³⁾ ، ونجح يوسف عليه السلام بإيهامهم إلى الوقت المعلوم الذي ينتظر فيه أن يكشف لهم عن شخصيته الحقيقية.

12- قال تعالى: ((... وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ))⁽¹⁴⁴⁾ ، انحاز النص القرآني إلى أسلوب التنكير في هذه الآية المباركة فنكر {عليم} والمراد بعليم هو الله سبحانه وتعالى أورد في حياة النكرة صوتاً للسان عن تعريفه للتعظيم⁽¹⁴⁵⁾ ، أو أن يُراد به الجنس فيعم كل موصوف بقوة العلم حتى يصل إلى الله تعالى ، ويتعين تخصيص هذا العموم بالنسبة إلى الله تعالى بدليل العقل إذ ليس فوق الله عليم⁽¹⁴⁶⁾ ، أو هو أن تنكيره هو تشويق للسامع لمعرفة من هو المقصود بعليم.

13- قال تعالى: ((قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ...))⁽¹⁴⁷⁾ ، اختار النص القرآني أسلوب التنكير في هذه الآية المباركة فنكر {أخ} ويوحى التنكير على أن نفوس الأخوة مازالت مكدرة تجاه أخيه المنكر الذي تخلصوا منه ومازالوا يذكرونه بسوء⁽¹⁴⁸⁾ ، ولأن الحاضرين لا علم لهم به فالجميع لا يعرف أخاهم لكي يذكروا اسمه.

14- قال تعالى: ((قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً...))⁽¹⁴⁹⁾ ، أثر النص القرآني أسلوب التنكير في هذه الآية المباركة فنكر {أمراً} ودلالاتها التهويل⁽¹⁵⁰⁾ ، والتعظيم ، أي أن أمراً عظيماً جلاً من الأمور المنكرة التي لا توصف⁽¹⁵¹⁾ ، حاولتم فعله.

المبحث الخامس: البناء للمجهول

من الظواهر الأسلوبية في سورة يوسف التي تستحق النظر هي ظاهرة البناء للمجهول ومعلوم أن الفعل يبنى للمجهول لأغراض منها: - معرفة الفاعل ، أو عدم معرفته ، أو الخوف منه ، أو الخوف عليه ، أو تعظيمه وتشريفه قصد منع اسمه من الابتذال ، أو تحقيره بعدم ذكر اسمه ، أو عدم الحاجة لذكر الفاعل كون القضية الأساس ومدار الحديث هي الفعل وليس الفاعل ، وغيرها من الأغراض وكلها تفهم من سياق الكلام .

1- قال تعالى: ((يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيسْقِي رَبَّهُ حَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتَيْنِ))⁽¹⁵²⁾ ، انحاز النص القرآني إلى أسلوب البناء للمجهول في هذه الآية المباركة في الفعلين {يُصْلَبُ وقُضِيَ} فبنى الفعل يُصْلَب للمجهول إذ لم يكن هنالك داع لذكر الذي سيُصْلَب ؛ لأنه الوحيد القادر وله القوة ليُصْلَب إنما هو الملك⁽¹⁵³⁾ ، وقد يكون عدم ذكره للحيلولة دون مواجهة المصْلوب بحقيقة نهايته ، وبنى الفعل قُضِيَ للمجهول ؛ لأن القضاء في الأمور الغيبية لا يكون لأحد من البشر بل يكون فقط لرب

⁽¹⁴³⁾ البحر المحيط: 293:6

⁽¹⁴⁴⁾ يوسف: 76

⁽¹⁴⁵⁾ ينظر: الميزان: 226:13

⁽¹⁴⁶⁾ ينظر: التحرير والتنوير: 33:13

⁽¹⁴⁷⁾ يوسف: 77

⁽¹⁴⁸⁾ ينظر: النظم القرآني: 47

⁽¹⁴⁹⁾ يوسف: 83

⁽¹⁵⁰⁾ ينظر: التحرير والتنوير: 239:12

⁽¹⁵¹⁾ ينظر: النظم القرآني: 43

⁽¹⁵²⁾ يوسف: 41

⁽¹⁵³⁾ ينظر: نظم الدرر: 12:91

العالمين⁽¹⁵⁴⁾ إشارة لعظمة الله وسهولة الأمر عليه ؛ لأنهما قالوا ليوسف: ما رأينا شيئاً ، إنما كنا نلعب⁽¹⁵⁵⁾ ، فكان الرد حاسماً لهما بقوله: {قُضِيَ الْأَمْرُ}.

2-قال تعالى: ((...يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ))⁽¹⁵⁶⁾ ، استعمل النص القرآني أسلوب البناء للمجهول في هذه الآية المباركة في الفعل {يُغَاثُ} وبني الفعل للمجهول ؛ لأن المغيث واحد ومعلوم وهو رب العالمين فلم يكن هنالك داع لذكر المغيث خصوصاً أن الناس مشركين بالله.

3-قال تعالى: ((قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ))⁽¹⁵⁷⁾ ، انحاز النص القرآني إلى أسلوب البناء للمجهول في هذه الآية المباركة في الفعل {يُحَاطَ} أي: تغلبون كلكم فلا تقدرون على تخليصه وأصله من: (أحاط به العدو) سدّ عليه مسالك النجاة ودنا هلاكه⁽¹⁵⁸⁾ ، وقد يكون السبب في البناء للمجهول هو قصد يعقوب عليه السلام هو عدم تحديد المحيط بأولاده ؛ لأنه قد يكون قطاع طرق أو حراس الملك أو غيرهم.

4-قال تعالى: ((قَالُوا جَزَأُوهُ مِنْ وُجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَأُوهُ...))⁽¹⁵⁹⁾ ، اختار النص القرآني أسلوب البناء للمجهول في هذه الآية المباركة في الفعل {وُجِدَ} ؛ لأن العبرة فيه بنفس الوجدان ولتحققهم البراءة علقوا الحكم على مجرد الوجدان لا السرقة⁽¹⁶⁰⁾ ، وبني الفعل للمجهول لعدم الاستفادة من ذكر الحرس الذين يقومون بالتفتيش خصوصاً أن ظهورهم كان هامشياً في القصة.

المبحث السادس: العدول من الإضمار إلى الإظهار

من الظواهر المهمة في سورة يوسف عليه السلام التي تستحق الدراسة والتأمل هي ظاهرة العدول من الإضمار إلى الإظهار ، والإضمار من أساليب العربية التي وجدت لتحقيق إيجازاً للمتكلم فيأتي الضمير بدل الاسم الظاهر الذي قد يكرر أكثر من مرة لتحقيق الإيجاز لكن العدول عن الإضمار إلى الإظهار ظاهرة أسلوبية لها مقاصد تعبيرية يتبعها التعبير القرآني لأغراض بيانية وبلاغية .

1-قال تعالى: ((أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ...))⁽¹⁶¹⁾ ، انتقى النص القرآني أسلوب العدول من الإضمار إلى الإظهار في قوله: { لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ } فذكر اسم يوسف الصريح دون الاعتماد على الضمير فلم يقل: {لا تقتلوه} ؛ لدلالة ما قبله عليه وذكر الاسم أبلغ ؛ استجلاباً لشفتهم عليه واستعظاماً لقتله⁽¹⁶³⁾ ، وفي نطقه للاسم تحنن لهم⁽¹⁶⁴⁾ ، عسى أن

⁽¹⁵⁴⁾ ينظر: الخطاب القصصي: 159

⁽¹⁵⁵⁾ ينظر: نظم الدرر 12:91

⁽¹⁵⁶⁾ يوسف: 49

⁽¹⁵⁷⁾ يوسف: 66

⁽¹⁵⁸⁾ ينظر: تفسير محاسن التأويل: 3565 و 3566

⁽¹⁵⁹⁾ يوسف: 75

⁽¹⁶⁰⁾ ينظر: نظم الدرر 12:171

⁽¹⁶¹⁾ يوسف: 9-10

⁽¹⁶²⁾ ورد ذكر الآية في مبحث الحذف والذكر

⁽¹⁶³⁾ ينظر: تفسير محاسن التأويل 9:3515

⁽¹⁶⁴⁾ ينظر: تفسير الشعراوي: 6873

ينفع معهم ذكر الاسم ويمنعهم من قتله.

2- قال تعالى: ((وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ))¹⁶⁵ أثر النص القرآني أسلوب العدول من الإضمار إلى الإظهار في قوله: { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ } ولم يقل : ولكن أكثرهم ؛ لزيادة التوضيح والبيان ولقطع توهم رجوعه إلى مجموع الناس وما كنى عنه بنا الموهوم لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وفيه من الفساد ما فيه⁽¹⁶⁶⁾

3- قال تعالى: ((قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ))¹⁶⁷، لجأ النص القرآني إلى أسلوب العدول من الإضمار إلى الإظهار في قوله: { ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ } ولم يقل ثم يأتي من بعدهن قصداً إلى تفخيم شأنهن⁽¹⁶⁸⁾ ، وتنبيه السامعين إلى صعوبة ما سيلقونه فيهن.

4- قال تعالى: ((وَمَا أَزْيَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ))¹⁶⁹ ، انتقى التعبير القرآني أسلوب العدول من الإضمار إلى الإظهار على لسان امرأة العزيز في قوله: { إِنَّ النَّفْسَ } ولم يقل إنها لأماراة ؛ لأنها لو قالت ذلك لنسبت الأمر بالسوء إلى نفسها فقط ولكنها بنسبتها السوء لكل أنفس البشر خففت من ذنبها أمام الحاضرين ، فأكدت اتهام النفس على إطلاقها فلم تقوت على نفسها فرصة الاحتماء بالطبيعة⁽¹⁷⁰⁾ ، وعدل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: { إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ } مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادئ التربية والرحمة⁽¹⁷¹⁾ بإظهار الاسم لا إضماره.

5- قال تعالى: ((وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَصَاهَا...))¹⁷² ، انحاز النص القرآني إلى أسلوب العدول من الإضمار إلى الإظهار في قوله: { فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ } ولم يقل في نفسه ، وفي التصريح باسمه إشعار بالتعطف والشفقة والترحم ؛ لأنه عليه السلام قد اشتهر بالحزن والرقعة⁽¹⁷³⁾.

6- قال تعالى: ((فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ))¹⁷⁴ ، فضل النص القرآني أسلوب العدول من الإضمار إلى الإظهار في قوله: { ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ } ولم يقل ثم استخرجها منه ، قصداً إلى زيادة كشف وبيان⁽¹⁷⁵⁾ ، ولكي لا يفهم أنه استخرجها من أخيه لا من وعائه.

¹⁶⁵ يوسف:38

⁽¹⁶⁶⁾ ينظر: تفسير روح المعاني 12:242

¹⁶⁷ يوسف:47-48

⁽¹⁶⁸⁾ ينظر: تفسير روح المعاني 12:255

¹⁶⁹ يوسف:53

⁽¹⁷⁰⁾ ينظر: البيان في روائع القرآن:320

⁽¹⁷¹⁾ ينظر: روح المعاني 3:13

¹⁷² يوسف:68

⁽¹⁷³⁾ ينظر: روح المعاني 13:21

¹⁷⁴ يوسف:76

⁽¹⁷⁵⁾ ينظر: روح المعاني 13:28

خاتمة البحث

- 1- احتوت سورة يوسف على ظواهر أسلوبية كالحذف والذكر والتقديم والتأخير وغيرها.
- 2- كانت هذه الظواهر سبب في انزياح المعنى في النص القرآني.
- 3- لجأ الأسلوب القرآني إلى انتقاء أفضل العبارات التي تؤدي المعنى بأفضل طريقة ولا يمكن أن تؤديه أي عبارة أخرى.

المصادر والمراجع

الكتب

- القرآن الكريم

- تفسير التحرير والتنوير/محمد الطاهر بن عاشور/الدار التونسية للنشر/تونس/1984
- الميزان في تفسير القرآن/محمد حسين الطباطبائي/منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية/قم
- تفسير الشعراوي/محمد متولي الشعراوي/دار أخبار اليوم/القاهرة/ط1
- البيان في روائع القرآن/تمام حسان/عالم الكتب/القاهرة/ط1/1993
- دقائق الفروق اللغوية/محمد ياس خضر الدوري/دار الكتب العلمية/بيروت/ط1
- معجم الصحاح/إسماعيل بن حماد الجوهري/تح أحمد عبد الغفور عطار/تق عباس العقاد/ط4/دار العلم للملايين/بيروت/1984
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن/للرّماني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني/تح محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام/دار المعارف/مصر/ط3
- ديوان عنتر بن شداد/مطبعة الآداب/بيروت/1893
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/إبراهيم بن عمر البقاعي/دار الكتاب الإسلامي/القاهرة
- البحر المحيط/أبو حيان الغرناطي/دار الفكر/بيروت/2010/ج6
- في ظلال القرآن/سيد قطب/دار الشروق/القاهرة/ط32
- تفسير المراغي/أحمد مصطفى المراغي/مصطفى البابي الحلبي/مصر/1946/ط1
- تفسير روح المعاني/محمود الآلوسي/المطبعة المنيرية ودار إحياء التراث/بيروت
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي/تح أحمد محمد الخراط/دار القلم/دمشق
- دلائل الإعجاز/عبد القاهر الجرجاني/قراءة وتعليق محمود محمد شاكر/مكتبة الخانجي/مصر/1992/ط3/ص146
- الخصائص/أبو الفتح عثمان بن جني/تح محمد علي النجار/دار الكتب العربي/بيروت/1952
- تفسير محاسن التأويل/محمد جمال الدين القاسمي/تح محمد فؤاد عبد الباقي/عيسى البابي الحلبي/القاهرة/1957/ط1
- تفسير الكشاف/محمود بن عمر الزمخشري/دار المعرفة/بيروت/ط3/2009

- نظرية اللغة في النقد الأدبي/عبد الحكيم راضي/مكتبة الخانجي/مصر/1980
- البرهان في علوم القرآن/بدر الدين محمد بن عبد الله/تح محمد أبو الفضل إبراهيم/دار الت
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب/فخر الدين محمد الرازي/دار الفكر/بيروت/ط1/1981
- تفسير إرشاد العقل السليم/أبو السعود محمد العمادي/دار إحياء التراث/بيروت
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز/يحيى بن حمزة بن علي العلوي/دار الكتب العلمية/بيروت/1980
- من بلاغة القرآن/أحمد بدوي/مكتبة نهضة مصر/القاهرة/ط3
- بلاغة الكلمة والجملة والجمال/منير السلطان/منشأة المعارف/الاسكندرية/1993/ط2
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ابن عطية
- المجلات والدوريات
- من أسرار التعبير القرآني في حوار نبي الله يوسف مع صاحبيه في السجن/مصطفى أحمد حسين قنبر/مجلة المخبر/الجزائر/ع13/2007
- الرسائل و الأطاريح
- النظم القرآني في سورة يوسف/جمال رفيق يوسف/رسالة ماجستير/جامعة نابلس/2000
- الخطاب القصصي القرآني/نور الدين خيار/رسالة ماجستير/جامعة الجزائر/2004

عنوان البحث

أثر الموقع النحوي على الوظيفة الدلالية
(دراسة وصفية تحليلية لنصوص من دلائل الإعجاز)

د. نيكسون جونسون بونا¹

¹ أستاذ مساعد تخصص اللغة العربية (علم اللغة) جامعة بحر الغزال – دولة جنوب السودان

بريد الكتروني: nixonjohnson79@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/13>

تاريخ القبول: 2024/02/20م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

هذا بحث في الأثر الذي يحدثه الموقع النحوي للكلمة على الدلالة من حيث نشؤ علاقات سياقية جديدة للكلمة تكسبها دلالة جديدة، فالبحث يسعى إلى بيان أثر العلاقات غير المعتادة على الدلالة في التركيب النحوي اعتماداً على نصوص من كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني. اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي. خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها: أن للموقع النحوي أثر مهم في تحديد المعنى الدقيق في النظم، الموقع النحوي يوسع الدلالة الأصلية للكلمة عن طريق التشبيه والمجاز ...، وتحديد الموقع النحوي يحتاج إلى عقل مبدع.

الكلمات المفتاحية: الكلمة / اللفظ / العلاقات / الوظيفة.

RESEARCH TITLE

THE EFFECT OF GRAMMATICAL LOCATION ON SEMANTIC FUNCTION (A DESCRIPTIVE AND ANALYTICAL STUDY OF TEXTS FROM EVIDENCE OF MIRACLES)**Dr. Nixon Johnson Bona¹**

¹ Assist. Professor Specialized in Arabic Language (Linguistics) – University of Bahr El-Ghazal – South Sudan

Email: nixonjohnson79@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/13>

Published at 01/03/2024**Accepted at 20/02/2024****Abstract**

This is a research into the effect that the grammatical position of the word has on its connotation in terms of the emergence of new contextual relationships for the word that give it a new meaning. The research seeks to explain the effect of unusual relationships on the connotation in the grammatical structure based on texts from the book *Dala'il al-I'jaz* by Abd al-Qahir al-Jurjani. The research relied on the descriptive analytical method. The study concluded with a number of results, the most important of which are: The grammatical location has an important impact in determining the precise meaning in systems. The grammatical location expands the original meaning of the word through simile and metaphor..., and determining the grammatical location requires a creative mind.

Keywords: word / pronunciation / relationships / function.

المقدمة.

الحمد لله حمدا يليق بجلال قدره، والصلاة والسلام على النبي العربي مفلح البيان،
أما بعد،

هذا بحث في بيان أثر الموقع النحوي للكلمة على وظيفتها الدلالية بالتركيز على نصوص من دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني في تناوله أسباب الفصاحة والبيان في كلام العرب، والبحث محاولة للوقوف على الأثر الذي يتركه موقع الكلمة فعلا أو فاعلا أو مفعولا أو حالا... الخ، على الوظيفة الدلالية للكلمة. ونذكر تماما أن كل لفظ له دلالة معجمية معينة وله استخدام إجتماعي معين في سياق معين، ولكن عندما يتغير هذا السياق الموقعي يكتسب اللفظ وظيفية دلالية جديدة مستمدة من دلالتها الحقلية، لذا يعتبر السياق - بأشكاله المختلفة من بين العناصر المهمة في عملية توصيل المعنى أما الجانب الثاني في هذه العملية فهو "اختيار الكلمة المنطوقة التي تشغل الوظيفة النحوية لتصبح صالحة للدخول في علاقة نحوية معينة مع كلمة أخرى تشغل وظيفة أخرى في الجملة الواحدة"⁽¹⁾، فالإبداع عند المتكلم يكون في اختيار كلمة محددة لشغل موقع نحوي محدد لأداة وظيفة دلالية معينة بظهور علاقات تركيبية جديدة غير معتادة تجعل المعنى أكثر تأثيرا.

موضوع البحث.

الأثر الذي يتركه الموقع النحوي على دلالة الكلمة من حيث نشوء علاقات سياقية جديدة للكلمة تكسبها دلالة جديدة.

مشكلة البحث.

بيان اثر العلاقات غير المعتادة في التركيب على الدلالة.

حدود البحث.

نصوص من كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني والدراسات اللغوية المعاصر.

أهداف البحث.

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر الموقع النحوي للكلمة على الوظيفة الدلالية اعتمادا على نصوص من كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، لأهمية العلاقات النحوية في التركيب على الوظيفة الدلالية للكلمة.

منهج البحث.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي.

هيكل البحث.

جاء البحث في مقدمة ومبحثين ثم الخاتمة مشتملا على النتائج وأخيرا قائمة المراجع والمصادر.

الدراسات السابقة.

المفردة بين الدلالة الوظيفية والتركيبية عند عبد القاهر الجرجاني، دكتور تراث حاكم مالك الزيايدي، بحث منشور في مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية العددان (1 - 2) المجلد (7)، 2008م. وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

(1) محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، ط1، 2000م.

- يستخدم المتكلم المبدع أنواع الاحتمالات النحوية الممكنة عقلا في خلق أنماط تركيبية جديدة.
- ترتيب الدوال داخل السياق يضيف عليها أهميتها.

المبحث الأول.

أهمية الموقع النحوي.

إنَّ المعاني النحوية من فاعلية ومفعولية وغيرها...، عند النحاة، هي عند أصحاب نظرية الحالة الإعرابية أدوار دلالية تُمثل معرفياً حتى تتميز عما للألفاظ من خواص الدلالة المعجمية. يقول صاحب الخصائص أنَّ غاية النحو هي: "معرفة النسبة من صيغة النظم وصورة المعنى"⁽²⁾. فالعلاقات بين الكلمات في العبارة أو الجملة تأخذ معناها من سياق الكلام. وأبواب النحو ما هي إلاّ تعبير عن الوظائف النحوية التي تنظمها لغة من اللغات مثل:

- وظيفة الفاعل.
- وظيفة النائب عن الفاعل.
- وظيفة المبتدأ.
- وظيفة الخبر.
- وظيفة المستثنى...الخ.

وهذه الوظائف هي وظائف دلالية في الواقع تكتسبها الألفاظ من خلال علاقاتها في النظم. كما نجد أحياناً في النظم تعدد الوظائف النحوية للمكون الواحد، "ليس لوحدات اللغة علاقة ثابتة بالوظائف النحوية كما هو الشأن في علاقة الوحدات بالمعاني، فالعلاقة بين الوحدات اللغوية والمعاني متغيرة، فقد يتعدد المعنى للفظ الواحدة كما قد تؤدي وحدة لغوية واحدة عديداً من المعاني في التراكيب المختلفة. وهذا بطبيعة الحال راجع إلى زيادة المعاني عن عدد الوحدات اللغوية في اللغة الواحدة وفقاً لمبدأ كفاءة العقل البشري ومدى استيعابه لعدد محدود من الوحدات"⁽³⁾. ففي التركيب النحوي للجملة هناك ما يقتضيه الكلام من تناسب ومطابقة بين الألفاظ المقترضية والموضع الإعرابي الذي يشغله لأنَّ اللفظ بما يحمله من دلالة لأبد أن يناسب الموضع الذي يشغله، فالقيمة المعنوية للفظ تكون بحسب الموضع البنيوي الذي تحتله. وذلك بشكل خاص لأنَّ نقل المعنى من المعنى الأصلي للفظ إلى المعاني الإضافية له يتكون من خلال تلك العلاقات. أو كما يُقال في الدراسات النحوية أنه: توجد بنية دلالية مصدر وأبنية دلالية مشتقة. مما يطرح التساؤل الآتي:

- هل جميع العلاقات المعنوية التي تظهر في السطح تعود في تأويلها إلى ما هو أصلي أم أنه توجد معانٍ جديدة لا علاقة لها بهذا الأصل؟

إن المشكلة التي واجهت اللغويين المحدثين ولا سيما أصحاب النظريات النحوية الحديثة ، هي " تحديد مكان الدلالة، هل تكمن في المعاني المعجمية للمفردات المكونة للتراكيب، أو أنها تكمن في الوظائف النحوية لهذه المفردات، أو في طبيعة العلاقات الرابطة بين وظائفها"⁽⁴⁾.

(2) الخصائص، ص 223.

(3) ممدوح عبدالرحمن الرمالي، العربية والوظائف النحوية، دار المعرفة الجامعية - مصر، ط 1996، ص 149.

(4) تراث حاكم مالك، المفردة بين الدلالة الوظيفية والتركيبية عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان (1-2) المجلد

(7)، 2008، ص 61.

وكما يبدو من خلال النماذج اللغوية والألفاظ المكونة لها أنّ اللفظ يكتسب دلالات إضافية من خلال العلاقة، تلك الدلالات قائمة على الدلالة الأصلية. فإنّ الجرجاني لم يخرج في هذه المسألة -الموضع النحوي- عن الفكرة التي وضعها الخليل ووضحها سيبويه أكثر، نعني فكرة المسند والمسند إليه والعلاقة بينهما كأساس لتكوين جملة لغوية أو (عبارة لغوية)، حيث يوضح الجرجاني أنّ العلاقة بين المسند والمسند إليه تقوم على مفهوم: الإثبات والنفي. رغم أنّه يمكن اعتبار الموقع النحوي أو العلاقات النحوية جزءاً من السياق، فإنّما نحن هنا نقصد الروابط الدلالية بين كلمة وأخرى من حيث المفهوم النحوي، فالدرس النحوي "هو العلم الذي يبحث في وظائف الكلمة من خلال العلاقات السياقية اللغوية"⁽⁵⁾. أمّا السياق اللغوي فنقصد به العلاقة السياقية في المنطوق اللغوي كله. وقد وضح الجرجاني هذا الأمر في النص التالي عن الخبر في الجملة الاسمية: "أول ما ينبغي أن يُعلم منه أنّه ينقسم إلى خبر هو جزء من الجملة، لا يتم الفائدة دونه، وخبر ليس بجزء من الجملة، ولكنّه زيادة في خبر آخر سابق له. فالأول خبر المبتدأ كمنطلق في قولك: زيدٌ منطلقٌ. والفعل كقولك: خرج زيدٌ. فكل واحد من جزء من الجملة، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له.

والثاني هو الحال كقولك: جاءني زيدٌ راكباً. وذاك أنّ الحال خبر في الحقيقة من حيث إنّك تُثبت بها المعنى لدى الحال كما تُثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ، وبالفعل للفاعل. ألا تراك قد أثبتت الركوب في قولك: "جاءني زيداً راكباً" لزيد؟ إلا أنّ الفرق أنّك جئت به لتزيد معنى في إخبارك عنه بالمجيء وهو أن تجعله بهذه الهيئة في مجيئه، ولم تجرّد إثباتك للركوب ولم تبشره به...، وإذ قد عرفت هذا الفرق فالذي يليه من فروق الخبر هو الفرق بين الإثبات إذا كان بالاسم وبينه، إذا كان بالفعل. وهو فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة إليه. وبيانه أنّ موضوع الاسم على أن يُثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء. أمّا الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد الشيء. فإذا قلّت زيدٌ منطلقٌ. فقد أثبتت الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً. بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: زيدٌ طويلٌ وعمره قصيرٌ. فكما لا تقصد ها هنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتضي بوجودهما على الإطلا، كذلك لا تتعرض في قولك: زيدٌ منطلق لأكثر من إثباته لزيد"⁽⁶⁾.

نستخلص من كلام الجرجاني أنّ الموقع النحوي سبب أساسي في تحديد المعنى الدقيق في (النظم)، فننظر إلى اللفظ من حيث الوظيفة التي تؤديه في النظم ومن ثمّ دلالاته. لذا قد يُلاحظ من خلال العلاقات التركيبية أنّ وظائف الألفاظ في التركيب هو البحث في العلاقات المعنوية داخل الأبنية النحوية وبحث في الدلالات المعجمية لمكونات الجملة حينما تكوّن علاقات فيما بينها في مستوى السطح (البنية السطحية). وهناك عدة مؤشرات يُنظر منها إلى هذه العلاقات، من أهمها⁽⁷⁾:

- المؤشر الأول: ما يقتضيه الفعل من تناسب ومطابقة بين اللفظ والموضع الإعرابي الذي يشغله. فاللفظ بما له من أساس مقولي إعرابي معجمي يرد إلى إحدى الحالتين: إمّا أن يناسب الموضع البنيوي الذي تحتله،

⁽⁵⁾ إبتسام أحمد حمدان، أسس نحوية ولغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد (3) خريف 2010، ص23.

⁽⁶⁾ دلائل الإعجاز، تح: محمد التتحي، مرجع سابق، ص123.

⁽⁷⁾ عبد السلام عيسوي: العلاقات المعنوية في البنية النحوية مقارنة لسانية، ط1 2010، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. ص43.

ولا وجود لدلالة نمطية مجردة تصلح لهذا الموضع أو ذاك بنفس الكيفية، لذا فإنّ إختيار اللفظ المناسب لهذا الموضع المعين يتيح علاقة معنوية وثيقة بينه والألفاظ الأخرى ينتج عنها دلالة معبرة.

- المؤشر الثاني: نقل المعنى من أصل إلى فرع على إعتبار أنّه توجد بنية دلالية أصلية وأبنية دلالية مشتقة

منها متحولة عنها. وقد جرى تساؤل بين الدارسين حول: هل جميع العلاقات المعنوية التي تظهر في السطح تعود في تأويلها إلى ما هو أصلي أم أنّه توجد معانٍ جديدة لا علاقة لها بهذا الأصل؟ وهل وظيفة

النحو في العلاقات المعنوية السطحية هي نفس الوظيفة المجردة التي نجدها في البنية العميقة؟

وقد أشرنا في الإجابة إلى هذه التساؤلات في سطورٍ سابقة وذلك بوجود اتجاهين في التحليل والتعليل:

أ- الإتجاه الذي يعيد جميع العلاقات المعنوية إلى ما هو أصلي. فقد إعتبر تشومسكي أنّ البنية العميقة

أصل تنتج بواسطة قواعد الإعراب، والبنية السطحية تنتج خاصة بواسطة قواعد التحويل، لذا فإنّه يعتبر أنّ جميع العلاقات المعنوية في البنية السطحية متحولة عن البنية العميقة لأنّ ما يتطلبه الفعل من

متعلقات متولّد من جهة الدلالة عمّا هو موجود في البنية العميقة⁽⁸⁾.

ب- الإتجاه الثاني يخالف تشومسكي ومن تبعه فيما ذهب إليه ومن الذين خالفوه: (كارترز) * و(لاكوف) **،

على إعتبار أنّ البنية السطحية قد تتضمن علاقات معنوية ونحوية لا أصل لها⁽⁹⁾.

فإذا نظرنا إلى قوله تعالى: {وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} [مريم: 4] ، من باب الإستعارة في العلاقة بين الإشتعال والرأس

والإشتعال والشيب، نلاحظ العلاقة الأصلية لأن الآية تريد جانباً من صفات النار وهي الإشتعال، يقول الطبري

نقلًا عن غيره: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (143 / 18)

نصب الشيب على التفسير، لأنه يقال: اشتعل شيب رأسي، واشتعل رأسي شيباً، كما يقال: تفتأت شحماً، وتفتأت

شحمي. ففي الإشتعال أرادت الآية جانباً من صفات الاشتعال وهو الشمول، ونسبة لهذه العلاقات المتسلسلة جاء

الإعجاز في هذه الآية لوجود علاقة معنوية بين البنية السطحية والبنية العميقة على إعتبار أنّ الدلالة في البنية

السطحية مستمدة من البنية العميقة مما أدّى بالألفاظ إلى اكتساب وظائف جديدة.

من هنا ندرك أنّ الموقع النحوي للكلمة يوسع الدلالة الأصلية للكلمة لذا نجد أنّ: "ثم أعلم أنّ ليست المزية بواجبة

لها في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق ، لكن تُعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم

بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض"⁽¹⁰⁾. فهكذا يوضح الجرجاني أهمية الموقع النحوي

بالنسبة للوظيفة التي تؤديها اللفظ في التركيب، ولا ندرك تلك الوظيفة الناتجة عن العلاقات بين الألفاظ إلّا من

خلال النظر إليها كوحدة متكاملة. يقول الجرجاني: "واعلم أنّ مما هو أصل في أن يدقّ النظر، ويغمض المسلك

في توحي المعاني التي عرفت أنّ تتخذ أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشدّ ارتباطاً ثانياً منها بأول، وأن

يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني، يضع بيمينه ها هنا

⁽⁸⁾ عبد السلام عيسوي، مرجع سابق. ص 7.

⁽⁹⁾ نفسها.

• جيرولد كاتز لغوي امريكي رائد التحليل التكويني شارك في بحث بعنوان (بنية نظرية علم الدلالة)

• جورج لاكوف، عالم لغويات معرفية ولد عام 1941 عرف عنه أطروحته الشهيرة : أن حياة الأفراد تتأثر بشكل كبير بالاستعارات المركزية التي

يستخدمها الناس لشرح الظواهر المعقدة.

⁽¹⁰⁾ دلائل الإعجاز، تح محمد التتجي. ص 74.

في حال ما يضعُ بيساره هناك⁽¹¹⁾. فاجرجاني هنا يضع فرقاً بين النحو وتوخي معاني النحو، فالنحو يبحث في بيان التركيب الصحيح في الجملة العربية التركيب الذي يطابق القواعد النحوية المعروفة، ونظرية النظم عند الجرجاني يقوم على توخي معاني النحو أي إختيار الأساليب التي تفي بغرض المتكلم. وقد مثل الجرجاني لذلك ببعض الأبيات المشهورة في الشعر العربي ذلك مثل قول امرئ القيس:

كأنّ قلوب الطير رطباً ويابساً لدي وكُرها العنّاب والحشف البالي.

وبيت الفردق:

والشّيبُ ينهَضُ في الشّيبِ كأنّه ليلٌ يصيحُ بجانبه نهارُ.

وبيت بشار:

كأنّ مثارَ النّقعِ فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه.

وقول زياد الأعجم الذي استحسّنه الجرجاني على غيره:

وإنّا وما تُلقِي لنا إنّ هجوتنا لكالبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَى في البَحْرِ يَغْرُق.

ويقول فيه: "وإنما كان أعجب لأن عمله أدق، وطريقه أغمض ووجه المشابكة فيه أغرب"⁽¹²⁾. فجاء وجه الجمال هنا لأنه كأنه يقول:

- نحن بحرٌ مهما يلقي فينا يغرق.

حين أخذ صفة من صفات البحر وهي الاحتواء، فالموقع الذي احتله لفظ (البحر) اكسبه وظيفة جديدة وعلاقات جديدة وترتب على ذلك دلالة جديدة، فالعلاقة بين البحر الحقيقي والبحر المجازي أدت إلى أن تحتوي لفظ (البحر) على وظيفة دلالية جديدة وعلاقة أوسع خارج الحقل الدلالي - لعل هنا يكون الغموض الذي ذكره الجرجاني - فأنت التشاكل بين الطرفين:

البحر الحقيقي ↔ البحر المجازي

لتأخذ صفة من الصفات وتنشأ بينها روابط وعلاقات، وهنا صفة الإحتواء والصفات الثانوية المتعلقة بها والداعمة لها، فلكي يكون الشئ محتوياً كل ما يلي عليه لأبد أن يكون واسعاً وعميقاً... وهذا ما نقصدها بالصفات الداعمة. وهذا ما يقودنا إلى منحنى آخر وهو: أن لبعض المكونات النحوية تأثير في تحديد دلالة الجملة العربية، "فبعض تلك المكونات تمثل قيداً متسلطاً على بنية الترتيب النحوي فتخصص دلالاته وتوجه تأويل السامع له بناء على ما تتسجه من علاقات دلالية وشكلية ومقامية"⁽¹³⁾. يذكر الجرجاني أنه: "فليس الفضل للعلم بأنّ الواو للجمع، والفاء للتعقيب بغير تراخ، و(ثم) له بشرط التراخي. و(إن) لكذا و(إذا) لكذا، ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت شعراً وألفت رسالة أن تحسن التخيّر وأن تعرف لكلّ من ذلك موضعه"⁽¹⁴⁾. فالتخيّر مهم لأن كل لفظ يتأثر بغيره، أي أن لكل لفظ ظلال على الألفاظ الأخرى في التركيب، وهذه الظلال

(11) نفسه. ص 77.

(12) دلائل الإعجاز، مرجع سابق. ص 77.

(13) منحنى العمري، القيد التركيبي في الجملة العربية (دراسة دلالية لنماذج من الروابط بين النحو العربي والنحو التوليدي، الدار التونسية للكتاب، ط 1، 2015. ص 15.

(14) دلائل الإعجاز، المرجع السابق. ص 169.

تتفاوت بتفاوت رتبة كل لفظ في التركيب مثل: ظل الفعل المتعدي أقوى على الفاعل من المفعول، وكذلك الأمر في حروف المعاني على ما ذكر الجرجاني في القول السابق. وهذه الظلال تقوم بما يشبه القيود غير المباشرة على بقية الألفاظ، ذلك لأنّ هناك علاقة اسلوبية ينشأها المبدع بين الألفاظ، وهذا موطن البلاغة إذ يجعل المبدع للألفاظ وظائف دلالية جديدة مبدعة من خلال تلك العلاقات، فهو يُخكّم العلاقة بين الشكل والمعنى. والمتلقي يعيد تفكيكها ثم تركيبها للوصول إلى تلك المعاني. من هنا يظهر مدى ارتباط الألفاظ بالمعاني ومدى قدرة المبدع في إظهار هذا الارتباط من خلال إنشاء علاقات جديدة ووظائف واسعة للكلمة، ليشمل بعد ذلك مجموع العلاقات بين الألفاظ في النص ككل، لتكوين الصورة الشاملة. فالمتلقي هو من يكتشف العلاقات بين الدوال ومدلولاتها والوظائف الموجودة لكل لفظ. هكذا نجد أنّ إعجاز القول عند الجرجاني يتشكل كآتي:

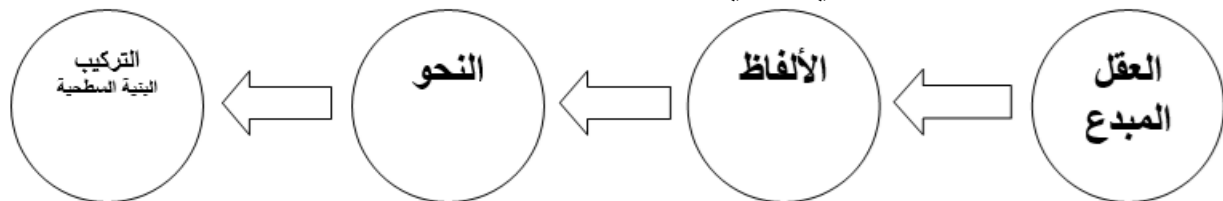
1- العقل المبدع أو المعنى الذهني أو البنية العمية عند التوليديين.

2- اللفظة كوحدة بناء.

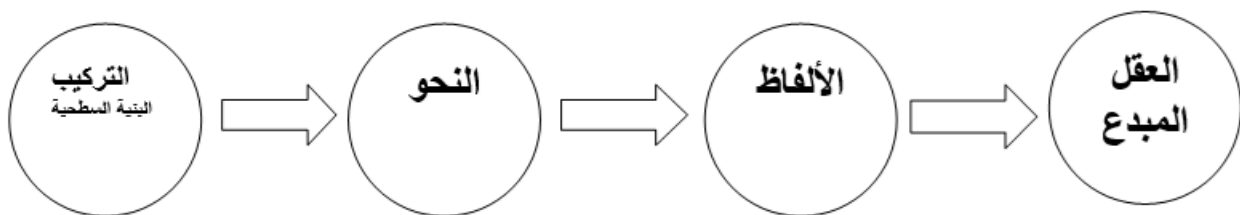
3- النحو كوسيلة ربط جميع الدلالات وإنشاء الوظائف.

4- التركيب أو النظم عند الجرجاني أو البنية السطحية عند التوليديين.

وتجري العملية من المتكلم إلى المتلقي كآتي:



ثم يقوم المتلقي بعملية عكسية لتفكيك التركيب من البنية السطحية للوصول إلى البنية العميقة:



هذا يعني أنّه "لا يكف في معنى الفصاحة أن تتصب لها قياساً ما، وأن تصفها وصفاً مجملاً، وتقول فيها قولاً مرسلًا، بل لا تكون في معرفتها في شيء حتى تفصل القول وتحصّل، وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم، وتعدّها واحدة واحدة وتسميها شيئاً شيئاً، وتكون معرفتك معرفة الصنّع الحاذق الذي يعلم علم كلّ خيط من الإبريسم الذي في الديباج وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع، وكلّ آجرة من الآجر الذي في البناء البديع"⁽¹⁵⁾. هذا يعني أنّ الموضع النحوي الصحيح للألفاظ يؤدي إلى نماذج الدلالات الموجودة في كلّ لفظ عبر العلاقات المتبادلة بينها وصولاً إلى الوحدة المعنوية في التركيب كغاية نهائية "واعلم أنّ مثل واضع

(15) دلائل الإعجاز، مرجع سابق. ص 37.

الكلام مثل من يأخذ قطعاً من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة. وذلك أنك إذا قلت: (ضرب زيدٌ عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له) فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم، هو معنى واحد لا عدة معانٍ، كما يتوهمه الناس. وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيد أنفس معانيها، وإنما جئت بها لتفيدة وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو (ضرب) وبين ما عمل فيه، والأحكام التي هي محصول التعلق⁽¹⁶⁾. وبالتالي فإنَّ النظم وبلاغته أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو "واعلم أن ليس (النظم) إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيع عنها، تحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشئ منها"⁽¹⁷⁾. يمكننا الول هنا أن الامر الفاصل بين الفصاحة على اعتبار أنها المعنى الذهني عند المتكلم قبل أن تكون منطوقاً، والكلام الفصيح (المنطوق)، هو قدرة المتكلم المجردة وبين إنجاز هذه القدرة الفعلي أثناء الإنتاج أو الفهم. أي التفاوت ما بين البنية العميقة والبنية السطحية. فكلما كان المتكلم قادراً على الربط بين البنية العميقة والبنية السطحية كان الكلام بليغاً والعكس بالعكس. وفي هذا الأمر هناك اختلاف عند اللغويين المحدثين بالمقصود بقدرة المتكلم أو السامع ، ويتلخص في الآتي:

أ- تنحصر القدرة لدى منظري التيار الصوري* في المعرفة اللغوية الصّرف في مجموعة القواعد الصرفية والتركيبية والدلالية والصوتية. وقد تضاف إلى هذه المعرفة اللغوية معرفة عامة متمثلة في درة نحوية وقدرة تداولية**.

ب- أما التيار الوظيفي (أصحاب النحو الوظيفي)، فلا تميز بين درة نحوية وقدرة تداولية وإنما هي عندهم عبارة عن قدرة تواصلية تتضمن معرفة النسق اللغوي تتمثل في المعارف السياقية الآنية والمعارف السياقية العامة⁽¹⁸⁾.

المبحث الثاني.

العلاقة بين المسند والمسند إليه والوظيفة الدلالية فيهما.

نجد أن الجملة العربية تتألف من صورتين:

- المسند : الفعل في الجملة الفعلية، نحو : انطلق في جملة : انطلق زيدٌ. والخبر في الجملة الاسمية، مثل: منطلق في قولهم : زيدٌ منطلق.
- المسند إليه: الفاعل في الجملة الفعلية، نحو: زيدٌ في جملة: انطلق زيدٌ. والمبتدأ في نحو قولهم: زيدٌ منطلق.

فالعلاقة التي تربط المسند والمسند إليه والوظيفة التي يقوم بها كل من المسند والمسند إليه في التركيب هي التي تشكل دلالة التركيب. فقد أشار الجرجاني إلى هذا في النقاط الآتية:

أ- "أن ليس النظم شيئاً إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم"⁽¹⁹⁾.

(16) دلائل الإعجاز، تح : محمود محمد شاكر، مرجع سابق. ص412.

(17) نفسه. ص81.

(18) أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط1 2006. ص27.

(19) دلائل الإعجاز، تح : محمد التتجي ، مرجع سابق. ص336.

ب- "وأنتَ قد تبينْتَ أَنَّهُ إذا رُفِعَ معاني النحو وأحكامه مما بين الكلم حتى لا تُراد فيها في جملة ولا تفصيلٍ خرجت الكلم المنطوق ببعضها في أثر بعضٍ في البيت من الشعر والفصل من النثر عن أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها مُوجِبٌ ومُقْتَضٍ، وعن أن يتصور أن يقال في كلمة منها مرتبطة بصاحبة لها، ومتعلقة بها، وكائنة بسبب منها، وأن حسنَ تصوُّركَ لذلك قد تثبَّت فيه قدمك وملاً من الثقة نفسك وبأعدك من تحنٍ إلى الذي كنت عليه"⁽²⁰⁾.

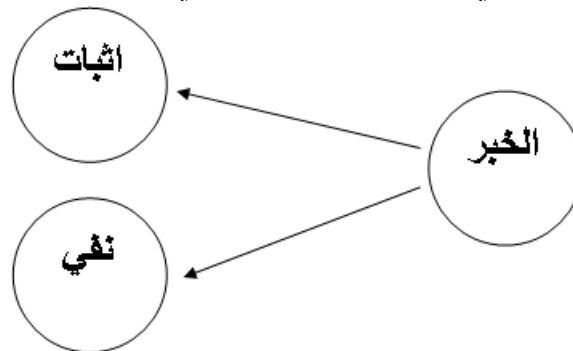
ج- "أعلم أن معاني الكلام كلها، معاني لا تُتصوَّر إلا فيما بين شيئين والأصل الأول هو الخبر، وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته في الجميع. ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس أَنَّهُ لا يكون خبرٌ حتى يكون مخبرٌ به ومخبرٌ عنه، لأنَّه ينقسم إلى إثباتٍ ونفي. والإثبات يقتضي مُثَبِّتاً ومُثَبِّتاً له. والنفي يقتضي ابحاولت ما لا يصح في عقل ولا يقع في وهمٍ ومن أجل ذلك امتنع أن يكون لك قصدٌ إلى شيءٍ مُظْهِرٍ أو مُقَدِّرٍ مُضْمَرٍ. وكان لفظك به إذا أنت لم تُرد ذلك وصوتٌ تصوُّرته سواء"⁽²¹⁾.

بالتالي فإن عملية بناء التركيب اللغوي تقوم عند الجرجاني على المراحل التالية⁽²²⁾:

1/ الإختيار. أي إختيار الوحدات من مخزونه اللغوي.

2/ الترتيب. أي تحديد موقع كل وحدة لغوية وفق ما يقتضيه غرض المتكلم.

نجد أن الجرجاني قد بيّن دلالة الألفاظ في التركيب النحوي الأساسي للغة العربية (المسند والمسند إليه) في:



من هنا تتكون وظيفة كل وحدة (لفظ) ، ومن هذه الوظيفة تتشكل العلاقات. يقول الجرجاني: "ولما كان الأمر كذلك أوجب ذلك أن لا يعقل إلا من مجموع جملة فعل واسم كقولنا: خرج زيدٌ، أو اسم واسم كقولنا: زيدٌ منطلقٌ. فليس في الدنيا خبرٌ يعرف من غير هذا السبيل وبغير هذا الدليل"⁽²³⁾. ويضيف "وإذا قد عرفت أَنَّهُ لا يُتصوَّر الخبر إلا فيما بين شيئين مخبر به ومخبرٌ عنه، فينبغي أن يُعْلَم أَنَّهُ يحتاج من بعد هذين إلى ثالثٍ. وذلك أَنَّهُ كما لا ستصوَّر أن يكون ها هنا خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه. كذلك لا يتصور أن يكون له مخبرٌ يصدر عنه، ويحصل من جهته، ويكون له نسبة إليه، وتعود التَّبَعَةُ فيه عليه. فيكون هو الموصوف بالصدق إن صدقاً، وبالكذب إن كان كذباً حتى يكون مثبتٌ ونافٍ يكون مصدرهما من جهته ويكون المُزجي لهما"⁽²⁴⁾. فموقع الألفاظ في التركيب النحوي كالاتي:

⁽²⁰⁾ نفسه. ص 337.

⁽²¹⁾ نفسها.

⁽²²⁾ ابتسام أحمد حمدان، مرجع سابق، ص 31.

⁽²³⁾ نفسها.

⁽²⁴⁾ نفسها.

- مسند + مسند إليه.
- فعل + اسم.
- اسم + اسم.
- خبر + مخبر عنه.
- موصوف + صفة.
- خبر + إثبات أو خبر + نفي.

مصدر هذه التراكيب يعود إلى المعنى الذهني عند المتكلم، ويشير الجرجاني أن دلالات الألفاظ في التركيب تتبين وتتشكل من خلال الوضع النحوي لكلٍ وذلك: "إذا كان هذا كذلك علم منه أن ليس الأمر على ما قالوه من أن المعنى في وضعنا اللفظ بأنه خبرٌ أنّه قد وضع لأن يدل على وجود المعنى أو عدمه، لأنه لو كان كذلك لكان ينبغي أن لا يقع من سامع شك في خبر يسمعه، وأن لا تسمع الرجل يثبت وينفي إلا علمت وجود ما أثبت وانتفاء ما نفي. وذلك مما يُشك في بطلانه وجب أن يُعلم أن مدلول اللفظ ليس هو وجود المعنى أو عدمه، لكن الحكم بوجود المعنى أو عدمه وأن ذلك أي الحكم بوجود المعنى أو عدمه حقيقة الخبر" (25). معنى ذلك أن الوضع النحوي للكلمة هو الذي يحدد وظيفة اللفظ وبالتالي دلالة اللفظ، فأنت لا تدرك المعنى إلا من خلال الوضع النحوي، والدلالة الفردية للمفردة تأخذ شكلها من العلاقات المتبادلة في التركيب. لعل هذا ما جعل أحمد المتوكل يطرح التساؤلات التالية: "هل ثمة علاقة ما بين وظيفة اللغة وبنيتها؟ هل ثمة ترابط ما بين نسق اللغة (المعجمي والصرفي والتركيبية...) والدور الذي يُفعل لتأديته" (26)، ذلك لأن "الدلالة على الشيء هي لا محالة إعلامك السامع إياه، وليس بدليل ما أنت لا تعلم به مدلولاً عليه. وإذا كان كذلك وكان مما يُعلم ببداية المعقول أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضاً ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده، ف ينبغي أن يُنظر إلى مقصود المُخبر من خبره وما هو؟ أهو أن يُعلم السامع وجود المخبر به من المخبر عنه؟ أم أن يعلمه إثبات المعنى المخبر به للمخبر عنه؟ فإن قيل: إن المقصود إعلامه السامع وجود المعنى من المخبر عنه. فإذا قال: ضرب زيد، كان المقصود أن يُعلم السامع وجود الضرب من زيد، وليس الإثبات إلا إعلامه السامع وجود المعنى...، واعلم أنّه لزمهم ما قلناه من أن يكون الخبر على وقف المخبر عنه أبداً من حيث إنه إذا كان معنى الخبر عندهم إذا كان إثباتاً أنّه لفظ موضوعٌ ليدل على وجود المعنى المخبر به من المخبر عنه أو فيه، وجب أن يكون كذلك أبداً، وأن لا يصح أن يُقال: ضرب زيد، إلا إذا كان الضرب قد وُجد من زيد. وكذلك يجب في النفي أن لا يصح أن يُقال: ما ضرب زيد، إلا إذا كان الضرب لم يوجد منه، لأن تجويز أن يُقال: ضرب زيد، من غير أن يكون قد كان منه ضرب، وأن يُقال: ما ضرب زيد، وقد كان منه ضرب يُوجب على أصلهم إخلاء اللفظ من معناه الذي وُضع ليدل عليه، وذلك ما لا يُشك في فساده، ولا يلزمنا على أصلنا لأن معنى اللفظ عندنا هو الحكم بوجود المخبر به من المخبر عنه أو فيه، إذا كان الخبر إثباتاً والحكم بعدمه إذا كان نفياً. واللفظ عندنا لا ينفك من ذلك ولا يخلو منه" (27). ويؤكد ما ذهب إليه بقوله: "وأنّه لا يتصور مثبت من غير مثبت له، ومنفي من غير منفي عنه، فلما كان الأمر

(25) دلال الإعجاز، المرجع السابق. ص338.

(26) أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية: قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان - الرباط، ط 1، 2005، ص 29.

(27) نفسه. ص339.

كذلك أوجب ذلك أن لا يعقل إلا من مجموع جملة فعلٍ واسم كقولنا: خرج زيدٌ، أو اسم واسم، كقولنا: زيدٌ خارج. فما عقلناه منه وهو نسبة الخروج إلى زيدٍ لا يرجع إلى معاني اللغات، ولكن إلى كون ألفاظ اللغات سماتٍ لذلك المعنى، وكونها مُراءاة بها...، وإذ قد ثبت أن الخبر وسائر معاني الكلام معانٍ يُنشئها الإنسان في نفسه، ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه ويراجع فيها لُبّه، فاعلم أن الفائدة في العلم بها واقعةٌ من المنشئ لها صادرة عن القاصِد إليها، وإذا قلت في الفعل إنه موضوع للخبر لم يكن المعنى فيه أنه موضوع لأن يعلم به الخبر في نفسه وفي جنسه ومن أصله وما هو. ولكن المعنى أنه موضوع حتى إذا ضُمَّته إلى اسمٍ عُلِمَ منه، ومن الاسم أن الحكم بالمعنى الذي اشتق ذلك الفعل منه على مسمى ذلك الاسم واقعٌ منك أيها المتكلم⁽²⁸⁾. فإذا رجعنا إلى المسند والمسند إليه سنجد أن الجملة التي مسندها فعلٌ إنما تدل على الحدوث تقدم الفعل أو تأخر، والجملة التي مسندها اسم تدل على الثبوت تقول مثلاً:

- يجتهدُ زيدٌ. (حدث) / زيدٌ مجتهدٌ. (إثبات).
- يحفظُ زيدٌ (حدث) / زيدٌ حافظٌ (إثبات)⁽²⁹⁾.

لذا نجد أن للألفاظ خصائص ذاتية - متعلقة باللفظ - ووظائف هذه الخصائص تتمثل فيما تكونها من علاقات، والخصائص الذاتية هي التي تميز لفظٍ عن آخر كالخصائص الصوتية للفظ، ولعل هذا ما حاول ابن جني بيانه حين رأى أن الدلالات الثلاث: لفظية كدلالة (قام) بلفظه على مصدره، وصناعية كدلالة (قام) أيضاً بصيغته على الزمن الماضي، ومعنوية كدلالة معنى هذا الفعل على ضرورة وجود فاعل له⁽³⁰⁾. وتصور وجود فاعل فاعل إنما يأتي من خلال النظر إلى اللفظ من حيث الموضع النحوي، وذلك لإنشاء علاقة بين الدلالة المفردة للفظ والدلالة التركيبية (دلالة الجملة)، فالمعنى صورة ذهنية وهو المقصود بلفظ معين ويكون مفرداً إذا كان خاصاً في اللفظ المفرد، ويكون مركباً إذا دخل في علاقات مع غيره مما يجعل له وظيفة أو وظائف معينة. وهذا ما ذكره دي سوسير بقوله: "وفي الخطاب تقيم الكلمات ضمن تعاقدها فيما بينها علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية تلك التي تستثني إمكانية لفظ عنصرين في آنٍ، وهذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية ويمكن تسمية الأنساق التي يكون لها التراكيب"⁽³¹⁾. ولعل هذا ما حدا بعلماء البلاغة لدراسة الألفاظ من حيث الحقيقة والمجاز، وبحث خصائص التراكيب لأن الألفاظ في علاقاتها مع غيرها ومن خلال وظائفها في التركيب تكتسب دلالات إضافية - كما سبق ذكره - إلى المعنى الأصلي أو كما قال علماء البلاغة دلالات مجازية، فحين بحثوا في هذا الأمر جعلوا بين المعاني الجديدة والمعاني الأصلية علاقات مثل: المشابهة والاستعارة والمجاز المرسل. وقد جرى بين علماء النحو والبلاغة والفلاسفة الكثير من المناظرات في هذا الشأن،

(28) نفسه. ص 345

(29) فاضل صالح السامرائي: معاني النحو ج1، شركة العاتك لصناعة الكتاب - القاهرة، د.ت. ص 15.

* المعاني النحوية: نعني بها اتصاف الكلمة باعتبارها عنصراً في الجملة بمعنى من المعاني النحوية كالمبتدئية والخبرية والفاعلية والمفعولية والحالية، فالمعنى النحوي لكلمة (الشجرة) بصفتها عنصراً تركيبياً في الجملة هو المبتدئية المستفاد من شغل الكلمة في الجملة لوظيفة المبتدأ، والامعنى النحوي لكلمة (ثمرة) بصفتها عنصراً تركيبياً في الجملة هو الخبرية المستفاد من وقوع الكلمة في الجملة خبراً. معنى ذلك أن في الجملة: (الشجرة ثمرة). يدل هذا التركيب على وصف الشجرة بالإثمار، وبتعبير آخر الإخبار عن الشجرة بأنها تحمل ثمراً.

** المعاني البلاغية: نعني بها الأغراض أو الغايات أو المقاصد التي من أجلها قال أو ألقى المتكلم كلامه وفق ما اقتضاه الحال أو حسبما تطلبه الموقف.

(30) ابن جني، مرجع سابق، ج3. ص 100.

(31) العلاقة اللغوية بين قدامى العرب ودي سوسير. ص 12.

منها تلك المناظرة الشهيرة التي جرّث بين متى بن يونس المنطقي وأبي سعيد السيرافي النحوي في حضرة الوزير ابن الفرات، منها قول متى: (لا حاجة بالمنطقي إلى النحو وبالنحويّ حاجة إلى المنطق، لأنّ المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ، فإنّ مرّ المنطقي باللفظ فبالعرض، وإنّ عبر النحويّ بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أصح من المعنى)، وانتشار مثل هذه الأفكار جعل الجرجاني يفكر في وضع حدٍ لها من خلال نظريته في النظم. لأننا كما مرّ علينا في مذهب الجرجاني، فإنّ النحو عبارة عن نظم للمعاني وما الألفاظ إلّا أوعية للمعاني. وقد صنّف (أولمان) المعنى في كتابه (معنى المعنى Meaning of meanings)، ويبدو أنّه متأثر في ذلك بنظرية دي سوسير في تبدلات المعنى (غير أنّه أغفل التبدلات ذات الجذور التاريخية الخارجة عن الدلالة والمعزوة إلى غريزة المحافظة التي للغة، وفي رأيه تحدث انتقالات أو تبدلات للاسم أو انتقال للمعنى أو تبدلات التراكيب، تشمل الاسم والمعنى على السواء وذلك عن طريق التماثل أو التجاور ويقسم التبدلات إلى: أ- تبدلات تعود إلى التحفظ الدلالي.

ب- تبدلات ناشئة عن التجديد الدلالي.

فانتقالات الاسم تكون على الوجه التالي:

أ- عبر التماثل بين المعاني.

ب- عبر التجاور بين الأسماء⁽³²⁾.

وهو يريد بالتماثل بين المعاني كما في كلمة (ورقة) بمعنى ورقة الشجرة وبمعنى ورقة الكتابة، والتماثل هنا في الشكل. أمّا التجاور فيحدث غالباً نتيجة لميول المتحدث إلى الإيجاز كما في معنى كلمة (العاصمة) إذ أنّ المقصود بها (المدينة العاصمة).

نجد أنّ كل من (ستيرن وأولمان) قد قاما (بوضع نظريتين لتبدلات المعنى، النظرية الأولى: (معنى المعنى Meaning of Meaning) لـ (أولمان). والنظرية الثانية: (المعنى وتبدلات المعنى Meaning and Changes of Meaning) لـ (ستيرن)، وقد أقام (ستيرن) نظريته هذه انطلاقاً من زاويتين هما: السببية والوظيفية المستمدة من مثلث (أوجدن وريتشاردز)، وميّز (ستيرن) بين نوعين من التبدلات:

أ- تبدلات خارجية تكمن جذورها في تبدل المرجع، مثل كلمة (عين) للجاسوس وعين الماء.

ب- تبدلات لغوية عبارة عن تبدل فعلي للاسم أو للمعنى داخل نظام اللغة، ومن نماذج ذلك:

1- نقل العلاقة الفعلية أو الاسمية.

2- نقل العلاقة المرجعية أو علاقة المعنى مثل تشابه صوتي يؤدي إلى تبدل الاسم نتيجة لتماثل صوتي.

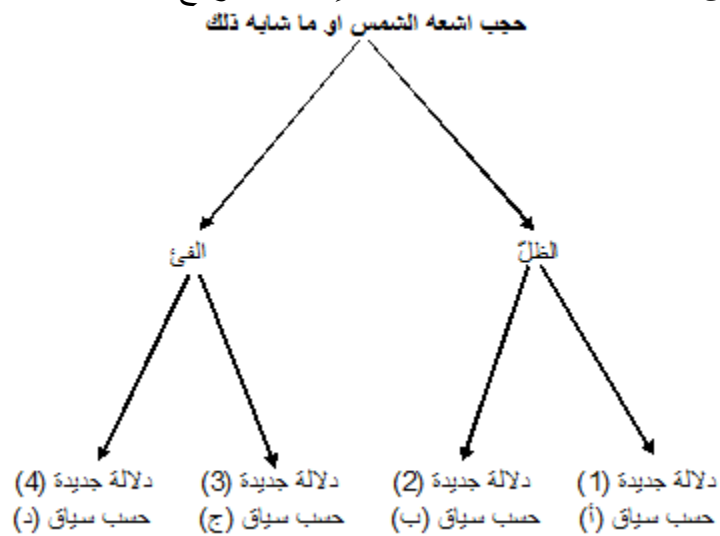
3- نقل العلامة الذاتية بين الكلمة والمتكلمين، كما في المجاز المرسل والكناية⁽³³⁾.

ولا نرى في هذا الذي ذهب إليه (ستيرن) نوعاً من تبدل المعنى، إنّما توسعاً في المعنى الأصلي للفظ نتيجة لعلاقاته مع غيره ونتيجة لوظيفة اللفظ في النظم. والدلالة الجديدة للفظ ما هي إلّا فرع من الدلالة الأصلية، وقد

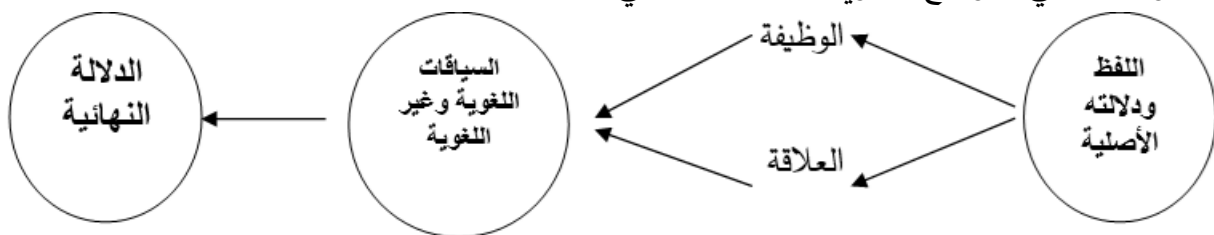
⁽³²⁾ عبد الواحد حسن الشيخ: العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي (دراسة تطبيقية)، سلسلة اللغة العربية، مكتبة ومطبعة الإسماع الفنية، ط1، 1999. ص20.

⁽³³⁾ نفسه. ص12.

تختلف العلاقة بين الفرع والأصل من فرع إلى آخر، ف (الاسم المفرد الواقع فاعلاً على سبيل المثال يتميز معجمياً بقيامه على مبدأ الاقتران الدلالي، وذلك لأن محله التركيبي بنية مجردة قابلة لأن تحمل أي كائن لغوي من البدائل التجريدية للاسم التي تقبل الوسم الوظيفي لمعنى الفاعلية في مستوالتركيب المنجز)⁽³⁴⁾، ولكن من ناحية أخرى إذا نظرنا إلى المنجز اللغوي من الناحية السياقية سنجد أنه ليس هناك كلمة تأخذ مكان كلمة أخرى بنفس الدلالة على مستوى الموضع النحوي. وهذا ما جعل العلماء حريصين على إظهار الفروق الدقيقة بين الألفاظ المستعملة، ولعل أول من أثر عنه ذلك بشكل واضح هو ابن قتيبة (ت 276) في كتابه (أدب الكاتب)، فقد أفرد لهذه الألفاظ باباً خاصاً سماه: باب معرفة ما يضعه الناس غير موضعه . فذكر طائفة من الألفاظ المتقاربة في المعنى وذلك تبعاً لدلالاتها الأصلية في اللغة كالظل والفيء، والآل والسراب، والحمد والشكر...، على مستوى اللفظ المفرد أو الدلالة المعجمية. ومتى ما انتظم اللفظ في علاقات نحوية وسياقات مختلفة تظهر حقيقة الفروق بين دلالاتها، كما أن كل دلالة تتخذ لنفسها دلالات إضافية تتوسع دلالات اللفظ على النحو التالي:



وهكذا يستمر اللفظ في التوسع الدلالي مما يعطي للغة إمكانات تعبير لا محدود. لذا نجد أن دلالة اللفظ ووظيفته وعلاقته في الموضع النحوي تأخذ الشكل التالي:



نموذج عمل اللفظ في وظيفته وعلاقته

من هنا تبرز مسألة السياق كجزء خطير في المسيرة الدلالية للفظ في النظم، ولكن قبل الخوض في هذه المسألة لأبد من دراسة العلاقة بين الفكر الفردي و الجماعي وما يترتب عن ذلك من مسائل تتعلق بدلالة اللفظ في النظم، لأن الجرجاني قد ذكر في هذا الشأن قوله: (ودليل آخر وهو أنه لو كان القصد بالنظم إلى نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعني في النفس ثم النطق بالألفاظ على حذوها لكان ينبغي ألا يختلف حال اثنين في العلم بحسن

(34) فرج محمد الغضاب: معنى الفاعلية ودلالاته المرجعية من خلال شرح الكافية للأسترايازي، مكتبة علاء الدين - صفاقس ، ط1 2008. ص34.

النظم⁽³⁵⁾). فهو يذكر هنا أنَّ المعاني تكون في ذهن المتكلم قبل أن تكون ألفاظاً وعبارات وجملًا، أي أنَّ العلاقات والوظائف النحوية تترتب في ذهن المتكلم أولاً، وكما هو معروف فذهن الإنسان متعلق بوجوده كفرد ووجوده في المجتمع، أي أنَّ التكوين الذهني للإنسان تتشكل بالعملية التبادلية في المفاهيمات بين الفرد والمجتمع، أو بشكل أوسع (البيئة حول الفرد). لذا سنحاول في المبحث التالي دراسة علاقة اللغة بالفكر الفردي والجماعي والذي منهما يتشكل السلوك اللغوي الفردي والجماعي.

الخاتمة والنتائج.

نجد أن عبد القاهر الجرجاني يشير في كثير من النصوص إلى أن دلالات الألفاظ في التركيب تتبين وتتشكل من خلال الوضع النحوي لك لفظ، أما الجانب الآخر لحصول الوظيفة الدلالية الكامنة للكلمة هو أن عملية اختيار الألفاظ التي ستقوم بهذه الوظيفة تحتاج إلى عقل مبدع ملم بالسياقات المختلفة، كذلك ملم بقواعد تركيب اللغة. ويمكن تلخيص النتائج في الآتي:

- أ- العلاقات بين المسند والمسند إليه تقوم على مفهوم الاثبات والنفي.
- ب- للموقع النحوي أثر مباشر وأساسي في تحديد الوظيفة الدلالية للكلمة.
- ج- الموقع النحوي يوسع الدلالة الأصلية للكلمة عن طريق التشبيه أو المجاز اللغوي.
- د- تحديد الموقع النحوي يحتاج إلى عقل مبدع الذي منه تخرج الصور اللغوية المختلفة من خلال العلاقات التي تنشأ بين عناصر التركيب.

هـ- تجرى عمليتان أثناء الاتصال بين المتكلم والمتلقي:

- 1- عملية تركيبية يقوم بها المتكلم لإخراج المعنى من ذهنه.
- 2- عملية تفكيكية يقوم بها المتلقي للوصول إلى المعنى الذهني.

قائمة المصادر والمراجع.

- 1- القرآن الكريم.
- 2- أحمد المتوكل، الدكتور:
- التركيبات الوظيفية - قضايا ومقاربات - دار الأمان الرباط، ط1 2005م.
- 3- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، دون تاريخ.
- 4- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة الدكتور كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، دون تاريخ.
- 5- عبد السلام السيد حامد، الدكتور: الشكل والدلالة - دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2002م.
- 6- عبد السلام عيساوي، الدكتور: العلاقات المعنوية في البنية النحوية، مقارنة لسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، الطبعة الأولى 2010م.
- 7- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: د. محمد الداية ود. فائز الداية.

(35) دلائل الإعجاز، مرجع سابق. ص51.

- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرح وتعليق د. محمد النُّجِّي، دار الكتاب العربي الطبعة الأولى، 2014م.

8- عبد الواحد حسن الشيخ، الدكتور: العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي (دراسة تطبيقية)، سلسلة اللغة العربية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الطبعة الأولى 1999 م .

9 - فاضل صالح السامرائي، الدكتور: معاني النحو: شركة العاتك لصناعة الكتاب - القاهرة، دون تاريخ.

10 - أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي: الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

11- فرج محمد الغضّاب، الدكتور: معنى الفاعلية ودلالاته المرجعية من خلال شرح الكافية للأسترأبادي، مكتبة علاء الدين - صفاقس، الطبعة الأولى 1999 .

13- محمد حماسة عبد اللطيف، الدكتور: النحو والدلالة، دار الشروق للنشر، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م.

ب/الرسائل الجامعية:

1- ثقبات حامدة: قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة و الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والأدب العربي 2012م.

و/الدوريات.

1- إبتسام أحمد حمدان : أسس نحوية ولغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ورقة منشورة في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها جامعة تشرين - سوريا، العدد الثالث خريف 2010م.

2- تراث حاكم مالك الزبّادي، الدكتور: المفردة بين الدلالة الوظيفية والتركيبية عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان 1،2 المجلد السابع.

3- عزمي إسلام: مفهوم المعنى، دراسة تحليلية، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية السادسة 1405هـ/ 1985م، الرسالة الحادية والثلاثون.

في بنيوية المقاربة الوظيفية للعلوم الاجتماعية

د/عصام الحكماوي¹

¹ كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب

بريد الكتروني: elhakmaouiissam@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/14>

تاريخ القبول: 2024/02/20م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

يُعنى هذا المقال برهان إبراز "بنيوية المقاربة الوظيفية للعلوم الاجتماعية"، بما يشترطه من ضرورات الإجابة عن الإشكالات المركزية المتعلقة بهذه البنية النظرية والمنهجية والمعرفية، قصد تعيين وظائفها وتحديد أدوارها، وأبرزها الجواب عن: ما المعاني والدلالات التي يحملها مفهوم "العلوم الاجتماعية"؟ وعلى أي اعتبارات منهجية ومعرفية يمكن تحديد مجال عمل هذه العلوم في ظل التقارب الكبير الحاصل بينها وبين عديد التخصصات الأخرى الشبيهة والمجاورة؟ وما هي أهم الموضوعات والاتجاهات التي تشكل مجال الاهتمام المركزي لهذه الدراسات المعنية بالاجتماع البشري؟ وهل بالإمكان الحديث عن العوائق المنهجية والمعرفية التي تواجه شرط تحقيق العلمية والموضوعية في دراسة الظواهر والموضوعات ذات الصلة بالعلوم الاجتماعية؟ وأي الأدوار والوظائف التي يمكن لهذه العلوم القيام بها حتى تحوز معناها وقيمتها العلمية والمعرفية؟

الكلمات المفتاحية: المقاربة الوظيفية، العلوم الاجتماعية، العلوم الحقة، الوظيفية

مقدمة

إن الحديث عن المقاربة الوظيفية للعلوم الاجتماعية، هو حديث يتطلب العودة إلى السعة النظرية التي يخضع لها هذا التخصص، وهو ما يفرض الانطلاق من المحددات النظرية لهذا التخصص، إجابة على سؤال "الوظيفة"، ذلك أن هذا التحديد يبقى أساسيا من أجل تعيين مجال عمل الدرس الاجتماعي ومستوياته المنهجية والمعرفية، ما دام أنه يبقى محسوبا على مجال "العلوم الاجتماعية" باعتباره مجالا موسعا يلم شتات القضايا الإنسانية المعنية بدراسة الوضعيات البشرية ومستوياتها.

وعلى هذه الاعتبارات سيكون من المفيد جدا الانتقال من هذا المعنى العام للعلوم الاجتماعية الذي يحتضن فيما يحتضنه التاريخ والتربية والنفوس والانتروبولوجيا وغيرها، للحديث عن هذه البنىوية التي تلم أفق هذه التخصصات. وهو الاعتبار الذي يدفعنا قبل الانتقال للحديث عن "المقاربة الوظيفية" للعلوم الاجتماعية، إلى وضع هذا التخصص في إطاره العام من خلال الإشارة إلى دلالات العلوم الاجتماعية ومعانيها ومدارسها واتجاهاتها وقضاياها المعرفية والمنهجية، وصولا إلى مستوى التعرف على وظائفها.

فما المعاني والدلالات التي يحملها مفهوم "العلوم الاجتماعية"؟ وعلى أي اعتبارات منهجية ومعرفية يمكن تحديد مجال عمل هذه العلوم في ظل التقارب الكبير الحاصل بينها وبين عديد التخصصات الأخرى الشبيهة والمجاورة؟ وما هي أهم الموضوعات والاتجاهات التي تشكل مجال الاهتمام المركزي لهذه الدراسات المعنية بالاجتماع البشري؟ وهل بالإمكان الحديث عن العوائق المنهجية والمعرفية التي تواجه شرط تحقيق العلمية والموضوعية في دراسة الظواهر والموضوعات ذات الصلة بالعلوم الاجتماعية؟ وأي الأدوار والوظائف التي يمكن لهذه العلوم القيام بها حتى تحوز معناها وقيمتها العلمية والمعرفية؟

1. العلوم الاجتماعية: النشأة والدلالات والأصول

عرف القرنين السادس عشر والسابع عشر تسارع الإنجازات العلمية وكثرة الاكتشافات والاختراعات، حيث تضاعف عدد العلماء والباحثين بمعدلات مذهلة، وتفرغ أغلبهم للبحث العلمي ضمن مراكز الأبحاث والمعاهد والمختبرات والجامعات وبنزعة تخصصية، تركز على علم واحد أو بالأحرى على جانب واحد من جوانب هذه التخصصات، ويتم بعدها إحداث تكامل وتعاون من خلال تبادل الخبرات والمعلومات ونتائج التجارب والأبحاث العلمية بين العلماء في شتى أرجاء العالم، هذا الأمر أنتج تسارعا هاما في الاهتمام بالتطبيقات العلمية للعلوم في عديد القطاعات والمجالات، حيث اتجهت المؤسسات الصناعية إلى تطوير إنتاجاتها من خلال إنشاء مراكز البحث العلمي والمختبرات وتكوين وتجنيد الخبراء والعلماء للعمل لحسابها، وأثمرت هذه المظاهر وغيرها تحقق شرط الإيمان المطلق بالعلم والعلوم الحققة، لا سيما حين بدأت نتائجها تتوضح وتظهر على شكل تقنيات جديدة جعلت الحياة سهلة ويسيرة.

هذه العلمنة الممنهجة لكل مجالات الحياة وضعت العلوم الإنسانية والفلسفة في ورطة حقيقية، فأصبحت تتخبط تحت وطأة سؤال الفائدة والجدوى والمعنى¹، فكان لزاما على العلوم الإنسانية أن تخرج من هذا الاحراج التاريخي،

¹ - ربما تكون هذه النزعة العدمية في الواقع جزءاً أصيلاً من بنية الفكر المعاصر، الذي توجه نحو إبراز انتفاء المعاني والغايات، وقد تم التعبير عنه كثيرا في فلسفات القتل والإعدام: "موت الإنسان" - "نهاية الفلسفة" - "موت الإله" - "أقول العلم" - "انتفاء الروح" - "غياب الوعي"... وغيرها الكثير من الأطروحات الدالة على هذه النزعة التي طغت على المقاربات الفكرية في الفلسفة وعلم النفس وعلوم الاجتماع، حيث تكلف كل تخصص بإحدى مراحل هذا

فاتخذت من العلوم الحقبة منهاجاً لها لدراسة الظواهر الإنسانية، لتسمح بعدها بظهور ما يسمى بعلمي النفس والاجتماع بعد تحقق شرط الانفصال عن الفلسفة، من خلال الاقتداء بالمناهج الأمبريقية التي تتعامل مع الظاهرة الإنسانية بطرق علمية بعيداً عن التأمل الخالص.

وبما أن تطبيق المنهج العلمي على الظواهر الاجتماعية يتطلب أولاً تحديد الموضوع، فقد اتخذت العلوم الاجتماعية المجتمع الإنساني وما تطرحه الاجتماعات البشرية من وقائع ومسائل اجتماعية موضوعاً أساسياً لها، حيث تعمل العلوم الاجتماعية على دراسة الجماعات من حيث هي مجموعة من الأفراد تربطهم علاقات اجتماعية مختلفة عن الفئة الإحصائية التي تشير إلى أشخاص لا علاقة بينهم. وعلم الاجتماع، من خلال هذا التوجه يهدف إلى معرفة حياة الناس ووضعياتهم البشرية، عن طريق الحصول على معطيات صارمة من الواقع، من خلال آليات وأدوات تتطور وتتغير مع تطور العلوم الحقبة، اعتماداً على فكرة أن العلم هو عبارة عن معارف مرتبة بطريقة عمل واضحة، ويمكن أن تُخضع الظواهر الاجتماعية للنظر العلمي الصارم إذا ما استند في معالجتها على منهج علمي يطابق في مبادئه وأسسها ما هو معتمد في علوم أخرى.

وبهذا المعنى يكون علم الاجتماع هو التخصص المعني بمعالجة السلوكيات الاجتماعية ذات البعد الإنساني المشترك، وهو بهذا المعنى يسلط الضوء على الترابطات المتبادلة في الحياة الاجتماعية، بقصد البحث عن الظواهر والنظم المؤطرة لها، والكشف عن الأسس التي تحدد طبيعتها، ليصل عالم الاجتماع إلى مقارنة البيانات الإحصائية من جوانبها المختلفة وفي أوقات متعددة، وبذلك تتضح له معالم الحياة والوقائع والشروط والعلاقات الاجتماعية، ويتعرف على النظم السائدة، فيمكنه ذلك من إصدار الأحكام والقواعد والقوانين العامة التي تخضع لها تلك الظواهر².

كما أن الجماعة تشكل الوحدة الأساسية لعلم الاجتماع، حيث يعمل الباحثون ضمن هذا التخصص على دراسة التفاعل الاجتماعي؛ أي كيف يتصرف الأفراد داخل جماعة معينة، وكيفية إستجابة الآخرين لهم، وكيف يؤثر كل شخص على الآخر، لهذا يعتبر هذا العلم من حيث المبدأ أحد فروع العلوم الإنسانية المتخصصة، رغم أنه الأكثر بنىوية وشمولية من غيره من العلوم ذات الصلة بالشرط الإنساني، حيث يتناول جميع جوانب الحياة الاجتماعية.

وتشير عديد المراجع إلى أن علم الاجتماع في تعامله مع الأشكال الاجتماعية والعلائقية والتنظيمية يقترب من الدراسات الفلسفية والتاريخية والاقتصادية والسياسية، ولكن بموضوعه ومنهجه المتميز فهو يهتم بدراسة الوقائع والظواهر والنظم المتعلقة بالوعي الجماعي لفئة أو جماعة معينة. ويتجذر مفهومه في دراسة الحراك والنشاط البشريين، وموضوعياً في علوم السياسة والأخلاق والدين والأنثروبولوجيا، وفي المعارف البشرية والتجارب المعيشية، وفي الثورة التكنولوجية باعتبارها إنتاجاً بشرياً اجتماعياً بامتياز.

وعلى هذه الاعتبارات يرى أغلب الباحثين أن تعريف العلوم الاجتماعية يمكن حصره في حقيقة كونه علماً يدرس فاعليات الإنسان ككائن اجتماعي مدني بطبعه. ويرجح أغلبهم أن العلوم الاجتماعية بدأت مع ابن خلدون، فقد

القتل المنجي، فالفلسفة مثلاً قتلت الإله مع نيتشه والإنسان مع فوكو، وعلوم الاجتماع تكلفت بنهاية الفلسفة والروح، وعلم النفس كرس نهاية "الوعي" في مقابل "اللاوعي" وهكذا.

² - حسام الدين فياض، مدخل إلى علم الاجتماع من مرحلة تأصيل المفاهيم إلى مرحلة التأسيس، مكتبة الأسرة العربية، اسطنبول، ط1، 2021، ص (116-117)

عرفه هذا الأخير بعلم العمران البشري، ويقصد به ما يحدث في المجتمع من علاقات التكافل والتعاون الذي هو أساس العمران البشري، مثل التوحش والتأنس والعصبية وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض. وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وجميع ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال³، وأيضا تطور المعلومات والعلم والأحداث السياسية وما ينتج عنها من تغييرات في البنيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمعات، بتحديد الصراع والنزاع لرصد التعاقب التاريخي، ومراحل نمو وانهايار الدول في إطار ما سماه بالتغالب والمعادنة والعصبية. وهو بهذا المعنى العلم المتخصص في فهم طرق البشر في الحياة والعيش، كما اعتبره ابن خلدون من العلوم⁴ التي تهتم بدراسة تأثير العناصر الجغرافية والمناخية على السلوكات الاجتماعية والعلاقات البشرية، وكذا الظروف الاقتصادية التي يسميها في مقدمته باختلاف أحوال العمران في الخصوبة والمجاعات وما ينتج عن ذلك من الآثار على أجساد الأفراد وأخلاقهم.

إلى جانب دراسة التمايز والاختلاف بين الشعوب في عاداتهم وتقاليدهم، وهذا ما يعبر عنه من خلال قوله: اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلته من المعاش فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشيط قبل الحاجي والكمالي⁵. وقد اتخذ ابن خلدون من الوقائع منطلقا له في منهجه، وهذا المنهج ناتج عن خبرته وإطلاعه على أحوال العمران المختلفة واعتمادا على الأخبار التي اطلع عليها وسمع بها ويقس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب⁶، وبهذا الأمر يكون قد نأى بنفسه عن كل التفسيرات الخرافية التي كانت سائدة في حقبة، وقد حاول استثمار أهم النتائج التي توصل إليها العلم حينها حجة ودليلا لتفسيراته.

واعتبر أوغست كونت من خلال توجهه الوضعي الذي يحصر نفسه في حدود التجربة وحدها، بحيث لا يجاوز عالم الأشياء العينية التي تدركها الحواس⁷، أن علم الاجتماع هو العلم الذي يهتم بالمعالجة الموضوعية لمجمل القوانين الأساسية التي تنظم الظواهر الاجتماعية، وارتبط لديه بدراسة الإحصاءات الاجتماعية والثبات الاجتماعي النسبي، والديناميكا الاجتماعية والحراك والتغير الاجتماعي وفهم المراحل الثلاث التي تمر بها المجتمعات في تغييرها وتقدمها وتطورها. ويشمل العناية بتفسير الطبيعة العضوية للمجتمع البشري. ومن الناحية المنهجية فهو العلم الذي يطبق منهج الملاحظة العلمية والتجربة والمقارنة للمراحل المتعاقبة لتطور المجتمعات البشرية.

في حين يتعبر ماكس فيبر أن علم الاجتماع هو العلم الذي يهتم بدراسة العلاقات والسلوكات الاجتماعية ووصفها وتحليلها، وهو علم تجريدي يدرس العلاقات الاجتماعية، والبناءات والأنماط الاجتماعية. وبما أن الفرد هو أساس

³ - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الواحد الوافي، الجزء الأول في أن أجيال البدو والحضر طبيعية، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص 328-331.

⁴ - استخدام صفة "العلوم" في هذا السياق يأتي في إطار الحديث عن الوصف العام لنمط تعاملنا مع الدراسات الاجتماعية في الزمن المعاصر باعتبارها محددة في كونها علم له أركانه ومناهجه وموضوعاته، ولا يعني أبدا أن ابن خلدون استخدم صيغة "علم الاجتماع" بدلالاته الحديثة، لكون هذا الإطار كان حديثا وتابعا لابن خلدون، ويعود تحديدا إلى إسهامات أوغست كونت⁵ ومن معه ممن أظهروا أن الاجتماع هو علم دقيق بمنهجه واتجاهاته وموضوعاته ومعارفه.

⁵ - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، مصدر سبق ذكره، ص 115.

⁶ - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، مصدر سبق ذكره، ص 291.

⁷ - زكي نجيب محفوظ، نحو فلسفة علمية، منشورات الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، ص 43.

الحياة الاجتماعية حسب فيبر، فإنه يشكل المجتمع بإرادته الواعية (النظرة الطوعية)، وهو معنى أصبحت بموجبه مهمة علم الاجتماع تتوجه نحو دراسة فعل هذا الانسان وتأويل بواعثه وفهم وفهم أهدافه ومقاصده⁸. وقد ركز إميل دوركهايم على علم الاجتماع التطبيقي وعلى تنمية القواعد والتوجيهات الاجتماعية بالمناهج المناسبة؛ للوصول للأهداف العامة للجماعة والمجتمع، من خلال منهج الملاحظة العلمية والبحوث الميدانية، وإيجاد معايير دقيقة تسهم في تفسير رفاه الحضارات الإنسانية والصحة والأمراض الاجتماعية كالمخدرات والجريمة والتفكك، باعتبار أن الوضع الطبيعي في المجتمع هو الوضع السوي، وأي انحراف يعتبر ظاهرة مرضية تشتغل ضد نموذجية الكيانات الاجتماعية الثابتة أو المستقرة نسبياً، ووضح في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع أن هذا التخصص شأنه شأن كثير من العلوم الاجتماعية له من الفروع بقدر التنوعات الموجودة في ظواهره واتجاهاته وموضوعاته، ومع هذا اللاحاح في التقسيمات الفرعية للعلم، كان يصف علم الاجتماع بأنه علم دراسة المجتمعات⁹

2. علم الاجتماع ورهان تحديد الخصوصية عن العلوم الحقة

عرفت العلوم الإنسانية والاجتماعية منذ ظهورها كعلوم مستقلة عن الفلسفة - أو على الأقل أنها تحاول ذلك - إشكاليات مرتبطة بالمواضيع التي تعالجها والطرق والمناهج التي تتبعها في النظر للظواهر الاجتماعية التي تتعمق بالبحث فيها، وكذلك طبيعة العلاقة التي تجمع الباحث والموضوع المدروس، اعتباراً لفكرة أن هذه القضايا وغيرها قد أدخلت أغلب المفكرين والفلاسفة في جدالات علمية كثيرة، انطلقت من المناهج التي يتبعها العالم في دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية، فتعددت وجهات النظر حول مدى ملائمة هذا المنهج أو ذاك، وكل واحد منها لديه مبرراته الخاصة¹⁰.

وفي هذا السياق سيطر اتجاهين كمحاولة منهما لتحديد المنهج المناسب في دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية: يرى التوجه الأول أنه من الضرورة تطبيق المنهج العلمي التجريبي المعتمد في العلوم الطبيعية، في دراسة الظواهر الإنسانية وباستخدام الإطار النظري المبني على فكرة العزل المنهجي في المختبرات، قصد تحقيق الشروط العلمية الخاصة بالوضوح المنهجي والصرامة المعرفية، تماماً كما هو حال باقي التخصصات الفيزيائية التي تقترن بالمنهج الإمبريقي في تعاطيها مع موضوعاتها¹¹.

والتوجه الثاني يرى أنه ليس من الضروري أن يتم تقليد نفس منهج العلوم الطبيعية، بل يجب أن تكتفي هذه التخصصات بالسعي نحو بلوغ مستوى العلوم الحقة، وذلك بأخذ خصوصية الظاهرة الإنسانية بعين الاعتبار. فإذا كان الوصف في العلوم الإنسانية أرقى درجة يمكن التوصل لها، فإن التفسير المتكامل هو صفة العلوم الحقة

⁸ - إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين، مراجعة محمد عصفور، إصدارات عالم المعرفة، العدد 244، ص 13.

⁹ - عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة العدد 44، ص 80.

¹⁰ - من باب الإشارة فإن موضوع المنهج في العلوم الاجتماعية والإنسانية عموماً يبقى موضوعاً على رأس المشكلات التي يجري العمل على تجاوزها، من أجل خلق أرضية صلبة تكون مؤسسة لبناء روح علمية أكثر موضوعية وأقل إثارة للجدل، ما يعني أن تجاوز مأزق المنهج سيكون في حال حدوثه أمراً في غاية الأهمية بالنسبة للعلوم الاجتماعية.

¹¹ - بوزيدي غنية، التفكير الإنساني بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، منشورات مجلة سلسلة الأنوار، المجلد الثالث، العدد التاسع، يونيو 2019، ص 03.

لوحدها، وبالتالي يمكن اعتماد المناهج الكيفية كبداية أو مكملات للمناهج الكمية في تفسير نتائج الإحصاء التي تم التوصل إليها من خلال تتبع المنهج الكمي ووسائله، وذلك من أجل الحصول على المعطيات والبيانات لتأكيد أو نفي الحقيقة العلمية.

ورغم الخلاصات التي قد ينشأ عنها هذا الجدل بين المدرستين، فإن الثابت في الأمر هو أن العلوم الحقة شكلت ولا زالت مرجعا أساسيا تقتدي به كل العلوم الأخرى¹² لا من ناحية الموضوع ولا من الناحية المتعلقة بالمنهج، وذلك لكونها قطعت أشواطا كبيرة في مجال البحث العلمي واستطاعت أن تقدم نفسها باعتبارها فتحا إنسانيا عظيما، بالنظر إلى كم النجاحات التي راكمتها كل التخصصات التجريبية في الزمن المعاصر، بداية من اللحظة التي أعلن فيها ولادة العلم في الزمن الحديث وانبثاق الذات الحرة والمفكرة مع ديكارت ومعه الروح التجريبية لفرانسيس بيكون وغيره¹³، وهو الذي دفع بأوغست كونت إلى اعتبارها مرجعا للعلوم الاجتماعية لأنها تسمح بالإفصاح عن المبادئ العامة¹⁴ التي توجه طرق التفكير.

ثم إن هذا التطور لم تنعكس نتائجه فقط على هذه التخصصات بل كذلك على غيرها من المجالات المعرفية الأخرى، خصوصا منها التي لم تبرز إلا مؤخرا ونقصد العلوم الإنسانية بشكل خاص، على اعتبار أن السبب الرئيسي في ظهورها هو سعيها إلى الوصول إلى نفس درجة الدقة واليقينية التي وصلت إليها العلوم الطبيعية، من خلال الاقتداء بالمنهج العلمي التجريبي من مجال الظاهرة الطبيعية إلى مجال الظاهرة الإنسانية.

ومن خلال التجارب الماضية يظهر أن هناك اختلافا بين موضوع العلوم الحقة وموضوع العلوم الاجتماعية، فموضوع العلوم الحقة هو الظاهرة الطبيعية، أما موضوع العلوم الاجتماعية فهو السلوك البشري، وهو تمايز يترتب عنه بالضرورة تمايز في المنهج المتبع في دراسة الموضوع. وبناء عليه، فإن أهم مشكل مطروح في العلاقة بين العلوم الحقة والعلوم الاجتماعية هي مشكلة التجربة، أي إمكانية دراسة الظاهرة الاجتماعية بمنهج علمي تجريبي وبالتالي التنبؤ بنتائجها وإمكانية حدوثها مستقبلا. وقد تصور بعض العلماء في بداية الأمر أن الإمكانية مطروحة، وأنه يمكن التجريب على الظاهرة الاجتماعية، وبالتالي الوصول إلى معرفة القواعد التي تحكم عوامل وقوعها من خلال معرفة الترابطات التي تجمع بين الظواهر الاجتماعية.

وقد حققت الفيزياء الحديثة تطورات إلى أن أمست نموذجا للعلوم الحقة، وتعود هذه الإنجازات إلى المنهج التجريبي، الذي أسهم في اكتشاف القوانين العلمية التي أزاحت الطابع الغرائبي عن الطبيعة، والذي يمثل حسب رودلف كارناب "من أهم الملامح التي تميز العلم الحديث بالمقارنة بعلم العصور القديمة، ولقد كان مثمرا إلى حد دفع فيه الفيزياء إلى تقدم عظيم في المائتي سنة الأخيرتين، لقد فهم العلماء وفلاسفة العلم أن تطور العلوم مستحيلا إن لم يتم استخدام المنهج التجريبي¹⁵."

¹² - كان من البديهي جدا أن يتم التعامل مع العلوم الحقة على أساس أنها مرجع بالنظر إلى المسار المميز الذي طبع تطورها بداية من القرن السادس عشر والسابع عشر، ذلك أن الثورات المتلاحقة التي عرفت علوم الفلك والفيزياء والبيولوجيا والرياضيات، جعلت من هذه العلوم مرجعا أساسيا يطمح الجميع إلى بلوغ موضوعيته ودقته وصرامته.

¹³ - بوزيدي غنية، التفكير الإنساني بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، مرجع سبق ذكره، ص 4.

¹⁴ - بوبماتيو زليسروس، الدليل العلمي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة محمد الجوهري، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، طبعة 2016، ص 109.

¹⁵ - رودلف كارناب، الأسس الفلسفية للفيزياء، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ص 5

ويقوم المنهج العلمي على خطوات أساسية وهي: الملاحظة والفرضية والتجربة ثم الاستنتاج، وإن كان أغلب العلماء يتفقون على أهمية الاعتماد على هذه الخطوات كاملة، إلا أن هناك من يعتبر إمكانية الاستغناء عن الخطوة الثانية وهي الفرضية، بحجة أنها تمثل ما هو عقلي وليست تجريبية، وإذا أردنا تحديد طبيعة هذه الخطوات قلنا إن المنهج التجريبي: "يبدأ بالملاحظة المنظمة للظواهر الطبيعية التي يراد بحثها. أما الفرضية فهي تفسير علمي يضعه العالم ثم يحاول التحقق منه تجريبياً. أما مرحلة التجريب فتوضع الظواهر في ظروف يمكن التحكم فيها، مع تنويعها إذا أمكن ذلك، ومن مجموعة من التجارب يتكون لدينا عدد من القوانين الجزئية التي تبدو مستقلة عن بعضها البعض، وهي تمهد لنا الطريق للوصول إلى ما يمكنه وضعه تحت إطار القانون العام¹⁶.

كما تجدر الإشارة إلى أن خطوات المنهج التجريبي يجب أن تحتوي على بعض الشروط لكي تقوم بمهمتها على أكمل وجه، فيجب أولاً التمييز بين الملاحظة في معناها العامي والعادي، والملاحظة العلمية؛ فهذه الأخيرة هي ما يجب أن يتوفر عليها العالم، أما الملاحظة العامة عادية وسطحية لا تهدف إلى تفسير الظواهر وهي متاحة لدى الجميع، في حين أن الملاحظة العلمية ليست متاحة إلا للعالم، حيث تهدف إلى معرفة الخصائص والمميزات للظاهرة موضوع الدراسة. وهذه الأخيرة يجب أن تكون قابلة للملاحظة، إما بالعين المجردة أو عن طريق الوسائط المخبرية، وكذلك يجب أن يكون العالم سليماً في حواسه وعقله.

أما فيما يخص الخطوة الثانية من المنهج التجريبي، أي الفرضية، يجب أن تتأى عن التفسيرات الخرافية والخيالية والميتافيزيقية التي يستحيل معها تطبيق المنهج التجريبي، وباعتبارها تفسيراً أولياً للظاهرة، فيجب على العالم أن يأخذ بعين الاعتبار المعارف العلمية السابقة. أما بخصوص التجربة فهي إعادة تمثيل الظاهرة الطبيعية مخبرياً، وهي أكيد أو نفي مباشر للفرضية الموضوعة في البداية، وهذا النفي أو التأكيد يأتي بعد عدة محاولات، يقوم فيها العالم بتغيير الظروف المنتجة للظاهرة، وإذا ما تم تأكيد الفرضية يتم إنتاج القانون العام الذي يمكن تطبيقه في كل زمان ومكان، ويجعل العالم قادراً على التنبؤ بحدوث ظواهر مشابهة لها في المستقبل القريب.

من هنا يمكن أن نستنتج أن خطوات المنهج التجريبي مترابطة ببعضها البعض، وفي حال غياب خطوة من هذه الخطوات، يقع خلل معين في النتائج المتوصل إليها. وهذا الأمر هو ما حدث مع ظهور ظواهر الميكروفيزياء، حيث تستحيل الملاحظة العينية كخطوة أولية في المنهج العلمي كما فعل نيوتن¹⁷. وهذا ما وضعها أمام أزمة حقيقية، أطلق عليها أزمة الفيزياء الحديثة، والتي نتج عنها بروز الفيزياء المعاصرة بمناهج مستجدة، تختلف بشكل جذري عما كان متداولاً في الفيزياء الحديثة. حيث تم اعتماد المنهج الفرضي الاستنباطي بدل المنهج العلمي، حيث برزت ظواهر لا يمكن أن معالجتها بواسطة المنهج التجريبي. وهذا ما أكد عليه كارل بوبر حين اعتبر أن اختبار الفرض عن طريق الاستنباط المنطقي أمر ضروري، حيث نصوغ فرضية علمية أولاً ثم نستنبط منها النتائج، ثم نقارن هذه النتائج مع بعضها لنكشف علاقات منطقية بينها¹⁸.

وعليه، فإن العلوم الحقة استطاعت الوصول إلى أعلى مراتب الدقة باستعمالها للمنهج التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية، حتى أصبح العالم قادر على التنبؤ بوقوع الظواهر في المستقبل، وهذا التقدم جعل العلوم الأخرى في

¹⁶ - إبراهيم مصطفى إبراهيم، منطق الاستقراء "المنطق الحديث"، القاهرة: دار المعارف، ص، ص 181، 180.

¹⁷ - بوزيدي غنية، التفكير الإنساني بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، مرجع سبق ذكره، ص 5.

¹⁸ - عبد القادر بشته، الاستيمولوجيا، مثال الفيزياء النيوتونية، ط1، بيروت: دار الطليعة، ص 64.

سعي دائم للاحتذاء بالعلوم الحقّة، بغية بلوغها معرفة يقينية وعلمية، ومن بين هذه العلوم نجد العلوم الاجتماعية، التي أراد لها كونت أن تتخلص من الانفعالات النفسية¹⁹، وأن تتخذ في المقابل نظاماً أشبه ما يكون بالفيزياء الاجتماعية²⁰ للدلالة على روحها العلمية.

وبالمختصر؛ فإن موضوعات علم الاجتماع اهتمت بالإنسان وواقعه وعلاقاته الاجتماعية المتشابكة، لكن من خلال الرهان على الروح العلمية التي استمدتها من العلوم الحقّة وفي مقدماتها الفيزياء التي سميت على إسمها في البداية كفيزياء اجتماعية، وهو وفق هذا الإطار علم يهتم بدراسة موضوعات تتعلق بالواقع البشري بغاية فهمه وتفسيره وتحديد ثوابته، وعلى هذا تكون العلوم الاجتماعية علوماً تدرس فاعليات الإنسان المختلفة²¹، لكن تحديد هذه الخصوصية التي تميزها عن العلوم الحقّة باعتبارها دراسة لهذه الفاعليات في صورتها الإنسانية كذوات لا في دراستها للموضوعات والأشياء، يتطلب الخوض في إشكالاتها المركزية ومجالات اهتمامها الدقيق ما دامت علمية لكن بمعناها الخاص المتميز عن الفيزياء وباقي العلوم التجريبية الأخرى ذات الصلة.

3. العلوم الاجتماعية: المجالات البحثية والمآزق المنهجية

يشمل مفهوم العلوم الاجتماعية جوانب ومجالات الإنسان الاجتماعية والثقافية، ويُسعمل في بعض الأحيان للإشارة إلى علم النفس والاجتماع، وعلم السياسة والاقتصاد، والتاريخ، والقانون، وغالباً يضم الجغرافيا الاجتماعية والاقتصادية، ومن هنا فقد اكتست مجالات العلوم الاجتماعية أهمية بالغة، الأمر الذي جعلها تستوعب كل جوانب الحياة الاجتماعية، وعلى هذا الأساس حضيت باهتمام بالغ في كل ما يتعلق بثقافة الرعاية الاجتماعية، والعدالة، ودراسة الأعمال والتكافل الأسري وأشكال التضامن والتفاعل وغيرها من الموضوعات ذات الصلة.

كما تهتم العلوم الاجتماعية بمختلف جوانب الظواهر الاجتماعية وذلك من خلال تطبيق المنهج العلمي، قصد تفسير الظاهرة الاجتماعية، وفهمها فهماً حقيقياً وكاملاً، ففيها ما هو نظري يهدف إلى فهم وتفسير الظاهرة، وبالتالي إلى وضع القوانين التي تمكنه من التنبؤ بحدوث تلك الظواهر رغم جدية النقاش المتعلق بمسألة التعميم الذي تنشأ عنه القدرة على التنبؤ في هذه العلوم²²، أما الجانب الثاني يتعلق بما هو تطبيقي، يهدف إلى إيجاد حلول للمشاكل التي يواجهها الإنسان، لا من الناحية البيولوجية أو النفسية، ولا من الناحية الثقافية والاجتماعية، والأهم أنه من خلال معرفة العلوم الاجتماعية أن كل من مجالاتها على تنوعها تتكاثف بشكل متساوي لخدمة الإنسان، من خلال اتخاذ مدخل منهجي يقوم على تجاوز الصعوبات التي تحقق شروط التكيم والتعميم والتنبؤ²³. لكن هذا النقاش والجدل الخاص بتحديات المنهج لم يمنع العلوم الاجتماعية من أن تكون مقاربة بنىوية تدرس عديد التخصصات والموضوعات، وفي مقدماتها التاريخ، باعتباره محاولة لفهم ماضي الشعوب والحضارات، ودراسة للبنى الاجتماعية والعلاقات الإنسانية والوضعيات البشرية لهذه الجماعات، للاستفادة منه في الحاضر، والتخطيط به من أجل لمستقبل: إنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيف؛ بل عما كان في العالم²⁴.

¹⁹ - أحمد ملاح، المختصر في تاريخ الفلسفة الغربية من طاليس إلى باشلار، منشورات مؤسسة رياض، طبعة سنة 2010، ص 35.

²⁰ - بوزيدي غنية، التفكير الإنساني بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، مرجع سبق ذكره، ص 7.

²¹ - طلعت الأخرس وطوني القهوجي، مباحث في الاستيمولوجيا، فلسفة العلوم والمعرفة، منشورات مكتبة الجيل بيروت، ص 226.

²² - إيمانويل ديفو وميشيل دوفورنيل، التعميم أو التجاوز الأبدي، ضمن الكتاب الجماعي: دراسة العلوم الاجتماعية... التعميم، إشراف إيمانويل ديفو وميشيل دوفورنيل، ترجمة نجيب غزوي، مراجعة وتدقيق غازي برو، منشورات دار الفرابي، بيروت، الطبعة الأولى، نونبر 2016، ص 14.

²³ - إيمانويل ديفو وميشيل دوفورنيل، التعميم أو التجاوز الأبدي، مرجع سبق ذكره، ص 14.

²⁴ - حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، طبعة سنة 2008، ص 20.

وعلى الرغم من الصعوبات الكبيرة التي واجهت دراسة الحادثة التاريخية دراسة علمية، إلا أن العلماء سعوا جاهدين إلى وضع مجموعة من الشروط التي يجب على المؤرخ الالتزام بها من أجل الوصول إلى أسى درجات العلمية في تفسير الحادثة التاريخية، وهي شروط تتعلق بالباحث على وجه التحديد، فمن الصفات الواجب توفرها في المؤرخ أن يكون محبا للدرس وصبوراً، فلا تمنعه صعوبة البحث ولا المصاعب ولا العقبات عن مواصلة العمل، ولا ورفه ندرة المصادر، ولا يصرفه غموض الوقائع والحقائق التاريخية واختلاطها أو اضطرابها.²⁵ لأن هذا سيكون على حساب العلم والحقيقة التاريخية. وعليه يبقى أهم ما يجب أن يتميز به المؤرخ هو التحلي بالموضوعية والابتعاد عن الذاتية.

هذا على مستوى إعطاء الأمثلة فقط، أما موضوعات العلوم الاجتماعية في الواقع فإنها تمتد إلى مستويات أخرى، لتكون على صلة بالجغرافيا والقانون وعلم النفس والأنثروبولوجيا وعلم السياسة والاقتصاد والإدارة والتربية وتخصصات الإعلام والاتصال والتاريخ كما سبق التوضيح وغيرها الكثير من التخصصات ذات الصلة²⁶، تماشياً مع تعريفها الشامل الذي صاغه البروفيسور سيلجمان، حين اعتبر أن العلوم الاجتماعية تتكون من مجموع العلوم والمعارف العقلية والثقافية المرتبطة بأنشطة الفرد باعتباره عضواً في الجماعة²⁷، رغم إجماع أغلب علماء الاجتماع أن هذا العلم ما زال في طور التكوين والتطور، وأنه رغم وجوده منذ قرن من الزمان إلا أنه لا زالت صورته النهائية لم تكتمل بعد.

ويعتبر روبرت مرتون أن الولايات المتحدة الأمريكية يوجد فيها خمسة آلاف عالم اجتماع، وإن لكل منهم علم اجتماع خاص به²⁸، وهذا ما يؤكده ريمون آرون أيضاً من خلال قوله بأن: "علم الاجتماع يتميز في الواقع بالبحث الدائم عن نفسه، ويتفق علماء الاجتماع كلهم ربما، على نقطة واحدة فقط، هي صعوبة تحديد علم الاجتماع"²⁹، وهذا ما يؤكده هنري مندراس في كتابه مبادئ علم الاجتماع حيث يقرر أنه مازال هناك علم الاجتماع موضع جدل، أي علم في طريق التكوين والتطور³⁰. تأكيداً على صعوبة الحسم في سؤال المنهج والموضوع بالنسبة لهذا التخصص البنوي الذي يضم كثير التخصصات المجاورة.

والهدف من الإشارة إلى هذه الأمثلة هو تأكيد فكرة أن العلوم الاجتماعية تواجه العديد من المفارقات المرتبطة بما هو نظري وتطبيقي ومنهجي، الأمر الذي يتطلب إعادة تفحصها وسبر أغوارها، لا من خلال طرق أبواب الأجوبة الجاهزة، وإنما على العكس عن طريق التعريف بأوجه الجدل والنقاش المتعلقة بالتسمية وسؤال الموضوعية ومازق المنه.

²⁵ حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، مرجع سبق ذكره، ص 18

²⁶ - يمكن العودة في هذا الخاص بالتعرف على أهم التخصصات المحسوبة على العلوم الاجتماعية والأسئلة المتعلقة بشروط هذا الربط ومساراته التاريخية الكبرى، والشروط التي حكمت هذه البنية ومكوناتها المعرفية والتخصصية، إلى كتاب:

- محمد فتحي عبد الهادي، المصادر المرجعية للمعلومات في العلوم الاجتماعية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1995.

²⁷ - محمد فتحي عبد الهادي، المصادر المرجعية للمعلومات في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 24.

²⁸ - أوسيبوف، قضايا علم الاجتماع، دراسة سوفيتية نقدية لعلم الاجتماع الرأسمالي، منشورات دار المعارف، القاهرة، نسخة سنة 1970، ص 64.

²⁹ - ريمون آرون، المجتمع الصناعي، بيروت - باريس، الطبعة الثانية سنة 1980، ص 9.

³⁰ - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، مرجع سبق ذكره، ص 4.

1.3. العلوم الاجتماعية وإشكالية التسمية

تجدر الإشارة في البداية إلى أن نقل مفهوم Sociologie للعربية يحمل نوعاً من الغموض والالتباس من الناحية اللغوية والمفاهيمية، وهو غموض ناتج من ناحية عن طبيعة الظاهرة الاجتماعية من حيث احتوائها على توجهين اثنين : توجه عام يشير إلى أن مفهوم " إجتماع " في معناه الشاسع يتضمن الأبعاد السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وتوجه خاص تشير " السوسيولوجيا " فيه إلى المعنى الضيق للمفهوم الذي يقتصر على العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص والجماعات بكل نتائجها وأسبابها، وهذا الذي يجعل البعض يعتبر مثلاً أن الجغرافيا هو أقرب إلى علوم الأرض من علوم الاجتماع، ويعتبر آخرون أن الأنثروبولوجيا ليس تخصصاً تابعاً أيضاً³¹، بل الذي يتبع العلوم الاجتماعية هو الأنثروبولوجيا الثقافية³².

ومن ناحية أخرى فإن لفظ علم الاجتماع يمثل في الحقيقة المفرد الذي تم جمعه ضمن العلوم الاجتماعية، الأمر الذي يجعلنا نطلق إسم علم اجتماع على كل من علوم التاريخ، العلوم السياسية، وعلوم الاقتصاد. ولكي نتخلص من هذا الغموض اللغوي، فمن الأفضل إما أن يتم اعتماد مفهوم "السوسيولوجيا" الذي يشير إلى اسم العلم، لتسهيل القول بأن هناك ظواهر اجتماعية على غرار الظاهرة البيولوجية وغيرها، وإما أن يتم اعتماد المفهوم الخلدوني المعروف بالعرمان البشري، رغم أن الملمح العام يبقى هو اعتماد تسمية العلوم الاجتماعية للدلالة على جميع العلوم التي تجعل الإنسان محورا لاهتماماتها³³، للقيام بدور الموجه للناس الراغبين في التكيف مع شروط العصر ومنعرجاته³⁴.

2.3. إشكالية " العلمية والموضوعية " في دراسة الظواهر الاجتماعية

يتضمن مفهوم العلم معنيين مزدوجين، فهو يدل من ناحية على والنظريات والمقولات التي توضح الترابط الضروري والجوهرى الثابت بين أجزاء الواقع المتباينة والمختلفة ويقصد بها الفكر والطبيعة والمجتمع، وهو الذي يطرح تحدي في حالة العلوم الاجتماعية في الجزء المتعلق بتطبيق القواعد العلمية بمعناها الدقيق³⁵، ويدل من ناحية أخرى إلى مجموع الأسس المنهجية التي اتبعتها الفكر من أجل الوصول لهذه النتيجة، وكما هو ظاهر فإن موضوع ومنهج العلم، هما وجهان متكاملان لعملة واحدة، وبالتالي فإن أي خلل أو عيب في أحدهما، لا بد أن يجد انعكاسه في الجانب الثاني، ما دام يتعذر تحييد ذاتية الباحث مع ما يعنيه هذا الأمر من صعوبة التحقق الكامل لشرط الموضوعية³⁶.

وقد حكم هذا المأزق أغلب الانتقادات الموجهة لعلم الاجتماع، والتي تتوجه بالأساس نحو خاصية التفرد التي تميزه، وما يرتبط بهذا التفرد من تعقيدات وتغييرات يصعب معها استخلاص التعميمات من تقلب سلوكه والتنبؤ به

³¹ - محمد فتحي عبد الهادي، المصادر المرجعية للمعلومات في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 28.

³² - محمد فتحي عبد الهادي، المصادر المرجعية للمعلومات في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 28.

³³ - محمد فتحي عبد الهادي، المصادر المرجعية للمعلومات في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 28.

³⁴ - محمد فتحي عبد الهادي، المصادر المرجعية للمعلومات في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 29.

³⁵ - غسان زكي بدر، الموضوعية في أبحاث علم الاجتماع، ضمن منشورات حولية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد الرابع، 1981،

ص 89.

³⁶ - غسان زكي بدر، الموضوعية في أبحاث علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 91.

وبالتالي تعذر إجراء التجارب والخضوع للقياسات³⁷، فمحاولة تعميم نتائج الظاهرة الاجتماعية دون الأخذ بعين الاعتبار خصوصية كل ظاهرة قد تكون النتائج التي تم الوصول إليها عبارة عن نسخة مشوهة، وهذه المسألة لديها علاقة مباشرة بخاصية التغير الدائم الذي يميز الظاهرة الاجتماعية، خاصة وأنها في هذه الحالة لن تلعب دورها المحدد في تحديد الهندسة الاجتماعية³⁸ والذي من المفروض أن يكون أحد رهانات الدرس السوسيولوجي وأحد أهدافه الكبرى.

وكل هذا يجعل الاطراد في هذه العلوم أقل ظهوراً منه في العلوم الحقة، ويصعب معه أن نعزل جانباً من جوانب البحث بطريقة يمكن من خلالها تتبع ذلك العامل في إعادة وقوعه، فإذا اكتفينا بمشاهدة الوقائع في حالة تركيبها دون تحليلها، سنجد أن هذه الوقائع لا يمكن أن تتكرر بطريقة تمكننا من مشاهدة خاصية الاطراد فيها، فالعالم في الظاهرة الاجتماعية ليست لديه قدرة إعادة تمثيل الظاهرة مخبرياً كلما أراد أن يعيد فعل الملاحظة، وذلك لأن الظاهرة الاجتماعية فريدة من نوعها لأنها قد تحدث مرة واحدة ونحن مطالبون كما يقول دوركهام بقياس الأثر الناتج عنها³⁹، ولكن مشكلتها تكمن في كونها فريدة، بل حتى لو تكررت فلن تعاد بنفس الطريقة ونفس العناصر، وبالتالي ليس من الممكن أن يتوصل العالم إلى نتائج يمكنه تعميمها في كل مكان وزمان، عكس العلوم الحقة التي تتيح إمكانية إعادة الظاهرة مخبرياً، فهذه الاختلافات بين العلوم الاجتماعية والحقة، تثير الشكوك في إمكانية وجود قوانين تحكم ظواهر العلوم الاجتماعية⁴⁰.

وما يمكن استنتاجه من هذا المأزق المنهجي والموضوعي السابق المتعلق بشرط العلمية، هو أن طبيعة الموضوع في العلوم الاجتماعية بتعقيدها وتركيبها وتفردها تجعل إمكانية الملاحظة الدقيقة للظاهرة وكذا استخلاص النتائج مسألة صعبة وقد تكون مشوهة، مما يشكل عقبة كبيرة في استخلاص القوانين العامة، وهو التحدي الذي أدى إلى حدوث هذا القصور النسبي للعلوم الاجتماعية والإنسانية في سياق محاولة مسايرتها ومواكبتها للتطور الكبير على مستوى المنهج والموضوع الذي عرفته العلوم التجريبية⁴¹ التي ترغب في السير على مسيرها.

وبالإضافة إلى هذه الصعوبة المتعلقة بتحديد الموضوع المدروس، تواجه الذات الدارسة أيضاً صعوبات كبيرة، تتعلق أساساً ببعض العوامل التي تشوه طريقة حكمه على الواقع، وتقف في طريق استخلاصه النتائج من المعطيات والبيانات المتاحة لديه، ويمكن تلخيص هذه الصعوبات فيما هو ذاتي وقيمي وإيديولوجي، كحاجزين أساسيين يمنعان تحقيق شرط دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية على أنها موضوعات مستقلة عن ذاتية الباحث⁴².

ثم إن عقيد الظاهرة الاجتماعية يجعل إمكانية فصل الذات الدارسة عن الموضوع المدروس صعبة ويمكن أن تصبح مستحيلة، وهو ما قد يسبب حالة من العجز المنهجي في هذه الحالة فالباحث باعتباره ذاتاً فهو يحمل قيماً

³⁷ صلاح قنصوه، الموضوعية في العلوم الاجتماعية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، نسخة سنة 2007، ص 52.

³⁸ - غسان زكي بدر، الموضوعية في أبحاث علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 95.

³⁹ - غسان زكي بدر، الموضوعية في أبحاث علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 100.

⁴⁰ - طريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية، تقنيها وإمكانية حلها، منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص 60.

⁴¹ - ميادة مصطفى القاسم، مسألة الموضوعية والذاتية في البحوث الاجتماعية -دراسة سوسيولوجية تحليلية- منشورات مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الخامس، العدد التاسع، يوليو 2021، ص 95.

⁴² - ميادة مصطفى القاسم، مسألة الموضوعية والذاتية في البحوث الاجتماعية -دراسة سوسيولوجية تحليلية-، مرجع سبق ذكره، ص 100.

ومبادئ وأفكارا معينة، من خلالها يقوم ببناء الأحكام والنتائج التي يعتقد في صحتها بناء على خلفياته الأيديولوجية والقيمية، فالدارس فرد ضمن جماعة معينة، يتحدث لغتهم ويعمل وفق المبادئ والقيم السائدة ضمن هذه الجماعة. فالمجالات القيمية والأيديولوجية والذاتية متداخلة ولا تتفصل عن بعضها البعض، على عكس الذات الدارسة في العلوم الحقة، والتي لا تؤثر هذه المعطيات على النتائج المقدمة حولها، وهذا الأمر مرتبط بشكل أساسي بطبيعة الظواهر الطبيعية، التي يمكن أن يعزل فيها الباحث ذاته عن الموضوع المدروس ودون إدخال الانطباعات الشخصية⁴³.

لكن هذا لا يعني أن الموضوعية في العلوم الإنسانية غير متحققة، فهي موجودة لكن ليست بالطريقة التي توجد بها في العلوم الحقة، وهذا النقص أو بلغة أدق العائق المنهجي، يتعلق بالذات الدارسة وعلاقتها بالموضوع المدروس، لأن شرط الموضوعية يتحقق بفضل القدرة على استبعاد المشاعر والعواطف عند تناول الوقائع وتفسيرها وعدم إصدار أحكام قيمية وأخلاقية بشأنها⁴⁴، وهو شرط يمكن بلوغه في حال الحديث عن العلوم الحقة والدقيقة، لكن هذا المبدأ لا يمكن أن يتحقق بنفس الطريقة في العلوم الاجتماعية، وذلك لأن العالم في هذه الحالة لا يستطيع أن يتجرد من ميولاته ورغباته الخاصة أثناء عملية التحليل، حيث أن الدارس هو الموضوع المدروس، وإمكانية فصل الذات عن البحث في الوقت الذي يكون فيه الباحث دارس ومدروس غير ممكنة، خاصة وأن هذا الشرط يسقط في متاهة الترابط العضوي بين التفسير كرهان علمي والأيديولوجيات التي تشتغل كخلفية⁴⁵.

وهكذا تتسرب عناصر الذاتية وتتداخل أفكار الباحث السابقة مع النتائج العلمية التي يتوصل إليها أحيانا بتأثير من آرائه الخاصة، وهذا الذي يجعل بعض المناهج مقترنة بالجوانب الداخلية والجوانب الدالة على حضور الرمزيات الرومانسية، مثل منهج الاستبطان في علم النفس، حيث يكون الاعتماد على تلك الرؤى البشرية التي هي مزيج وخليط من أسس روحية ونفسية وحدسية مغرقة في الذاتية، كما يمكن التدليل بمثال آخر لوصف اختلاف الموضوعية في العلوم الإنسانية عن الموضوعية في العلوم الأخرى، من خلال الإشارة مثلا إلى الدور الحيوي الذي يلعبه المؤرخ في بناء الوقائع التاريخية وتفسيرها، فهو الذي يبينها ويحددها، ما يعني أن الحقائق التاريخية قد تعكس وجهة نظر المؤرخ الخاصة، وتعبر عن ميوله أو معتقداته. وعلى أية حال فإن الصلة بين الباحث كذات وبين موضوع بحثه في العلوم الإنسانية صله لها وضعها الخاص وتأثيرها لا يمكن إغفاله في هذه العلوم⁴⁶.

لكن الثابت في هذه التفصيلات المتعلقة بالمنهج وغياب الموضوعية في ظل سطوة الذاتية وما يعيها من الناحية العلمية والمنهجية والإبستمولوجية، هو أهمية الدرس الذي تمنحنا إياه العلوم الموسومة بكونها اجتماعية، لكونها وحدها المعنية بالجواب عن القلق البشري، في ظل انسحاب أغلب التخصصات نحو دراسة الظواهر الفيزيائية والفلكية والبيولوجية والرياضية؛ إنها بهذا المعنى التخصص الوحيد الذي أراد للإنسان أن يجيب عن أسئلته، قبل

⁴³ - ميادة مصطفى القاسم، مسألة الموضوعية والذاتية في البحوث الاجتماعية -دراسة سوسيولوجية تحليلية-، مرجع سبق ذكره، ص 101.

⁴⁴ - محمد حسن الهلالي وحسن بريقي، معايير العلمية، منشورات دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2015، ص 48.

⁴⁵ - ابتسام صاولة، مشكلة المنهج في العلوم الاجتماعية، كارل بوبر أنموذجاً، منشورات مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، المجلد السابع، العدد الثالث، سنة 2022، ص3.

⁴⁶ - صلاح قصوه، الموضوعية في العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص -ص 59- 60

أن يجيب على أسئلة الزمان والمكان والكون والظواهر، وهو الذي يفقدنا مباشرة إلى جزء مركزي يتعلق بالوظائف والأدوار الأساسية والمهمة التي تضطلع بها العلوم الاجتماعية، والتي تمنحها مبرر لوجودها حتى في ظل الاتفاق حول الإخفاقات المنهجية.

4. العلوم الاجتماعية والرهانات الوظيفية

إن علم الاجتماع باعتباره علما يهتم بدراسة المجتمع البشري وتحولاته، بما يميزه من مركبات متنوعة على المستويات الفردية والجماعية، يقدم خدمات جليلية للموضوعات الإنسانية، أولها متعلق بالوظيفة العلمية لهذا التخصص، والمتمثلة في ملاحظة النتائج التي توصل إليها العلم، ووضع نقد بناء لمجهودات القائمين عليها، سواء في المجال النظري أو المجال التطبيقي والعمل الميداني، من خلال المساهمة في وضع فهم عقلائي لما يقع أمامنا من أحداث وظواهر طبيعية، فالفهم ليس منهجا، وإنما هو أساس المنهج الكيفي، وهو عملية لا غنى عنها في العلوم الاجتماعية، فهو العملية المعرفية المتميزة التي تستهدف استعاب المواد العقلية الكائنة في كل تعبير أو سلوك⁴⁷.

وهو ربما الدافع الأساسي الذي فرض على كونت ودوركهيم تأسيس العلوم الاجتماعية في الأصل، لأن رهانهما كان تحقيق العلمية في هذه التخصصات، ونفسه الكلام الذي يقال على بوبر الذي كان من المساهمين الأساسيين في تثبيت هذه الدلالات العلمية حين اعتبر الظاهرتين الاجتماعية والطبيعية متشابهتين في إمكانية حصولهما على شرط العلمية⁴⁸، حين وضع شروط تصوره عن التأكيد بشكله العام الذي يخدم كل التخصصات بالتساوي، من خلال تأكيد فكرة الانطلاق من النظرية ومن وحدة المنهج الفرضي الاستنباطي، والقول بأن مبدأ المحاولة والخطأ هو آلية تسري على جميع العلوم وتحكم تطورها⁴⁹.

فالعلوم في سعي مستمر إلى وضع براهين وأدلة عديدة ومتنوعة لكل الظواهر التي تحدث، لأن غياب التفسير العلمي للعالم من شأنه أن يزعج بنا في غياهب التفسيرات الخرافية أو على الأقل تلك المعتمدة على سلطة الذات والحسابات الشخصية والإيديولوجية، في حين أن نظرية "وحدة المنهج"⁵⁰ التي أقرها بوبر، وضحت الوظائف المعرفية والعلمية للعلوم الاجتماعية، باعتبارها هي أيضا قائمة على الأركان الأربعة الخاصة بتحقيق شرط العلمية في العلوم الاجتماعية، وهي اختيار المشكلة وتحديدتها، ثم اقتراح الرؤى النظرية المحتملة لحلها، وبعدها المرور لخطوة ثالثة يكون أساسها هو مناقشة النظرية المقترحة وتحليلها بغرض استبعاد أخطائها المحتملة، ثم أخيرا الاعتماد على ضمان استمرارية النقد بغرض الإبقاء على الدينامية العلمية واحتمال القابلية للتكذيب⁵¹.

ما يعني أن الوظيفة العلمية هي من غايات العلوم الاجتماعية، التي تسعى إلى تحقيق القدرة على دراسة المتغيرات الطارئة على الوضع البشري، عن طريق الاستناد إلى الظاهرة الاجتماعية في كل تفاصيلها المتعلقة بالبيانات وإجراء الفروض، والملاحظة والتحليل والتفسير، قبل الوصول إلى مرحلة الصياغة النهائية للنتائج

47 - يميني طريف الخولي، قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج، منشورات وزارة الثقافة، القاهرة، ص 22.

48 - ابتسام صاولة، مشكلة المنهج في العلوم الاجتماعية، كارل بوبر أنموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 3.

49 - ابتسام صاولة، مشكلة المنهج في العلوم الاجتماعية، كارل بوبر أنموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 4.

50 - ابتسام صاولة، مشكلة المنهج في العلوم الاجتماعية، كارل بوبر أنموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 6.

51 - ابتسام صاولة، مشكلة المنهج في العلوم الاجتماعية، كارل بوبر أنموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 5.

والمبادئ على شكل قوانين ونظريات، يمكنها أن تسعنا في تجاوز شتات الظواهر الإنسانية وقضاياها العالقة⁵²، بلوغا للهدف المنشود من كل علم وهو الفهم والوصف والتفسير والقدرة على التنبؤ والضبط والتحكم⁵³، وهي كلها مطالب ورهانات تسعى العلوم المعنية بالاجتماع إلى تحقيقها.

إلى جانب هذه الوظيفة تسعى العلوم الاجتماعية أيضا إلى تحقيق رهان فهم البنية الاجتماعية وتحقيق شروط المواطنة والتمدن والتحضّر؛ ذلك أن الوظيفة الأولى لهذه العلوم هي دراسة "المجتمع" بدلالاته الموسعة والعامّة، والتي يقصد بها الإطار النظري والمفهومي للكلمة، ثم من ناحية ثانية دراسة "المجتمع" بالمعنى الجزئي والضيق، الذي يقصد به مجال محدد من العلاقات بين الأفراد، الذين يتميزون عن باقي الحشود بخصائص ثقافية وتاريخية واجتماعية تميزهم عن ما سواهم⁵⁴، وأحيانا إلى دراسة مؤشرات تماسك الجماعة المحددة من عدمه ونوع الديناميكيات المميزة لكل تنظيم اجتماعي، ومدى قدرتها على تحقيق الوحدة⁵⁵.

وهذا يعني أن العلوم الاجتماعية معنية بتحقيق وظيفة الربط القانوني والمؤسّساتي والثقافي والتاريخي والحقوقى بين الأفراد، بما يعنيه هذا الأمر من تكريس لمبدأ "المواطنة"، لأن هذا التلاحم الاجتماعي الذي هو غاية كل علم من هذه العلوم يكون بمثابة الهدف الأسمى، وهو ما لا يتحقق إلا في حال الانتقال من الحديث عن "الفرد" إلى مستوى الحديث عن "المواطن"، باعتباره المجموع الذي يرتبط أفرادُه بنسق مشترك من القواعد التي تنظم حياتهم، وهو مجموع يُشترط فيه أن يمتلك قواعد مشتركة في السلوك هي التي تحدد العلاقة بين أفراد⁵⁶.

ما يعني أن العلوم الاجتماعية هي في أصلها بحث عن تكريس المواطنة كشرط أساسي لبناء القوام الاجتماعي، مع محاولة نقل الأفراد من مستوى القطيعة إلى لحظة "التمدن" و "التحضّر"، إذ رغم أن المفهومين لهما جوانب من الاختلاف على أساس أن الحضارة لا تعني بالضرورة حالة المدنية⁵⁷، لكنهما معا يشكلان أحد أهم الوظائف التي تقوم العلوم الاجتماعية بشغلها، ذلك أنها تسعى في الجزء المتعلق بالمدنية إلى إبراز الترابط الاجتماعي في إطاره المؤسّساتي والقانوني الذي من خلاله يمكن مراقبة العلاقات الاجتماعية وتنظيمها وتطويرها، وهي على هذا الأساس تشمل كل المؤسسات الاجتماعية⁵⁸.

في حين أنها تكريس لمقولة "الحضارة" من حيث كونها توثيق للقيم الإنسانية الكامنة والمشاركة، خاصة وأنها تحيل إلى نمط عيشنا ورؤيتنا الجماعية للوجود والحياة، وهي تشمل الروح الجمالية والفنية والثقافية والأدبية والدينية للجماعات البشرية، وهي على هذا الأساس أقرب ما تكون إلى التخصصات المحسوبة على التاريخ من حيث كونه دراسة للأثر الجمالي في كل أبعاده الثقافية والدينية والفنية، عبر العصور والحضارات⁵⁹، لأن الغاية الأساسية هي توفير الشروط المناسبة التي تعيننا على ضمان مستلزمات العيش المشترك ضمن إطار قانوني

⁵² - علي معمر عبد المؤمن، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: الأساسيات والتقنيات والأساليب، منشورات دار الكتب الوطنية، بنغازي - ليبيا، الطبعة الأولى، 2008، ص 11.

⁵³ - علي معمر عبد المؤمن، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: الأساسيات والتقنيات والأساليب، مرجع سبق ذكره، ص 23.

⁵⁴ - مورييس جنزبرغ، علم الاجتماع، ترجمة فؤاد زكريا، مراجعة مهدي علام، منشورات مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، طبعة سنة 2022، ص 30.

⁵⁵ - مورييس جنزبرغ، علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 31.

⁵⁶ - مورييس جنزبرغ، علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 31.

⁵⁷ - مورييس جنزبرغ، علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 32 - 33.

⁵⁸ - مورييس جنزبرغ، علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 33.

⁵⁹ - مورييس جنزبرغ، علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 34.

ومؤسساتي يشير إلى "المدنية"، ودون تناسي الأبعاد الجمالية والفنية والأدبية والدينية والثقافية التي على أساسها يمكن تحقيق شرط "التحضر".

وطبعا ليس القصد بهذه الإشارات البسيطة جدا استكمال القول في وظائف العلوم الاجتماعية، لأنها لا تتحدد بتكريس شروط العلمية وبناء روح الجماعة كحالة تحضر وتمدن، والتوجه نحو الإجابة عن المشكلات والتحديات الاجتماعية وحسب، بل إنها أيضا لها وظائف أخرى تتعلق بدراسة أثر البيئة على الإنسان⁶⁰، وأيضا تحديد الأبعاد النفسية والسيكولوجية الموجهة للسلوكات والدوافع البشرية⁶¹، إلى جانب دراسة المحددات السياسية التي يمكن اعتمادا عليها تحويل الوجود البشري من وضعياته الفردية إلى أفقه التشاركي، أتعلم الأمر بتدبير الجماعات الصغيرة⁶²، أو بتحقيق شروط التوافق الكوني حين يجري الحديث عن السياسات الدولية والمؤسسات الأممية، الممثلة لفكرة "المشترك الإنساني".

خاتمة

يُعنى هذا المقال برهان إبراز "بنىوية المقاربة الوظيفية للعلوم الاجتماعية"، بما يشترطه من ضرورات الإجابة عن الإشكالات المركزية المتعلقة بهذه البنية النظرية والمنهجية والمعرفية، قصد تعيين وظائفها وتحديد أدوارها، وأبرزها الجواب عن:

ما المعاني والدلالات التي يحملها مفهوم "العلوم الاجتماعية"؟ وعلى أي اعتبارات منهجية ومعرفية يمكن تحديد مجال عمل هذه العلوم في ظل التقارب الكبير الحاصل بينها وبين عديد التخصصات الأخرى الشبيهة والمجاورة؟ وما هي أهم الموضوعات والاتجاهات التي تشكل مجال الاهتمام المركزي لهذه الدراسات المعنية بالاجتماع البشري؟ وهل بالإمكان الحديث عن العوائق المنهجية والمعرفية التي تواجه شرط تحقيق العلمية والموضوعية في دراسة الظواهر والموضوعات ذات الصلة بالعلوم الاجتماعية؟ وأي الأدوار والوظائف التي يمكن لهذه العلوم القيام بها حتى تحوز معناها وقيمتها العلمية والمعرفية؟

⁶⁰ - موريس جنزبرغ، علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 37.

⁶¹ - موريس جنزبرغ، علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 37.

⁶² - موريس جنزبرغ، علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 37.

قائمة المراجع:

- حسام الدين فياض، مدخل إلى علم الاجتماع من مرحلة تأصيل المفاهيم إلى مرحلة التأسيس، مكتبة الأسرة العربية، اسطنبول، ط1، 2021.
- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الواحد الوافي، الجزء الأول في أن أجيال البدو والحضر طبيعية، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- زكي نجيب محفوظ، نحو فلسفة علمية، منشورات الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970.
- إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين، مراجعة محمد عصفور، إصدارات عالم المعرفة، العدد 244.
- عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة العدد 44،
- بوزيدي غنية، التفكير الإنساني بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، منشورات مجلة سلسلة الأنوار، المجلد الثالث، العدد التاسع، يونيو 2019.
- بوبماتيز زليسروس، الدليل العلمي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة محمد الجوهري، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، طبعة 2016.
- رودلف كارناب، الأسس الفلسفية للفيزياء، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، القاهرة.
- إبراهيم مصطفى إبراهيم، منطق الاستقراء "المنطق الحديث"، القاهرة: دار المعارف.
- عبد القادر بشته، الاستيمولوجيا، مثال الفيزياء النيوتونية، ط1، بيروت: دار الطليعة.
- أحمد ملاح، المختصر في تاريخ الفلسفة الغربية من طاليس إلى باشلار، منشورات مؤسسة رياض، طبعة سنة 2010.
- محمد فتحي عبد الهادي، المصادر المرجعية للمعلومات في العلوم الاجتماعية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1995.
- أوسيبوف، قضايا علم الاجتماع، دراسة سوفيتية نقدية لعلم الاجتماع الرأسمالي، منشورات دار المعارف، القاهرة، نسخة سنة 1970.
- غسان زكي بدر، الموضوعية في أبحاث علم الاجتماع، ضمن منشورات حولية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد الرابع، 1981.
- صلاح قنصوه، الموضوعية في العلوم الاجتماعية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، نسخة سنة 2007.
- ميادة مصطفى القاسم، مسألة الموضوعية والذاتية في البحوث الاجتماعية -دراسة سوسيولوجية تحليلية- منشورات مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الخامس، العدد التاسع، يوليو 2021.
- ابتسام صاولة، مشكلة المنهج في العلوم الاجتماعية، كارل بوبر أنموذجا، منشورات مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، المجلد السابع، العدد الثالث، سنة 2022.
- علي معمر عبد المؤمن، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: الأساسيات والتقنيات والأساليب، منشورات دار الكتب الوطنية، بنغازي - ليبيا، الطبعة الأولى، 2008.

عنوان البحث

**سيمائية العنوان كنص موازي لبناء المعنى
العنوان والمعنى: امبرتو ايكو**

ترجمة: محمد دخاي¹

¹ مختبر العلوم الإنسانية التطبيقية - المدرسة العليا للأساتذة - فاس - المغرب
بريد الكتروني: mdakhay2013@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/15>

تاريخ القبول: 2024/02/20م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

الرواية نص مفتوح على التأويل، حيث يرى امبرتو إيكو بأن المسؤولية التأويلية للنص يجب أن تقع على عاتق القارئ وحده، من دون أي توجيه أو تدخل من المؤلف. بما في ذلك العنوان كنص موازي يعد من بين أحد المفاتيح التأويلية والسيمائية لان الخلاص يكون بالعثور على عنوان لا يوجه القارئ إلى تأويل معين..
ان رؤية امبرتو إيكو الناجحة لتجنب توجيه القارئ إلى تأويل بعينه، ومصادرة حقه في إنتاج تأويله الخاص للنص، يكون بالعثور على صورة رمزية مليئة بالدلالات لدرجة أنها تكاد تفقد في نهاية الأمر كل الدلالات لان العنوان الناجح ينبغي أن يبلبل ذهن القارئ، لا أن ينير له الطريق.

الكلمات المفتاحية: السيمائية - النص الموازي - العنوان - المعنى.

RESEARCH TITLE

**THE SEMIOTICS OF THE TITLE AS A PARALLEL TEXT FOR
CONSTRUCTING MEANING TITLE AND MEANING: UMBERTO ECO****Translated by: Mohammad Dakhay¹**

¹ Applied Human Sciences Laboratory - Higher Normal School - Fez - Morocco Email:
mdakhay2013@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/15>

Published at 01/03/2024**Accepted at 20/02/2024****Abstract**

The novel is an open text for interpretation, where Umberto Eco believes that the interpretive responsibility of the text should fall solely on the reader, without any guidance or intervention from the author. This includes the title, which as a parallel text, is among the interpretive and semiotic keys, as salvation lies in finding a title that does not direct the reader to a specific interpretation.

Umberto Eco successful narrative in avoiding directing the reader to a specific interpretation, and seizing his right to produce his own interpretation of the text, is achieved by finding a symbolic image filled with connotations to the extent that it almost loses all its meanings in the end, as a successful title should unsettle the reader's mind, rather than illuminate the way for him.

Key Words: Semiotics - Parallel text - Title - Meaning.

● مقدمة

العنوان كنص موازي (Paratext)¹ لا يجعل أي كتاب عملاً ولكن من الصعب فصله عنه، فإبداعات انسانية من مثل: الكيميائي، البخيل، هاملت، مدام بوفاري، زهور الشر وغيرها، وكم من عناوين أخرى أصبحت رموزاً خالدة. لا يمكن فصل العناوين عن النصوص التي تعلنها في بعض الأحيان، تظل العناوين هي الذكرى الوحيدة للقراءات السابقة، أو حتى الجزء الوحيد المقروء من النص. من لا يعرف بعض عناوين الأعمال التي لم يقرأها ولكنه يعرف أهميتها أو يشتبه فيها؟ يتعلم كل قارئ في وقت ما أن يكون حذراً من عناوين الكتب، فهي إما أن تكون غير كاملة ومضللة أو تكون مغرية. من منا من لم يشعر ببعض الدهشة أو الخيبة عند قراءة كتاب بعنوان مغري؟ مع التجربة، يكون الحذر هو المسيطر، ولكن الفضول أيضاً يصنع القارئ. من خلال طرح مشكلة العنوان الأدبي بناءً على القارئ ونشاطه التفسيري.

فالعنوان يجسد مفهوم قراءة نقدية أيضاً، كوسيلة لاكتشاف هياكل النص الدالة، والعنوان له مكانة هامة في الخطابات الأدبية لأنه يمثل جزءاً فعالاً في البنية الشعرية والخطابية أيضاً، وذلك لما فيه من الدلالة والتلميح، حيث يحاول المبدع جذب انتباه القارئ لإغرائه بدخول عوالمه من خلال العنوان؛ لأنه يمثل أول شيء يلتقي به القارئ من الكتاب. وقد احتل العنوان أهمية بارزة في النصوص الإبداعية. لأنه هو العتبة الحقيقية التي تمثل عالم النص المغلق، ويعتبر المفتاح الأهم بين مفاتيح العمل التي يمكن من خلالها فك أسرار وأشياء مخفية في النص ودخول عالمه والبحث في مآهته وينطلق المستقبل نحو عالمه، وينظر إليه على أنه "يمنحنا فهماً عن كل ما يتضمنه الكتاب، ومن خلاله يستطلع القارئ النص لاكتشاف مغزاه وفهم معناه، وفك رموزه ليتمكن القارئ من معرفة هوية النص ومحتواه الذي يتناوله². مما يساهم في إنتاج دلالات النص، ويوضح معانيه وفهم مقصديته. في الغرب، يتم تقديم العنوان بوضوح وينتشر استخدامه مع اختراع الطباعة. فغالبا ما يتم تخصيص صفحة كاملة من الكتاب المطبوع للعنوان. فبعد الثورة الفرنسية، حلت الكتب المطبوعة محل المجلدات المصنوعة من الجلد، والتي تعتبر على أنها مكلفة للغاية.

● سيميائية العنوان كنص موازي لبناء المعنى

منذ القرن التاسع عشر، اجتاحت العنوان الفضاء الكتابي حرفياً: يمكن العثور عليه على الغلاف، وفي أعلى كل صفحة في العنوان الجاري. وهو تطور ترافق مع تغيرات شكلية عديدة. في الماضي، كان العنوان طويلاً ووصفياً، بنحوية معقدة في بعض الأحيان، ولكن في الوقت الحاضر، غالباً ما يكون العنوان عبارة عن جملة بدون فعل، أو جملة اسمية.

تختلف تركيبة العناوين بشكل كبير حسب الشكل والصياغة وحسب المؤلفين والعصور وأنواع النصوص وأنواع الطباعات والجمهور المستهدف. تصبح العناوين الطويلة للكتب القديمة (خاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر) نادرة في القرن التاسع عشر ولا يوجد لها ما يعادلها في الوقت الحاضر إلا لأغراض ساخرة. حتى العناوين القديمة يتم تقليصها في الطباعات الحديثة. يُلاحظ هذا الاتجاه نحو الاختصار أيضاً في الماضي، عند إعادة طبع

¹ Gérard Genette : Seuils, Edition du seuil, paris, 1987.

² The Semantics of the Title in poem (Shab Care) for Ahmed Shamloo and (Night flows from the Body for Mahmood Darwish), A Comparative Study, Fatimah Bakheet and et al, International Human Sciences Journal, Issue No. 20, 19 :2013.

الكتب الناجحة. إذا كانت العناوين القصيرة تحظى بشعبية واضحة بين الناشرين ذلك ان الاختصارات والتعديلات الأخرى على العناوين الأدبية تحدث في أغلب الأحيان بدون موافقة المؤلف وأحياناً على حساب المعنى الأصلي. يعتبر العنوان في الصحافة أمراً حاسماً لأن " للعنوان وظيفتان أساسيتان: لفت الانتباه وإيصال رسالة ³. ويُقرأ العنوان في المتوسط خمس مرات أكثر من متن النص. بشكل عام، العنوان تلخص هذه المادة. إنها ملصق يوضح المحتوى. يعطي التصور فوراً للرسالة الأساسية.

ويتم دراسته على هذا النحو. في المجال الأدبي، لم يهتم قليل من الباحثين به. كما نجد في هذا النص لامبرتو إيكو. فلم يتم التعامل مع هذه الظاهرة بشكل نظري ومنهجي قبل عام 1970، باستثناء بعض الحالات. حيث يعزى اختراع مصطلح titrologie لكلود دوشيه (1973) للإشارة إلى هذا المجال من الأبحاث. بصرف النظر عن بعض الدراسات الحالية، بما في ذلك الدراسة المعمقة التي أجراها سيرج بوكوبزا (1986) حول رواية ستاندال (الأحمر والأسود). وقد عمل جيرار جينيت على وصف وفحص الخطاب المصاحب للأعمال الأدبية في "العتبات" (1987). حيث يدين له بمفهوم النص الموازي وهو ما قد يشجع أو حتى يسهل القراءة.

قد يحتوي الكتاب على مجموعة من العناصر المحيطة بالنص الأساسي، والتي تتميز بخصائصها الخاصة، مثل اسم الكاتب والناشر، ونص تقديمي في الغلاف الخلفي، ورسوم توضيحية، ومقدمة، ومقدمة المؤلف، أو أي شكل آخر من أشكال الخطاب المرافق. بالإضافة إلى ذلك، وبمبادرة من الناشرين وبغاية استهداف للقراء، يتم إضافة عناوين المجموعات التي تساهم في هوية الكتاب وتوقع استقبالة، بجانب عناوين الأعمال الأدبية، تلعب العناوين الداخلية والعناوين الفرعية والعناوين الفرعية دوراً فريداً.

يساهم هذا النص الموازي في فعالية النص، مما يضمن له التماسك والقابلية للقراءة. على سبيل المثال، فإن عناوين فصول قصص فولتير لها أكثر من وظيفة في تحديد دلالات النصوص. إنها ملخصات أو أطر مرجعية ساخرة للسرد الذي سيأتي في تلك الحقبة، يمكن أن تكون أيضاً استجابة مسبقة لتوقعات القارئ وشكلاً من أشكال التحقق من عمله التأويلي. حيث يفترض ذلك أن يتعاون القارئ في عملية بناء المعنى. قد يكون الإقناع أيضاً تلاعباً بالقارئ، كما في نظرية القارئ النموذجية لأومبرتو إيكو (1985) والتي لا يزال لها الفضل في تذكيرنا بهذه الحقيقة: إن النص مصمم ليكون مقروءاً.

فالعناوين تخضع لقواعد مشتركة أو فردية اعتمدها المؤلف - إن لم يكن المترجم أو الناشر - وهو ما يعني وجود عادات وتقاليد مرتبطة بفترة زمنية معينة أو نوع أدبي. وهكذا يكون الأمر مع "العناوين" الطويلة في عصر النهضة، والأبيات الأولى التي تعمل كعناوين للقصائد.

• تعليق على "ملحق اسم الوردة"

افتتح أمبرطو إيكو كتابه الذي ينتمي إليه هذا النص والمسمى "حاشية على اسم الوردة" بالحديث عن العنوان والمعنى وكيف استوحى عنوان رواية اسم الوردة من البيت الشعري اللاتيني الذي ختمت به الرواية مضيفاً أن ما يفضل من الأشياء هو الأسماء فقط، إذ يمكن استخدام اللغة للحديث عن الأشياء الزائلة وغير الموجودة أساساً. بعد ذلك فالرواي غير ملزم بتقديم تأويل لعمله لأن الروايات هي آلات لتوليد التأويلات. والعنوان في حد ذاته

³ Les secrets de l'écriture journalistique – Informer, convaincre Broché. 1989, p. 140

مفتاح تأويلي إذ لا يمكن إغفال الإحياءات المتولدة عن عناوين "الأحمر والأسود" أو "الحرب" و"السلام" أو حتى العناوين التي تستعير أسماء أبطالها (كروبنسون كروزوي). وقد كان لاسم الوردة عناوين أخرى كدير الجريمة وقد ألغاه امبرتو إيكو لكونه يركز على الحبكة البوليسية وحدها و (كادسو دوملك) وهو عنوان حيادي جدا إلا أن الناشرين في إيطاليا لا يحبون الأسماء الأعلام. وقد لعبت الصدفة دورها في اختيار عنوان (إسم الوردة). فللوردة دلالات رمزية متعددة وهو ما قد يضلّل القارئ حتى نهاية الرواية.

وقد سعد (إيكو) كثيرا حين تم اكتشاف قراءات وتأويلات لم يعها هو نفسه أثناء الكتابة. لكنه يتحفظ بشأن تأويل ذلك لكونه يعتقد أن موت المؤلف واجبة بعد الكتابة لكي لا يعيق مسار النص لكنه على خلاف ذلك حر في أن يحكي عن الكيفية التي كتب بها والمشاكل التي وجدها في سبيل تحقيق تأثير شعري. فالكاتب يكون على دراية تامة بما يكلفه عمله، وعندما يقول الكاتب أن عمله من تأثير الإلهام فهو يكذب لكونه يعتبر العبقرية هي عشرون بالمائة من الإلهام وثمانون بالمائة من الجهد.

لقد كتب (إيكو) لأنه امتلك الرغبة في ذلك مدفوعا بفكرة كانت الأساس وهي تسميم راهب إذ بدأ الكتابة في دير حديث ثم ما لبث أن تبين أن الماضي القروسطي لازال محملا بإحياءات لامتناهية، ساعده في ذلك اشتغاله على جماليات العصر الوسيط والأرشف المتراكم منذ مدة، بالإضافة إلى أنه كان لا يعرف الحاضر من خلال التلفزة بينما كان العصر الوسيط موطن خياله اليومي ومصدر افتتان وإغواء مستمرين له.

لقد كان (إيكو) ساردا مبتدئا يخل من الحكي إذ كان يحس بأنه يوجد إلى جانب من كان إلى فترة قصيرة ينظر إليهم من الضفة الأخرى. وقد اعتمد قراءات متعددة للمؤلفات القروسطية للاستئناس بالأسلوب وإيقاع الكتابة واكتشف أن الكتب تتحاور فيما بينها، والقصص لا تحكي إلا عن قصص أخرى وهذا هو ما جعل القصة تعتمد على المخطوط المكتشف لتكون بذلك عبارة عن استرجاع.

للبدء في الحكي يلزم في البداية بناء عالم مؤثث في أدق التفاصيل، أما الكلمات فتأتي بمفردها بعد ذلك، لهذا كرس السنة الأولى من الإشتغال لبناء العالم، اعتمد لذلك على الكتب التاريخية والموسوعات القروسطية للإحاطة بجميع التفاصيل، هذه الأمور تستمد أهميتها من كون الرواية التاريخية تفترض عدم التضارب مع الأحداث والوقائع التاريخية في العالم الواقعي كاختيار نهاية نونبر من سنة 1327 زمنا للأحداث.

عمل (إيكو) على توحيد الزمان والمكان للحصول على مكان مغلق يكتسي طابعا اعتقاليا. أما مشاكل الحوارات فقد اعتمد لحها على نظريات سردية وحيل لتمرير الكلمة بين مختلف الشخصيات. ورغم عمله الجريء أحيانا فقد التزم بأسلوب سردي وشعري لم يكن معروفا في ذلك العصر، كما جعل السرد على لسان (أدسو) الذي يحكي في سن الثمانين ما وشاهده أيام كان في الثامنة عشرة من عمره. فقد كان متشوقا لسرد القصة كلها عاشه بغرائبها وأحداثها الغامضة متبعا في ذلك أسلوب الإعراض لإدماج معارفه الموسوعية وهو أسلوب صحفي معروف آنذاك. ورغم اعتراض أصحاب دور النشر فقد أصر (إيكو) على استعمال المقاطع التعليمية الطويلة لكونه يعتبر من يدخل الدير ويقيم فيه سبعة أيام ملزما بقبول الإيقاع لأنه المسلك الوحيد لقراءة الكتاب بكامله، فالدخول إلى الرواية يشبه نزهة جبلية التي تقتضي اختيار نفس معين واتخاذ خطوة جريئة. فالرواية العظيمة هي التي يعرف كاتبها متى يسرع الإيقاع ومتى يببطه في ظل الإيقاع الأساسي الذي يبقى ثابتا كل كاتب يكتب وهو يفكر في قارئ ما فأتناء تكون العمل يتكون حوار مزدوج، الأول بين النص وباقي النصوص المكتوبة والثاني بين الكاتب

وقارئة النموذجي. فبين مؤلف يستجيب لحاجات السوق ومؤلف يود خلق قارئ جديد تتعدد تصورات الكاتب لقارئه، لكن (إيكو) يرغب في قارئ متواطئ يصبح قروسطيا تماما ويصبح فريسته وفريسة النص إذ لا يعتقد في شيء آخر غير ما يزوده به هذا الأخير أي إن النص يروم أن يكون تجربة تحول لقارئه. وقد اختار الرواية البوليسية لأنها أكثر تجريدية وفلسفية لكنها تخدع السذج لأنها لا تسير في ذلك الإتجاه إلى النهاية. وإذا كانت الرواية البوليسية تلقى الترحاب فلأنها تمثل قصة رضية بامتياز. وعلى خلاف أشكال المتاهات المعروفة فقد كان (إيكو) بحاجة لمتاهة متكلفة وهو ما عكف عليه مدة لتحقيقه.

ثم انتقل للحديث عن النقاش والجدال الذي دار خلال السنوات الماضية حول الرواية التجريبية والرواية التجارية والطليعية وتلقي العمل من لدن الجمهور مؤكدا أن عدم مقبولية الرسالة من قبل المتلقي لم تكن ضمانا للقيمة إلا خلال فترة تاريخية محددة.

وردا على فترة ما بعد الحداثة الذي قيل وكتب عنها الكثير ما يؤكد إيكو أنها مقولة صالحة لمن هب ودب، إذ عرفت انزلاقا رجعيا تمثل في كونها تتراجع ولن تلبث أن تطلق على هوميروس. أما الطليعية فإنها تهد الماضي وتشوّهه إذ تعتبر عبارة " ليسقط ضوء القمر " البرنامج النموذجي لجميع الطليعات ويصور كاتبه ما بعد الحداثي المثالي على أنه ذلك الذي لا يقلد آباءه من القرن العشرين ولا أجداده من القرن التاسع عشر ولا يتخلّى عنهم كذلك. فالرواية ما بعد الحداثية ملزمة بتجاوز الصراع بين الواقعية واللاواقعية بين الأدب الخالص وأدب الالتزام؛ وعن اختياره الرواية التاريخية، يرى بأن جميع مشاكل أوربا الحديثة تشكلت في العصور الوسطى ورواية الماضي ليست هروبا من الحاضر لأن العصر الوسيط طفولة الأوربيين التي هم ملزمون دائما باستحضارها فكل فرد له تصوره الخاص - فاسد غالبا - عن العصر الوسيط، ورهبان تلك الفترة وحدهم يعرفون الحقيقة وإيكو يعتبر نفسه واحدا منهم.

• النص المترجم:

منذ أن كتبت اسم "الوردة" تلقيت رسائل عديدة من لدن القراء، جلهم يسأل عن دلالة البيت الشعري اللاتيني⁴ الذي ختمت به الرواية وكيف ولد العنوان.

أجيب دوما بأن الأمر يتعلق ببيت مأخوذ من كتاب "احتقار العالم" لبرنار دومورليكس BERNARD DE MORLAIX، وهو راهب بندكتي من القرن عشر، أدخل تغييرات على موضوع زوال الأشياء (الذي كتب عنه، فيما بعد، فرانسوا فيون Francois عظماء Villon بيته المشهور " لكن أين ثلوج الماضي؟) وأضاف للموضوع الشائع (عظماء الماضي، المدن المشهورة، الأميرات الجميلات، العدم حيث ينتهي كل شيء بالزوال) الفكرة المتمثلة في كوننا نحتفظ من الأشياء رغم زوالها بأسماء خالصة فقط. أذكر أيضا أن أبلار ABELARD كان يستعمل لفظة "ليس هناك وردة" (NULLA ROSA كمثال ليوضح إلى أي مدى

باستطاعة اللغة الحديث عن الأشياء الزائلة تماما كحديثها عن الأشياء غير الموجودة. بعد هذا، أترك القارئ ليستخلص نتائجه اعتقادا مني أن الروائي غير بخبر على تقديم تأويلات لعمله، وإلا فلاداعي لكتابة الروايات، إذ أن هذه الأخيرة هي بالأساس آلات لتوليد التأويل. غير أن هذه البراعة التي يتضمنها هذا الكلام الجميل يصطدم

⁴ Stat rosa pristina nomine, nomina nuda tenemus

بحاجز لا يمكن تجاوزه: الرواية تتطلب عنوانا.

لكن للأسف، فالعنوان يصبح منذ اللحظة التي يوضع فيها مفتاحا تأويليا. ولا يمكن الإفلات من الإيحاءات المتولدة عن عنوان "الأحمر والأسود" أو عن عنوان الحرب "والسلام. فالعناوين الأكثر تقديرا من لدن القراء هي تلك التي يمنحها البطل إسمه مثل دافيد كوبرفيلد أو روبنسون كروزوي. ثم إن العودة إلى البطل بمنح اسمه للكتاب قد يشكل تدخلا سافرا من قبل المؤلف. يركز عنوان "الأب غوريو" الإنتباه على شخصية الأب المسن بينما تحكي الرواية ملحمة راستنيك أو فوتران ألياس كولان. ربما كان لزاما على الكاتب أن يكون نزيها عن عدم نزاهته كالكسندر دوما DUMAS في مؤلفه "الفرسان الثلاثة" التي تحكي: قصة أربعة فرسان. لكنها حالات نادرة يقع فيها المؤلف بدون قصد.

في الواقع، كان لروايتي عنوان آخر "هو «دير الجريمة»». وقد ألفت لكونه يركز على الحبكة البوليسية وحدها، وهذا قد يدفع، دون وجه حق، مشترين تعساء مولعين بالتاريخ والأحداث إلى التهافت على كتاب قد يخيب آمالهم. كان حلمي أن أعنون الكتاب "أدسو دوملك" وهو عنوان حيادي جدا، لأن أدسو، في النهاية، هو صوت القصة. لكن في إيطاليا، لا يحب الناشرون الأسماء الأعلام، فعنوان فرمو ولوتشيا⁵ (FERMO e LUCIA) نفسه قد تم استبداله، وبالنسبة للباقي فهناك أمثلة قليلة كليمونيو بوريو. (LEMMONIO BOREO). وهي لا تعني شيئا بالمقارنة مع أسماء من قبيل كوزين بت (COUSINE BETTE) وباري لندن (LYNDON BARRY) وأرمانس (ARMANCE) وطوم دجونس (TOM JONES) التي تحفل بها آداب أخرى.

خطرت ببالي فكرة اسم الوردة" بالصدفة تقريبا، وقد أعجبتني لأن الوردة صورة ومزية مثقلة بالدلالات إلى الحد الذي تفقد فيه كل دلالة أو تكاد: الوردة الصوفية، وردة عاشت ما تعيشه الورود حرب الوردتين، الوردة هي وردة هي وردة الورود الصلبان شكرا على هذه الورود الرائعة الحياة في جانبها الوردية. لقد تم تضليل القارئ بحيث لا يستطيع أن يختار تأويلا. وحتى إذا قام بالقراءات الإسمية الممكنة للبيت النهائي، فانه حين يصل إليه يكون قد قام باختيارات يعلم الله من أي نوع هي. فالمفروض في العنوان أن يشوش الأفكار لا أن يوحد.

لا شيء يطمئن المؤلف أكثر من اكتشاف القراءات التي لم يفكر فيها والتي يوحى له بها القراء. فعندما ألفت أعمالا نظرية كان موقفي اتجاه النقد من طبيعة قضائية، هل فهموا ما وددت قوله أم لا؟ في الرواية، الأمر يختلف تماما. لا أقول إن الكاتب لا يستطيع اكتشاف قراءة تبدو له زائغة، لكن في جميع الأحوال عليه التزام الصمت وواجب الآخرين. مناقشة تلك القراءة بالإعتماد على النص. بالنسبة للباقي، تدفع الأغلبية الكبيرة من القراء إلى اكتشاف تأثيرات في المعنى لم يتم التفكير فيها. ولكن ما معنى عدم التفكير فيها؟

كشفت الباحثة الجامعية الفرنسية ميريل كال غروبر MIREILLE CALL GRUBER عن وجود فقرات غاية في الفطنة توحد بين لفظتي simples بمعنى (الفقرات) و simples (بمعنى الأعشاب) ثم اكتشفت أنني أتحدث عن نبتة الهرطقة الضارة. أستطيع القول إن لفظة (simples) متواترة في أدب تلك الفترة بالمعنيين معا، والشأن نفسه يقال عن تعبير "male plante" (نبته ضارة). من جهة أخرى أعرف جيدا المثال المقدم من قبل غريماس GREIMAS حول التناظر المزدوج الذي يولد حين نعرف العشاب بكونه "ami de simples". هل كنت أعني

⁵ عنوان الطبعة الأولى لرواية "الخطاب (Les Fiances) لمؤلفها ألساندرو مانزونى Alessandro Manzoni... طبعة I Promissi sposi

مسألة اللعب بالفقرات أم لا؟ لا شيء يساعد على قول ذلك الآن، النص من إنتاج تأثيراته الخاصة في المعنى. أثناء قراءتي للمقالات النقدية حول الرواية، ارتجفت من السعادة حين وجدت واحدا منها (المقالات الأولى كانت لجينفرا بومبياني ولارس جوستافسن) يورد جونا يقدمه جيوم في نهاية محاكمة التفتيش. "مالذي يربك أكثر في الطهارة" يسأل أدسو، "الاستعجال" يجيب جيوم. أحببت ولا زلت هذين السطرين.

أثار انتباهي أحد القراء إلى أن برنارجي قال في الصفحة الموالية مهددا قيم الدير بالتعذيب: "العدالة لا تتصرف بتسرع كما يعتقد أشباه الحواريين وعدالة الله أمامها قرون تحت تصرفها. الترجمة الفرنسية استخدمت كلمتين مختلفتين لكن في اللغة الإيطالية نردد مرتين كلمة «fretta» (الاستعجال). وقد كان القارئ على صواب بسؤاله عن العلاقة التي أردت ربطها بين الاستعجال الذي يخافه جيوم وغياب الاستعجال الذي يمجده برنار. إذ علمت آنذاك أن شيئا مزعجا قد وقع. فالحوار المتبادل بين أدسو وغيوم غير موجود في المخطوط، أضفت هذا الحوار القصير إلى المسودة المعدة للطبع لأسباب تتعلق برونق الأسلوب إذ كنت بحاجة لإدراج مشهد هام قبل أن أعيد الكلمة لبرنار بالطبع، حين جعلت جيوم يكره الاستعجال (ببقين كبير في جميع الأقوال، وهو ما جعلني أحب هذه الإجابة) نسيت تماما أن برنار يتحدث بعد ذلك بقليل عن التسرع. وإذا أعدنا قراءة إجابة برنار بغض النظر عن إجابة جيوم فهي ليست سوى طريقة في التعبير وهي إثبات متوقع قوله على لسان قاض وعبرة جاهزة مثل: "العدالة مساوية بين الجميع". بيد أن الاستعجال المعبر عنه من قبل برنار، في مقابل الاستعجال الذي يتحدث عنه جيوم، يولد تأثيرا في المعنى. والقارئ محق في تساؤله عما إذا كانا يتحدثان عن ذاته، أم أن كره الاستعجال عند جيوم يختلف لا شعوريا على كره الاستعجال لدى برنار. النص موجود وينتج تأثيراته الخاصة وسواء شئت أم لا فإننا نتواجد الآن أمام سؤال أو أمام إثارة غامضة. أما بالنسبة لي فقد أربكني كثيرا تأويل هذا التقابل. مع أنني أدرك أن معنى ما (وربما أكثر) أصبح يختبئ هنا. والمؤلف ملزم بالموت بعد الكتابة كيلا يعيق مسار النص.

المراجع:

- Umberto Eco -Apostillas a el nombre de la rosa -Círculo de Lectores -p3-6
- <https://historiata.files.wordpress.com/2020/01/apostillas-a-el-nombre-de-la-rosa.pdf>
- https://www.academia.edu/43419157/Apostillas_a_el_nombre_de_la_rosa_UMBERTO_ECO20200623_32520_clufz8
- Gérard Genette : Seuils, Edition du seuil, paris, 1987.
- The Semantics of the Title in poem (Shab Care) for Ahmed Shamloo and (Night flows from the Body for Mahmood Darwish), A Comparative Study, Fatimah Bakheet and et al, International Human Sciences Journal, Issue No. 20, 19 :2013.
- Les secrets de l'écriture journalistique / informer, convaincre Broché – 1 janvier 1989

عنوان البحث

الرمز ودلالاته في إبداع محمد عناني المسرحي (نماذج مختارة)

د/ أسامة محمد السيد الشيشيني¹

¹ الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية في كلية العلوم والآداب بالقريات، جامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية.

بريد الكتروني: drosama_19679@yahoo.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/16>

تاريخ القبول: 2024/02/20م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

يجسد البحث تقنية الرمز التي اعتمد عليها الكاتب في إبداعه المسرحي؛ إذ استطاع تجسيد قضايا المجتمع من خلالها؛ ليستنهض الهمم، واستعان بذلك بلغة السخرية.

وتكون البحث من محورين؛ يسبقهما المقدمة، ويتبعهما الخاتمة والفهارس، وقد جسد المحور الأول: الحديث عن العلاقة بين المبدع والمتلقي، وتم فيه تسطير تلك العلاقة الوطيدة؛ مما جعل الأدباء يعتنون بإبراز الجانب الفني؛ الذي يجذب المتلقي، وساعدهم على ذلك؛ مرونة الجانب الفني للإبداع المسرحي، وتناول المحور الثاني: الرمز ودلالاته في إبداع الكاتب المسرحي، واعتمد الباحث على نماذج من إبداعه (البر الغربي، ميت حلاوة، المجاذيب، الدرويش والغازية) . وقد أبرز البحث الدلالات التي قصدها الكاتب في إبداعه المسرحي.

الكلمات المفتاحية: الرمز، الدلالة، الإبداع المسرحي لمحمد عناني.

RESEARCH TITLE

**THE SYMBOL AND ITS CONNOTATIONS IN MUHAMMAD ANANI'S
THEATRICAL CREATIVITY (SELECTED MODELS)****Dr. Osama Mohammed Al-Sayed Al-Shishini¹**

¹ Assistant Professor in the Department of Arabic Language at the College of Science and Arts in Qurayyat, Al-Jouf University in the Kingdom of Saudi Arabia. Email: drosama_19679@yahoo.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/16>

Published at 01/03/2024**Accepted at 20/02/2024****Abstract**

The research embodies the symbol technique that the writer relied on in his theatrical creativity. He was able to embody societal issues through it; To raise his resolve, he used the language of sarcasm.

The research consists of two axes: They are preceded by the introduction, followed by the conclusion and indexes. The first axis embodied: talking about the relationship between the creator and the recipient, and that close relationship was underlined. Which made writers take care to highlight the artistic side. Which attracts the recipient, and helps them to do so; Flexibility of the artistic aspect of theatrical creativity, and the second axis: the symbol And its implications for the creativity of the playwright, and the researcher relied on examples of his creativity (Al-Barr Al-Gharbi, Mit Halawa, Al-Majadeeb, Al-Darwish and Al-Ghaziyya). The research highlighted the implications intended by the writer in his theatrical creativity.

Keywords: symbol, significance, theatrical creativity of Muhammad Anani.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.
أما بعد،

فلا شك في أن الأدب له علاقة وطيدة بالمجتمع، وقد برز ذلك في إبداع محمد عناني المسرحي؛ لكن إبداعه قد اتسم بالرمزية؛ وهذا ما جعل الباحث يفرد بحثه في إبراز تلك التقنية؛ التي اعتمد عليها الكاتب في إبداعه المسرحي؛ فضلا عن تطور تقنياته ومرونتها في إبداعه؛ مما يؤكد انفتاح الإبداع المسرحي على العلم وآلياته المتطورة، وكذلك تناوله حياة الإنسان، وسيطرته " على التقاط الأنغام المتباعدة المتنافرة وذلك بواسطة الطبيعة التي ينطوي عليها النسيج الروائي"(1).

وقد تكونت الدراسة من مقدمة ومحورين وخاتمة؛ تحدثت في المقدمة عن أهمية المسرح، وخطة البحث، وتناولت في المحور الأول العلاقة بين المبدع والمتلقي، وأبرزت أن العلاقة بينهما وطيدة؛ فالكاتب لا يكتب لذاته فحسب؛ بل يكتب لقرائه ويعمل على جذبهم لإبداعه؛ من خلال تقنياته الفنية التي يستعين بها في إبداعه، وأفردت المحور الثاني للحديث عن الرمز في إبداع الكاتب المسرحي، وأخيرا كانت الخاتمة التي أبرزت النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد اعتمدت على المنهج التحليلي؛ لإبراز الرمز في إبداع الكاتب، وكانت الدراسة معتمدة على الاختيار للنصوص التي جسد فيها الكاتب تقنية الرمز؛ إذ يصعب تتبع النماذج بالتفصيل، والله أسأل التوفيق والسداد؛ فهو نعم المولى ونعم النصير.

المحور الأول

العلاقة بين المبدع والمتلقي

من المتعارف عليه أن الإبداع الأدبي بوجه عام، والإبداع المسرحي على وجه الخصوص؛ له علاقة وطيدة بالمتلقي؛ لذا يعمل المبدع على جذب المتلقي من خلال الاستعانة بالتقنيات الفنية؛ ومما يميز الإبداع المسرحي عن غيره؛ أنه قد وجد من رغبة جماهيرية في التحاور مع الآخرين، فضلا عن أن الآليات الفنية للإبداع المسرحي قد ازدهرت في الوقت الحاضر؛ نظراً لتطور حياتنا المعاصرة؛ التي تشهد ميلاد أول عناصر منظومة تقنية متكاملة، هي «تكنولوجيا المعلومات التي تزوج بين تكنولوجيا الحواسيب... والاتصالات في كيان غير مسبوق، يعني بكل ما يتعلق بمعالجة المعلومات، ويعمل على دعم التواصل والاتصال بين بني البشر»(2)، وهذا ما يؤكد أن الأدب لم يعد «كالزهرة التي تتفتح لنور الشمس لا يسألها سائل: كيف نبتت؟ وما نفعها كما كان... طه حسين يقول في عام 1954، لم يعد الأدب والفن مجرد زهرة جميلة في عروة ثري من الأثرياء... بل غدا الأدب والفن صاحبي وظيفه حيوية وإنسانية واجتماعية وقومية، وارتبطا بمشاكل الملايين، ووجدان الملايين»(3).
ولا شك في أن المسرح يجب ألا يكون منصة إعلامية خالية من التطوير والتجديد؛ لدوره المهم في التأثير

(1) جابر عصفور: ص 5 (مجلة فصول، شتاء 1993م).

(2) السيد نصر الدين السيد: إطلاقات على الزمن الآتي ص 21 (الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1998م).

(3) لويس عوض: الثورة والأدب ص 161 (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م).

على المتلقي؛ لذا يجب مواكبة التطور والتنوع في الأدوات الفنية التي يستعين بها المبدع في جذب المتلقي. وقد اعتمد الكاتب في إبداعه؛ على إبراز فكره من خلال شخصياته؛ إذ إن الشخصيات تتسم " بقدرتها على صنع الأحداث والمشاركة في تطورها، واغتنام الفرص التي تسهم في تشكيل حركة الحياة والتأثير فيمن حولها من الشخصيات ، واتخاذ مواقف إيجابية في انفعالاتها ومشاعرها، ومواقفها من الآخرين، والحسم في القضايا المعلقة؛ بعيداً عن التردد والميوعة الفكرية والعاطفية؛ التي تصيب الشخص بالترهل، وتفقد وزنها وقيمتها في صياغة الأحداث"(4).

فقد تحول الإبداع المسرحي إلى نموذج ، يمكن للإنسان - من خلاله - أن يتتبع سلوكه ، ونحن لا زلنا نشبه " الشخصيات الحية بمثلها في (ألف ليلة وليلة) أو بما يشبهها من رموز (كليلة ودمنة) أو السير الشعبية أو الأسطورة ، وهذا دليل أكيد على تغلغل الوعي القصصي في حياتنا ، وبروز دوره الحضاري عبر حوادثه وشخصياته وطرق أدائه "(5)، وهذا ما جعل الكاتب يهتم بالوعي الحضاري، وتعني كلمة الوعي الحضاري " القدرة العقلية والنفسية والاجتماعية لدى الإنسان ، وهي القدرة الفعالة والمتحركة في سلوكه وعلاقته ، واختلافها من فرد لآخر ومن أمة إلى أخرى ، ومن زمن إلى آخر ، شيء طبيعي ؛ لأنه وعي يمثل خلاصة التجربة الإنسانية المتطورة في كل شيء من جوانب الحياة "(6).

ولا شك في أن أهمية الإبداع المسرحي؛ قد جعل الأدباء يعتنون بالبناء الفني لها؛ لأنها هي المعبرة عن الآمال، والمجسدة للواقع، والمؤثرة على المتلقي، فمثلاً يقول الكاتب " أحمد إبراهيم الفقيه " : " أتعامل مع الواقع تعاملًا حذرًا ، وطالما أنني لا أستطيع استيعابه وترحيله ، واهتديت شخصياً إلى طريقتي الخاصة في البحث عما فوق الواقع وحول الواقع لتقديم مشهد روائي أو قصصى ، أكثر ثراء وعمقا وتعبيراً عن جوهر الحياة فالحياة ليست فقط ما نرى أو نسمع ، ولكن هناك أكثر من ذاك الذي نراه ونسمعه ، وهو الذي أحاول أن أهتدى إليه بوسائل الإبداع الفني "(7) ، ولا ريب في أن المبدع يعد فرداً من المجتمع ، فالفرد " لم ينشئ نفسه وليس من سبيل إلى تصوره مستقلاً ، وإنما هو في وجوده المادي والمعنوي أثر اجتماعي وظاهرة من ظواهر الاجتماع ، لا يوجد إلا إذا وجد والتقى الجنس ، فإذا وجد فالجماعة كلها متعاونة متضافرة على تنشئته وتربية جسمه وعقله وشعوره وعاطفته.... يتعلم الفرد الدين الذي ينظم حياته الروحية ، وليس هو الذي أحدث هذا الدين ، بل ما من سبيل إلى وجود النظم الاجتماعية والسياسية إذا لم تكن هناك جماعة تحتاج إليه "(8).

(4) عبد الفتاح عثمان : بناء الرواية ص120 (طبعة مكتبة الشباب ، القاهرة ، د ت) .

(5) مدحت الجيار : من السرد العربي المعاصر ص46 (الهيئة العامة لقصور الثقافة- سلسلة كتابات نقدية 1966)

(6) مدحت الجيار :- من السرد العربي المعاصر ص25 (الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1996) .

(7) أحمد إبراهيم الفقيه : السرد الروائي وفن التحايل على الإرادة الواعية

(مجلة فصول - عدد 1 صيف 1998) ص170 .

(8) د/ طه حسين : قادة الفكر ص7 (دار المعارف ، ط9 ، القاهرة) .

المحور الثاني

الرمز ودلالاته في إبداع الكاتب المسرحي

من المتعارف عليه أن الأديب الناجح هو الذي يتأثر بقضايا مجتمعه، ويعمل على تقديم مجتمعه من خلال المناقشة لتلك القضايا في إبداعه؛ الأدب «ليس نشاطاً فردياً خالصاً يقوم به الفرد لتغيير المجتمع، بل هو نشاط اجتماعي يشارك الفرد في تأسيسه باعتباره عضواً صالحاً في هذا المجتمع، يمارس ألوان النشاط الجماعي بدافع وطني...»(9).

وهذا ما جعل الكاتب معبرا عن قضايا مجتمعه من خلال الرمز؛ ففي مسرحية (ميت حلاوة) نجد تجسيد الكاتب لقضية الخداع والسيطرة، والذي تجسد في (نبوية) التي رمزت إلى الخداع والسيطرة على أهالي القرية؛ حتى يظلوا قابعين في التخلف، وتبين ذلك في حوار فرج مع الجمهور، فيقول:

«فرج: عندي خطبة صغيرة بمناسبة اليوم الخالد ده مش كل يوم بيحصل أحداث عظيمة... يقرأ من ورقة لقد أحرز فريق التحطيب نصراً خالداً... بفضل اللاعب الخالد...»(10)، ونجد كذلك (غريب) الذي يجسد الانتهاز والاستغلال، وبرز ذلك عندما استغل حب نبوية لمكرم بقيام ثورة عليها، وعزلها، حتى يأخذ مكانها فيقول:

«العواطف غير المنطقية التي تملكست الست نبوية... وفي الحقيقة أثرت على إدارتها للجمعية لفترة طويلة.

وأدت إلى التخبط الشديد...»(11)، وكانت نبوية تحب مكروما؛ إذ رفضت القبول عليه؛ فتقول:

«مستحيل مكرم مش ممكن يتحجز!

غريب: اللايحة صريحة...!

نبوية: مكرم حبيبي.. مستحيل.. مستحيل!!»(12)، وتناول الكاتب لمشكلات المجتمع يجسد لنا "أن الأدب يُعدُّ ثمرةً لحاجة الإنسان إلى التعبير عن عقله وشعوره، فهو وسيلة اتخذها الإنسان لتصوير ما في نفسه من أفكار، وعواطف، وكانتنا قد ارتبط وجدانه بالبيئة التي عاش فيها، وتأثر بما ألمَّ بها من مصائب أوغرت صدره، فأراد التعبير عنها، وإيجاد حلول لها، فجاءت أعماله المسرحية صورة أمينة معبرة عما يجيش في صدره، وما يجول بخاطرهم؛ لذا خيم عليه الحزن إزاء ما ران إليه واقعه"(13).

وفي مسرحية (المجاذيب) نجد الكاتب يرمز لأبي باع بالرجل المستغل الانتهازي، وبرز ذلك في حوار فوزية وعادل، حينما قلق عليها حينما أقبلت على الزواج من أبي صباغ الرجل المستغل، فتزد على خوفه قائلة:

«يعني غني يقدر يحسّس الواحدة إنها مستورة.. إنها تقدر ترفع رأسها...»

أنا مقدرة خوفك علي»(14)، ويحمد للكاتب أنه جعل نهاية أبي صباغ متسقة مع سلوكه؛ إذ سيستمر في

(9) محمد حامد الحضيبي: ماهية الأدب ومهامه في النقد الأدبي الحديث ص52(مطابع غزلان بالقاهرة، ط1، 1992م).

(10) محمد عناني: ميت حلاوة: ص8 (الهيئة العامة للكتاب، 1994م).

(11) محمد عناني: ميت حلاوة: ص90.

(12) محمد عناني: ميت حلاوة: ص89.

(13) أسامة الشيشيني: الاتجاه الوجداني في مسرح محمد عناني دراسة تحليلية ص27 (كلية الآداب، جامعة المنوفية، 2017).

(14) محمد عناني: مسرحية المجاذيب: ص19 (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1985م).

بعده وعدم الرغبة فيه؛ وتجسد ذلك في حوار عوض وزكية؛ إذ يقول عوض:

«المهم أنني... لأول مرة بحس إن السطان انتهى...»

زكية: المهم إنه انتهى جوه كل الناس...»(15).

وفي مسرحية (الدرويش والغازية) يرمز الكاتب في إحداثها لآفة تجسدت في المجتمع المعبر عنه القرية، وهي الدروشة؛ فالمسرحية "تجسد لنا مدى تأثر الشخصيات المثقفة بالدروشة بسبب الواقع الأليم الذي يقطنون فيه؛ فالجاهل أضحي يتحكم في تفكير الناس، ومصائرهم؛ لكن أجاد الكاتب في نهاية المسرحية؛ عندما كانت نهاية أبي صباع من جنس عمله، فقد قرّر أن يأخذ عبد الله بجانبه في الزمن الماضي؛ ليدلّل له على ثقافته، لكنه يفاجأ بالشهباء التي تجعله معلماً للقيان في قصر الخليفة"16، فيقول:

«الشهباء: لابد من جراحة تأمين

الناطح: هاتو العبد...»

أبو صباع: أنا داخل التاريخ.. وأتمتع بأطاييب الحياة

الشهباء: الأسير عبد حتى يفتدى، أو يستبدل، وقد انتهى وقت افتدائك، أو استبدالك»(17)، وهذا يبين لنا أن الكاتب كانت له غاية من إبداعاته؛ فلا شك في أن «لكل إنسان غايةً وهدفاً في الحياة، ويجب أن تكون غاية الإنسان العمل على رقي من حوله من الناس... فبهذا يتطور المجتمع بتطور أفراد»(18).

وفي مسرحية (البر الغربي) نجد رمز الكاتب لمشكلات مجتمعه؛ من خلال (حندوسة) الذي يجسد التخلف والجهل القابع فيه المجتمع المتجسد في أهالي القرية في البر الشرق، فالبر الشرقي لم يكن فيه إلا جمعة المدرس:

«صبحي: هم التلامذة لسه بيروحوا المدرسة...»

قورة: طمئن نفسك، مفيش متعلمين غير هناك في البر الغربي»(19).

ويتابع الكاتب في تسطير جهل أهل البر الشرقي "حيث يكرّر الموقف ذاته، فكما قتل حندوسة وأصر أهل البر الشرقي تنصيب جمعة عليهم، نجد مقتل جمعة على يد مجهول، لكن أهل البر الشرقي يصرّ على تنصيب علي أبو كف صبي القهوة المملوكة للمعلم قورة الرجل الانتهازي، وكأن أهل البر الشرقي في حلقة مفرغة دومًا، فهم لا يتعلمون أبدًا وإيمانهم بالخرافات قد فاق الحدود"(20)، وهذا المشهد ظهر في قول الكاتب:

«صوت خارج المسرح: المعلم الكبير انتقل... المعلم جمعة خلاص»(21)، ورمز الكاتب لانتهازية المعلم

قورة؛ عندما تمنى زواج ابنته من ضابط، أو شخصية يعتمد عليها، وكان ذلك في حوار قوره مع حمديّة، فيقول:

(15) محمد عناني: المجاذيب: ص101.

(16) أسامة الشيشيني: الاتجاه الوجداني في مسرح محمد عناني دراسة تحليلية ص28 (كلية الآداب، جامعة المنوفية، 2017) ..

(17) محمد عناني: الدرويش والغازية: ص98.

(18) محمد حامد الحضيبي: ماهية الأدب ومهامه في النقد الأدبي الحديث: ص177 (مطابع غزلان بالقاهرة، ط الأولى، 1992م).

(19) محمد عناني: البر الغربي: ص109 (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م).

(20) أسامة الشيشيني: الاتجاه الوجداني في مسرح محمد عناني دراسة تحليلية ص11 (كلية الآداب، جامعة المنوفية، 2017) ...

(21) محمد عناني: مسرحية البر الغربي: ص202.

«البرّ الغربيّ مليون... أنا عايز دكتور... ضابط... مهندس...» (22).

والكاتب في إبداعه كان يدعونا إلى الحذر من تلك الشخصيات الانتهازية من خلال السخرية، وتجسد ذلك في تفيدة ومفيدة زوجتا أبي صباع؛ وكذلك في الحوار بين أبي صباع، والوليد، والشاعر، فيقول أبو صباع: «أبو صباع: أهنته إزاي؟»

الشاعر: لقد وصفته بأنه صانع أنغام..

أبو صباع: ملحن زي عبد الوهاب..

الشاعر: من يلحن في العربية ليس بعربي..

أبو صباع: مش يلحن... يُلحن! (23)، كما برز الحذر في حوار عتريس، فيقول:

«عتريس: أنا ما أعرفكش... انت مين.

أبو صباع: اسأل ولادنا الطيّبين دول يعرفوني من سنين... لازم حاعود وفي يوم قريب...» (24)، وهذا ما يعني أن الأدب يسطر المتغيرات التي «تمثل ضرورة لازمة كانت تتطلبها حاجة المجتمع العربي تلبية لواقع جديد، فرضه الانتقال التدريجي بين المجتمع التقليدي العضوي، وعلاقاته المترابطة على نطاق ضيق... وبين مجتمع الفردية بتمزق روابطه، وسعيه إلى آفاق أوسع في الفكر، والشعور، والوجدان، على نطاق واسع...» (25). وتجسدت تلك المتغيرات في انتشار الآفات السلبية بالمجتمع، والتي استعان الكاتب في التعبير عنها بالرمز، وقد أشار إلى ذلك أمير سلامة: «المسرحية وإن كانت تشير إلى نظام شمولي بعينه، فإنها لم تتضمن كلمة واحدة مباشرة عن هذا النظام، فالمؤلف هنا يتجاوز ذلك ليجعل من روايته التي تعمل على مستوى المجاز معادلاً موضوعياً لمشاعره ورؤاه الخاصة تجاه أي نظام شمولي بشكل عام يقوم على التناقض مع الطبيعة البشرية؛ مما يؤدي إلى انهياره الحتمي، فهذا النظام الذي سيطر على الحياة في ميت حلاوة يبدو كأنما هو حلم انبعث من خيال مريض مخدّر، ولأن نظام ميت حلاوة خرج عم هذا الخيال المريض فقد استحال تحقيقه في الواقع» (26). إن إبداع الكاتب تجسد في مشكلات مجتمعه، وهذا ما يعني: «أن الأدب والفن انعكاس للواقع، ولكنه ليس انعكاساً آلياً، وإنما هو انعكاس على درجة كبيرة من التعقيد.. فهو أولاً ثمرة انعكاس من الواقع الاجتماعي، والطبيعي في شعور الفنان، أو الأديب، وفي فكره، خلال خبرة حياته العملية، وتفاعله مع هذا الواقع، وفي حدود ثقافته الخاصة، وموقفه الاجتماعي... وهو ثانياً ثمرة اختيار الفنان، والأديب لعناصر من هذا الواقع، نفسية كانت، أم اجتماعية، أم طبيعية، وهو ليس اختياراً عفويّاً، إنما هو اختيار توجهه فكرة في عقل الفنان، أو الأديب، وشعور في نفسه، وهو اختيار محدود بحدود خبراته العلمية وثقافته...» (27).

(22) محمد عناني: البر الغربي: ص123.

(23) محمد عناني: مسرحية (الدرويش والغازية): ص24، (الهيئة العامة للكتاب، 1994م).

(24) محمد عناني: الدرويش والغازية: ص116.

(25) إبراهيم فتحي: خصوصية الرواية العربية: ص23 (مجلة فصول، عدد 1، 1998م).

(26) أمير سلامة: ميت حلاوة: ص80 (مجلة الفنون، السنة الأولى، عدد 4، يناير 1984م).

(27) د/ عبد العظيم أنيس، ومحمود العالم: في الثقافة المصرية: ص42 (دار الفكر الجديد- بيروت- ط الأولى، 1955م).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تمت تلك الدراسة؛ التي أبرزت انتماء الكاتب لقضايا مجتمعه؛ إذ جسدها من خلال تقنية الرمز، وقد نجح في توظيف الحوار؛ إذ جسد ما يعمر بأعماق الشخصيات، كما أنه استطاع انتقاء الألفاظ المعبرة عن تلك الشخصيات وما يختلجها من نفسيات مقهورة، وكانت الشخصيات من الواقع؛ فنجح بذلك إلى جذب المتلقي؛ لأنه الشخصية كانت معبرة عنه، وتميزت إبداعاته بأنها سطرت أفكاره وعبرت عما يعمر بوجوده، ويحسب للكاتب أن إبداعاته المسرحية كانت مكتملة لبعضها؛ فمسرحية البر الغربي وميت حلاوة؛ كان المكان واحداً (قرية أبو الريش) كما أن الشخصية الانتهازية كانت واحدة وهي (أبي صباغ)، وقد استعان الكاتب بلغة السخرية؛ ليبرز مدى أهمية تعزيز الإيجابيات، والقضاء على السلبيات.

والله أسأل أن أكون موفقاً فيما كتبت، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس

أولاً: فهرس المصادر

- 1- محمد عناني: البر الغربي (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م).
- 2- محمد عناني: المجاذيب (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م).
- 3- محمد عناني: الدرويش والغازية (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م).
- 4- محمد عناني: ميت حلاوة (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م).
- ثانياً: فهرس المراجع
- 5- أحمد إبراهيم الفقيه : السرد الروائي وفن التحايل على الإرادة الواعية (مجلة فصول-عدد1 صيف 1998) ص 170 .
- 6- أمير سلامة: ميت حلاوة (مجلة الفنون، السنة الأولى، عدد 4، يناير 1987م).
- 7- إبراهيم فتحي: خصوصية الرواية العربية (مجلة فصول، عدد 1، 1998م).
- 8- أسامة الشيشيني: الاتجاه الوجداني في مسرح محمد عناني دراسة تحليلية (كلية الآداب، جامعة المنوفية، 2017) .
- 9- جابر عصفور : (مجلة فصول ، شتاء 1993م).
- 10- السيد نصر الدين السيد: إطلاقات على الزمن الآتي ص 21 (الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1998م).
- 11- د/ طه حسين : قادة الفكر ص 7 (دار المعارف ، ط 9 ، القاهرة) .
- 12- عبد العظيم أنيس ومحمود العالم: في الثقافة المصرية (دار الفكر الجديد، بيروت، ط 1، 1955م).
- 13- عبد الفتاح عثمان: بناء الرواية (مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت).
- 14- لويس عوض: الثورة والأدب (دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م).
- 15- مدحت الجيار: من السرد العربي المعاصر ص 46 (الهيئة العامة لقصور الثقافة- سلسلة كتابات نقدية 1966)
- 16- محمد حامد الحصري: ماهية الأدب ومهامه في النقد الأدبي الحديث (مطابع غزلان بالقاهرة، ط 1، 1992م).
- 17- مهنى صالح: الواقع الاجتماعي في مسرح محمد عناني (الهيئة المصرية العامة للكتاب 2007م).

عنوان البحث

**الرواية التاريخية الحديثة: من تسريد التاريخ إلى تأريخ السرد
دراسة في الكتابة الروائية عند الأديب الموريتاني أحمدو بن عبد القادر**

أحمدو لكبيد محمدا¹

¹ أستاذ باحث بجامعة نواكشوط/ موريتانيا
بريد الكتروني: alarya1959@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/17>

تاريخ القبول: 2024/02/20م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

لقد صار من الوارد جدا في الدراسات السردية الحديثة التساؤل عن مصادر المؤلف الروائي وتقنيته في بناء شخصياته النمطية وملء " السديم " الروائي بالأحداث والمتواليات الدرامية، وتحريك دمي الرواية في مربعات موزعة بعناية دقيقة على مفصل السرد وتذبذباته المتداخلة. وفي هذا الأفق النقدي تطمح هذه المقالة إلى الإبانة عن المصادر التي استند إليها الروائي أحمدو ولد عبد القادر في إنتاج ثالوثه الروائي، كما ينظر أيضا في أفق الاستقبال إلي يمكن أن تحكم حوارية القارئ مع هذه المادة السردية. نعتمد في مساءلتنا لمصادر الروائي الإيحائية على النظر في لعبة المحتمل والواقعي في الأثر الأدبي ، خصوصا في مجال النصوص السردية التاريخية التي تحاول استعادة أزمنة غابرة، لا تتوفر عنها مراجع مكتوبة ذات مصداقية موثوقة، كما هو الأمر عند الأديب أحمدو ولد عبد القادر والروائي المصري نجيب محفوظ.

الكلمات المفتاحية: مصادر المؤلف الروائي – حوارية القارئ – المحتمل/الواقعي – النصوص السردية التاريخية

مقدمة

لقد صار من الوارد جدا في الدراسات السردية الحديثة التساؤل عن مصادر المؤلف الروائي وتقنيته في بناء شخصياته النمطية وملء " السديم " الروائي بالأحداث والمتواليات الدرامية، وتحريك دمي الرواية في مربعات موزعة بعناية دقيقة على مفاصل السرد وتذبذباته المتداخلة.

وفي هذا الأفق النقدي تطمح هذه المقالة إلى الإبانة عن المصادر التي استند إليها الروائي أحمدو ولد عبد القادر في إنتاج ثالوثه الروائي، كما ينظر أيضا في أفق الاستقبال إلي يمكن أن تحكم حوارية القارئ مع هذه المادة السردية.

نعتمد في مساءلتنا لمصادر الروائي الإيحائية على النظر في لعبة المحتمل والواقعي في الأثر الأدبي ، خصوصا في مجال النصوص السردية التاريخية التي تحاول استعادة أزمنة غابرة، لا تتوفر عنها مراجع مكتوبة ذات مصداقية موثوقة، كما هو الأمر عند الأديب أحمدو ولد عبد القادر والروائي المصري نجيب محفوظ.

1- التاريخ الروائي: الدلالة والاصطلاح

هناك أدبيات كثيرة حاولت التنظير لعلاقة الرواية بالتاريخ من جهة، وبالواقع من جهة أخرى. ورجوعا إلى إشكالية تخريج مصادر المادة الروائية، نقرر أن معالجتها تتطلب الاشتغال على ثنائية الكتابة/التلقي، كمرجع موثوق لتشريح جسم العمل الروائي والبحث في مصادره وتتابعاته المتعددة الروافد. ومنطلقنا في ذلك اعتبار الروائي قارئاً قبل أن يكون منتجا/كاتبا، يسائل التاريخ، ويحاول بعث كائناته وأزمته من جديد، وإعادة بناء حلقات هرمه المفقود. إنه يقوم بحفريات شبه كرونولوجية في مقاطع محددة من العصور التاريخية. وفي هذا المنحى أجد في نفسي حاجة لمسيرة عرف دأب عليه منظرو الرواية، المولعون بالتقسيمات المنطقية لمكونات النص الروائي، وتتمثل في اقتراح عنوانة تفكيكية لتجليات البعد التاريخي في المدونة الروائية قيد الدرس. وستتمحور هذه التفريعات حول إشكالية العلاقة بين الرواية وبين التاريخ، وحول تقنيات التوظيف والاستحضار..الخ.

2- الرواية والتاريخ: من إشكالية العلاقة إلى تقنيات التوظيف

لقد كانت الكتابة الروائية حدثا فنيا في الساحة الأدبية العربية، مكن الأديب العربي من أن يشهر قلمه ويغمسه في بركة مجتمعه الراكدة، بالطريقة التي يراها مناسبة له، متحررا من وصاية المرجع الخام ليعيد تشكيله وفق رؤية جديدة، مستلهما التاريخ من أجل تحيينه وإعادة بنائه رمزا دالا ومحملا بمرسلات متفاوتة التشفير، لاستدراج القارئ ليكون طرفا في " لعبة تدليل " لا تاريخية.

ويمكن القول إن تراكمات الإبداع العربي في مجال الرواية التاريخية بتوجهاتها المختلفة باتت تشكل مدونة مرجعية، تسمح للأجيال اللاحقة من التناص معها في مستوياتها الفنية المختلفة، وقد ظهرت هذه الرواية في وقت مبكر من العصر العربي الحديث وازدهرت في كل الأقطار العربية.¹

لقد أدى ظهور المستعمر المفاجئ في ساحة الشناقة إلى الدفع بالشعب الموريتاني إلى استقطاب غير مسبوق حول قضية الدفاع عن وجوده المهدد في كل أبعاد الدينية والثقافية والسياسية، وقد نجحت الرواية في جذب كل

¹ قاسم عبده قاسم: الرواية التاريخية العربية: زمن الازدهار. مقالة الكترونية مذكورة أعلاه .

أصوات الطيف الاجتماعي إلى بؤرة ردة الفعل الجمعية تحت راية الجهاد/المقاومة، قبل أن تسفر مخرجات المواجهة عن ولادة فضاء اجتماعي جديد، يتميز فيه البطل الروائي ببحثه عن هوية جديدة لحياته، تكون متساوقة مع النسق الحضاري للمجتمعات الحديثة، كإبدالية شبه قطائعية، وفق ما أبانت عنه البنية العامة التي قاد إليها تحليل المدونة الروائية في الباب الأول.

ولكن قد نتساءل كيف يحول الروائي المواقف الفردية إلى تاريخ له صفة التعميم على المقطع التاريخي الممارس، وبعبارة أخرى هل يمكن أن يصبح الفردي رمزا وكناية عن ما هو جمعي، فأبطال الرواية وفي مقدمتهم سيفيل بوجناح وسميدع يجسدون ولادة نموذج إنساني جديد، يخترقه وعي الكاتب كتعبير عن تموقعه السياسي. ويمكن القول إن هذه الشخصيات/القناع كانت ملتبسة بموقف الكاتب إزاء أحداث لحظته التاريخية التي كان فاعلا فيها، فالعمل الروائي عند أحمدو ولد عبد القادر يتنزل في سياق التناص والتفاعل مع روايات الرواد العرب في مجال السرد التاريخي.

3- تقنيات استدعاء التاريخ الروائي

ويمكن بادئ بدء تلمس ثلاثة مستويات من حضور التاريخ في المدونة الروائية المدروسة في تقنيات " المحتمل " ، و " القناع " ، و " الحدث التاريخي " .

فقد استخدم الكاتب تقنية " المحتمل " في روايته: " القبر المجهول " و " العيون الشاحصة " ، فكانت هذه النصوص محاكاة ضمنية للقصة التاريخية القديمة في " وثائقيتها " من جهة، وتتناص مع سياقها التاريخي المعيش في " إحدائياته " من جهة أخرى.

وتكمن أهمية الشخصية القاعدية القائمة على تجريد مجموعة من المميزات/الثوابت الخاصة تاريخيا بفئة اجتماعية معينة، في قدرتها على مزج التاريخي بالمتخيل ضمن لعبة من التمهصلات، يعتبر القارئ طرفا رئيسا في تأسيسها، وبذلك يتم ربط جمالية الكتابة بفاعلية التلقي المتجددة بإبدالاتها التاريخية، وهو ما أشار إليه قاسم عبده قاسم في نصه التالي:

" هذا التداخل بين الأدب والتاريخ على صفحات الرواية التاريخية يستوجب المصالحة بين " الصدق الفني " و " الصدق التاريخي " ، وكلما نجحت هذه المصالحة زاد نجاح الرواية التاريخية ... " ².

فهذا التجريد هو أساس التمهصل ما بين أطراف الثالوث الركنية: الكاتب/النص/المتلقي، حسب ما حاول لويس مجرون (Louis Maigron) أن ينظر له في النص التالي:

" إن المشاعر والأفكار لم يعد لها من دور إلا أن تمثل مشاعر وأفكار الجماعة. كما أن الأفراد صاروا مجرد نماذج، وهم في الأساس نماذج تاريخية. " ³.

ويمكن على سبيل التمثيل، إسقاط بعض متضمنات المقبوس أعلاه على عناصر من مضامين المدونة محل النظر، ففي رواية " القبر المجهول " يمثل الأمير المحارب " شكرود " سيمياء الفارس النبيل في فئة حسان، أما " ديلول " فيمثل عبر مشاعره وأحلامه الحقد المكبوت لدى كل أفراد مجموعته (الزناقة) على فئات حسان والزوايا،

² قاسم عبده قاسم: الرواية التاريخية العربية: مرجع الكتروني سابق

³ Louis maigron: le roman historique à l'époque romantique : essai sur l'influence de walter scott. hachette, 1898. p: 45

بينما نهض الإمام سلامي، من خلال طموحه ومشاعره، بدور المسجد لسلوك لمرباط الزاوي وسماته الدينية المميزة. وهكذا يمكن القول، إن هذه الرواية تمكنت من جعلنا نعيش حقبة من حياة المجتمع الموريتاني القديم بكل طيفه الاجتماعي.

وتتميز رواية " الأسماء المتغيرة " بأنها تنشط إلى مرحلتين متداخلتين ومختلفتين؛ يهيمن على المرحلة الأولى تقنية المحتمل، أما الرحلة الثانية فيسودها تقنية القناع. كما تتميز أيضا بأن السارد هو أحد شخصيات قسمها الثاني، أو بمصطلح ج. جينيت: *homodiégétique*⁴. ويبرز فيها على مستوى شخصياتها خطان سرديان مختلفان، أحدهما تستقطبه شخصية سفيلى بوجناح، وهو شخصية متخيلة، وقد ساعد ذلك الكاتب على حرية المناورة، وعلى أن يسند لها أدوارا مختلفة، وأن تعكس تيمات *Thèmes* إنسانية غنية بدلالاتها الرمزية (المعاناة، التمرد، الإنسانية... .)، وهو ما جعلها ناظما محوريا، تتمفصل حوله مختلف التحولات الاجتماعية والسياسية والتاريخية، التي عكستها الرواية في مسارها المتعدد التعاريج، أما الخط السردى الثانى فقد تمحور حول الشخصيات/القناع (الطيب، بوعمامه، عالي شيخو... .) المشدودة إلى أدوارها السياسية، فشكلت إطلالاتها السردية بؤرا تاريخية، تتحدث عبر كرونولوجية الحدث السياسي (الصراع النقابي والحركي مع شركة مافيرما والحكومة... .)، وبذلك يطغى التاريخ على أدبية الرواية، فيصبح طافيا على السطح، ذا دلالة أحادية قائمة على الواقعة وموقعها الزمني الإحداثي. وهو ما يحيلنا عليه المسرودات المتعلقة بحوار المتدربين: " افتحوا الراديو لنسمع نشرة الأخبار المسائية... . " ⁵، وكذلك عرض البرنامج السياسي للحركة: " إن الخاصية الأولى للثورة التي نحن بصدها، أو بصدد نوعية الجماهير للقيام بتا بعبارة أصح فهي: أن حركتنا تختلف جذريا عن حركات المجاهدين والحرميين " ⁶.

من المؤكد، أن تحكم التاريخ " التوثيقي " في المسار السردى يحد من قدرة الكاتب على تحرير النص من هيمنته، ومن تركه ينمو وفق لعبة المحتمل والممكن، التي تقوم على كسر خطية الزمن القصصي، وفتح الحدث على كل احتمالاته الممكنة، بينما يقف السرد الوقائعي عائقا، بسبب التصاقه بالحدث التاريخي، في وجه هذه المرونة الخلاقة، التي تسمح للراوي بالانزياح عن موقع الكاتب، ومن ثم تتحرر الشخصية الروائية من هيمنتها معا، فإذا بها تتحدى سلطة الكاتب الإيديولوجية وما قبلات الكتابة، وتقصح مع تجربة التلقي عن رؤى ودلالات غير متوقعة، وتقضي في تجربتها الروائية إلى نتائج مغايرة لمواقف الكاتب البدئية الافتراضية.

ولتوضيح أبعاد هذه العلاقة الإشكالية، تقيدنا نماذج الرواية العربية ذات المنحى التاريخي، أن الكاتب الروائي والمسرحي يتمتع بعدة خيارات في صناعة شخصياته؛ فإما أن تكون هذه الشخصيات عيinat متخيلة في هويتها " الاسمية "، حاملة لسمات اجتماعية تاريخية واقعية (كشخصيات البنية الممثلة في روايتي القبر المجهول والعيون الشاخصة)، وإما أن تكون شخصيات واقعية ولكنها تحمل أسماء مموهة (كالشخصيات القناع: الطيب وأبو عمامة... . في رواية الأسماء المتغيرة)، وقد تكون شخصية تاريخية أو أسطورية يسند لها الكاتب أدوارا تخيلية، وهذا

⁴ Genette Gérard: figure III. édition du seuil, 1972, page: 252

⁵ ولد عبد القادر أحمدو: الأسماء المتغيرة. ط1، دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1981، ص: 144

⁶ الأسماء المتغيرة، ص: 163

النمط غائب في روايات المدونة، باستثناء شخصية " ديلول" ⁷ في " القبر المجهول".

ومن الملاحظ أن الشخصية الرمزية (التاريخية والأسطورية) هي مزيج من التاريخي والمتخيل، وهو ما يسمح للروائي أن يتوكل على حملتها السميوطيقية الذاكرية لمنحها وظيفة جديدة تربطها بالحاضر، وتفتح دلالتها الرمزية هامشا واسعا أمام المتلقي لإعادة إنتاج دلالتها ومنحها أبعادا جديدة.

وفي أفق هذه " المسرحة المؤرخنة" لشخصيات الرواية، فقد كان من الممكن بالنسبة لشخصية سيفيل بوجناح التخيلية أن تنتهي إلى مصير مختلف عن ذلك الذي انتهت به، وأن تتبنى مواقف غير تلك التي انحازت إليها، لكن تلك المرونة بالغة الصعوبة مع الشخصيات /القناع بسبب تقديمها عبر أدوار واقعية تاريخيا، مرتبطة بمواقفها السياسية، وأي تغيير في دور أحدها سيسري إلى باقي هذه الشخصيات، وهو ما سيحدث عنه انقلابات في حركات النص الروائي ومحصلة الدلالة النهائية المتولدة عن ذلك التحول والتبدل في ماهية الشخصيات الروائية. ويمكن تلمس الاختلافات الدلالية بين الشخصية /المحتمل والشخصية /التاريخية في الترسيمات التالية:

الشخصية/المحتمل: دال 1 + مدلول 1 = دلالة 1 مفتوحة، فتصير هذه الدلالة الأخيرة دالا جديدا: دلالة 1

(دال 2) + مدلول 2 = دلالة 2 . . . هكذا يستمر التوالد الدلالي connotation بمعانيه الحافة المفتوحة؛

أما في حالة الشخصية التاريخية فإن الدلالة تصبح أحادية dénotation على النحو التالي:

دال 1 + مدلول 1 = دلالة 1 (مغلقة).

فالدلالة في المعادلة الأولى تستند إلى تأويلات بعدية مبنية، تفتح أفقا قرائيا خصباً أمام المتلقي، يستمد مواردها التأويلية بالتعاون ما بين السياق الداخلي والسياق الخارجي، ومن زمنية النص بتغذيتها الراجعة، وتراكم المحمولات المتعلقة بشخصيات النص. كما هو الشأن مع شخصية سيفيل بوجناح، إذ لا تتضح معالم هذه الشخصية إلا بعد استعراض فصول عديدة من الرواية.

وفي حالة المعادلة الثانية تهض دلالة الشخصيات/القناع على معطيات قبلية ذاكرية، يعيد النص الروائي إنتاجها، مما يجعل القارئ بمثابة حكم يحد من حرية الكاتب في الخروج على نصية الخبر المسرود. وهو ما ينطبق على الشخصيات القناع التي يشبكها سياقها التاريخي بذاكرة القارئ، فتصبح لعبة التأليف والتفكيك، في سياق الهيمنة المسبقة للمعطى التاريخي، مندرجة في تحصيل الحاصل. ومن هنا كان الإخبار التاريخي بمثابة ضرب من التصوير الفوتوغرافي للواقع، فلا يضيف في الغالب إلا معرفة علمية تسجيلية بواقع معين، وهو ما يبرز الحد الفاصل بين علمية التاريخ وفنية الرواية.

ومن هذه المساجلة الضمنية بين الواقع والنص نخلص إلى التساؤل حول قدرة كل من المحتمل والتاريخي على تكوينية النص السردية، إذ يعمل التاريخي على طمس قسّمات أدبيته، بينما قد تقضي تقنية المحتمل التخيلي إلى خطر تزييف هويته الاجتماعية الواقعية وتهميشها. فكل من الوجهين يضع النص السردية في رهان إشكالي عند تنافسه مع التاريخ، إشكالية العلم والسرد، فحسب منظور ريكور للمسألة يمكن بسط المسألة على النحو التالي:

" كما أنه (ريكور) لم يرض بالحل الوسط الذي يقترحه ميشال دوسارتو Michel De Certeau وأتباعه بأن يكون للتاريخ وجهان أحدهما علمي والآخر سردي، فالتاريخ عنده عبارة عن سرد، لكنه سرد من نوع خاص وسردية

⁷ شخصية تاريخية تنتمي لشريحة الزناقة، اشتهرت بذكائها ونظراتها الصائبة، فأصبحت رمزا للحكمة الفطرية.

التاريخ لا تلغي وظيفته المزدوجة، فهو معرفة علمية لأنه ينتج حقائق حول واقع ما، وخيال سردي لأنه نتاج وظائف معقدة"⁸.

فهذا الوجه السردي لحكاية التاريخ أو التاريخ كحكاية هو ما يسمح للرواية أن تتمفصل مع التاريخ تضمينا واستيحاء. ولكن الإشكالية تتبع من تلاشي الحدود الفاصلة بينهما، فلا يمكن لنا أن نتصور كينونة النص السردي دون أدبيته القائمة على الإبداع التخيلي، التي هي لعب مفتوح على الممكن والمحتمل، وإعادة ترتيب نظام الأشياء، بما فيها التاريخ، بحرية خلاقة غير محدودة.

وقد تداخلت هذه الثنائية التاريخ المحض/السرد التاريخي الفني بثنائية تحديدية، يحاول أحد طرفيها أن يعرف القصة بموضوعها، بينما يعرفها الطرف الآخر بأسلوبها الفني (كنوع أدبي قائم بذاته)، وفي هذا السياق يعرف بول ريكور الحكاية كمتواليات من الوقائع، متجاهلا القسمة الفنية التي تموقعها بين الحكيم الخالص والدراما. وهو ما رفضه جيرارد جينت الذي أصر على أن خصوصية النص السردي كامنة في أسلوبيته (son mode) وليس في موضوعه، الذي يمكن أن يتم تمثيله دراميا، أو رسما، أو بأي شكل آخر⁹.

ومن كل ما سبق، تتضح المزالق التي قد تترتب على استخدام تقنية القناع، إذ تضيق المسافة ما بين الكاتب والنص، خصوصا عندما تكون تلك الأقنعة/المرايا لشخصيات واقعية لها علاقة بأحداث القصة الروائية، إذ تقوم بترهين السرد لحكي السيرة والاستعادة المحايدة لأحداث الماضي، وهي وإن ساهمت في تكوينية جسم الرواية زمنيا ووقائعا فإنها تفرغه من بعده الإيديولوجي، كرويا إنسانية عميقة حول سيرورة الماضي، وترهين ذلك كله للتأثير الإيجابي في كل من الحاضر والمستقبل.

وغير بعيد عن توظيف لعبة القناع في كتابة النص الروائي، تبرز تقنية استدعاء الحدث التاريخي (الإحالات التاريخية المباشرة) كومضات إحداثية اكرنولوجية في سياق السرد ذي الطابع الإخباري، وتعمل، هي الأخرى، على "تشذيب" امتدادات الدلالة "الأدبية"، والحد من خصوبة تأويلها النصي، مما يؤدي إلى تسطيح البعد الرمزي في الرواية التاريخية، وطغيان الخطاب التاريخي على فنية الرواية، فظهورها المفاجئ في مجرى النص يحدث انقطاعا عارضا في التعالق العضوي لمسارات السرد الروائي، وذلك على الرغم من دورها في ربط الأثر الأدبي باجتماعيته الخارجية.

وإذا كانت هذه التقنية شبه غائبة عن روايتي "القبر المجهول" و"العيون الشاحصة"، فإنها طغت على رواية "الأسماء المتغيرة"، فهذه الأخيرة جمعت بين مستويات مختلفة من تقنيات السرد (على مستوى هوية الراوي، ومسافة وجه النظر . . .)، ومن أنماط استحضار التاريخ (التخيلي والواقعي). ويتجلى ذلك في حضور وقائع معروفة (حرب المقاومة، وشخصيات وأحزاب معروفة في الساحة الموريتانية، . . .). ومهما يكن، فإنه يمكن القول إن هذه "الجرعات التاريخية" منحت النص الروائي ترمجعا أكثر واقعية والتحاما بفضائه التاريخي.

⁸ بلخن جنات: نظرية السرد التاريخي عند بول ريكور. جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، الجزائر، السنة الجامعية 2009 -

2010 ص: 83 - 84

⁹ كولاس ماتيوي ميشل Michel mathieu-colas: حدود السرديات frontières de la narratologie.

poétique n° 65, fév. 1986 éd. du seuil, p. 91-110p²

الخلاصة

لقد كشف النظر في الأنساق السوسيو- تاريخية على صعيد المدونة المدروسة، عن سعي الروايات الثلاث إلى رصد مظاهر التطور والتحول في مقاطع تاريخية متماسة ومتعاقبة من حياة المجتمع الموريتاني.

المصادر والمراجع:

1- ولد عبد القادر أحمدو:

- الأسماء المتغيرة. ط1، دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان

- العيون الشاخصة، ط1 مؤسسة سعيدان تونس 1999

المراجع العربية

2- إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر - ط 1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - 1978 - الكويت.

3- التلاوي محمد نجيب: الرواية العربية المتعددة الأصوات. منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000،

4- بلخن جنات: نظرية السرد التاريخي عند بول ريكور. جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، الجزائر، السنة الجامعية 2009 - 2010

5- حمداوي جميل: الرواية العربية ذات البعد التاريخي. مقالة منشورة في موقع "ندوة"، بالرابط التالي: <http://www.arabicnadwah.com/articles/riwaya-hamadaoui.htm>

تاريخ الزيارة: 15 - 11 - 2017، الساعة: 15.20

6- قاسم عبده قاسم: الرواية التاريخية العربية: زمن الازدهار. مقالة منشورة في المستقبل،

مراجع غير عربية

8- Genette Gérard: figure III. édition du seuil, 1972

9- Louis maigrin: le roman historique à l'époque romantique : essai sur l'influence de walter scott. hachette, 1898.

10- frontières de la narratologie , Michel Mathieu colas: poétique n° 65, fév. 1986 éd. du seuil

11- Michel vanoosthyse: le roman historique, mann, brecht, döblin, puf , 1996, p: 63

عنوان البحث

دور الكفاية اللغوية التواصلية في تعلم التاريخ

اميمة مسكين¹

¹ طالبة باحثة في سلك الدكتوراه، كلية علوم التربية، الرباط، المغرب.

بريد الكتروني: maskineoumaima6@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/18>

تاريخ القبول: 2024/02/20م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

تكتسب المفاهيم أهمية بالغة في بناء التعلّيمات واكتساب أدوات المعرفة ، فهي المجاز الذي يمكن المتعلم من الانتقال من المعرفة الملموسة الى الفكر المجرد، والمفاهيم التاريخية تشكل اللغة الاساس لدراسة وتعلم التاريخ . فالارتباط بين اللغة والمعرفة والفكر والتعلم وثيق من الناحية السيكو بيداغوجية، والتأكيد على هذا الارتباط ضمن وحدة مركبة، يضع الأداء اللغوي بشكل ملازم للأداء المعرفي، اذ يتضافر مع باقي الوظائف الذهنية والوجدانية والاجتماعية والثقافية المتعلقة بالمتعلم.

فاللغة تلعب دور مهم في انشاء وامتلاك المعرفة التاريخية والوصول اليها والتعامل معها والتعبير عنها ضمن المنعطف اللغوي للأبستمولوجيا المعرفة التاريخية، لكون الأداء اللغوي يعتبر اساسيا لتثبيت التعلم واثباته في نفس الوقت. ومن هنا تبرز ضرورة وأهمية الكفاية اللغوية التواصلية في التعلم بشكل عام وتعلم التاريخ بشكل خاص لكون هذا الاخير ليس تخصصا لغويا محضا الا ان الكفاية اللغوية التواصلية اصبحت رهانا أساسيا للدخول في مجتمع المعرفة العالمي، لقد حاولنا في هذا المقال ابراز دور الكفاية اللغوية التواصلية في تعلم التاريخ لما اصبحت تكتسيه من أهمية في التعلم والتعليم بصفة عامة وشاملة وتعلم التاريخ بصفة خاصة.

الكلمات المفتاحية: الكفاية التواصلية ، ديداكتيك التاريخ ، المفاهيم

RESEARCH TITLE

**THE SIGNIFICANCE OF COMMUNICATIVE LINGUISTIC
COMPETENCE IN LEARNING HISTORY****Oumaima Maskine¹**

¹ Doctoral research student, Faculty of Educational Sciences, Rabat, Morocco. Email: maskineoumaima6@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/18>

Published at 01/03/2024**Accepted at 20/02/2024****Abstract**

Concepts play a crucial role in the process of learning and acquiring knowledge, serving as metaphors that allow learners to transition from concrete information to abstract thinking. In the realm of learning history, historical concepts form the foundational language for studying and acquiring knowledge.

psychopedagogically speaking, there is a strong bond between language, knowledge, thought, and learning. Emphasizing this connection within a complex unit places linguistic performance in a position that aligns with cognitive performance, intertwining with other mental, emotional, social, and cultural functions relevant to the learner.

Language assumes a vital role in the creation, possession, access, engagement, and expression of historical knowledge. This is particularly evident within the linguistic framework of the epistemology of historical knowledge. Linguistic performance is deemed essential for consolidating and demonstrating learning simultaneously.

Consequently, the necessity and significance of communicative linguistic competence extend to learning in general, and learning history, in particular. Although history is not exclusively a linguistic specialization, communicative linguistic competence has become a fundamental asset for participation in the global knowledge society. In this article, we aim to underscore the role of communicative linguistic competence in learning history due to its overarching importance in learning and teaching, both broadly and specifically within the context of history.

Key Words: Linguistic and communicative competence, History didactics, Concept.

المقدمة:

تكتسب المفاهيم أهمية بالغة في بناء التعلم واكتساب أدوات المعرفة ، فهي المجاز الذي يمكن المتعلم من الانتقال من المعرفة الملموسة الى الفكر المجرد، والمفاهيم التاريخية تشكل اللغة الاساس لدراسة وتعلم التاريخ .

فالارتباط بين اللغة والمعرفة والفكر والتعلم وثيق من الناحية السيكو بيداغوجية، والتأكيد على هذا الارتباط ضمن وحدة مركبة، يضع الأداء اللغوي بشكل ملازم للأداء المعرفي، اذ يتضافر مع باقي الوظائف الذهنية والوجدانية والاجتماعية والثقافية المتعلقة بالمتعلم.

فاللغة تلعب دور مهم في انشاء وامتلاك المعرفة التاريخية والوصول اليها والتعامل معها والتعبير عنها ضمن المنعطف اللغوي للأبستمولوجيا المعرفة التاريخية، لكون الأداء اللغوي يعتبر اساسيا لتثبيت التعلم واثباته في نفس الوقت.

ومن هنا تبرز ضرورة وأهمية الكفاية اللغوية التواصلية في التعلم بشكل عام وتعلم التاريخ بشكل خاص لكون هذا الاخير ليس تخصصا لغويا محضا الا ان الكفاية اللغوية التواصلية اصبحت رهانا أساسيا للدخول في مجتمع المعرفة العالمي، لقد حاولنا في هذا المقال ابراز دور الكفاية اللغوية التواصلية في تعلم التاريخ لما اصبحت تكتسيه من أهمية في التعلم والتعليم بصفة عامة وشاملة وتعلم التاريخ بصفة خاصة.

الكفاية في اللغة:

الكفاية في اللغة هي شتيت من المعاني تمحورت حول القدرة والانتفاء والاستغناء وبلوغ الغاية، فأصل الكلمة كما ذكر ابن فارس: "الكاف والفاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على الحسب الذي لا مُستزاد فيه، يُقال: كفاك الشيء يكفيك. وقد كفى كفاية إذا قام بالأمر" (ابن فارس، 1979)، وقال الفيومي: "كفى الشيء يكفي كفاية فهو كافٍ إذا حصل به الاستغناء عن غيره، واكتفي بالشيء استغنيته به أو قنعته به" (الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي) فبلوغ المرء حد الكفاية في شيء يدل على تحقيقه الغاية منه واستغنائه، فيكون بذلك مؤهلاً لما يتصل بذلك الشيء من مُتطلبات أو أمور، فهي "أفضل مستوى يحتمل أن يصل إليه الفرد، إذا حصل على أنسب تدريب أو تعليم، وقد تُسمى الاقتدار (Capability)"(شحاتة، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، ص246).

و جاء في لسان العرب كفى يكفي كفاية إذا قام بالأمر ويقال كفاك هذا الأمر أي حسبك وكفاك هذا الشيء , وفي الحديث من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه , أي أغنتاه عن قيام الليل , ويقال كفاه الامر إذا قام فيه مقامه.(ابن منظور، معجم لسان العرب ج15).

و تعرف الكفاية بتعاريف مختلفة ومتعددة حسب وجهات نظر الباحثين الى صياغتها وتوظيفها، فتعرف بأنها مجموعة من المعارف والمهارات والقدرات والاتجاهات التي ينبغي ان يمتلكها المعلم ويكون قادرا على تطبيقها بفاعلية واتقانها اثناء التدريس ويتم اكتسابها من خلال برامج الاعداد قبل الخدمة والتدريب والتوجيه أثناء الخدمة (السليمانى،التواصل التربوي،ص78).

الكفايات هي قدرات مكتسبة تسمح بالسلوك والعمل في سياق معين ، ويتكون محتواها من معارف ومهارات وقدرات واتجاهات مندمجة بشكل مركب ، كما يقوم الفرد الذي اكتسبها بإثارتها وتجنيدها وتوظيفها قصد مواجهة مشكلة ما وحلها في وضعية محددة.

الكفاية في قواميس التربية:

وجدنا في تصفحنا لبعض قواميس التربية ان تعريف الكفاية في مجال التربية يعرف تفاوتاً فيما بينها في إدراجها لمفهوم الكفاية ضمن موادها ، من حيث الأهمية والحيز المخصص لها.

فحسب القاموس التربوي لفولكيي 1971 - P . Foulquié ، فإن كلمة Compétence مشتقة من اللاتينية Competens من الفعل Competer أي : الذهاب - aller - مع Cum avec بمعنى الملاءمة مع والمرافقة . " إن الكفاية هي القدرة capacité سواء القانونية أو المهنية المكتسبة ، لإنجاز بعض المهام والوظائف والقيام ببعض الأعمال " .

و في منجد التقويم والبحث التربوي ، يقدم ج . دولاندشير G . de Landsheere ، تعريف للكفاية ينطلق من المفهوم الذي يقدمه تشومسكي والذي يعتبرها " القدرة لدى الأفراد ، على إصدار وفهم جمل جديدة " . إن الكفاية في الاستعمال التشومسكي تعني المعرفة الضمنية والفطرية Innéé التي يمتلكها جميع الأفراد عن لغتهم " ، إن النظام المستبطن (المتعلم) للقواعد المتحكممة في هذه اللغة ، يجعل الفرد قادراً على فهمها وعلى إنتاج عدد لا نهائي من الجمل " .

و في قاموس اللغة الذي أشرف على إنجازه سنة 1979 ، كاستون ميالاري G . Mialaret ، فإن كلمة Compétence مشتقة من اللاتينية القانونية : Competentia والتي تعني العلاقة الصحيحة Juste rapport .

إن الكفاية هي حصيلة الإمكانية Aptitude أو الاستعداد ، في حين أن القدرة Capacité أو المهارة Habilité تحيل على تأثير الوسط بصفة عامة وخاصة التأثيرات المدرسية من خلال إنجازات الفرد .

كما يعرف القاموس الموسوعي للتربية والتكوين ، الكفاية بأنها الخاصية الإيجابية للفرد والتي تشهد بقدرته على إنجاز بعض المهام ، ويقرر بأن الكفايات شديدة التنوع فهناك الكفايات العامة Compétence générales أو الكفايات القابلة للتحويل Transférables والتي تسهل إنجاز مهام عديدة ومتنوعة ، وهناك الكفايات الخاصة أو النوعية Compétences spécifiques والتي لا توظف إلا في مهام خاصة جداً ومحددة ، كما أن هناك كفايات تسهل التعلم وحل المشاكل الجديدة ، في حين تعمل كفايات أخرى على تسهيل العلاقات الاجتماعية والتفاهم بين الأشخاص ، كما أن هناك بعض الكفايات تمس المعارف في حين تخص غيرها معرفة الأداء أو معرفة حسن السلوك والكينونة.

(<http://www.khayma.com/almoudaress/educ/Kifayat002.htm>)

الكفاية اللغوية والكفاية التواصلية:

الكفايات عديدة ومتنوعة الا اننا هنا سنتخصص في الكفاية اللغوية والكفاية التواصلية لكونها المنطلق الاساسي لهذا المقال، فالكفاية اللغوية تبقى كسائر المصطلحات لا يمكننا تمثيلها بتعريف واحد، حسب علم النفس هي القدرة التي يمتلكها المتحدث والمستمع للغة معينة لكي ينتج ويفهم عددا غير محدود من الجمل الصحيحة نحويا، وتدل الكفاية في الواقع على المعرفة الضمنية للغة، أي النظام المستبطن للقواعد الذي يشكل مجموعة القواعد النحوية لتلك اللغة (دورون، بارو، موسوعة علم النفس، ص220).

وتعني عند براون المعرفة الضمنية لنظام اللغة وقواعدها ومفرداتها وكل أجزائها وكيف تتضام هذه الأجزاء معا (دوجلاس، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص44)، أما تشومسكي فإنه يعتبر "الكفاية هي القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود من الفونيمات الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعها من وجهة نظر نحوية تركيبية، ثم القدرة على الربط بين الأصوات المنتجة وتجميعها في مورفيمات تنتظم في جمل، والقدرة على ربطها بمعنى لغوي محدد" (القيسي، العربية الفصحى مرونتها وعقلانيته واسباب خلودها، دار البداية، ص47)، والكفاية اللغوية في نظر تشومسكي هي القدرة على إنتاج العديد من الجمل والعبارات بالاعتماد على عدد معين من الحروف وإنتاج السياقات الجديدة والمختلفة، وتشومسكي هو من جعل اللغة من وظائف العقل البشري وإنتاجه، ولم يفصل اللغة عن المجتمع الذي يعيش فيه الكائن البشري بل يرى أن اللغة هي عبارة عن مجموعة من الجمل التي تتركب من العناصر المحددة، كما اعتبرها عملة توليدية فعالة في ذهن البشري، قادرة على الخلق والإبداع اللغوي المنظم من خلال قانون نحوي عام في اللغات البشرية كافة (ياقوت، سليمان، أسس اللغة العربية لطالب الجامعات، ص21)، ومن هنا ظهر النظام اللغوي الذي يحقق الكفايات اللغوية والتواصلية، فاستجابة المتعلم عند إثارته من خلال سياق لغوي معين يعتبر أداء لغويا يشتمل على عناصر اللغة كالمفردات والتراكيب والأصوات ويراعي التكامل المعرفي بين الكفايات.

فهذا ما يجعل الكفاية اللغوية لشخص ما تمكنه من إكتساب اللغة وتحصيل المهارات بشكل جيد إذن فالكفاية اللغوية للفرد حسب تشومسكي هي اقتداره واستغنائه في الجانب اللغوي فقد إعتبر الكفاية اللغوية على أنها القدرة على إنتاج عدد لا متناهن من الجمل إستنادا على معرفة ضمنية مسبقة في ذهن المتكلم بقواعد لغته (ميشال، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 125).

و تتحقق الكفاية اللغوية بالأداء الكلامي وهو التطبيق الفعلي لهذه الكفاية فانها تتعدي عملية إكتساب اللغة لتتقف عند مرحلة ثانية وهي مرحلة تناول هذه اللغة، فكل الأفراد لديهم الكفاية اللغوية التي تمكنهم من أداء كلامي على وجه صحيح في حين لا يتمتع كلهم بأداء عال يضمن لهم إتقان المهارات اللغوية المختلفة من قراءة وكتابة وتحديث وخطابة وحسن إستماع واستيعاب، فهذه المهارات لا تحققها عملية إكتساب اللغة إنما تتأتى بالممارسة والمراس (عودة، المعلم: تأهيله وتدريبه لتحقيق الكفاية اللغوية، ص 19).

وقد عرف معجم المصطلحات التربوية والنفسية الكفاية بشكل عام أنها امتلاك المعلم مجموعة من المعارف والمهارات والقدرات والمفاهيم والإتجاهات، التي يمكن اشتقاقها من أدواره المتعددة، وهي أداء عملي يمكن

ملاحظته وتحليله وتفسيره وقياسه (النجار، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، ص245)، فهذه المعارف والمهارات والقدرات هي المبتغى تحقيقها من الكفاية اللغوية بشكل ينعكس على اللغة ومستوياتها المختلفة ومهاراتها، لما تتوفر عليه هذه المهارات من أهمية بالغة في عملية التواصل الأكاديمي، ويعد غيابها عائقاً في العملية التعليمية سواء كان ذلك من المعلم أم من المتعلم وهذا ما يفسره الدكتور عبد المنعم بدران في تعريفه الاجرائي للكفاية اللغوية اد اعتبرها درجة المهارة التي يتمكن بها الطالب من استخدام اللغة العربية لغرض محدد، مثل اتقانه المفردات اللغوية والقراءة الناقدة والقواعد النحوية والتذوق الادبي والاملاء والاستماع.(بدران، مهارات ما وراء المعرفة وعلاقتها بالكفاءة اللغوية، ص63)، هذا ما يبين ان مستوى اتقان وتحقيق الكفاية اللغوية نسبي وليس له مقياس محدد.

اما الدكتور نهاد الموسى فيشخص الكفاية اللغوية بكونها : "قُدرة تواصلية تتجلى في وجوه الأداء الوظيفي وتتمظهر في القراءة بالعربية قراءة جهريّة، جارية على وفق القواعد المتقدّمة شفّافة عن متباينات المعاني، تتأتّى عن الرتبة وتُتَبَيّن في قراءة صامتة لَمَاحة واستماع مُتَيْقِظ وتعبير شفويّ رشيق طبيعيّ عفويّ مُقنّع، وتعبير كتابيّ موافق للمقام مستقيم على قواعد العربيّة جميعاً (الموسى، الأساليب مناهج ونماذج في تعليم اللغة العربية، ص124).

ولا يتوقّف تحقيق التواصل على هذه المهارات فهو متحقّق بها وبدونها، غير أنها مهارات ذات أهميّة بالغة في عملية التواصل الأكاديمي أو التعليمي، ويعدّ غياب أحدها عائقاً في العملية التعليمية سواء أكان ذلك من المعلم أم من الطالب، لذا شمل تعريف الدكتور الموسى هذه المهارات بوصف الوجه الصحيح لكلّ منها.

و الكفاية التواصلية هي مجموعة من القدرات التي تمكن الفرد من استعمال اللغة والتواصل بها في مواقف اجتماعية معينة وفي سياقات محدّدة(محمدي، من الكفاية اللغوية الى الكفاية التواصلية مقارنة تعليمية في ضوء الاتجاهين التوليدي التحويلي والتواصل، ص3).

وقد ارتبط مفهوم الكفاية التواصلية بدليل هايمز (Dell Haymes) الذي وظف هذا المفهوم لمناهضة النزعة الاختزالية والطابع القبلي للكفاية اللساني، لقد تبين له أن الكفاية اللسانية قاصرة، لأنها تتعلق فقط بآليات اشتغال النسق اللساني والقدرة على إنتاج ملفوظات صحيحة نحويًا، وهذا النوع من الكفاية يظل قاصراً ما لم يتم تكييف هذه الملفوظات مع مختلف السياقات السوسيوثقافية فالكفاية التواصلية هي تلك المعرفة اللسانية والتداولية التي يحتاجها الممارسون لتفعيل انخراطهم في مختلف العمليات التواصلية. إلا ان نجاح هذا التفعيل رهين بمجموعة من الضوابط والمقتضيات التي تمكن من تكييف الخطابات مع مختلف الوضعيات التواصلية والعوامل الخارجية المتحركة فيها، ولا يقتصر مفهوم الكفاية التواصلية عند هايمز على معرفة قواعد اللغة وأنساقها، وإنما يتعلق بمعرفة كيفية استعمال هذه اللغة في السياق الاجتماعي"، ولذلك يتحقق الفعل التواصل في التعليمي الناجح ليس استناداً إلى معرفة بنية اللغة، وإنما على أساس مراعاة قواعد استعمال هذه اللغة وفق شروطها الاجتماعية وضوابطها السياقية"(ابن الرازي، تعليم اللغة وتعلمها والتواصل التربوي والثقافي، مقارنة نفسية تربوية ص 13).

تتميز الكفاية التواصلية بمجموعة من الخصائص أهمها أنها قدرة عامة لا ترتبط بموضوع معين، كالقدرة على الحفظ التي تشمل كل ما يمكن حفظه، ولا تقتصر على حفظ الشعر والأمثال أو القواعد والصيغ و يتطلب تحصيلها واكتسابها وقتاً طويلاً وإنما يقصد بها هايمز مجموع المعارف والاستعدادات التي يجب أن يتخذها أي شخص حتى يتسنى له استعمال كل الأنظمة السميائية التي تكون في متناوله باعتباره عضواً في مجتمع معلوم اجتماعياً وثقافياً، إنها أوسع مجالاً من القدرة اللغوية، بل إن القدرة التواصلية تشتمل على القدرة اللغوية وبالتالي فإن غاية دراسي اللسانيات كما يقول هايمز يجب أن تكون كالاتي: "تفسير حقيقة أن الطفل الطبيعي يكتسب المعرفة بالتركيب، وهي ليست المعرفة بقواعد هذه التركيب بل الاستخدام المناسب لهذه التركيب أيضاً، من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية: من يتكلم؟ ومتى يتكلم؟ وما الذي يتكلم عنه وأين؟ وكيف يتكلم عنه؟، أو بعبارة أخرى امتلاك قائمة هائلة من الأفعال الكلامية التي يستخدمها في كل الأحداث الكلامية (رايخ، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، ص209).

وقد اختلف الدارسون في تحديد مفهوم الكفاية التواصلية فشليرنجز (1971) Chleranges وطروديل (1978) Troudil يستعملانه مثلاً للدلالة على معرفة لغوية ومعرفة نحوية تتعلقان باستعمال اللغة وفهمها. و تدل حسب ريكسون (1981) Rikson على معرفة بنيات اللغة ومعرفة مبادئ استعمالها مستثنياً من هذه المعرفة ما يتعلق بعمليات التأويل التي يستدعيها التفاعل الحوارية (رايخ، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، ص209).

وقد اتخذ مفهوم الكفاية التواصلية آفاقاً جديدة أمام علوم التربية خاصة في تدريس اللغات، إذ انكب الباحثون في علوم التربية على تحديد مسار تنمية الكفاية التواصلية من خلال تجزئتها إلى مكونات قابلة للتشخيص والتنمية والتقويم والمعالجة.

لقد توسع مفهوم الكفاية مع بيداغوجيا الإدماج ليشمل الانجاز الذي اكتسب هذا المفهوم وأزال عنه أساسه العقلاني، فتحول مفهوم الكفاية إلى مفهوم قابل للبناء والاكتساب والمعاينة والتقويم والدعم.

وفي السياق نفسه يرى دوكتيل (1996) Ducteil أن الكفاية هي مجموعة من القدرات والأنشطة التي تطبق على المحتويات في إطار فئة معينة من الوضعيات من أجل حل المشكلات التي تطرحها تلك الوضعيات، فالكفاية بهذا المعنى افتراض قابل للاكتساب والمعاينة والتحقق والإنجاز، وهي حصيلة تحكم المتعلم في الكفاية وتفعيلها في إنتاج مهام معينة (سهول، تقويم الكفاية التواصلية، ص85).

إن هذا المفهوم الجديد الذي قدم للكفاية جعل المقاطع والوحدات التعليمية لم تعد مجرد أجزاء ضمن سلسلة من الأهداف التعليمية الملزمة للجميع بقدر ما أصبحت وحدات ومقاطع للتكيف أثناء بناء الكفاية مع مختلف الأحوال والمتغيرات المرتبطة بخصوصية المتعلمين والمتعلمات إنها إذن بناء وتنمية للذات المتعلمة بتأطير من المدرس اعتماداً على تخطيط مرن ومتدرج بإحكام. وانطلاقاً من هذا لم تعد المعارف ذات أهمية إلا باعتبارها نظاماً من الموارد القابلة للتعبئة والتفاعل مع مختلف الأنماط الأخرى، ومن ثمة التكيف مع مختلف الوضعيات، فالإنسان الكفء حسب كزافي روجرز (Xavier REGIERS) هو القادر على مواجهة المنتظر على حد سواء (مساعد،

مفهوم الكفاية من اللسانيات الى بيداغوجيا الادماج، ص139).

يتضح إذن أن الكفاية لا تتعلق بحل وضعية من الوضعيات أو مشكلة من المشكلات في الدرس وإنما تتعلق بقدرة المتعلم على التعامل مع مختلف الوضعيات التي تواجهه في الحياة وهذا ما يؤكد الباحث محمد مساعدي بقوله "الكفاية ليست مجرد حل مشكل من سلسلة من الأهداف التعليمية، وإنما هي بناء وتنمية المتعلم بتأطير من المدرس اعتمادا على تخطيط مرن ومتدرج بإحكام".

لقد طرأ تعديل على تنظيم مفهوم القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية والتي أصبحت تتألف من خمس ملكات هي:

الملكة اللغوية الملكة المنطقية الملكة المعرفية الملكة الإدراكية والملكة الاجتماعية، ويقترح سيمون ديك بناء على هذا التصور للقدرة التواصلية أن يصاغ نموذج مستعمل اللغة الطبيعية في شكل جهاز يتكون من خمسة قوالب القالب النحوي، القالب الاجتماعي، القالب المعرفي القالب المنطقي، القالب الشعري والقالب الإدراكي يضطلع كل قالب منها برصد ملكة من الملكات التواصلية (المتوكل، قضايا اللغة في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، ص23).

تسهم هذه القوالب بنسب مختلفة في تأويل الجمل وإنتاجها حسب نوعية الخطاب وإن انصبت الدراسات الوظيفية في تفصيل كيفية اشتغال القالب النحوي الذي يحضر في جميع حالات التواصل اللغوي، ويمثل القالب المركزي، بينما القوالب الأخرى بمثابة مخازن تمده بما يحتاجه من معلومات.

يترتب عن هذا الطرح اعتبار القدرة التواصلية قدرة شاملة وواحدة تتضمن أمرين هاميين هما: أ- لا تنحصر قدرة مستعملي اللغة الطبيعية في معرفة القواعد الصرفية التركيبية والصوتية والدلالية بل تتعداها إلى معرفة القواعد التداولية (سهول، تقويم الكفاية التواصلية، ص85).

تسهم هذه القوالب بنسب مختلفة في تأويل الجمل وإنتاجها حسب نوعية الخطاب وإن انصبت الدراسات الوظيفية في تفصيل كيفية اشتغال القالب النحوي الذي يحضر في جميع حالات التواصل اللغوي، ويمثل القالب المركزي، بينما القوالب الأخرى بمثابة مخازن تمده بما يحتاجه من معلومات.

يترتب عن هذا الطرح اعتبار القدرة التواصلية قدرة شاملة وواحدة تتضمن أمرين هاميين هما:

أ- لا تنحصر قدرة مستعملي اللغة الطبيعية في معرفة القواعد الصرفية التركيبية والصوتية والدلالية بل تتعداها إلى معرفة القواعد التداولية.

ب- لا تنهض بعملية التواصل القدرة اللغوية الصرف وحدها بل تسهم فيها قدرات أخرى منطقية ومعرفية واجتماعية (أيت اوشان، اللسانيات والديداكتيك نموذج النحو الوظيفي من المعرفة العلمية الى المعرفة المدرسية، ص38).

للكفاية التواصلية مجموعة من المكونات حددها ديل هايمز في أربعة مكونات في حين رأى أبوين 1980 أنها تتكون من خمسة مكونات، أما كانال وسواين Canale & Swain فقد جعلها أربعة مكونات في نموذج بديل

لنموذج ديل هايمز، وهذه المكونات هي:

- الكفاية اللغوية / النحوية بما تتضمنه من قواعد صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية.
- الكفاية اللغوية الاجتماعية وتعني استعمال اللغة في سياق الظروف والمواقف والعلاقات الاجتماعية والثقافية، إذ لابد من مراعاة السياق الاجتماعي للاستعمال وامتلاك القواعد الاجتماعية والثقافية بما يوافق الخطاب، وذلك مثل دلالة الأمر عند البلاغيين.
- الكفاية الخطابية : وتعني قدرة الفرد على تحليل الخطاب بمختلف أشكاله وفهم بنية الكلام وإدراك العلاقة بين عناصره، ويدخل في صنف الكفاية التخاطبية كل ما يعين المتخاطبين على استخدام الجمل اللغوية وتأويلها تأويلاً سليماً يراعي عناصر السياق.
- الكفاية الاستراتيجية: وتعني قدرة المتكلم على اختيار أساليب الحديث واستراتيجياته اللفظية وغير اللفظية المناسبة للمواقف والوضعية التواصلية لتدارك الخل الذي قد يحول بين إتمام عملية التواصل سواء تعلق الأمر بمتغيرات الأداء أو نقص الكفاية التواصلية، والقدرة على إدارة الحديث (محمدي)، من الكفاية اللغوية إلى الكفاية التواصلية مقارنة تعليمية في الاتجاهين التوليدي التحويلي والتواصل (ص4).
- و من هنا يمكننا ان نستنتج ان الكفاية التواصلية لا تعني القدرة على استيعاب نظام اللغة أو استعماله فحسب، بل تتعدى ذلك كونها عملية تتسم بطابعي الفردية والاجتماعية: فهي فردية حين تتعلق بالأساليب الخاصة بالفرد لمواجهة الوضعيات، واجتماعية حين تتعلق بالسياق والمواقف التي يتم فيها التواصل (التومي، الجامع في الديدكتيك اللغة العربية، ص82).
- ونجد ان للكفاية التواصلية مجموعة من الخصائص التي ترتكز عليها من أهمها:
- هي مفهوم يمتاز بالتفاعل بين أطراف العملية التواصلية ففي العملية التعليمية التعلمية على سبيل المثال تكون بين المرسل والمرسل إليه أي بين المعلم والمتعلم أو بين المتعلم وأقرانه، ومن هذا المنطلق تستمد حركيتها التواصلية والتفاعلية بين الأطراف المذكورة عوض اقتصرها على التواصل الذاتي مما يظهر ان الكفاية التواصلية تتجسد في وضعيات تواصلية مختلفة وفي كل نوع من أنواع اللغة سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة.
- للسياق دور هام لا يمكن إغفاله في إطار النظرة التواصلية عامة والكفاية التواصلية خاصة فكما أنه لا يمكن حصر المواقف التواصلية فإنه من الضروري مراعاة السياق ومراعاة ملابسات الخطاب ومقاماته، ومن ثم اختيار الأساليب المناسبة واللغة المساعدة على التواصل في تلك المواقف (التومي، الجامع في الديدكتيك اللغة العربية، ص82).

اذن فالكفاية التواصلية لا تعني قدرة الفرد على إنتاج جمل صحيحة والالتزام بالقواعد اللغوية نحواً وصرفاً فحسب، بل تعني بالإضافة إلى ذلك القدرة على التصرف في بنى اللغة بطريقة تناسب الوضعيات الواقعية الحقيقية،

والمواقف الاجتماعية التي يتم فيها التواصل، وهو ما يقتضي بالضرورة القدرة على التكيف لغويا مع الوضعيات التواصلية السائدة في مجتمع معين، واحترام المعايير والصيغ التعبيرية المتوافقة عليها داخل ذلك المجتمع (محمدي)، من الكفاية اللغوية الى الكفاية التواصلية مقارنة تعليمية في ضوء الاتجاهين التوليدي التحويلي والتواصلية (ص4).

أدى ظهور المدرسة التداولية والاتجاه التواصلية والوظيفية التي اتخذت استعمال اللغة ومراعاة سياق التخاطب ومقاماته إلى إعادة النظر في مفهوم الكفاية اللغوية ، إذ أضحت غير كافية ومن ثم فإن الاتجاه التواصلية دعا إلى توسيع دائرة الاهتمام من الكفاية اللغوية إلى الكفاية التواصلية في إطار مقارنة وظيفية تجعل الاستعمال اللغوي أولى أولوياتها وركيزة من ركائز تعلم اللغة.

- تتضمن الكفاية التواصلية معرفتين: معرفة لغوية صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية ومعرفة مكتسبة من توظيف اللغة في سياقات اجتماعية وثقافية (محمدي)، من الكفاية اللغوية الى الكفاية التواصلية مقارنة تعليمية في ضوء الاتجاهين التوليدي التحويلي والتواصلية (ص9).

ان الكفاية لا تقتصر على مستوى لغوي واحد، فهي تشمل الكفاية في القراءة والكتابة والمحادثة والاستماع والخطاب الارتجالي، وهذا يعني أن تحقيق الكفاية اللغوية في القراءة يختلف عنه في الكتابة، بما يقتضيه كل جانب من أدوات ومهارات وطريقة التعلم، وليس ثمة إجماع على أقسام الكفاية اللغوية؛ إذ رأى بعضهم أنها تنقسم إلى أربع مهارات لغوية؛ وهي الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، ومهارتين غير لغويتين وهما فهم رموز اللغة وإنتاجها على هيئة إشارات (هامرلي، النظرية التكاملية في تدريس اللغات ونتائج العملية، ص76).

علاقة الكفاية اللغوية بالمفهوم التاريخي:

ترتكز الكفاية اللغوية على اللغة واللغة نظام تعبير لفظي عن الفكر، والفكر هو اسم لعملية تردد القوى العالقة المفكرة في الإنسان وبين اللغة والفكر علاقة فهي استفاضة فكرية وكمية لبناء هذا الفكر، والتفكير المفهومي اي المعتمد على المفاهيم لابد وان يرتبط بها، وتدرّس التاريخ ينبي على مجموعة من المفاهيم.

ومن هنا فالمفهوم التاريخي هو كل تعبير تجريدي مختصر يشير الى مجموعة من الحقائق والافكار، والمفاهيم التاريخية التي تندرج ضمن القضايا المنهجية والابستمولوجية في المعرفة التاريخية.

يعرف المفهوم في احد المعاجم الفرنسية بكونه تمثل عام ومجرد لموضوع ما او مجموعة مواضع لها خصائص مشتركة، (le robert micro, 1998p258)، فحسب المعجم الموسوعي الكبير Grand dictionnaire encyclopédique: "المفهوم فكرة عامة ومجردة يكونها الفكر الانساني عن موضوع ملموس او مجرد، والذي يمكنه من ربط هذا الموضوع بمختلف الادراكات التي لديه وتشكل المعرفة انطلاقا من ذلك" (Grand dictionnaire encyclopédique tome 4 librairie , p 277

اما فولكيي Folquié فيعرف المفهوم بقوله "على عكس الفكرة التي تنتمي الى اللغة العامة فان المفهوم تقنية، ولهذا السبب له معنى محدد، ومن ناحية ثانية فالمفهوم ذو صبغة موضوعية ، وتتراوح عملية الفكر بين

الانطلاق من المفهوم الى الواقع ومن الواقع الى المفهوم.

(Foulquié, dictionnaire de la langue philosophique, pp112,113)

نستنتج من هذه التعاريف القاموسية ان المفهوم عبارة عن تمثيل عقلي مجرد ورمزي ذو دلالة يتضمن خصائص مشتركة ويعتبر ثمرة للإدراك والتصور.

اما التعاريف الاصطلاحية نجد ان ماري بارت Britt Marie-barth تقول "ان النموذج الاجرائي للمفهوم، باعتباره أداة بيداغوجية، يقتضي فحصه وتحديد صفاته حسب استعمال محتواه المعد للتعلم وهذا النموذج يتقاضي التعريفات الجامدة والمغلقة ويتقرب من المتعلمين بشكل دينامي، فليس المحتوى المجرد في برنامج رسمي هو المهم، لكن المهم هو طريقة استعماله والتفكير به لإعطائه معنى في مجال محدد" (Britt Mari-barth (L'apprentissage de l'abstraction, p.113).

و نجد كذلك المفاهيم المتقاربة ومنها المعنى العام Notion الذي يتداخل مع المفهوم:

فالمعنى العام معرفة حدسية وعامة لكنها لا تتحو نحو العلمية ، ويختلف عن المفهوم بكونه تمثيل عقلي يختزل الخصائص الأساس لموضوع معين فهو اذن مجرد ومنفصل عن معناه المحسوس والواقعي (Le Robert (Micro, pp.258 et 888).

لا تكفي التحديدات القاموسية ولا حتى التحديدات في علوم التربية، بل لابد من الغوص في المفهوم ضمن اطاره المنهجي والابستمولوجي من أجل استجلاء خصوصيته في حقل المعرفة التاريخية.

حينما نتحدث عن المفاهيم في حقل المعرفة التاريخية تعترضنا اشكالات تتمثل في مشروعية الحديث عن المفاهيم التاريخية.

ان هذه الاشكالية تتبع أساسا من الفارق الناتج عن وضع المفهوم في حقل المعرفة العلمية الدقيقة والمعرفة الفلسفية من جهة ووضعه في حقل المعرفة التاريخية من جهة اخرى (صهود، البعد المنهجي والابستمولوجي فالمعرفة التاريخية ص16،15).

ان المعرفة التاريخية هي معرفة تنزع نحو التخصيص فبالرغم من كون المفاهيم التي يستعملها المؤرخ تنتمي الى المفاهيم العامة التي يستعملها الباحثين في باقي التخصصات الا انه يستعملها في سياق خاص على عكس العلوم الحققة والفلسفة التي تنزعان نحو التعميم بواسطة القوانين الصارمة في المعرفة العلمية، وبواسطة البحث عن المبدأ التفسيري الأول في الفلسفة، كما ان توظيف مفاهيم عامة لتحليل الأوضاع التاريخية الخاصة والخاضعة لتحولات الزمن يؤدي الى ازدياد انتاج المفاهيم في حقل المعرفة التاريخية، مما ينتج عنه اعمال لفكر المؤرخ وذاتيته التي تسهم في تطور هذه المعرفة.

تكتسي قضية المفاهيم طابع التلازم مع المعرفة التاريخية، اذ يتعذر انتاج تاريخ يتضمن معقولة ما دون توظيف المفاهيم بل دون انتاجها.

ان المفاهيم حاضرة طوال مسار الفكر التاريخي حسب مصطفى حسني ادريسي، فهي تقود البحث بحيث تلهم

المؤرخ إشكاليته وتتيح له توجيه ملاحظاته وتساؤلاته (حسني ادريسي، الفكر التاريخي وتعلم التاريخ، ص 144)، وأداة للمباعدة عن التاريخ السردي، كما تتيح التحليل وتؤدي أيضا الى تحويل المادة العمياء للوثائق الى مادة مبنية.

و المفاهيم أنواع منها الواردة من مختلف الحقول المعرفية الأخرى او التي يرتبط انتاجها بحقل المعرفة والممارسة المنهجية التاريخية، ونجد مجموعة من التصنيفات لهذه المفاهيم التي يتم ممن خلالها القيام بتركيب وتحديد المفهوم الأكثر ارتباطا بالممارسة المنهجية التاريخية، من بين هذه التصنيفات نجد تصنيف مارو ، تصنيف بول فاين ، تصنيف بول ريكور، تصنيف عبد الله العروي، تصنيف مونيرو، وتصنيف مصطفى حسني ادريسي مما يجعل وضعية المفهوم في المعرفة التاريخية اشكالية معقدة لكون المؤرخ يوظف في بناء المعرفة التاريخية مفاهيم ذات اصول وامتدادات متنوعة بعضها مستمد من العلوم الاجتماعية وبعضها من الحياة العامة وبعضها الاخر من التاريخ نفسه أو الممارسة التاريخية المنهجية. ومن بين ابرز انواع المفاهيم نجد ما يسمى عادة بالمفهوم الجامع، وهو مفهوم يختزل معطيات تاريخية ممتدة زمنيا ومجاليا، وقد يتماهى احيانا مع المفاهيم التحقيقية، وهو الأكثر ارتباطا بالمعرفة التاريخية.(صهود، ، البعد المنهجي والابستمولوجي فالمعرفة التاريخية ص،29)

و بالتالي فالمفهوم هو محور العملية التعليمية في تدريس التاريخ ويعتبر ايضا احد المكونات الرئيسية للغة التاريخية، وبما ان الكفاية اللغوية التواصلية في المدرسة لا تتطلب فقط تطوير المعرفة بالأنساق اللسانية باللغة، وانما القدرة على استعمال اللغة كأداة للتعلم، والقدرة على استعمالها بكيفية مناسبة في مختلف السياقات والتخصصات.

ان الكفاية ملازمة لكل التخصصات الدراسية وهذا ما يؤكد ضرورة وضع اللغة في مركز المناهج الدراسية باعتبارها جهازا للتعلم الفعال، اذ لا تقتصر تنمية الكفايات اللغوية التواصلية على التخصصات اللغوية فقط، وانما تشمل التخصصات الغير اللغوية باعتماد مقاربات ومداخل جديدة في تعلم اللغة وتعليمها، اذ يتم ربط مختلف وجوه استعمال اللغة بالتعلم وفنونها باعتبارها جهازا للتعلم الفعال أشرنا سبقا، ولان محددات الفكر والمعرفة الاجتماعية وثقافية، فان تعلم اللغة سينمي القدرات الاجتماعية والثقافية كذلك.(دور الكفاية اللغوية في تعلم التاريخ في الطور الثانوي بالمغرب، ص 214) .

فالكفاية اللغوية التواصلية عامة وواحدة على الرغم من الاعتراف بتعدد ابعادها ومستوياتها، فلا بد لها من حد الانتظام والاتساق يجعلها قابلة للتخزين والمعالجة والاستعمال والاكساب، مما يجعل هذه الكفاية نسيجا متعددًا من الموارد الداخلية والخارجية تعمل بشكل منسجم ومتفاعل، غير قابل للاختزال في أحد أبعاد النشاط اللغوي.

خاتمة:

نستنتج اذن ان الكفاية اللغوية التواصلية تشكل واسطة عقد المنهاج الدراسي اي ان يكون التعلم والتعليم عن طريق اللغة لا منهاجا لتعليم وتعلمها(دور الكفاية اللغوية في تعلم التاريخ في الطور الثانوي بالمغرب، ص214).

هذا ما جعل ابستمولوجيا المعارف المتخصصة الراهنة تولي أهمية متزايدة للغة في تشكيل نسقها الابستموي وأدلتها وخطابها التواصلية ، ومن ثم مقولاتها ومفاهيمها وأدواتها الذهنية والمنهجية، وحقل المعرفة التاريخية بدوره تأثر بما

اصطلح عليه بالمنعطف اللغوي في المعرفة، إذ تم التركيز على دور اللغة في انشاء وامتلاك المعرفة التاريخية والوصول اليها والتعامل معها والتعبير عنها.

فاللغة جزء اساسي في دراسة التاريخ إذ يتم توظيفها في مراحل مختلفة من العملية الاستمولوجية التاريخية ومن هنا نستنتج ان للكفاية اللغوية دور مهم في اكتساب وفهم كل التخصصات عامة والتاريخ خاصة سواء بشكل صريح بوصفها كفاية عرضانية يساهم في اكتسابها، أو باعتبارها مجموعة من الكفايات والقدرات التواصلية النوعية للمادة، أو الضمنية في بقية الكفايات النهائية للمادة وقدراتها النوعية.

نستنتج اذن ان المفهوم هو محور العملية التعليمية في تدريس التاريخ واحد المكونات الرئيسية للغة التاريخية، وبما ان الكفاية اللغوية التواصلية في المدرسة لا تتطلب فقط تطوير المعرفة بالأنساق اللسانية باللغة، وانما القدرة على استعمال اللغة كأداة للتعلم، والقدرة على استعمالها بكيفية مناسبة في مختلف السياقات والتخصصات لها علاقة اساسية في تعلم التاريخ وتدريسه.

المصادر والمراجع

- ابن الرازي، بدر، تعليم اللغة وتعلمها مقارنة تواصلية ضمن كتاب: اللغة والتواصل التربوي والثقافي، مقارنة نفسية تربوية، منشورات علوم التربية، العدد 13، ط1.
- ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1979.
- ابن منظور، جمال الدين، (630-711هـ) معجم لسان العرب، تحقيق: عامر حيدر، ج15، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
- التومي، عبد الرحمان، الجامع في ديداكتيك اللغة العربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2016.
- السليمان، العربي، التواصل التربوي، مدخل لجودة التربية والتعليم، الدار البيضاء، ط1، 2005م.
- الفيومي، أحمد بن محمد المقرئ (770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط2.
- القيسي، عودة اهلل: العربية الفصحى مرونتها وعقلمنتها وأسباب خلودها، دار البداية عمان، ط1، 2008.
- المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الامان الرباط ط1 2016.
- الموسى نهاد، الأساليب مناهج ونماذج في تعليم اللغة العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003.
- بدران عبد المنعم أحمد، مهارات ما وراء المعرفة وعلاقتها بالكفاءة اللغوية، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، ط1، 2008.

- برون، دوجلاس، ترجمة الراجحي عبده شعبان، علي أحمد، اسس تعلم اللغة وتعليمها، دار النهضة العربية، بيروت، 1994.
- رايس، نور الدين، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، مطبعة سايس فاس ط1، 2014.
- رولان دورون، فرنسواز بارو، تعريب فؤاد شاهين، موسوعة علم النفس، المجلد منشورات عويدات لبنان 1997.
- زكريا، ميشال، مباحث في النظرية اللسانية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1985م.
- شحاتة، حسن، النجار، منى، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2003.
- سهول، محمد، تقويم الكفاية التواصلية في اللغة العربية، مختبر العلوم الإنسانية والمعرفية والدراسات النصية، الملحة متخصصة التخصصات الراشدية، جامعة مولى اسماعيل، مسالك التربية والتكوين، المجلد 5، العدد 1 مكناس 2022.
- صهود، البعد المنهجي والابستمولوجي فالمعرفة التاريخية، الرباط 2018.
- عبد الرؤوف، محمدي، من الكفاية اللغوية الى الكفاية التواصلية مقارنة تعليمية في ضوء الاتجاهين التوليدي التحويلي والتواصل، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية وحدة ورقلة مجلة اللسانيات التطبيقية المجلد 06 العدد 03، 2022م.
- عيسى، عودة برهومة، المعلم: تأهيله وتدريبه لتحقيق الكفاية اللغوية، كلية الآداب - الجامعة الهاشمية، 2017م.
- مراد جدي، لحسن بوكمو، دور الكفاية التواصلية في تعلم التاريخ في الطور الثانوي بالمغرب: مساهمة في ديداكتيك الأدوات الكتابية الخطية والكرافيكية، مسالك تكوين مفتشي التعليم الثانوي التأهيلي.
- مصطفى حسني إدريسي، الفكر التاريخي وتعلم التاريخ، الرباط: منشورات دار أبي رقرق للطباعة والنشر 2021.
- هامرلي، النظرية التكاملية في تدريس اللغات ونتائجها العلمية، ترجمة: راشد الدرويش، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1415.

- Britt Mari-barth L'apprentissage de l'abstraction, Paris, Retz, 1987.
- Foulquié paul, dictionnaire de la langue philosophique, paris, P.U.F 1982.
- Grand dictionnaire encyclopédique tome 4 librairie Larousse , paris 1982 .
- le robert micro (dir ,Alain rey), Paris 1998.
- <http://www.khayma.com/almoudaress/educ/Kifayat002.htm>.

عنوان البحث

التضامن الجزائري مع المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي لل ليبيا (1911-1938)

د . محمد خليفة محمد سعد¹

¹ الهيئة الليبية للبحث العلمي، ليبيا.

بريد الكتروني: mokhmosd@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/19>

تاريخ القبول: 2024/02/20م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

لقد أسهمت الكثير من الشعوب العربية والإسلامية في دعم وتأييد حركة المقاومة الليبية ضد الاستعمار الإيطالي؛ نظرا لما تعرض له الشعب الليبي من فظائع ارتكبتها الإيطاليون في حقه . إن ما حصل عليه الليبيون من الدعم المادي والمعنوي من إخوانهم العرب والمسلمين خير دليل على قيم الإنسانية التي تم تعلمها من الدين الإسلامي ، الذي حض على نصره المظلوم ، وهناك العديد من الأدلة في القرآن والسنة النبوية تدل على ذلك . وقد تنوعت أشكال الدعم المقدم للشعب الليبي ، فهناك من دعم بالمال ، وهناك من دعم بالتموين والغذاء ، وهناك من انضم إلى معسكرات المجاهدين المنتشرين في بقاع الأرض الليبية ، بالإضافة إلى المواقف المؤيدة لمقاومة الشعب الليبي من خلال المظاهرات والمؤتمرات التي أقيمت في الكثير من البلاد العربية والإسلامية تم من خلالها المطالبة بدعم الشعب الليبي في الدفاع عن أرضه . وموقف الشعب الجزائري الجار الشقيق، والذي تذوق من الاستعمار الفرنسي الأمرين ، كان إيجابيا في دعم مقاومة الاستعمار الإيطالي في ليبيا ، لذلك تضامن ماديا ومعنويا مع إخوانهم الليبيين، وقد برزت العديد من الشخصيات الجزائرية، وكان لها أثرا ملموسا في الجهاد ضد المستمر الإيطالي في ليبيا ، ومن هذه الشخصيات على سبيل المثال لا الحصر مصطفى عوني التقرؤاي، والشيخ عبد الحميد بن باديس .

RESEARCH TITLE

**ALGERIAN SOLIDARITY WITH THE LIBYAN RESISTANCE AGAINST
THE ITALIAN INVASION OF LIBYA (1911-1938)****MOHAMMED KHAIFA MOHAMMED SAAD¹**¹ Libyan Authority for Scientific Research, Libya. Email: mokhmosd@gmail.comHNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/19>**Published at 01/03/2024****Accepted at 20/02/2024****Abstract**

Many Arab and Islamic peoples have contributed to and supported the Libyan resistance movement against Italian colonialism. Given the atrocities committed by the Italians against the Libyan people.

The material and moral support that the Libyans received from their Arab and Muslim brother is the best evidence of the values of humanity that were learned from the Islamic religion which called for supporting the oppressed, and there is many evidence in the Qur'an and the Sunnah of the Prophet that prove this.

The forms of support provided to the Libyan people were varied. There were those who supported them with money, there were those who supported them with supplies and food, and there were those who joined the camps of the Mujahideen spread throughout the Libyan land in addition to the positions in support of the resistance of the Libyan people through the demonstrations and conferences that were held in many Arab and Islamic countries. Through the support of the Libyan people in defending their land was called for.

The position of the Algerian people, the brotherly neighbour, who had experienced both French colonialism, was positive in supporting the resistance to Italian colonialism in Libya. Therefore, they showed material and moral solidarity with their Libyan brothers, and many Algerian figures emerged and had a tangible impact in the jihad against the Italian continuation in Libya. These figures include, but are not limited to, Mustafa Aouni Al-Tafrawi and Sheikh Abdelhamid Ben Badis.

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات التالية :

ماهي صور التضامن الجزائري مع مقاومة الليبيين للاستعمار الإيطالي ؟

ما هو الدور الذي لعبه بعض الجزائريين في الجهاد الليبي ضد هذا الاستعمار ؟

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في دراسة موضوعا هاما من تاريخ ليبيا الحديث خلال الفترة من (1911-1938)م، وهو الدور الذي لعبته الجزائر في مقاومة الاستعمار الإيطالي لل ليبيا، كنموذج لمساندة العرب لبعضهم البعض في مقاومة الاستعمار الغربي مما اجبره على منح تلك البلاد استقلالها .

أهداف البحث :

يسعى الباحث من خلال هذا البحث إلى التعرف على صور التضامن المادي والمعنوي مع مقاومة الليبيين للاستعمار الإيطالي، ودور كل من مصطفى عوني التقرائي، والشيخ عبد الحميد بن باديس في كفاح الشعب الليبي ضد الاستعمار الإيطالي .

منهج البحث :

تمت الاستعانة بالمنهج التاريخي الذي يقوم على دراسة ظاهرة أو مشكلة أو أحداث وقعت في الماضي ، يتطلب جمع بيانات تاريخية من خلال الوثائق والمصادر والدراسات السابقة ، ثم يولد منها نتائج حول موضوع البحث .

خطة البحث :

أولاً: صور التضامن الجزائري مع مقاومة الليبيين للاستعمار الإيطالي.

أ. التضامن المادي .

ب. التضامن العضوي .

ثانياً: دور الجزائريين في الجهاد الليبي :

أ. مصطفى عوني التقرائي ودوره في الجهاد الليبي.

ب. الشيخ عبد الحميد بن باديس ودوره في كفاح الشعب الليبي ضد الاحتلال الإيطالي.

أولاً: صور التضامن الجزائري :

كانت ولاية طرابلس الغرب وبرقة إحدى ولايات الدولة العثمانية الإسلامية في منطقة المغرب العربي، وعندما وقع الغزو الإيطالي عليها عام 1911م اعتبر الجزائريون أن ذلك الاعتداء هو اعتداء صريح على قطر عربي إسلامي شقيق فاتحدت مشاعرهم تجاه أشقائهم الليبيين، وكانت ردود أفعالهم تجاه الغزو عنيفة جداً بسبب صلاتهم التاريخية بالليبيين، وأعربوا في أشكال متعددة عن شعور المرارة والغضب ضد الإيطاليين، وأعلنوا عن مناصرتهم لأشقائهم الليبيين .

لقد أعاد احتلال المدن والقرى والأرياف الليبية من قبل الغزاة الإيطاليين الذين أمعنوا في أهلها قتلاً وتشريداً إلى أذهان الجزائريين ذلك الوضع المأساوي الذي تعرضوا له من جراء الاحتلال الفرنسي لبلادهم، فخلف ذلك الجو المشحون بالحق على المستعمرين الأوروبيين شعوراً بوحدة الهدف والمصير الذي وصل إليه الإخوة في الجزائر،

واعتبر الجزائريون القضية الليبية قضيتهم، فلم يتأخروا عن المشاركة في الدفاع عن التراب الليبي إلى جانب إخوانهم الليبيين، وقدموا كل ما يستطيعون من الدعم المادي والمعنوي للمجاهدين، وللمهاجرين الليبيين الذين تقاطروا على القطر الجزائري الشقيق على مدى ربع قرن من الزمان أو أكثر من ذلك بقليل⁽¹⁾.

وللتدليل على تلك المواقف النبيلة التي وقفها الأشقاء الجزائريون تجاه إخوانهم الليبيين نورد هنا أمثلة متعددة لما أحدثته الاحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب وبرقة من صدى كبير لدى الأشقاء الجزائريين في طول البلاد وعرضها، فعلى سبيل المثال لا الحصر شارك الأشقاء الجزائريون منذ الأشهر الأولى لبداية القتال بين الليبيين والإيطاليين في المعارك الحربية وقاموا جنبا إلى جنب مع أشقائهم الليبيين والقادة والجنود الأتراك جحافل الغزاة الإيطاليين.

كما عبر الجزائريون المقيمون بطرابلس - ساعة وقوع الغزو الإيطالي عن استيائهم الشديد للأعمال المروعة التي قام بها الجنود الطليان بحق الطرابلسيين الذين دمرت، وخربت منازلهم، ونهبت قطعان مواشيهم فأصبحت حياتهم صعبة بسبب شح الموارد المعيشية والغلاء الفاحش في الأسعار. وتقدموا بشكاوى إلى وزارة الخارجية الفرنسية يوم 21 فبراير 1912م.

ويصعب في مثل هذه الدراسة حصر المتطوعين الجزائريين إلى جانب أشقائهم الليبيين في مقاومتهم للاحتلال الإيطالي، إلا أن بعضاً من الدراسات الحديثة قد أشارت إلى بعض أولئك المتطوعين من أمثال مصطفى عوني الجزائري والإخوة محمد ومولاي وعلي ابن حميدة بن خير، وقاسم أبو خطوة، وأبناء ابن جلول، وأبناء عائلة جبارة، وابن شهرة بن ناصر ... وغيرهم كثيرون من أبناء الشرق الجزائري وجنوبه.

أما في المدن الجزائرية - وخاصة الجزائر العاصمة - فقد تجمع الناس في ساحة الحكومة حول محلات بيع الصحف لمتابعة أخبار المقاومة الوطنية والتتديد بالغزو أمام القنصلية الإيطالية، وألصقوا الكتابات على الجدران تأييدا للمجاهدين الطرابلسيين، ونادوا بمقاطعة الإيطاليين، كما دعوا إلى جمع الأموال لتقديمها للمجاهدين⁽²⁾.

كما تناولت الصحف الجزائرية أخبار حركة المقاومة الوطنية التي أبادها المجاهدون الليبيون في أعقاب التوقيع على معاهدة الصلح بين إيطاليا وتركيا في أكتوبر 1912م، وأعجب الجزائريون بعدم توقف حركة المقاومة المسلحة واستمرارها تحت قيادة المجاهدين الطرابلسيين من أمثال سليمان الباروني، واستنكروا على الدولة العثمانية توقيع المعاهدة مع إيطاليا في الوقت الذي كانت فيه المعارك لصالح المجاهدين، ويمكننا ذكر بعض الصحف الجزائرية التي اهتمت بنشر أخبار المجاهدين كجريدة وادي مزاب لصاحبها أبو اليقظان، وجريدة الأمة وصحيفة المرصاد وصحيفة الشهاب، والنجاح وغيرها⁽³⁾.

أما مواقف الحركة الأدبية الجزائرية من قضية الغزو الإيطالي لولاية طرابلس الغرب، فإن الكثيرين من الكتاب والأدباء والشعراء قد تناولوها ولعل أشهرهم عمر بن قدور الذي اتخذ من بطولات مجاهدي طرابلس الغرب رمزاً يجب أن يحتذى، وكذلك الشاعر الجزائري الفحل محمد العيد آل خليفة الذي أشاد في أشعاره ببطولة الشعب الطرابلسي وقادته، والأستاذ أحمد توفيق المدني الذي تحدث عن الغزو في يومه الأول... وغيرهم كثير⁽⁴⁾.

وإجمالاً فإن كثيراً من الجزائريين اعتبروا الاحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب وبرقة بمثابة فصم العلاقات والصلات الحضارية، وقطع الروابط الثقافية مع بلاد المشرق العربي، وإحكام الستار الحديدي الذي ضربته فرنسا

حولهم لتحول دونهم ودون الاتصال بأشقائهم العرب الآخرين⁽⁵⁾.

وهكذا كان موقف الجزائريين من قتال الليبيين وجهادهم ضد الاحتلال الإيطالي موقفاً مشرفاً وداعماً ومؤيداً ومشاركاً لليبيين ليس من أجل مكاسب سياسية أو اقتصادية وليس قتالا يتخذ طابع التعصب الأعمى، وإنما هو ثورة من أجل العقيدة وغيرة وطنية وحماية للأهل والعرض والأرض.

1. التضامن المادي :

حرص الفرنسيون على عزل الجزائر عما كان يجري في ليبيا إبان الغزو الإيطالي، وعليه أصر الجزائريون على الإسهام في الجانب المادي للتضامن العربي سراً، إذ كان شعورهم تجاه المجاهدين الليبيين مليئاً بالحسرة والحماس والرغبة في معاضدتهم لتجربتهم للاستعمار ومعاناته منذ مدة طويلة، حيث إن الجزائر تعرضت للاستعمار سنة 1830م.

لذلك شكلت لجان لجمع التبرعات، وجهزت قوافل الإمداد التي جاءت إلى تونس وبن قردان وغدامس، ونقلت منها إلى مراكز المقاومة بواسطة الإبل، وقد قدرت السلع التي أرسلت إلى الليبيين بحوالي 5225 فرنكا فرنسياً، وذلك في المرة الواحدة، واستمر الدعم متواصلاً فيما بعد، إذ كانت القوافل تشق طريقها عبر الصحراء مروراً بليزا والزاوية الكحلة^(*) إحدى الواحات الجزائرية حتى تصل إلى بني وليد^(**)، ثم تصل إلى العزيزية جنوب طرابلس، مقر قيادة المجاهدين، وعبر هذه المسافة الطويلة كان المرافقون لقوافل التموين هذه يتعرضون إلى المطاردة، إذ لقي بعضهم حتفه أثناء السفر، وقد توفي في رحلة واحدة 12 رجلاً بعد أن تاهوا في الصحراء وانقطعت بهم السبل وفقدوا الماء والمرشد، وهي طبيعة الصحراء لما تسببه من كوارث للذين يسيرون عبر مسالكها المتغيرة بسبب الرياح التي تهب أحياناً فتغطيها بالرمال .

وكان خليفة خالد أحد الضباط الليبيين الذين عادوا من تركيا عن طريق الجزائر للإسهام في المقاومة وجد عند مروره بها حملات التبرع لصالح المجاهدين قد بدأت برئاسة بن جلون، أحد الصحفيين المعروفين بالجزائر حينذاك⁽⁶⁾.

والسيد على بن جبارة، وشقيقة أحمد بن جبارة وشاهد بنفسه بن جلون وهو يخطب في الناس، ويحرضهم على التبرع لصالح المقاومة الليبية، وما إن انتهى من خطابه الحماسي والمؤثر حتى انهال المتبرعون حسب قوله من رجال ونساء يتبرعون بما لديهم، كما شاهد بعض النسوة يتبرعن بحليهن إسوة بالرجال .

ولما كانت الجزائر متاخمة للحدود الليبية، فلم يقتصر دعمها المادي لليبيين على المرحلة الأولى ولا على المبلغ الذي تم ذكره، بل تواصل في المراحل اللاحقة وبطرق سرية أو تجارية بعيداً عن أعين حراس الحدود من الفرنسيين، كما لجأ عدد كبير من المهاجرون الرافضون للاحتلال إليها عبر الصحراء، وقد تعرض عدد كبير منهم إلى الموت بسبب العطش⁽⁷⁾ . ويمكن القول إن موقف الشعب الجزائري في الجانب المادي كان ضعيفاً ؛ وذلك بسبب الأوضاع المعيشية، ومنع الفرنسيين الشباب من التحرك بحرية في دعم المقاومة الليبية؛ لذلك كان الدعم يصل إلى المجاهدين عن طريق التهريب وعلى كل فقد أدى الدعم إلى التضامن وعبر عن شعور الجزائريين بأشقائهم.

(*) الزاوية الكحلة: واحة في منطقة الجزائر قرب الحدود الليبية الجزائرية، كان يمر فيها تجار القوافل.

(**) بني وليد موطن قبيلة ورقلة وهي اسم لبطن من بطون قبيلة هواره القديمة وسكان المنطقة الآن عرب خلص.

2. التضامن المعنوي :

من المعروف أن الجزائر كانت مستعمرة فرنسية ونظراً لامتداد المقاومة الوطنية فيها، وتواصلها مدة طويلة فقد كان الفرنسيون يخشون كل حركة قد تقوم في الجزائر ويعملون على إفشالها ؛ لذلك كان تحرك الجزائريين صعباً بسبب تخوف الفرنسيين منهم⁽⁸⁾ .

وما دامت الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي عند بداية الغزو الإيطالي لل ليبيا فإن فرنسا حرصت على عدم إثارة أخبار هذا الغزو بين الجزائريين، ورغم ذلك فإنها كانت تأتي تباعاً، وأثارت انتباههم واهتمت صحف شباب (الانتلجنسيا) المثقفة بها بذلك، وقاموا أنفسهم بحملات جمع التبرعات لدعم المقاومة الليبية، كما تصدوا للإيطاليين الذين كانوا يقطنون في شرق الجزائر وفي الجزائر العاصمة، وبعض المدن الأخرى مثل بجاية وعنابة، وقد اندهش الفرنسيون من تجمع المواطنين حول أماكن بيع الصحف لمشاهدة صور ومظاهر الحرب الليبية الإيطالية وانشغالهم بسماع أحداثها، إذ كانوا يتابعون باهتمام كبير، وبالمثل كان الإيطاليون يهتمون بقراءة الصحف، فخشي المسؤولون الفرنسيون من حدوث صدام بينهم وبين الوطنيين الجزائريين فتم أخذ الاحتياطات اللازمة لذلك حتى لا يحدث كما حدث في تونس أثناء مظاهرة مقبرة الزلاج في نوفمبر سنة 1911م^(*).

ورغم ذلك فقد قام أحد الجزائريين بوضع ملصقات على الجدران للإشادة بالمقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي، ولكن الشرطة أزلتها بسرعة، كما علق مجهول آخر منشورات على جدران ساحة الحكومة وفي شجرة أمام المسجد الموجود في نهج البحرية، وذلك في 12 نوفمبر 1911م، وتضمنت الملصقات المعنية الدعوة إلى مقاطعة البضائع الإيطالية، ودعت إلى المظاهرات والاحتجاجات⁽⁹⁾ .

وعلى ضوء الحملة التي قام بها الشبان الجزائريون لجمع التبرعات فقد حرصت الإدارة الفرنسية بالبلاد على مراقبتها والحد من نشاطها، ورغم ذلك فقد استجاب لها المواطنون الجزائريون، وكانت مناسبة طيبة ليعلن فيها الجزائريون عن عواطفهم الوطنية بمعاوضة الليبيين في كفاحهم ضد الإيطاليين الغزاة، وذلك لشعورهم بالقهر الاستعماري، وقد أكد على هذا (سير في) Servi الكاتب والصحفي الفرنسي الشهير، مشيراً إلى أن جميع فئات الشعب الجزائري قد شاركت في ذلك بما فيها الحمالون والخماسون^(**) .

وقد تدخلت السلطات الفرنسية محاولة إفشال حملة الدعم المعنوي والمادي لمساعدة المجاهدين الليبيين، لكن الجزائريين لم يتخلوا عن مساندتهم، رغم الظروف التي أحاطت بهم إلا أنهم شاركوا فعلاً في الوقوف إلى جانب الليبيين، ويمكن القول: إن أوجه الدعم المعنوي كانت قد واكبت حركة المقاومة، حيث إنهم استنكروا الغزو الإيطالي وبعثوا باحتجاجاتهم إلى الجهات المسؤولة في الجزائر بشأن الليبيين عندما اشتدت قسوة الإيطاليين عليهم، غير أن المسؤولين الفرنسيين تغاضوا عن مطالبهم ؛ إذ كانوا ينظرون إليها على أنها لا تستحق الاهتمام، ويعتقدون أنهم أدرى من غيرهم في فهم هذه المطالب وكانوا يخشون إثارة الرأي العام في ذلك؛ لأن إثارته تعطي فرصة للمتظاهرين في التعبير عن آرائهم في المظاهرات التي يمكن أن يقوموا بها حينئذ.

ثانياً: دور الجزائريين في الجهاد الليبي :

إن الكفاح المشترك للشعبين الشقيقين الليبي والجزائري متجذر في عمق التاريخ وازداد التلاحم والتآزر

(*) مقبرة الزلاج وهي المقبرة الرئيسية في مدينة تونس حيث حصل بالقرب منها معركة سنة 1911 بين المتظاهرين والقوات الفرنسية.

(**) الخماسون: هم صناع الخماسية، وهي آلة موسيقية تقليدية تُصنع من خشب الأرز أو الجوز.

عشية الغزو الإيطالي لليبيا، فبالرغم من أن الجزائر كانت تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي في ذلك الوقت إلا أن ذلك لم يمنع الجزائريين من الدفاع عن ليبيا وإنقاذها مما كانت قد وقعت فيه بلادهم، وتعبيراً عن صدق وقوة التلاحم مع الشعب الليبي، فقد جاءت مواقف تضامن الشعب الجزائري مع الشعب الليبي مختلفة بقدر اختلاف إمكاناتهم واختلاف مظاهر الدعم الذي كانت ليبيا في حاجة إليه آنذاك، إذ هناك من أسعفته الظروف للمشاركة في معارك الجهاد⁽¹⁰⁾، فانتقل إلى ساحة الوغى مشياً وهناك من أسهم بماله ومادياته، وهناك من عبر عن تضامنه بخطه وقلمه، وتواصلت مظاهر التلاحم بين الشعبين الليبي والجزائري، وهذا ما ظهر عشية الغزو الإيطالي لليبيا، إذ وجدنا آلاف المتطوعين من الجزائريين القادمين إلى ليبيا لمؤازرة إخوانهم، بل إن هناك شهادات كثيرة من المجاهدين الليبيين تؤكد الدور الكبير الذي لعبه الجزائريون في المقاومة الليبية⁽¹¹⁾.

وفي هذا السياق نذكر ما قدمه الشيخ محمد الهاشمي الشريف الذي قام بتجنيد 350 مجاهداً جزائرياً مجهزين بعتاد حربي، وكان علي رأسهم ابن أخيه محمد الأيمن بن الشيخ الإمام شيخ زاوية الرياح، وقد وفر الشيخ الهاشمي مساعدات مالية للمجاهدين الليبيين تحت قيادة سليمان الباروني أثناء حرب طرابلس ضد إيطاليا عام 1911-1912م، وكانت له مراسلات مع الزعيم الليبي سليمان الباروني باشا بوساطة السيد سالم بن أحمد، حيث كان الباروني يقدر الشيخ الهاشمي ويعتبره من أنصار الدولة العثمانية⁽¹²⁾، ومن المناضلين الجزائريين الذين لمعوا في ساحات الجهاد الليبي الأمير علي باشا وابنه الأمير عبد القادر الجزائري اللذين كان لهما دور كبير في الجهاد الليبي، فإلى جانب دورهما في المقاومة العسكرية ضد الغزاة، وخاصة في معركة سواني بن يادم التي كانت بقيادة الأمير علي وابنه الأمير عبد القادر الجزائري مع حوالي عشرين جزائرياً كانوا قد لبوا نداء الجهاد قادمين من الجزائر، فقد لعبوا دوراً آخرًا مهماً يتمثل في ربط الاتصال بين المجاهدين في الداخل، وبين المناضلين في الخارج، ففي هذا الجانب كان الأمير علي باشا الجزائري يعمل كمراسل لصحيفة الزهراء التونسية، ويطلعها على مجريات الأحداث والأخبار في ليبيا وفي رسالة وجهها إلى هذه الجريدة بتاريخ 13 محرم 1330هـ يذكر فيها أنها من الأمير علي باشا الجزائري الموجود الآن في ساحات الحرب قرب مدينة درنة في شرق ليبيا ويتحدث فيها عن سير المعارك، وكيف تم تكبيد العدو خسائر في الأرواح والعتاد، وأن خسائرهم وصلت إلى ألف بين قتل وجريح من بينهم بكباشي (وتعني رتبة عسكرية كبيرة) و (12) ضابطاً عرفوا من ملابسهم، ويتحدث في هذه الرسالة عن إعجابه بهذه البلاد التي تمتاز بالأشجار المثمرة والطبيعة الخلابة ويوجه خطاباً للحكومة العثمانية يحثها فيه على الالتفات إلى هذه البلاد وهؤلاء الأسود، حيث يكرر إعجابه بما رأى من شجاعة وتضحيات يقدمها الشعب الليبي ضد الغزو الإيطالي، ووجه كلمة إلى المناضلين الليبيين المتواجدين في بيروت، وكذا إلى أهالي بيروت يخبرهم فيها عن مسار المقاومة في بعض المناطق الشرقية من ليبيا وكيف أن الشعب الليبي لا زال يجاهد بإرادة كبيرة⁽¹³⁾.

كما توجه الأمير عبد القادر نجل الأمير علي باشا برسالتين إلى صحيفة الزهراء التونسية، الأولى من معسكر الخمس بلبدة في 17 ربيع الثاني 1330هـ حيث تضمنت رحلة والده من بنغازي إلى طرابلس وكيف كان استقبال الأهالي له حيث يذكر أن الجموع هاجت واهتزت طرابلس بقدوم سيدي علي باشا⁽¹⁴⁾.

ونذكر أنه عاجز عن وصف ما وقع لهم من حسن القبول وما شاهده من الحياة القومية التي أنستهم الأهل

ووطنهم الأصلي، وتذكر الرسالة أن الأمير على باشا طلب من مشايخ قبائل الحسون والعربان والمعدان بالرجوع لكي يأتوا بجمعهم ويلتقونه بالخمسة، كما تذكر أنه اهتم بإعادة تنظيم المجاهدين وتحريضهم على المقاومة وشرح لهم معنى الجهاد والصبر والثبات في سبيل الله حتى أن بعض اليهود والنصارى نطقوا بالشهادتين والتحقوا بالمجاهدين .

وفي الرسالة الثانية التي بعث بها الأمير عبد القادر نجل الأمير على باشا بخصوص وصول موكب الأمير على باشا إلى مصراته بتاريخ 19 مارس 1912م، حيث خطب جموع المجاهدين خطاباً حماسياً كان له تأثيراً كبيراً توافد على إثره العلماء والأشراف والأعيان على قائمقام مصراته، وقالوا له: إن خطاب الأمير قد أثر فيهم وحتى أن العامة جاءوا يطلبون المساعدة للالتحاق بإخوانهم في ساحات الجهاد بمعية الأمير، فشكرهم هذا الأخير على إحساسهم الشريف، ويبدو أن ذلك زاد من حماس المقاومين فاندفعوا جميعاً لحمل السلاح، الأمر الذي جعل القائم على مصراته يقوم ببعث رسالة إلى الأمير على باشا الجزائري يرجوه فيها بتسكين هيجان الأهالي وتهديتهم، وهكذا كان الحال في كل منطقة حلَّ بها الأمير على باشا الجزائري⁽¹⁴⁾، ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن الجزائريين الذين آزرُوا الليبيين في جهادهم كان لهم الأثر الكبير في هيجان حماس الأهالي وحثهم على الجهاد.

أ. مصطفى عوني التفرّوي ودوره في الجهاد الليبي:

1. البحث عن الجهاد:

اسمه الحاج مصطفى عوني التفرّوي الجزائري من مواليد 1892م، من أسرة فلاحية فقيرة، حيث حفظ القرآن في السادسة عشر من عمره، مات والده وهو صغير وكان يعاون أسرته على ظروف حياتها، وكان يتحين مواسم الغلال والفاكهة في مزارع الفرنسيين المحيطة بقريته فيعمل فيها، وكان يرى من سوء معاملتهم ويلمس من ظلمهم وتعسف استعمارهم ما لم يلّمسه وهو بعيد عن التعامل معهم والاحتكاك بهم⁽¹⁵⁾.

وبناء على ما قاله عوني التفرّوي، فإن صورة ظلم الاستعمار الفرنسي له ولبقية الجزائريين كانت أهم حادثة أثرت في حياته، وذلك من خلال عمليات التفتيش المستمرة لكل الجزائريين، ونظرة الاحتقار لكل ما هو جزائري، وأن السلطات الفرنسية في جهات عدة أخذت تجند الشباب الجزائري للحرب سخرة وإجباراً، وهو بحكم شبابه القوي وتكوينه المكتمل لا بد وأن يجرر للتضحية به في أتون الحرب المستعرة، فوقف التفرّوي حائراً بين سعة القلب المليء بالحق ضد الاستعمار الفرنسي، وبين قوة وقسوة أوامر الاستعمار، وسط هذه الأجواء⁽¹⁶⁾ المحسوسة بالحيرة كان لا بد على مصطفى عوني من اتخاذ الموقف الذي يريح باله ويطمئن نفسه، فعزم على رفض الخضوع لقوة الاستعمار، فلماذا لا يعمل من الآن على مقاومة الكفار والكفر ملة واحدة، وهذه طرابلس ومن فيها عرب مسلمون يتعرضون لهجمة شرسة من الإيطاليين النصارى يسومونهم سوء العذاب، وتحدث الصحف والمجالس عن بطولاتهم وجهادهم في رد العدوان عنهم، فلماذا لا ينضم إليهم ويتحرر من جبروت الفرنسيين وقسوتهم، فعاد إلى منزله ليخبر والدته ويودعها فلم يجدها، وترك لها رسالة يقول فيها : لا تسألوا عني فإني ذاهب إلى غير عودة، وابتدأ رحلته الطويلة التي دامت أكثر من خمس وعشرين سنة قضاها بين المعارك الضارية في ليبيا والغربة القاسية، ومر في طريقه من فريندا وجلفا وسيدي عقبة⁽¹⁷⁾ وتونس وصفاقس، حيث كان يتجنب

الطرق الرئيسية التي يتواجد فيها البوليس والجنود الفرنسيون، خشية الوقوع في بعض المشاكل التي قد تعطل أو تلغى بلوغ الهدف، وفي تونس لقي جماعة من الليبيين يجوبون سوق البلدة يذرعون شوارعها، فأخذ هو بدوره يرصد تحركاتهم ويلحق بهم طوال ذلك اليوم، فلما وصلوا إلى فندق مبيتهم اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم ثم دعوهم للحديث معهم وقالوا له: نحن نراك اليوم نتبعنا كظلنا فماذا تريد منا ؟ فأخبرهم أنه جزائري يرغب في مرافقتهم إلى طرابلس للالتحاق بالمجاهدين فأبدوا إليه استعدادهم لبذل كل ما في وسعهم لتحقيق ذلك، وكان لا يزال يرتدي الزي الجزائري فأخبروه بضرورة تغييره بالزي الليبي فأعطاهم من النقود الذهبية التي كان يحملها معه. فاشترى له جرداً ونعلاتاً ليبياً (بلغة) وملابس أخرى وفي الصباح ذهبوا إلى الدرية، وهو مركز فرنسي تونسي لشرطة الجوازات فشهدوا هناك بأنه ابن عم لهم حيث تسلم الأوراق التي تثبت أنه ليبي وامتطوا الباكسة المتوجهة نحو طرابلس، وبعد ليلة من السير وصل الركب إلى طرابلس، فمكث مصطفى عوني عند بعض الليبيين هناك⁽¹⁸⁾، وبعدها واصل السير إلى زليتن حيث التحق بمدرسة القرآن الكريم والعلوم في زاوية الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر بعد أن كان قصدها للاستراحة وعندما وصل علم أن الانتساب إلى هذه الزاوية للتعليم لا يكلف فبقى بهذه الزاوية حوالي خمسة أشهر وخلال إقامته بالزاوية شاهد الاستعدادات الإيطالية لمعركة القرضابية، وحشد الطاقات والإمكانات الإيطالية في المنطقة وتوجيهها إلى بئر غزار نقطة التجمع الذي تم الاتفاق على الملاقاة فيها قبل السير إلى المعركة، وبما أن الحاج مصطفى لم يكن من شهود هذه المعركة وإن كان لديه معلومات طيبة عنها على إثر معركة القرضابية واندحار الإيطاليين فيها، قام السكان في جبهات عدة بالهجوم على الحاميات والإدارات الإيطالية ومنها زليتن حيث دقت الطبول وارتفعت فيها (المهاجاة) وأهازيج الحرب من جديد، وكان ذلك مؤذناً بتغيير الأوضاع، وكان الشيخ أبو بكر أبو نعامه صديقاً حميماً للحاج مصطفى وزميل له في الدراسة بالزاوية فعرض عليه أن يذهب معه إلى ترهونة⁽¹⁹⁾، وخاصة أن له أبناء صغار يريد منه أن يرافقهم معه إلى أهليهم، فذهبوا من زليتن إلى ترهونة على أرجلهم وفي ترهونة سمع الحاج مصطفى صوت المدافع آتياً من البلاد التي خلفها وراءه، فعرض عليهم أن يذهبوا معه إلى مناصرة المسلمين والمحاربة معهم فرفضوا ذلك، فتركهم ورجع إلى زاوية الشيخ، وفي زليتن وجد الإيطاليين قد تم الانقضاض عليهم وطردهم من السوق ورصدوا على البحر على مرمى مدافع أسطولهم ووجد على رأس فريق أولاد الشيخ المجاهد الشيخ مختار جوان الذي انضم إليه فأعطاه بندقية وذخيرة وظل المجاهدون يحاصرون الإيطاليين أياماً وليالي عدة، في حين كان الطلاب يحضرون المعركة ثم يرجعون إلى زاوية الشيخ، ولما طال أمد الحصار ولم يتم انسحاب الإيطاليين قال الحاج مصطفى لصديقه عبد القادر الفزاني، وقد أخذت أصوات المدافع في رأس طوبة بمصراته تصل إلى أسماعهم، هيا بنا نحضر المعركة الحامية في مصراته فوافقه صديقه وذهبا معا مترجلين على صوت المدافع يحمل أحدهما موزراً والآخر يحمل 80 وحدة من ذخيرتها حتى وصل رأس طوبة بعد المغرب، وهناك وجد فرسان أولاد الشيخ الذين هرعوا أيضاً إلى المعركة فانضم إليهم مع رفيقه وبات الجميع تلك الليلة دون قتال، وفي الصباح قام المجاهدون بالهجوم على مواقع العدو وكبدوهم خسائر كبيرة في الأرواح وأسروا عدداً منهم.

وتعتبر معركة رأس الطوبة أولى المعارك التي خاضها الحاج مصطفى في مصراته، كما أن معركة القليب على شط البحر في زليتن تعتبر أولى المعارك التي حضرها في زليتن بل في ليبيا كلها⁽²⁰⁾.

2. مصطفى عوني التفراوي ومرحلة الجهاد المنظم :

ذات يوم كان الحاج مصطفى عوني موجودا بزاوية الشيخ، وعلم بوجود نوري باشا الوالي التركي في زليتن فخطر عليه أن يكتب له رسالة يعرض فيها حالته الراهنة ويطلب مقابلته وأعطاه لسكرتيه الذي حدد له موعدا في اليوم التالي عند الساعة الثانية ظهراً، وفي الموعد قابله الباشا الذي سأله عن بلده وأسرته فوجده على علم بأهله وانتمائهم إلى أسرة الأمير عبد القادر الجزائري وقبيلته أولاد سيدي قادر فعرض عليه أن يلتحق بمدرسة الضباط بمصراته وسيضمن له ذلك مستقبلاً طيباً ، وأرسله إلى وكيله وأركان حربه وأوصاه خيراً بالحاج مصطفى، وعدّد في رسالته له إحدى عشر ميزة تمنح له دون بقية الطلبة يتمتع بها طيلة مدة دراسته، من بينها أن يلبس الجرد وأن تدفع له نقود ينفق منها على خصوصياته، وأن يعفى من الحراسات ، وله أن يذهب إلى المقهى... إلخ .

والتحق بالمدرسة العسكرية وذلك بقصد تحصيل بعض المعارف الحربية والرامية، وبقي فيها سبعة أشهر هي مدة الدراسة، ثم تخرج بعدها ضابطاً صغيراً (كرشوك ضابط) وانضم إلى صفوف المجاهدين⁽²¹⁾.

إن دور مصطفى عوني في الجهاد الليبي لا يمكن الإلمام به، وهذا ما يفرض علينا الإشارة إلى ما نراه مهما فقط متجنبين سرد الأحداث ووقائع المعارك التي شارك فيها ، فالمعلومات التي بحوزتنا والشهادات التي تحصلنا عليها كلها تؤكد أن الحاج مصطفى عوني يعتبر بمثابة قاموس الجهاد الليبي عبر مختلف مراحل .

واستمر عوني التفراوي في المقاومة والجهاد مع الليبيين، وكان يشارك في كل المعارك التي تحدث قرب المناطق التي يتواجد بها، بل إنه كثيراً ما تحول من مجاهد حامل للسلاح إلى قارئ للقرآن ليلهب إخوانه في الجهاد، ويذكر مصطفى عوني التفراوي أن معركة القرصابية الشهيرة كانت أهم المعارك التي خاضها الليبيون ضد الاحتلال الإيطالي وأن هذه المعركة جاءت بعد سلسلة⁽²²⁾ من الاشتباكات بين الطرفين، وهزم فيها الإيطاليون هزيمة ساحقة؛ وذلك بعد خديعة من طرف قائد المقاومة رمضان السويحلي الذي تظاهر بالتعاون معهم ليشن بعد ذلك هجمات عليهم، وكان ذلك في أبريل 1915م، ويذكر التفراوي أنه بعد هذه المعركة واصل مشاركته في معارك الجهاد الليبي، حيث حوَصر الإيطاليون الموجودون في سرت وسواني بن يادم وفي القليب وحدثت عدة معارك شارك فيها التفراوي من بينها معركة كرزاز ومعركة رأس الطوية، ويذكر عوني أن معركة رأس الطوبة أصيب فيها المجاهدون بخسائر في الأرواح وصلت إلى 60 جريحاً، و 120 شهيداً، أما معركة الكرازة فقد أخذ المجاهدون الثأر لأنفسهم واضطر الإيطاليون إلى الفرار من الميدان تاركين وراءهم العديد من القتلى وكميات كبيرة من الأسلحة، وطبيعة المواجهة بين المجاهدين الليبيين وقوات الاحتلال الإيطالي والتي أخذت شكل المواجهة المتقطعة والاشتباكات المنعزلة التي تنتهي بانهزام طرف وانتصار آخر أو تفرق كلاهما دون تحقيق أي انتصار، كل ذلك جعل المقاومة الليبية تهتم بعملية تنظيم المجاهدين، وتكوينهم أكثر، وفي هذا الإطار سنحت الفرصة لمصطفى عوني لمزيد من التدريب على القتال والانخراط بفاعلية وقوة في أتون الحرب، وذلك بعد انتقاله من زليتن إلى مصراته، حيث علم رمضان السويحلي أن مصطفى عوني هو أحد أقارب المجاهد الأمير عبد القادر الجزائري فراقه وأمر قائد الجندرية محمد الحداد أن يخصص له حصاناً ليستعمله في تنقلاته، وفي هذه الأجواء ازداد⁽²³⁾ عوني التفراوي حبا لليبيا وللمجاهدين، وشوقا للجهاد فواصل معهم الجهاد في مختلف الجهات وخاصة مع القائد رمضان بك السويحلي الذي بقي ملازماً له حتى انتهاء المقاومة في غرب ليبيا عقب صلح سواني بن يادم

1919م^(*) ، هذه المعاهدة التي تظن لها مصطفى عوني ورفضها رفضاً قاطعاً، كما امتنع عن الدخول في مفاوضات الصلح مع الإيطاليين وانسحب بجنوده الذين كان يرأسهم بصحبة عدد من المجاهدين الراضين الصلح مع الإيطاليين ، ويرى الباحث أن هذه المفاوضات أقل ما يقال عنها أنها كانت حيلة من حيل الاستعمار الإيطالي لتفريق جبهة القتال الليبية واحتلال المنطقة بعد الأخرى كالذي فعلته فرنسا عند احتلالها⁽²⁴⁾ الجزائر، حيث وقعت معاهدات صلح مع الأمير عبد القادر لتتفرغ بعد ذلك لضرب الجبهة الشرقية بقيادة أحمد باي، وبعد ذلك رجعت إلى محاربة الأمير عبد القادر في الغرب، وكان رفض مصطفى عوني للاحتلال ليس فقط في حمله السلاح ضده ورفضه لمعاهدة الصلح واستمراره في المقاومة إلى جانب بعض الليبيين، ولكن رفضه كان في عدم الاحترام لقادة الجيش الإيطالي، حيث ذكر مصطفى عوني أنه أثناء مفاوضات بعض قادة المقاومة الليبية مع الإيطاليين استدعى هو الآخر من قبل "بيري" أحد قادة الجيش الإيطالي وطلب منه تقديم التحية العسكرية للإيطاليين في احترام فكان جوابه: "لا" أقدم التحية للشيطان" هذا رغم أن بعض الضباط الليبيين كانوا قد قدموا التحية وبعد عودتهم وبخهم عوني على ذلك الموقف المسيء قائلاً لهم: "كيف يحدث ذلك ونحن الذين كنا بالأمس مجاهدون نحمل السلاح في أيدينا، اليوم نقدم التحية للأعداء"⁽²⁵⁾.

بعد هذا الاجتماع الحاشد رجع عوني وجيشه دون الاعتراف بالاحتلال الإيطالي ولا حتى ببند الصلح واستمر مع رمضان بك السويحلي في مقاومة العدو في جنوب البلاد - غدامس - وظل ملازماً له حتى احتلال إيطاليا لآخر معقل من معاقل المقاومة الليبية في الجبهة الغربية لينتقل بعد ذلك إلى المقاومة في الجبهة الشرقية برقعة عمر المختار⁽²⁶⁾.

ويذكر مصطفى عوني التفراوي أنه بعد معاهدة الصلح دخل بعض الزعماء الطرابلسيين في وفاق مع الإيطاليين بعد أن اعترفوا بمعاهدة الصلح، واعتبروا كل معارض لعين، وأدوا التحية العسكرية للجيش الإيطالي، والتي كانت تعني الاحترام والخضوع له، كل ذلك أثر كثيراً على عوني، حتى الذين كانوا تحت قيادته من الجند الليبي كانوا قد لاحظوا علامات التعب والأسف عليه، أما الذين بقوا من الجند راضين بمعاهدة الصلح فكانوا يأتونه ليلاً، وحدث أن أتوه يوماً في منتصف الليل يطلبون منه الرأي، حيث عقد اجتماع سرى حول الموقف الذي يجب اتخاذه من طرفهم.

وما كان من التفراوي إلا أن أمرهم بحمل السلاح بسرعة وأن يبقوا مدافعين عن أنفسهم وظل هؤلاء مقاومون حتى سنة 1923م حيث استحكم الجيش الإيطالي سلطته وقبضته على بعض الأجزاء من ليبيا خاصة الجزء الغربي، أما عوني فقد بقي مع قلة من الجند الليبيين في منطقة قرب طرابلس "جنزور" واتصل برمضان السويحلي أحد كبار المقاومة بواسطة أمينه المدعو "السعيد" خدام، حيث طلب منه عوني اللقاء معه، وحصل أن اتفق مع السويحلي بضرورة مواصلة الجهاد وعدم الخضوع إلى أوامر الخونة.

ويمكن القول إن تركيز الاحتلال الإيطالي، لجل قواته في هذه المنطقة، وضعف المقاومة وتفريقها أدى إلى احتلال طرابلس الأمر الذي دفع بالعديد من جنودها إلى التشتت والهجرة .

أما مصطفى عوني فقد التحق مباشرة بعد ذلك بصفوف المقاومة الليبية في المنطقة الشرقية، حيث كان

^(*) صلح سواني بن يادم قرية صغيرة تقع جنوب غربي طرابلس، وقعت بها اتفاقية بين حكومة الجمهورية الطرابلسية والحكومة الإيطالية سنة 1919م وانقسمت حولها المقاومة.

يقودها عمر المختار وفي هذه المنطقة خاض أغلب المعارك إلى جانب عمر المختار، الأمر الذي جعل هذا الأخير يجعله محل ثقة كبيرة ويصبح من المقربين إليه، وهناك رسالة عثرنا عليها عند أحد الليبيين موجهة من طرف عمر المختار إلى عوني التراوي يخبره بأنه حر في مهامه لا دخل له فيها .

إلى جانب ذلك فقد كلفه عمر المختار بمهام الوساطة في جمع التبرعات والمؤن للمقاومة الليبية بحيث كان واسطة بينه وبين لجنة التبرعات بمصر رفقة صالح حرب باشا والأمين عمر قوسم وعبد الرحمن عزام، وبقي على اتصال بعمر المختار إلى أن تم استشهاد هذا الأخير أواخر سنة 1931م، وانتهت بذلك المقاومة العسكرية الليبية⁽²⁷⁾.

وبعد استشهاد عمر المختار لم تتوقف المقاومة الليبية نهائيا وحاولت استرجاع أنفاسها فاستمرت في شكل من الضعف ولكن سرعان ما حقق الحصار المضروب من طرف العدو، نتائجه، إذ لم تصل المؤونة والعتاد إليهم من الشرق نظراً لتكثيف إيطاليا الأسلاك الشائكة والحراسة النشطة، وكانت هذه السياسة عاملاً آخر دفع الليبيين للجوء إلى المقاومة في شكل آخر ألا وهي المقاومة السياسية في فترة الاحتلال الإيطالي خارج الديار.

وأثناء فترة النضال السياسي ظلت الاتصالات موجودة بين من تبقى من المقاومين المناضلين الليبيين داخل ليبيا وبين الذين اضطروا للهجرة، ونشير هنا إلى الدور الذي لعبه أحد الجزائريين في عمليات الاتصال وهو عبد الله الجزائري خطاط الزاوية القادرية بحيث كان ينقل المعلومات والأخبار بخط دقيق جداً، ومقروء من الوطنيين الليبيين في الداخل والخارج، كما كان يقوم بنقل الأخبار وربط الاتصالات بين مناطق طرابلس الغرب وبين برقة.

أما مصطفى عوني التراوي فبعد استشهاد عمر المختار هاجر إلى مصر وبقي ملازماً للمناضلين الليبيين، وقيل الحرب العالمية الثانية دخل إلى الجزائر ولكن اندلاع الحرب وتدهور الأوضاع دفعت به لمحاولة الخروج مرة ثانية، لكنه لم يستطع وشعر بمضايقات فرنسية، فخرج خفية ودخل ليبيا مرة أخرى سنة 1944 ، وبقي في ليبيا إلى أن حصلت ليبيا على الاستقلال .

وفي هذه المرحلة كان الوطنيون الليبيون قد كثفوا اتصالاتهم مع بعض الزعماء السياسيين العرب ومن بينها نذكر تلك التي كانت بين المناضل الحاج إبراهيم المشيرقي ومحي الدين القليبي الرجل الثاني في الحزب الدستوري التونسي وكان هذا الأخير قد زار الجزائر عدة مرات في سفرياته حيث ذكر أن الجمعيات الخيرية الجزائرية كانت تعمل دائما لصالح ليبيا .

والخلاصة فإن عوني التراوي رجل أوقف حياته علي طلب الشهادة ونصرة إخوانه الليبيين ونذر نفسه للجهاد في سبيل الله لم تدفعه ضرورة ملحة إليه حيث ترك أهله ووطنه وأمضى أيامه في ليبيا وهو بين عائد من معركة أو متهيء لها أو خائض غمارها حتى انتهت المعارك في الشق الغربي من البلاد، ثم راح يلتحق بالسيد عمر المختار في الشق الشرقي منها ليواصل نضاله حتى لقي المختار ربه.

3. صدى كفاح عمر المختار في الجزائر:

إن الجزائر ورغم الظروف القاسية والمحنة الاستعمارية الغاشمة التي كانت تعيشها ، إلا أنها كانت تتابع عن كثب جهاد عمر المختار وتشيد ببطولته وتتحسر على ما يحدث للشعب الليبي؛ وذلك من خلال مواقف منظماتها الوطنية وكتاباتهم الصحفية وإنتاجها الأدبي، كما سنرى من خلال هذا البحث⁽²⁸⁾.

إن هناك عدة أسباب وعوامل قد جعلت الشعب الجزائري يبدي اهتمامه بأوضاع ليبيا وكفاح مجاهديها عمر المختار، فهذه الأسباب مع تنوعها وتداخلها يمكن لنا أن نجملها في النقاط التالية :

1. كان الجزائريون يرون في الاحتلال الإيطالي لليبيا إعادة لمأساتهم القومية بل صورة طبق الأصل لما حل بهم على يد المستعمر الفرنسي، لاسيما أن طبيعة الاستعمار الإيطالي وأساليبه لا تختلف عن ما فعله الفرنسيون في الجزائر، بل أصبحوا لا يرون أي فرق بين قضيتهم وقضية إخوانهم الليبيين، كيف لا وجهاد عمر المختار لم يكن في نظرهم سوى إحياء لبطولات الجزائريين مثل (يوزيان)، و(ابن ناصر بن شهرة)، و(بوشوشة)، و(بوعمامة) وغيرهم من حاملي لواء المقاومة الوطنية⁽²⁹⁾.

2. إن الجزائر التي تركها العالم الإسلامي وحدها خلال صراعها ضد المستعمر عادت برد فعل وذلك من خلال البحث عن موضوع أكثر حيوية ضمن الرابطة الإسلامية، وعندما عقد المؤتمر العربي في باريس 1913م حاول الكثيرون من المؤتمرين قطع التبعية مع الدولة العثمانية والتغاضي عن الاحتلال الإيطالي لليبيا، ونجد على العكس من ذلك أن الشباب الجزائريين قد أرسلوا ببرقيات تظهر تعاطفهم مع تركيا الفتاة كنوع من إثبات الذات ورفضهم للاستعمار الأوروبي الجديد .

3. كانت ليبيا بالنسبة للجزائريين المعبر الطبيعي نحو البلاد العربية الشقيقة والجهة التي تشد الجزائريين نحو إخوانهم في الدين واللغة والقومية حيث كانت المعبر الوحيد لطلاب العلم والتجارة والحجيج والتعرف على معالم الأقطار العربية .

4. من الأسباب التي دفعت الجزائريين أيضاً إلى الاهتمام بقضية ليبيا وتعرفهم على كفاح عمر المختار، تلك المنافسة الإيطالية الفرنسية، والتي حاولت إيطاليا الفاشية أن تعطي صورة براقة عن استعمارها لليبيا بقصد كسب التأييد وإيجاد السند لأطماعها في كل من تونس والجزائر حتى يمكن لها أن تحقق مخططاتها التوسعية، في حين تحاول فرنسا وبكل وسيلة التشهير بسياسة إيطاليا الفاشية وإظهار نتائجها في ليبيا، لتحول دون إمكانية حدوث تعاون الجزائريين والتونسيين مع أية قوة أوروبية أخرى معادية لفرنسا، وهذا ما جعلها تتابع عن كتب تطور المقاومة الليبية بزعامة عمر المختار .

5. تزايدت أهمية ليبيا بالنسبة للجزائريين بعد الاحتلال الفرنسي لبلادهم؛ وذلك لأنها تمثل القواعد الخلفية لأية مقاومة جزائرية محتملة ضد الفرنسيين ولاسيما بعد وقوع تونس هي الأخرى تحت الحماية الفرنسية سنة 1881م، إذ عن طريق ليبيا يمكن الحصول على السلاح والعون وإليها يتوجه كل من اضطرته الظروف إلى أن يغادر الجزائر⁽³⁰⁾.

ولذكر أهمية ليبيا بالنسبة للجزائريين يكفي أن نشير إلى اتصال الطوارق بأهالي فزان عند تصديهم للتوسع الفرنسي 1856 - 1959م) وفي هذا النطاق أيضا نجد محي الدين بن الأمير عبد القادر يتخذ من طرابلس الغرب معبراً نحو الجزائر وطريقاً توصله إلى أتباعه بجهات " نفراوة والجريد"، ومنطقة "سوف"^(*) لكي يثير القلاقل والاضطرابات في أوساط الإدارة الفرنسية⁽³¹⁾.

كما أن المجاهد الجزائري المعروف بابن ناصر بن شهرة وبعد عودته من الشام فضل هو الآخر الكفاح

(*) نفراوة والجريد منطقتان تقعان في الجنوب التونسي، وسوف منطقة في شرق الجزائر بالقرب من الحدود الليبية.

بجانب إخوانه الليبيين ضد الغزو الإيطالي، وقد سقط شهيداً، بناحية طرابلس (1912م)، مع مجموعة من رفاقه الجزائريين.

من خلال الأحداث السابقة اعتبر كثير من الجزائريين الاحتلال الإيطالي لل ليبيا بمثابة فسم للصلات وقطع للروابط الثقافية مع البلاد العربية وإحكام للستار الجديد الذي ضربته فرنسا حولهم لتحول دونهم ودون الاتصال بأشقائهم العرب الآخرين.

6. بحث الجزائريون عن طرف ثالث منافس للسياسة الفرنسية، حتى يكون عنصر موازنة وعامل ضغط على الحكام الفرنسيين ليعدلو من تصرفاتهم المجحفة في حق الشعب الجزائري، وزاد وعي الجزائريين بواقع ليبيا الاستعماري وانصب اهتمامهم في فترة العشرينيات والثلاثينيات على محاولة استغلال التنافس لصالحهم، وذلك رغم تعاطفهم مع كفاح عمر المختار وتأييدهم قضية مجاهدي ليبيا ورغبة منا في التركيز والاختصار، فسوف تقتصر في ذلك على استعراض الأثر الذي تركه كفاح عمر المختار في الحركة الإصلاحية الجزائرية والذي انعكس خاصة في نشاط جمعية علماء المسلمين الجزائرية التي اهتمت بالقضية الليبية واتخذت إزاءها موقفاً واضحاً يعتمد على مبدأ مناصرة الليبيين في كفاحهم التحرري، كما يتسم بالحدة في مهاجمة الاستعمار الإيطالي والإشادة بأبطال المقاومة، ومن خلال النظرة القومية لطبيعة العلاقات الليبية الجزائرية يتجلى لنا موقف جمعية علماء المسلمين الجزائريين من قضية ليبيا اعتماداً على العديد من المقالات والتعليقات التي حفلت بها جريدتي الشهاب والبصائر الناطقتين باسم جمعية العلماء، وهذه المواقف كانت تتميز بما يلي:

سعى رجال هذه الجمعية الإصلاحية لتعريف الشعب الجزائري بواقع إخوانهم الليبيين وعملهم لتعميق فكرة الأخوة العربية والإسلامية التي تجمع بين أبناء ليبيا، والجزائر، حيث عمدت صحيفة الشهاب أن تنشر ثلاث صور للزعماء العرب الذين استشهدوا على يد الاستعمار الإيطالي والفرنسي والإنجليزي، وكان أولهما صورة لعمر المختار ضحية الاستعمار الإيطالي، ومع هذه الصورة كتبت قصيدة لأحمد شوقي يرثي فيها عمر المختار⁽³²⁾. وعملت الصحيفة على التشهير بسياسة الاستعمار الإيطالي وفضح أعماله الإجرامية واعتبار موسوليني أعظم عدو للإسلام، وفي هذا العدد علقت صحيفة الشهاب بما يلي: "ومن الذي يستطيع أن يكون حامي الإسلام أكثر من دكتاتورية إيطاليا، ونددت الصحيفة بالسياسة الاستعمارية الوحشية قائلة: إيطاليا الفاشية الدموية ماذا فعلت في ربع قرن بنصف مليون من المسلمين الليبيين؟ أجدد بك أن تقفي أمام محكمة التاريخ وضمير الإنسانية لتجيب جواب المجرمين عن هذا السؤال؟ وتحت عنوان فضائح الطليان أشارت صحيفة الشهاب إلى عملية إجلاء ألف من سكان الجبل الأخضر الذي يتمتع بأرضه الخصبة وخيرات الوفيرة إلى ساحل سرت القاحل لإحلال الطليان محلهم، حيث أثار هذا العمل احتجاج العالم الإسلامي فأرسل ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى جمعية حقوق الإنسان الفرنسية يطالبهم فيها بتخفيف شقاء المشردين من سكان الجبل الأخضر⁽³³⁾.

لقد اعتبرت الجمعية كفاح عمر المختار جزءاً من كفاح الأمة العربية والإسلامية لبعث ماضي الأمة وتجديد روح الإسلام، وهذا ما جعل رجال جمعية علماء المسلمين لا يرون أي فرق بين ما يقومون به من نضال في الجزائر ضد الفرنسيين وبين ما يمارسه إخوانهم الليبيون من كفاح ضد الهيمنة الإيطالية، حيث تميزت هذه الجمعية بالشمولية ومن أبرز تعليقات الصحفيين والكتاب الجزائريين البارزين في ذلك الوقت ما كتبه الأستاذ

"توفيق المدني" في أكتوبر 1931 في مقال بعنوان: سيد الشهداء ورأس الأبرار نقتبس منه هذه العبارات: "اغتالت يد الطغيان الاستعماري بطلا من خيرة أبطال العرب ورأساً من أعظم رؤوسهم ومجاهداً كان يقف في طليعة مجاهديهم، وذلك هو سيدي عمر المختار الذي جاهد عشرين عاماً عن بيضة الإسلام وكرامة الوطن ضد الطغاة المستبدين .

أما "الشيخ البشير الإبراهيمي" فإنه يذكر جهاد عمر المختار ويشيد ببطولات الليبيين في هذه الكلمات: (قاوم هؤلاء الإخوان الكرام الاستعمار الإيطالي ووقفوا في وجهه وقفة المستميت ولم يثبهم التقتيل والتشريد حتى جاءت الحرب الأخيرة وعاد الرجاء.. وهب المغاوير من سلائل العرب يثأرون لعمر المختار والشهداء الأبرار" أما أمير الشعراء الجزائريين المرحوم (محمد العبد آل خليفة) فإنه يشيد ببطولة عمر المختار ويناجي طيف الحرية التي رفع هذا البطل حياته فداء لها في بعض الأبيات التي تعكس لنا بصدق وأمانة ذلك الصدى الذي أحدثه جهاد عمر المختار في نفوس الجزائريين الذين كانوا يرزحون تحت وطأة الاستعمار الفرنسي آنذاك، حيث نقتبس منه هذه الأبيات :

أمل تحقق بعد طول نضال ** ومثال فوز كان خير مثال
اليوم أمة ليبيا قد حطمت ** ما أحكم الطليان من أغلال
إن البطولة في الوعى عهد لهم ** عهد شابه الآباء للأطـفال
ومضى بهم عمر الشهيد يقودهم ** للحرب ينام نامة الرئبال
خاض الجهاد مظفراً حتى انجلى ** عما نجلى والحرب ذات مجال

ومن خلال ما سبق يرى الباحث أن صدي كفاح عمر المختار لدى الشعب الجزائري الذي كان يرزح تحت وطأة الاحتلال له بالغ الأثر لاسيما أن طبيعة الاستعمار الإيطالي وأساليبه لا تختلف عن ما فعله الفرنسيون في الجزائر حتى أصبحوا لا يرون أي فرق بين قضيتهم وقضية إخوانهم الليبيين وهذا الشعور نابع عن مدى متانة الروابط الروحية وتشابه المواقف المصيرية وتماثل الأهداف المشتركة بين الشعبين الجزائري والليبي اللذين وحدت بينهما في نطاق العروبة وعلي هدى الإسلام مآسي الماضي وجهاد الحاضر وآمال المستقبل.

ب: الشيخ عبد الحميد بن باديس ودوره في كفاح الشعب الليبي ضد الاحتلال الإيطالي:

1. الشيخ عبد الحميد بن باديس ورابطة الأخوة العربية والإسلامية بين الجزائريين والليبيين:

ولد الشيخ عبد الحميد بن باديس في 16 إبريل 1889م في مدينة قسنطينة بشرق الجزائر ورغم أنه عاش في أسرة ذات ثراء وجاه ومكانة اجتماعية مرموقة، فإنه أعرض عن ذلك ونأى جانبه إلى طلب العلم في بلده، ثم في جامع الزيتونة بتونس حيث تخرج بشهادة التطويع وهي أعلى شهادة علمية كان يمنحها جامع الزيتونة بتونس في سنة 1911 - 1912 م وعمره ثلاث وعشرون سنة معززاً عمله بتكوين عصامي فذ، ملتصقاً في الوقت نفسه موطن الداء في مشاكل بلده الصغرى الجزائر وبلاده الكبرى العربية والأخرى الأكبر الإسلامية في قراءاته وفي أسفاره إلى تونس طالباً أولاً، ثم حاجاً، محاضراً، ورحالة، وإلى الحجاز حاجاً رحالة ملتصقاً بأحوال الناس، وإلى باريس ينقل مطالب الجزائريين مع غيره في وفد إسلامي زاهداً خلال ذلك كله في متاع الحياة الدنيا، متفرغاً لهم الجزائري وامتداداته العربية والإسلامية عموماً⁽³⁴⁾.

لقد كانت هناك عوامل عديدة أثرت كثيرا في شخصية عبد الحميد بن باديس وأكسبتها ثراء، وشمولية، وجرة لاستيعاب كافة المشاكل السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية والأخلاقية التي يتخبط فيها العالم الإسلامي.

وبالإضافة إلى توجيه أسرته له منذ نعومة أظفاره إلى تلقي العلم والمعرفة وحفظ كتاب الله في فترة مبكرة جداً، كما أن بيئته الدراسية التي تعلم بها قد أثرت تأثيراً كبيراً في شخصيته، حيث تأثر عبد الحميد بن باديس بالمربين والمعلمين والشيوخ الذين نما استعدادهم وتعهدهم بالتوجيه والتكوين مستمدين مبادئهم السامية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وفوق هذا وذاك فهناك العامل الأهم في ذلك كله ألا وهو الشعب الجزائري وما ينطوي عليه من أصول الخير والنسب العريق في المحامد والفضائل، وهو ما عمل على تنميته والنضال من أجل تغليبته على جوانب النقص وعوامل السكون⁽³⁵⁾.

وعلى هذا الأساس فقد كانت روابط العروبة والإسلام بين الشعبين الشقيقين الجزائري والليبي على اتصال دائم منذ القدم، وشواهد التاريخ كثيرة في وقوف الشعبين الشقيقين في وجه الحملات الحربية التي قام بها القراصنة الأوروبيون والأمريكيون في عرض البحر المتوسط خلال العهد العثماني، بالإضافة إلى صمود وتلاحم الشعبين الشقيقين في مواجهة الاستعمار الفرنسي للجزائر سنة 1830م والاحتلال الإيطالي للبييا سنة 1911 ، وقد عزز ذلك روابط الأخوة العربية بين الشعبين الشقيقين، فكانت آلامهما واحدة، وآمالهما وتطلعاتهما إلى الاستقلال والحرية واحدة⁽³⁶⁾.

وإجمالاً فقد نظر الشيخ عبد الحميد بن باديس كما نظر غيره من الجزائريين إلى القطر الطرابلسي على أنه يمثل امتداداً للتراب الجزائري، وأن الشعب الطرابلسي يمثل امتداداً للشعب الجزائري الذي هو جزء من الأمة العربية والإسلامية بشكل عام ، وعلى هذا الأساس جاءت تصريحاته في مناسبات عديدة قائلاً: "إن لنا وراء هذا الوطن العزيز أوطاناً أخرى لنا هي منا على بال، هي أوطاننا العربية والإسلامية، نعمل لها كما نعمل لوطننا الأصغر، أو بعملا لوطننا الأصغر نكون قد عملنا لها لحريتها وسؤدها، ورفعها، فالحكم واحد، والمصير مشترك⁽³⁷⁾.

ويتضح للباحث من تلك النظرة أن التراب الطرابلسي بالنسبة لأبناء المغرب العربي كان المعبر الطبيعي الذي عبرت من خلاله جيوش الفاتحين العرب المسلمين الأوائل إلى المغرب العربي وإلى جنوب الأندلس من خلال جبل طارق، ومن خلاله أيضاً انطلقت القوافل التجارية، ورحلات الحجيج إلى الأماكن المقدسة ورحلات طلاب العلم والمعرفة نحو المشرق العربي .

2. الشيخ عبد الحميد بن باديس وفظائع الطليان في طرابلس الغرب وبرقة (ليبييا) 1929 - 1931م:

منذ أن سيطر الطليان الفاشست على مقاليد الحكم في إيطاليا أواخر شهر أكتوبر 1922 تطلّعوا إلى تحقيق أهداف حزبهم في تحقيق عظمة الدولة الإيطالية، وقد ارتبط ظهورهم بمواصلة الحرب في طرابلس الغرب وبرقة وفزان لاحتلالها بقوة السلاح ، ولجعلوا منها موطناً مكملاً لإيطاليا، ومنطقة لتوطين المزارعين الإيطاليين على حساب الليبيين وأراضيهم الزراعية الخصبة اقتداء بفرنسا فيما قامت به في كل مكان من الجزائر وتونس والمغرب عندما احتلت هذه البلاد فأقامت مشاريع استيطانية، وهو الهدف الذي تجلّى فيما بعد عند الفاشست في استيطان الأراضي الليبية⁽³⁸⁾.

ولتحقيق تلك الأهداف اتبع الفاشست أساليب قمعية في الغدر بالزعامات وإقامة المعتقلات الجماعية، ومصادرة الأملاك، وتشجيع الإيطاليين على الاستقرار بطرابلس الغرب وبرقة ليجعلوا منها موطناً جديداً كما يدعون، كذلك سخرت كل الإمكانيات لمصلحة الحرب ضد الليبيين، وأثرت تأثيراً بالغاً في حركة الجهاد الليبي التي دامت عشر سنوات متواصلة، ارتكب فيها الفاشست كثيراً من الجرائم التي ترتب عليها عدة أمور على المستويين الليبي والإيطالي سواء في مواصلة القتال أو في مشكلة الاستيطان (39).

وفي عام 1929 عين بادوليو حاكماً عاماً على طرابلس وبرقة فلجأ إلى استمالة عمر المختار قائد المقاومة الوطنية في برقة للمفاوضات وألقى بياناً حدد فيه خطوط سياسته ودعا للسلم والعفو عن جميع المهاجرين العرب الليبيين (40).

واتضح فيما بعد أن الغرض من تلك السياسة هو كسب الوقت لصالح الإيطاليين لكي يكملوا استعداداتهم العسكرية للقضاء على آخر جيوب المقاومة في طرابلس الغرب وفزان وبرقة الذين رفضوا كل المقترحات الإيطالية، وفضلوا مواصلة القتال على الخضوع والاستسلام للإيطاليين، ولكن ردة فعل الطليان الفاشست كانت عنيفة تجاه المجاهدين والسكان المدنيين على حد سواء فأعلن دي بوكسير وزير المستعمرات الإيطالية من روما قائلاً: "إن المتمردين أرادوا الحديث عن السلام والحماية ولكن الإيطاليين الفاشست لن يحموا المتمردين ولا الممتلكات... إنهم يمكنهم فقط قبول الخضوع، وخلاف ذلك فليس هناك إلا البنادق والرشاشات، وإذا دعت الضرورة فالمشاق (41)".

وفي عام 1930 عين غراتسياني نائباً للوالي بادوليو، فقام بتجريد السكان من سلاحهم ونصب المشانق وأسس المحاكم الطائفة لمحاكمة من يشك في تعاونه مع المجاهدين، وأقام معسكرات الاعتقال والإبادة الجماعية لحشر السكان بها، وأحاط الأراضي الزراعية بأسلاك شائكة، وشدد من حصاره على المجاهدين بمصادرة ممتلكاتهم، ومواشيهم، وقصف نجوعهم، وردم آبار المياه مما أثر على حركة الرعي والزراعة الموسمية وسبب في هلاك عدد كبير من المواشي، بالإضافة إلى إقامة خط من الأسلاك الشائكة يمتد من منطقة البردي إلى واحة الجغبوب بمسافة ثلاثمائة كيلومتر لمنع وصول الإمدادات من مصر إلى المجاهدين في برقة (42).

ويتضح لنا من تلك الإجراءات التعسفية أن الهدف الرئيسي منها هو القضاء على حركة المقاومة بغض النظر عن الوسيلة أو الثمن الذي تكلفه أو الكيفية التي يمكن بها الاستيلاء على الأراضي بدون سكانها الحقيقيين. وعلى هذا الأساس ارتفعت صيحات المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها معلنة احتجاجها على الممارسات اللإنسانية التي ترتكبها السلطات الإيطالية الفاشية بحق السكان المدنيين العزل في طرابلس الغرب وبرقة، كما شمرت الهيئات السياسية الليبية التي تكونت في دمشق وتونس عام 1929 عن سواعدها لإطلاق حملتها الإعلامية عبر الصحف العربية والمساجد، والميادين العامة، ومواسم الحج للتشهير بفظائع الإيطاليين في طرابلس الغرب وبرقة (43).

فقد أذاعت اللجنة التنفيذية للجالية الطرابلسية البرقاوية بتونس بياناً وصل إلى جميع المسلمين بواسطة الصحافة التونسية مع بداية سنة 1930، أوضحت فيه أن عشرات الآلاف من المسلمين أجليتهم إيطاليا عن ديارهم فهاموا على وجوههم في الصحراء الجزائرية التونسية، وجنوب الصحراء الكبرى، وهم يلاقون الأمرين نتيجة لانتشار الفقر والمجاعة وفقدان المأوى ويطلبون من إخوانهم المسلمين في تلك الأقطار الوقوف إلى جانبهم في محنتهم، ومما جاء فيه: "ربما لا يعرف إلى الآن إخواننا مسلمو تونس أن عشرة آلاف نفس من إخوانهم مسلمي طرابلس

بين صبية وشيوخ وبعض ما أبقتة حرب عشرين سنة من الشبان والكهول جهاداً في سبيل الله وابتغاء مرضاته في الدفاع عن بيضة الإسلام وأرض الإسلام قد نزلوا أرضهم ملتجئين إليها من تعسف الإيطاليين المغيرين عليهم، ومحاولة إبادتهم بالقتل والتشريد، وأن سبعة آلاف آخرين نزلوا أرض الجزائر بعد أن فقدوا قوة المقاومة هؤلاء كلهم رغماً عما لاقوه من حكومة فرنسا، وإخوانهم مسلمي القطرين من حسن الوفاء، فإنهم عرضة لخطر المجاعة بعد أن أنهكت قواهم الحرب.. ونحن في هذا العدد الكثير لذلك أصابنا من الخصاصة ما جعلنا نرفع هذا الصوت سائلين إخواننا إسعافنا والله لا يضيع أجر المحسنين، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون (44).

وتوالى الهجرات الليبية الجماعية إلى الأقطار المجاورة خلال سنة 1931 أيضاً حيث تناقلت الصحف التونسية والجزائرية أخبار تلك الهجرات الجماعية للأسر الليبية التي وصلت إلى الجزائر وهي في حالة يرثى لها، وقد تأسفت صحيفة الشهاب الجزائرية التي يصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس من قسنطينة لوضعية أولئك اللاجئين الطرابلسيين الذين وصلوا إلى التراب الجزائري قائلة: "أما الذين قدموا إلى الجنوب الجزائري من هؤلاء اللاجئين البائسين فيبلغ عددهم نحو السبعة آلاف على حافة فقر وبؤس لا يمكن أن يستطيع قلم وصفها.. وقد جمع لهم إخواننا أهل بسكرة الأبرار إعانة من بينهم" (45).

كما احتج الشيخ عبد الحميد بن باديس باعتباره رئيساً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين على التصرفات الإيطالية تجاه الطرابلسيين لدى رئيس جمعية حقوق الإنسان الفرنسية قائلاً: "الرئيس قيرنوط نهج لونيغريسي" إن الأمة الإسلامية الجزائرية لفي أقصى التأثر مما لحق بإخوانهم الطرابلسيين الذين ذهبوا ضحايا التوحش الفظيع وهي تريد أن تيسر ذلك لأن ترى تدخل جمعيتكم الأليق المصلحة هؤلاء المنكوبين" (46).

وتعتبر هذه البرقية صرخة احتجاج في وجه إحدى المنظمات العالمية التي تنادي بحقوق الإنسان في أوروبا، في وقت لم يكن فيه أقل صدق في العالم الغربي للاحتجاجات التي أطلق صرختها الليبيون وناصرهم في ذلك أشقاؤهم العرب وإخوانهم المسلمون .

وهكذا يرى الباحث أن موقف الشيخ عبد الحميد بن باديس من الفظائع الإيطالية في طرابلس الغرب وبرقة كان موقفاً شاملاً واضحاً وصريحاً يتسم بالحدة والصرامة والشجاعة، فلم يفرق بين ما ارتكبته إيطاليا في حق الليبيين وما ارتكبته فرنسا بحق الجزائريين؛ فكلا الاستعمارين الإيطالي والفرنسي من وجهة نظره وجهان لعملة واحدة، وكذلك الكفر ملة واحدة، وهو بذلك يضع الجميع أمام مسؤولياتهم التاريخية، ويحملهم المسؤولية أمام الله والتاريخ في إبادة الشعب العربي المسلم في طرابلس وبرقة المدافع عن وطنه المغصوب بقوة السلاح.

3. موقف الشيخ عبد الحميد بن باديس من ترسيخ السيادة الإيطالية على ليبيا عقب استشهاد عمر المختار :

ما إن انتهت حركة المقاومة عقب استشهاد عمر المختار في 16 سبتمبر 1931 حتى شرعت إيطاليا في تنفيذ مخططاتها الاستعمارية الرامية إلى توطين الإيطاليين في المزارع التي اغتصبتها من الليبيين (47) .

كما قامت بافتتاح العديد من المدارس الإيطالية بإقليمي طرابلس وبرقة واهتمت بشكل كبير بشريحة الفتيان الليبيين المعروفين بشيبيبة الليتوريو العربي، وعملت جاهدة على غرس الثقافة الإيطالية فيهم، وتشتتهم على الطريقة الفاشستية التي لا تعرف ولاء للوطن الحقيقي بل للزعيم موسوليني وإمبراطورتيه الرومانية التي حلم بها طيلة تلك السنوات.

وعلى هذا الأساس شرعت السلطات الإيطالية في تجنيد الشباب الليبيين لاستغلالهم في الحروب التي

تخوضها في الحبشة وإسبانيا، وأغرثهم بالأموال والمناصب والرحلات المجانية إلى الأماكن المقدسة في الأراضي الحجازية. ومع نهاية سنة 1935 وبداية سنة 1936م جندت إيطاليا حوالي تسعة آلاف مقاتل ليبي وأرسلتهم إلى ميناء مصوع بأريتريا، وبرافا في الصومال⁽⁴⁸⁾.

وفي محاولة من السلطات الإيطالية لتمويه الرأي العام العربي والدولي قامت بإطلاق سراح بعض المعتقلين السياسيين، كما قامت في خطوة أخرى تُعد كثر أهمية على الصعيد الوطني حيث قامت بتسريح الآلاف من المعتقلين من الرجال والنساء والأطفال المحشورين في معسكرات الاعتقال الجماعية في سلوق والمقرون، والبريقة، والعقيلة⁽⁴⁹⁾.

وعندما شعرت إيطاليا بخطورة وضعها وموقفها الحرج أمام الرأي العام العربي والإسلامي، والرأي العام الدولي أيضاً، أخذت تتقرب إلى الأقطار الإسلامية، وتفننت في وسائل الخداع والمراوغة، فقامت بنشر دعايتها على صفحات جريدتي "العدل" والرقيب العتيد الطرابلسيتين، فتصدت لها الصحف العربية في المشرق والمغرب العربي على حد سواء وقامت بحملة شعواء ضد إيطاليا وعملائها في كافة الأقطار العربية نالت بصفة مباشرة سمعة إيطاليا وزادتها كراهية على كراهيتها السابقة⁽⁵⁰⁾.

وفي الفترة من 10 إلى 22 مارس 1937م، قام موسوليني بزيارته الثانية إلى طرابلس وبرقة لافتتاح الطريق الساحلي الممتد على طول الساحل الليبي من قرية مساعد شرقاً على قرية رأس أجدير غرباً، ولكي يظهر أيضاً للسكان الليبيين وللعالم الإسلامي بأن إيطاليا تسعى لتطوير الاقتصاد الليبي، وتعمل من أجل رفاهية السكان المحليين، وأن بإمكان العالمين العربي والإسلامي الاعتماد على قوتها خاصة بعد أن أعلن موسوليني عن نفسه بأنه "حامي" الإسلام لكن الهدف الحقيقي من تلك الزيارة هو الإعلان أمام الرأي العام الأوروبي بأن طرابلس وبرقة أصبحتا جزءاً أساسياً من الإمبراطورية الإيطالية وخندقاً من خنادق المواجهة المحتلة في البحر المتوسط وفي المستعمرات الفرنسية في تونس والجزائر ومراكش، والمستعمرات الإنجليزية في مصر والمشرق العربي.

وقد علق الشيخ عبد الحميد بن باديس على تلك الرحلة عبر صحيفة الشهاب قائلاً: "إن هذه الرحلة ما هي إلا استعراض دجال، ولو كانت لنا بالضحك قوة لضحكنا من هذه الخزعلة الكبيرة، المضحكة فخرعلة السيف التي كلفت الحكومة مائتي ألف ليرة إيطالية وحملت إلى طرابلس وقدمت هناك من قبل فريق من المسلمين بموجب أوامر عليا أطلقوا عليه اسم "سيف الإسلام يا إيطاليا يا عديمة الرحمة يا دموية، ماذا فعلت خلال ربع قرن بنصف مليون من المسلمين؟ من الذي فوض طاغيتك في التحدث باسم الإسلام؟ وأن يعلن في انعدام ضمير على الطريقة الرومانية أنه حامي حمى الإسلام⁽⁵¹⁾".

كما سعى الشيخ عبد الحميد بن باديس من خلال جمعية العلماء المسلمين وجريدة الشهاب الناطقة باسمها أن يذكر الشعب الجزائري بمجاهدي العروبة والإسلام وعملهم الدائب لتعميق فكرة الأخوة العربية الإسلامية التي تجمع بينهم وبين أشقائهم الليبيين.

كما أصدرت جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة بتونس منشوراً بعنوان: استغاثة الجالية الطرابلسية البرقاوية بالعالم الإسلامي ورجال الإنسانية، وهو عبارة عن كراسة صغيرة من ثماني عشرة صفحة من الحجم الصغير تبدأ بطلب النجدة من المسلمين لإنقاذ القطر الطرابلسي من الحكومة الفاشستية التي تنشئ شعباً إيطالياً على أنقاض

شعب عربي، وتنتهي بتوجيه كلمة إلى موسوليني وشعبه⁽⁵²⁾ .

واستمراراً للدعاية الإيطالية الفاشستية كتب الحاكم العسكري لطرابلس وبرقة المارشال بالبو قائلاً: "إن مشاركة العربي في حياتنا الاجتماعية تبدأ منذ نعومة أظفاره سواء عن طريق التحاق التلاميذ بالمدارس والمعاهد الإيطالية في جميع المراكز، أو في التحاق الأحداث في شبيبة الليتوريو العربي، وتصير محكمة بعد التحاقه بالخدمة العسكرية، وليس عندنا في طرابلس - برقة حاكمون ومحكمون بل إيطاليون كاثوليكيون، وإيطاليون مسلمون وهؤلاء يتحدثون في مصير يُحسدون عليه لأنهم عناصر بناء لجهاز عضوي كبير وقوي هو الإمبراطورية الفاشستية⁽⁵³⁾ .

لكن الأمر الخطير الذي أرق الشيخ عبد الحميد بن باديس هو قرار المجلس الفاشستي الأعلى في أوائل شهر ديسمبر 1938م إلحاق طرابلس - برقة بإيطاليا، ذلك القانون الذي اتخذته الإيطاليون أداة لطينة الليبيين (تجنيس الليبيين بالجنسية الإيطالية) وكان هدفهم من ذلك القضاء على البقية الباقية من أبناء البلاد العربية المسلمين، فاحتج على ذلك بشدة وفصح أساليب الفاشست الرامية إلى طينة الليبيين وإحكام السيطرة عليهم، كما احتجت بالمقابل جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة بتونس على ذلك الإجراء⁽⁵⁴⁾ .

وإيماناً من الشيخ عبد الحميد بن باديس بأنه لن ينصلح حال الأمة الإسلامية إلا إذا صلح علماءها لأنهم بمثابة القلب للأمة، ولن ينصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم وقوي إيمانهم فإنه لم يتردد في توجيه نقده اللاذع إلى بعض المواقف المتخاذلة لبعض العلماء الذين سخرتهم إيطاليا لخدمة أغراضها في السابق، ويذكر بالموقف المشين الذي وقفه قاضي قضاة طرابلس عندما قام في هيئته الشرعية فقدم سيفاً لموسوليني خلال زيارته السابقة إلى طرابلس فيكرر استهجانه لذلك الموقف قائلاً: "منذ زمن قريب قام قاضي طرابلس فقدم سيفاً لموسوليني، فلم يكفه أن يسميه سيف طرابلس فيكذب على وطنه وقومه فسماه سيف الإسلام ليكذب على دينه وربّه، وزاد في هذا الإفك والجرأة أن سمي مستعبده، ومستبعد إخوانه المسلمين حامي الإسلام.

مما سبق يمكننا القول إن الشعب الجزائري الشقيق بكافة شرائح مجتمعه ، وخاصة علماءه الأجلاء وفي مقدمتهم الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الجزائرية الحديثة تنبه إلى خطورة الإجراءات الاستعمارية فطالب الشعب الجزائري بالوقوف إلى جانب أشقائه الطرابلسيين، وطالب بجلاء المستعمرين الإيطاليين عن التراب الطرابلسي، واحتج لدى المنظمات الإنسانية الدولية، ونادى بالمحافظة على وحدة التراب الليبي وشعائر الدين الإسلامي، وسعى إلى تعميق فكرة الأخوة العربية الإسلامية التي تجمع بين الليبيين والجزائريين، وكانت ميادينه في ذلك المساجد والساحات العامة والاجتماعات الوطنية والقومية والمناسبات الدينية، وكتابته لكثير من المقالات الصحفية في الصحف الجزائرية وخاصة جريدة الشهاب الناطقة باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

الخاتمة :

اتضح مما سبق أن الدعم المادي والمعنوي الجزائري كان له أثر كبير في حركة المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الإيطالي ، وقد ارتبط هذا الدعم بالمشاركة المباشرة في الجهاد، وقد استشهد عدد منهم على تراب ليبيا نصرة للدين ولإخوانهم ، وهذا يوضح وحدة الضمير الجمعي ووحدة المصير بين أبناء الأمة الواحدة، وأن الحدود التي صنعها المستعمر بين الدول لم تكن حاجزاً للشعور بالظلم والغبن الذي سببه الاستعمار .

الهوامش :

- (1) مصطفى حداد موقف الجزائر من الغزو الإيطالي لليبيا مجلة الشهيد، العدد 7-8 طرابلس مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية أكتوبر 1987 ، ص 48
- (2) مصطفى علي هويدي، "دور الشعب الجزائري في دعم حركة الجهاد في ليبيا"، مجلة آفاق تاريخية، السنة الثانية العدد الثاني، الجمعية التاريخية العربية الليبية 1977 ص 62
- (3) مصطفى حداد، المرجع السابق، ص 49 ، وأروخان قول أوغلو، نشأة الرأي العام الإسلامي أثناء الأشهر الستة الأولى من الحرب الليبية 1911-1912 مجلة البحوث التاريخية عدد 3، طرابلس مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1985 ، ص 191، ص 198 . وأبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930، ط 1 ، بيروت منشورات كلية الآداب، 1969، ص 138
- (4) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1990 ، ص 138-123 .
- (5) ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج 2 الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988 ، ص 246-265.
- (6) محمد الأسطى: مذكرات ضابط ليبي، مجلة الأفكار ، ع 6 ، 1959/08/27م، ص 27 - 28 .
- (7) الغزو الإيطالي لليبيا: مجلة الشهيد، ع 7، 8، 1986م، ص 49.
- (8) حداد مصطفى: موقف الجزائر من الغزو الإيطالي، مجلة الشهيد ، ع 7 ، 8، 1986م، ص 49.
- (9) حداد مصطفى: موقف الجزائر من الغزو الإيطالي ، المرجع السابق، ص 50-51.
- (10) إبراهيم مياسي لمحات من جهاد الشعب الجزائري ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2007 ، ص 290.
- (11) أبو القاسم سعد الله هموم حضارية، دار الأمة، م 1 ، الأول سنة 1930م، الجزائر، ص 123.
- (12) عميرايو إحميدة: نبالة المواقف الليبية في الثورة الجزائرية، 1954 - 1962م، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية سنة 2009م، ص 30
- (13) محمد صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية مجلد 19/202 - 1932م، الدار العربية للكتاب ليبيا ص 274.
- (14) المرجع نفسه ، ص 248 .
- (15) محمد صلاح الجابري المصدر نفسه، ص 249.
- (16) محمد ميلاد مبارك، المجاهد المرحوم الحاج مصطفى الجزائري، شيء عن حياته وجهاده، مجلة الشهيد العدد المزدوج السابع والثامن، سنة 1986 - 1987م، ص 173.
- (17) حديث مسجل المصطفى عوني لدى مكتبة المشيرقي.
- (18) نفس المرجع، ص 173.
- (19) جمعة عبد الصبور هذا الرباط المقدس بين جبل الجزائر والجبل الأخضر، الأسبوع الثقافي عدد 5 جمادي الثانية، 1398 ، ص 16
- (20) المرجع السابق، ص 16.

- (21) محمد ميلاد مبارك، المصدر السابق، ص 181.
- (22) محمد ميلاد مبارك، مرجع سابق، ص 183-184.
- (23) حديث لمصطفى عوني، مسجل لدى مكتبة المشرق.
- (24) نفس المرجع .
- (25) جمعة عبد الصبور، هذا الرباط المقدس، مرجع سابق، ص 16-17
- (26) مصطفى عوني، حديث مسجل لدى مكتبة المشيرفي.
- (27) نفس المرجع السابق .
- (28) حديث مسجل لمصطفى عوني التقراوي لدى مكتبة الهادي المشيرفي الشخصية.
- (29) مصطفى سعد الهانين، أثر الدين في جهاد الليبيين"، مجلة الشهيد، العدد 30 طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1982، ص 61.
- (30) الرأي العام الإسلامي خلال الحرب الليبية الإيطالية، تأليف كولوغلو أورخان، ترجمة عبد القادر مصطفى المحيشي، الناشر مركز جهاد الليبي، 2000م، ص 56-242.
- (31) ناصر الدين سعدوني، صدى كفاح عمر المختار في الجزائر، مجلة البحوث التاريخية، (العدد 2)، 1988م.
- (32) البصائر، 30 ديسمبر 1931م، عدد 29 السنة السابعة عنوان الحلقة الأخيرة في الجهاد الوطني، ص 48 .
- (33) الشيخ عبد الحميد بن باديس "أيها الرسميون اتقوا الله في الإسلام والقرآن، البصائر، عدد 146 ، الجزائر، 30 ديسمبر 1938 ، والظاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1944 ص 28 .
- (34) ناصر الدين سعدوني، صدى كفاح عمر المختار في الجزائر، مرجع سابق، ص38.
- (35) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر، مجلة الثقافة الجزائر، 12 : 38 1982 ص 29-48 و رابح تركي الصراع بين جمعية العلماء وإدارة الاحتلال الفرنسي للجزائر في الفترة ما بين 1933-1939 ، مجلة الثقافة الجزائر، 5: 85، 1985 ، ص 183-202 ، ومحمد صالح الجابري النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962 ، طرابلس تونس الدار العربية للكتاب، 1983 ص 36-59 .
- (36) نفس المرجع السابق ، ص 35-36 .
- (37) عمر منصور الشتيوي (جمع وترتيب)، حرب القرصنة بين دول المغرب العربي والولايات المتحدة، ط2، طرابلس دار الفرجاني للنشر، 1993 ، ص 89 - 129 ، وأحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية 1956 ص 67-76.
- (38) عمر بن قينة، أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب، دمشق، اتحاد الكتاب العرب 2000 ، ص 35
- (39) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط 2، طرابلس، دار الفرجاني، 1993 ث، ص 444.

- (40) مصطفى أحمد أثر الفاشست في حركة الجهاد الليبي 1922-1932 ، مجلة الشهيد عدد 3 طرابلس مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1982 ، ص 85-86.
- (41) رودولفو غراتسياني، برقة الهادئة، ط3، ترجمة إبراهيم سالم بن عامر بنغازي، دار الأندلس، 1980 ، ص 41 ومنشور بتوقيع والي ليبيا مارشال إيطاليا بترو بادوليو بعنوان "يا أهالي برقة" صدر في بنغازي بتاريخ 19 يونيو 1929 ، مجلة الثقافة العربية عدد 8،9 طرابلس أمانة الإعلام والثقافة أغسطس سبتمبر 1988 ص 939.
- (42) مفتاح السيد الشريف الاستعمار الإيطالي للبييا بواعثه وأسبابه، طرابلس ، دار النشر الليبية 1970 ، ص 58-64.
- (43) كنود هولمبو، صراع الصحراء، تعريب عمر الحاج طرابلس درا المصراطي، 1969 ، ص 208 وغراتسياني، برقة الهادئة، ص 21 .
- (44) حول نشأة اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية بدمشق، وعلاقتها بالمهاجرين الليبيين في تونس انظر: بشير السعداوي، رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية، كتاب مفتوح إلى عموم الجالية الطرابلسية البرقاوية بالقطر التونسي، جريدة الصواب عند 596 تونس 18 أكتوبر 1929، ص2.
- (45) تونس، طرابلس برقاوي، "الحكم الإيطالي في القرن العشرين، ربع مليون طرابلسي برقاوي يفر من جوز الفاشست"، القبس، عدد 296 ، دمشق، 07 فبراير 1930 ، ص 1 . وعبد العاطي الطرابلسي، بيان عن أحوال طرابلس الغرب إيطاليا تجلى المسلمين عن ديارهم عشرة آلاف من المهاجرين يتألمون من الجوع نداء إلى العالم الإسلامي بواسطة الصحافة الإسلامية التونسية لسان الشعب عدد 437، تونس، 6 مايو 1931، ص 1 وكذلك ح. ز. طرابلس مهاجر الفطائع الاستعمارية بطرابلس برقة إلى العالم عموماً، النهضة، عدد 2495 ، تونس، 06 مايو 1931، ص 1.
- (46) ناصر الدين ،سعدوني دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص 276 .
- (47) عبد الحميد بن باديس، فطائع الطليان، الشهاب ج6 ، مجلد 7، قسنطينة، يوليو 1931 ، ص 413، ولمعرفة المزيد عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين انظر على سبيل المثال، أحمد الخطيب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985 ، ص 217 ، ومازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939 ، دمشق بيروت، دار القلم دار العلوم، ط 1 ، 1408 هـ / 1988م، وعبد الكريم بوصفصاف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 1966 ، ص 322 و جمعية حقوق الإنسان تحتج على الفطائع في برقة وطرابلس"، الشورى، عدد 335 ، القاهرة، 5 أغسطس 1931، ص 2.
- (48) . علي أحمد حبيب الاستيطان الإيطالي في ليبيا 1931-1970 - (ماجستير) القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية قسم الدراسات التاريخية، 2003، ص 94-98.
- (49) ديل بوكا، الإيطاليون في ليبيا، ج2، ترجمة محمود علي التائب، مراجعة عمر محمد الباروني طرابلس مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1995، ص 323-326 .

- (50) المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف شكري فيصل، رقم (14)، الظرف السادس، و.ر (40)، رسالة من شكيب أرسلان إلى بشير السعداوي يذكر له جهوده مع إيطاليا لاسترجاع 60 ألف عربي إلى الجبل الأخضر، جنيف بتاريخ 2 تشرين الثاني (نوفمبر).
- (51) سياسة إيطاليا نحو المسلمين كما ترونها الدعاية الإيطالية للبلاد، عدد 462. بغداد، 8 يناير 1936، ص 6.
- (52) الشهاب قسنطينة: أبريل 1937، والحبیب المزيو موسوليني حامي الإسلام العصر الجديد عدد 188 صفاقس 13 مارس 1937، ص 2، وأمين سعيد، أصحیح أن السنيور موسوليني صديق العرب والإسلام، العصر الجديد، عدد 191، صفاقس، 9 إبريل 1937، ص 32.
- (53) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا، ج 1 مجلد 1، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1957، ص 852.
- (54) انجليو ديل بوكا، الإيطاليون في ليبيا، 315. الاستعمار الإيطالي في طرابلس وبرقة، احتجاج جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة بتونس على إلحاق طرابلس الغرب بإيطاليا، الرأي العام، عدد 142، بغداد، 1 ديسمبر 1938، ومحمد فؤاد شكري ميلاد دولة ليبيا، ج 1، مجلد 1 ص 153، و "دستور الإيطاليين المسلمين ليبيا المصورة، العدد 2 السنة 4 نوفمبر 1938م

عنوان البحث

أثر الترقية في تحقيق الولاء التنظيمي.

دراسة ميدانية ديوان الضرائب محلية شندي خلال الفترة من 2020-2024م

د. محمد محجوب سليمان فضيل¹

¹ استاذ ادارة الاعمال المساعد، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة شندي، السودان.

بريد الكتروني: MMSF1992@GMAIL.COM

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/20>

تاريخ القبول: 2024/02/20م

تاريخ النشر: 2024/03/01م

المستخلص

هدفت الدراسة إلى معرفة أثر الترقية في تحقيق الولاء التنظيمي. تمثلت مشكلة الدراسة في ماهو أثر الترقية في تحقيق الولاء التنظيمي؟. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ومنهج دراسة الحالة والمنهج الإحصائي حيث تم تصميم إستبانة لجمع البيانات وتم تحليلها إحصائياً باستخدام حزمة التحليل الإحصائي للعلوم الإجتماعية. افترضت الدراسة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الترقية والولاء التنظيمي وتوصلت الدراسة إلى أن وجود فرص كافية للترقية يزيد من ولاء العاملين تجاه المنظمة و قصر الفترات الزمنية بين الترقيات يساهم في استقرار العاملين.أوصت الدراسة بضرورة وجود فرص كافية للترقية لزيادة ولاء العاملين تجاه المنظمة و أن تكون الفترات الزمنية بين الترقيات قصيرة لأن ذلك يساهم في إستقرار العاملين.

RESEARCH TITLE

**THE EFFECT OF PROMOTION ON ACHIEVING
ORGANIZATIONAL LOYALTY.****A field study on the Tax Office in Shendi locality during the period from 2020-2024****MOHAMMED MAHGOUB SULIMAN FEDAIL¹**

¹ Assistant Professor of Business Administration, Faculty of Economics and Administrative Sciences, Shendi University, Sudan. Email: MMSF1992@GMAIL.COM

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/20>

Published at 01/03/2024**Accepted at 20/02/2024****Abstract**

The study aimed to determine the effect of promotion on achieving organizational loyalty. The problem of the study was: What is the effect of promotion on achieving organizational loyalty? The study used the descriptive analytical method, the case study method, and the statistical method. A questionnaire was designed to collect data and was statistically analyzed using the Statistical Analysis Package for the Social Sciences. The study assumed the existence of a statistically significant relationship between promotion and organizational loyalty. The study concluded that the presence of sufficient opportunities for promotion increases employees' loyalty toward the organization, and short periods of time between promotions contribute to the stability of employees. The study recommended the necessity of having sufficient opportunities for promotion to increase employees' loyalty toward the organization and that the time periods between promotions are short because this contributes to the stability of employees.

أولاً الإطار المنهجي للدراسة:

تمهيد:

يعتبر استقرار العاملين في المنظمة من الموضوعات المهمة التي تشغل إدارة المنظمات حيث زادت المنافسة بين المنظمات في جذب العمالة المؤهلة والعمل على إستبقائها والحفاظ عليها ولا يتحقق ذلك إلا من خلال توفير بيئة عمل ملائمة تجعل العاملين راضين عن المنظمات الأمر الذي يحقق ولاء العاملين لمنظماتهم ويعتبر إتاحة فرص الترقى والتقدم الوظيفي من أهم الأسباب التي تزيد من ولاء العاملين الأمر الذي يوفر الإستقرار داخل المنظمات ويساعدها على البقاء والإستمرار .

اهمية الدراسة :

تبرز اهمية الدراسة من اهمية موضوع الترقية وعلاقتها بالولاء التنظيمي بجانب العمل على الخروج بنتائج وتوصيات تساعد ادارة المنظمات في تحقيق الولاء التنظيمي للعاملين بها من خلال توفير فرص الترقى والتقدم لهم اضافة الى إثراء المكتبات بمعلومات جديدة حول موضوعي الترقية والولاء التنظيمي .

أهداف الدراسة :

- 1- توضيح مفهوم الترقية والأنواع المختلفة لها .
- 2- بيان العلاقة بين الترقية والولاء التنظيمي.
- 3- توضيح مفهوم الولاء التنظيمي .

مشكلة الدراسة :

تتمثل مشكلة الدراسة في ضعف الولاء التنظيمي للعاملين تجاه المنظمات التي يعملون بها ولعل ذلك يرجع لعدم توفر فرص كافية للترقية والتقدم الوظيفي داخل منظماتهم.

وتتمحور مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس : ماهو أثر الترقية في تحقيق الولاء التنظيمي؟

فرضية الدراسة :

توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الترقية والولاء التنظيمي.

منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ومنهج دراسة الحالة بالإضافة إلى المنهج الإحصائي وذلك باستخدام استبانة يمكن تحليلها احصائياً باستخدام برنامج حزمة التحليل الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) .

مصادر جمع المعلومات :

1/ مصادر أولية :

تتمثل في اعداد استبانة لجمع المعلومات تغطي جوانب الدراسة وأيضاً المقابلات الشخصية حيث يتم اجراء مقابلات شخصية مع بعض الموظفين من المستويات الإدارية العليا والوسطي.

2/ مصادر ثانوية :-

وتتمثل في الكتب والمراجع والدوريات والرسائل الجامعية بالإضافة إلى الشبكة العنكبوتية .

حدود الدراسة :

حدود مكانية : محلية شندي , ديوان الضرائب

حدود زمانية: 2002م-2024م

الدراسات السابقة:

1/ دراسة: كريم وسهيله 2023م

تناولت الدراسة الإتجاهات النظرية لتفسير مفهوم الترقية وهدفت الدراسة إلى تحديد آلية الترقية المهنية في المنظمة من مختلف الاتجاهات والنظريات وتمثلت مشكلة الدراسة في ماهو مفهوم عملية الترقية من منظور النظرية الكلاسيكية ونظرية العلاقات الإنسانية ونظرية Z ؟ افترضت الدراسة ان الترقية عند الاتجاه الكلاسيكي عملية تنظيمية صارمة غير متاحة للجميع توصلت الدراسة إلى أن الترقية كانت ترتبط بمعايير علمية وأساليب فنية تمتحن فيها الكفاءات والقدرات النفسية والعلمية الإنسانية مما يؤدي إلى الإبداع والجودة .

2/ دراسة :علي وحيدر 2022م

تناولت الدراسة اسلوب الترقية في اختيار القيادات الادارية في قوى الامن الداخلي تمثلت مشكلة الدراسة في تعدد العدالة والمساواة بشكل عام الجوهر في القوانين التي نظم الوظيفة الشرطية وتوصلت الدراسة الى أن الترقية بالأقدمية بشكل منفرد لاتصلح في الوظيفة الشرطية وأن قوانين الوظيفة الشرطية في الدول محل المقارنة والعراق تأخذ معياري الترقية بالأقدمية اضافة الى الترقية بالاختيار اوصت الدراسة بوضع الضوابط الخاصة بتقارير تقييم الاداء وجعل التقييم فيها على اساس الكفاءة والمهنية واعادة النظر في ترتيب وتوصيف الوظائف الشرطية.

3/ دراسة :وديع وسهيله 2020م

تناولت الدراسة الترقية والولاء التنظيمي وهدفت الدراسة إلى محاولة صياغة اطار تصوري لمسألة الترقية والولاء التنظيمي وتمثلت مشكلة الدراسة في التساؤل هل يساهم نظام الترقية في تحقيق الولاء التنظيمي وافترضت الدراسة مساهمة نظام الترقية في تحقيق الولاء التنظيمي توصلت الدراسة إلى أن للترقية دور في تحقيق الولاء التنظيمي واوصت بمراجعة تطبيق نظام الترقية وتوزيع العلاوات والمكافآت على العمال بعيداً عن المحسوبية.

التعقيب على الدراسات السابقة :

تناولت الدراسات السابقة الترقية من جوانب مختلفة شملت الاتجاهات النظرية لمفهوم الترقية واساليب الترقية المتبعة في المؤسسات إضافة إلى علاقة الترقية بالولاء التنظيمي بينما تناولت الدراسة الحالية أثر الترقية في تحقيق الولاء التنظيمي من خلال دراسة مدى إرتباط الولاء التنظيمي بتوفر فرص الترقية داخل المنظمات.

ثانياً الإطار النظري للدراسة:

مفهوم الترقية:

تعرف الترقية بأنها بأنها عملية تخصيص الفرد على وظيفة ذات مستوى أعلى . وقد تكون من وظيفة إلى وظيفة أخرى أعلى وأكثر صعوبة ومسؤولية , كما قد تكون من درجة إلى درجة أخرى في نفس الوظيفة .(مقادري وآخرون:2016, 139).

ويمكن تعريف الترقية بأنها إنتقال الموظف من مركزه الحالي إلى مركز أعلى وعادة ماتكون مصحوبة بزيادة في الأجر والإمميزات المختلفة.

أبعاد الترقية:

البعد الاجتماعي :

حيث أن الفرد يسعى من خلال الترقية إلى تحسين وتغيير مكانته الاجتماعية.

ب. البعد السيكولوجي :

حيث أن الترقية تعبر عن النجاح والوصول إلى تحقيق الأهداف والطموحات التي يسعى لها كل فرد وبالتالي الشعور بالثقة.

ج. البعد الثقافي :

حيث تختلف نظرة المجتمعات للترقية فالبعض يراها رمزاً للنجاح والتقدم فيما يرى البعض الآخر الترقية حيلة حتمية تحدث مع مرور الوقت. (كريم وسهيلة: 2032م، ص220).

أسس الترقية:

تتبع المنظمات أسس معينة في ترقية الأفراد العاملين بها وتتمثل هذه الأسس في الآتي:

الترقية وفقاً للجدارة والكفاءة:

حيث يتم ترقية الأفراد على حسب درجة كفاءتهم من خلال استخدام الأساليب التالية:

إختبارات الترقية : وهي إختبارات مصممة للكشف عن عن أفضل المرشحين الذين تتوافر لديهم المعارف والمهارات والقدرات اللازمة لأداء الوظيفة.

تقارير تقويم الأداء وهي تقارير ربع سنوية أو نصف سنوية تنظم من قبل الرؤساء المباشرين بحق رؤوسهم الذين يعملون معهم.

نتائج إجتياز بعض البرامج التدريبية: قد يكون إجتياز بعض البرامج التدريبية شرطاً للترقية . كما قد تعتبر نتائج إجتياز هذه البرامج معياراً للمفاضلة عند الترقية.

الترقية بالأقدمية : حيث يتم ترقية الأفراد وفقاً لأقدميتهم في العمل دون النظر لمستوى كفاءتهم وجدارتهم وهو نظام يتعرض للانتقاد نتيجة لعدم أخذه في الاعتبار كفاءة وجدارة الأفراد.

ج. الترقية بالكفاءة والأقدمية معاً: حيث يعتمد هذا النظام على المزج بين نظامي الجدارة والأقدمية ويلقى إستحسان العاملين في المنظمات. (مقادي وآخرون: 2016م، ص140-141)

مفهوم الولاء التنظيمي:

يمكن تعريف مفهوم الولاء التنظيمي بأنه شعور الفرد بالانتماء للمنظمة والرغبة في البقاء والإستمرار في المنظمة والعمل على تحقيق أهدافها.

وعرفه بورتر وستيرز بأنه مدى إندماج الموظف أو العامل مع المؤسسة التي يعمل بها .

ويعرف جورج الولاء التنظيمي بأنه حالة وجدانية وذو أبعاد مختلفة ولكن مترابطة ومن الصعب تحديد العنصر الأقوى ولكن من المؤكد تأثيره على تصرفات العامل.

ويعرف الولاء التنظيمي أيضاً بأنه إستعداد الفرد لبذل درجات عالية من الجهد لصالح التنظيم والرغبة القوية في البقاء في التنظيم وقبول القيم والأهداف الرئيسية للتنظيم. (وديع وسهيلة : 2022م، ص12-13)

من خلال ماسبق يمكن تعريف الولاء التنظيمي بأنه رغبة الفرد في البقاء في المنظمة مع العمل على خدمتها وإقتناعه بأهدافها والسعي لتحقيق وإنجاز هذه الأهداف.

أهمية الولاء التنظيمي:

تظهر أهمية الولاء التنظيمي من خلال مجموعة من العناصر يمكن إيرادها على النحو التالي:

أ. للولاء التنظيمي دور مهم في رفع الروح المعنوية للعاملين وجعلهم يحبون عملهم والمؤسسة التي يعملون بها.

ب. يساعد على بقاء المؤسسة وإستمراريتها.

ج.يزيد من فعالية جماعة العمل وتماسكها وإستقرارها.

أنواع الولاء التنظيمي:

صنف الكتاب الولاء التنظيمي إلى عدد من الأنواع منها:

أ. الولاء المستديم: يشير إلى المدى الذي يستطيع فيه الفرد التضحية بالكثير من الجهد والطاقة مقابل بقاء مؤسسته وإستمرارها.

ب. الولاء التلاحمي ويشير إلى العلاقة التي تنشأ بين الفرد والمؤسسة نتيجة لقيام المؤسسة بأنشطة إجتماعية إعتراضاً منها بجهود العاملين بها.

ج. الولاء الرقابي: وينشأ هذا النوع من الولاء عندما يعتقد الفرد بأن المعايير والقيم الموجودة في التنظيم تمثل دليل لتوجيه سلوكه.

مراحل الولاء التنظيمي:

تتمثل خطوات الولاء التنظيمي في التالي:

أ. مرحلة الإذعان : وفيها يتقبل الفرد سلطة الآخرين ويلتزم بما يطلبونه منه مقابل الحصول على الفوائد المختلفة من المؤسسة.

ب. مرحلة التماثل والتطابق : وفيها يقبل الفرد سلطة الآخرين وتأثيرهم رغبة منه في الإستمرار في العمل في المؤسسة.

ج. مرحلة مابعد التعيين: حيث أن الأفراد يلتحقون للعمل بالمنظمة وتكون لديه الرغبة في الحصول على القبول من التنظيم.

ويتميز أصحاب الولاء التنظيمي بمجموعة من الصفات تشمل :

1. الإخلاص في العمل.
2. النزاهة والإستقامة.
3. الإلمام بأبعاد الوظيفة.
4. التعاون وقوة الشخصية.(وديع وسهيلة:2020م،ص54)

ثالثاً: الدراسة الميدانية:

أولاً: إجراءات وتحليل بيانات الدراسة
أداة الدراسة :

تناول الباحث في هذا الفصل وصفاً للطريقة والإجراءات التي أتبعها في تنفيذ هذه الدراسة ، حيث قام بأخذ عينة عشوائية بسيطة من مجتمع الدراسة والذي يمثل العاملين بديوان الضرائب ، حيث تم اختيار 30 مبحوث ليمثلوا عينة الدراسة وتمثلت إجراءات الدراسة في الآتي:

أولاً: إختبار الصدق والثبات:

جدول (1) إختبار الصدق والثبات

المعامل	القيمة	التفسير
معامل ارتباط ألفا كرونباخ للثبات	0.88	إجابات المبحوثين على عبارات الاستبيان تتميز بالثبات
معامل ارتباط ألفا كرونباخ للصدق	0.79	إجابات المبحوثين على عبارات الاستبيان تتميز بالصدق

من الجدول (1) نلاحظ أن قيمة ارتباط ألفا كرونباخ تساوي 0.88 وهي أكبر من 0.5 مما يدل على أن عبارات الاستبيان تتميز بدرجة ثبات عالي ، وكذلك أن قيمة ألفا كرونباخ للصدق تساوي 0.79 وهي أكبر من 0.5 مما يدل على أن عبارات الاستبيان تتميز بدرجة صدق عالي.

ثانياً: وصف البيانات الشخصية للأستبيان:-

1-العمر:-

جدول (2) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة وفق متغير الفئة العمرية

الفئة العمرية	العدد	النسبة المئوية %
أقل من 30 سنة	4	13.3
30 وأقل من 40 سنة	6	20.0
40 وأقل من 50 سنة	8	26.7
50 سنة فأكثر	12	40.0
المجموع	30	%100

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية 2024م

يتضح من الجدول (2) أعلاه أن هنالك (40.0%) فرد أعمارهم 50 سنة فأكثر، وأن هنالك نسبة (26.7%) فرد أعمارهم من 40 وأقل من 50 سنة ، وأن هنالك (20.0%) فرد أعمارهم أقل من 30 وأقل من 40 سنة ، وأن هنالك نسبة (13.3%) فرد أعمارهم أقل من 30 سنة.

2- المؤهل العلمي:-

جدول (3) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة وفق متغير المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	العدد	النسبة المئوية %
ثانوي	3	10.0
جامعي	20	66.7
فوق الجامعي	7	23.3
أخرى	0	0
المجموع	30	%100

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية 2024م

يتضح من الجدول (3) أعلاه أن هنالك (66.7%) فرد مؤهلهم العلمي جامعي، وأن هنالك نسبة (23.3%) مؤهلهم العلمي فوق الجامعي، وأن هنالك نسبة (10.0%) مؤهلهم العلمي ثانوي .

3- التخصص :-

جدول (4) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة وفق متغير التخصص

التخصص	العدد	النسبة المئوية %
اقتصاد	5	16.7
إدارة أعمال	5	16.7
محاسبة	12	40.0
أخرى	8	26.7
المجموع	30	%100

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية 2024م

يتضح من الجدول (4) أعلاه أن هنالك (40.0%) فرد تخصصهم محاسبة، وأن هنالك نسبة (26.7%) فرد تخصصهم أخرى ، وأن هنالك (16.7%) فرد تخصصهم إدارة أعمال ، وأن هنالك (16.7%) فرد تخصصهم اقتصاد.

4- سنوات الخبرة:-

جدول (5) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة وفق متغير سنوات الخبرة

عدد السنوات	العدد	النسبة المئوية %
أقل من 5 سنوات	3	10.0
5 سنوات وأقل من 10 سنوات	3	10.0
10 سنوات وأقل من 15 سنة	3	10.0
15 سنة فأكثر	21	70.0
المجموع	30	%100

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية 2024م

يتضح من الجدول (5) أعلاه أن هنالك (70.0%) فرد سنوات خبرتهم 15 سنة فأكثر، وأن هنالك نسبة

(10.0%) فرد سنوات خبرتهم أقل من 5 سنوات ، وأن هنالك نسبة (10.0%) فرد سنوات خبرتهم 5 سنوات وأقل من 10 سنوات، وأن هنالك نسبة (10.0%) فرد سنوات خبرتهم 10 سنوات وأقل من 15 سنة .

5- المسمى الوظيفي:-

جدول (6) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة وفق متغير المسمى الوظيفي

المسمى الوظيفي	العدد	النسبة المئوية %
مدير	7	23.3
مساعد مدير	4	13.3
موظف	11	36.7
محاسب	3	10.0
متحصل	3	10.0
أخرى	2	6.7
المجموع	30	%100

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية 2024م

يتضح من الجدول (6) أعلاه أن هنالك (36.7%) فرد مساهم الوظيفي موظف، وأن هنالك نسبة (23.3%) فرد مساهم الوظيفي مدير ، وأن هنالك نسبة (13.3%) فرد مساهم الوظيفي مساعد مدير، وأن هنالك نسبة (10.0%) فرد مساهم الوظيفي محاسب ، وأن هنالك نسبة (10.0%) فرد مساهم الوظيفي متحصل، وأن هنالك نسبة (6.7%) فرد مساهم الوظيفي أخرى.

عرض ومناقشة الفرضية:

(توجد علاقة ذات إحصائية بين الترقية والولاء التنظيمي)

جدول (7) الوسط الحسابي والانحراف المعياري عن الفرضية

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
وجود فرص كافية للترقية يزيد من ولاء العاملين تجاه المنظمة.	4.70	.702	إجابات المبحوثين تميل نحو الموافقة بشدة
قصر الفترات الزمنية بين الترقيات يساهم في استقرار العاملين.	4.30	.877	إجابات المبحوثين تميل نحو الموافقة بشدة
توضيح شروط الترقية يحقق الرضا الوظيفي للعاملين.	4.67	.661	إجابات المبحوثين تميل نحو الموافقة بشدة
اتباع نظام الجدارة في الترقية يرفع الروح المعنوية للعاملين.	4.60	.675	إجابات المبحوثين تميل نحو الموافقة بشدة
مراجعة شروط الترقية باستمرار يحقق العدالة في الترقيات.	4.60	.621	إجابات المبحوثين تميل نحو الموافقة بشدة
اتباع نظام الأقدمية فقط يقلل روح المبادرة والإبتكار.	4.20	1.095	إجابات المبحوثين تميل نحو الموافقة بشدة
التوافق بين نظام الترقية وقوانين العمل السارية يقلل من الصراعات.	4.20	.714	إجابات المبحوثين تميل نحو الموافقة بشدة
وجود عائد مادي مجزي لمصاحب للترقية يزيد من دافعية العاملين.	4.83	.592	إجابات المبحوثين تميل نحو الموافقة بشدة

يتضح من جدول (7) بعد قراءات الوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجة الموافقة ان اغلبية المبحوثين تميل إجاباتهم نحو الموافقة بشدة بمعنى ان كل المبحوثين موافقون بدرجة عالية على جميع ما جاء بها كإجابات معتبرة تؤكد صحة الفرضيات.

جدول (8) نتائج مربع كاي لدلالة الفروق لاجابات الفرضية

العبارة	قيمة مربع كاي	القيمة الاحتمالية	التفسير
وجود فرص كافية للترقية يزيد من ولاء العاملين تجاه المنظمة.	49.200	0.000	توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية
قصر الفترات الزمنية بين الترقيات يساهم في استقرار العاملين.	19.333	0.000	توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية
توضيح شروط الترقية يحقق الرضا الوظيفي للعاملين.	23.400	0.000	توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية
اتباع نظام الجدارة في الترقية يرفع الروح المعنوية للعاملين.	18.600	0.000	توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية
مراجعة شروط الترقية باستمرار يحقق العدالة في الترقيات.	16.800	0.000	توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية
اتباع نظام الأقدمية فقط يقلل روح المبادرة والإبتكار.	16.667	0.001	توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية
التوافق بين نظام الترقية وقوانين العمل السارية يقلل من الصراعات.	22.533	0.000	توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية
وجود عائد مادي مجزي لمصاحب للترقية يزيد من دافعية العاملين .	43.400	0.000	توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية

نلاحظ من الجدول (7) ان قيمة مربع كاي في جميع الحالات أكبر من القيمة الاحتمالية لها والتي تساوي 0.000 في أغلب الحالات وهي أقل من مستوى المعنوية 0.05 لذلك توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية بين اجابات المبحوثين على جميع العبارات وعليه وتأسيساً على ما تقدم يستنتج الباحثان بأن الفرضية التي تنص على ان (توجد علاقة ذات إحصائية بين الترقية والولاء التنظيمي) قد تحققت .

الخاتمة :

أولاً : النتائج

من خلال الدراسة الميدانية توصل الباحث إلى النتائج التالية:

1. وجود فرص كافية للترقية يزيد من ولاء العاملين تجاه المنظمة.
2. قصر الفترات الزمنية بين الترقيات يساهم في استقرار العاملين.
3. توضيح شروط الترقية يحقق الرضا الوظيفي للعاملين.
4. اتباع نظام الجدارة في الترقية يرفع الروح المعنوية للعاملين.
5. وجود عائد مادي مجزي لمصاحب للترقية يزيد من دافعية العاملين.

ثانياً: التوصيات:

أوصت الدراسة بالتالي:

1. يوصي الباحث بضرورة وجود فرص كافية للترقية لزيادة ولاء العاملين تجاه المنظمة.
2. لابد من أن تكون الفترات الزمنية بين الترقيات قصيرة لأن ذلك يساهم في إستقرار العاملين.
3. ضرورة إتباع نظام الجدارة في الترقية لرفع الروح المعنوية للعاملين.
4. يجب أن يكون هنالك عائد مادي مجزي لمصاحب للترقية لزيادة دافعية العاملين.

ثالثاً : قائمة المصادر والمراجع:

1. سهيلة لغرس وكريم أحمد , الإتجاهات النظرية لتفسير مفهوم الترقية, دراسة مقارنة بين النظرية الكلاسيكية ونظرية العلاقات الإنسانية ونظرية Z, ورقة علمية منشورة ,المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات,المجلد06, 04, أكتوبر 2023م.
2. علي نجيب حمزة وحيدر مطر عيدان , أسلوب الترقية في إختيار القيادات الإدارية لقوى الأمن الداخلي,ورقة علمية منشورة , مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية, المجلد13 , العدد 2, ديسمبر 2022م.
3. وديع بوتاعة وسهيلة بوتاعة, الترقية والولاء التنظيمي للعاملين,مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير , جامعة محمد الصديق بن يحيى , جيل , 2020م.
4. تيسير مقدادي وآخرون , مقدمة في إدارة الموارد البشرية , عمان, دار الرنيم ,2016م.

Analysis of the Canadian Lynx Data Under Two Different Transformations

Mohammed. A. Elbargthy¹, Nasir Elmesmari^{2*}, Mohammed Elnazzal³

^{1,3} Department of Statistics, Faculty of Science, University of Benghazi, Benghazi, Libya

² Department of Statistics, Faculty of arts and Science, Al Maraj, University of Benghazi, Benghazi, Libya

Correspondent Email: nasir.elmesmari@uob.edu.ly

HNSJ, 2024, 5(3); <https://doi.org/10.53796/hnsj53/21>

Published at 01/03/2024

Accepted at 20/02/2024

Abstract

This study is an attempt to find a more adequate model for the celebrated Canadian lynx data (1821 – 1934) than the classical models suggested by other researchers mentioned in the literature [Campbell and Walker (1977)]. In the previous in which studies the logarithmic transform to base 10 was used, in this study both logarithmic and square root transforms are used for the sake of comparison. Our results seem to suggest that the models fitted using logarithmic transformed data are in general superior to their counterparts under the square root transformation in terms of the significance of parameter estimates and their standard errors. The classical model ARMA (3,3) and our own model ARMA (3,0) were found to provide a reasonable model to logarithmic transformed lynx data.

Key Words: Canadian Lynx data, The logarithm and square root transformation, ARMA (3,3), ARMA (3,0).

المستخلص

هذه الدراسة عبارة عن محاولة لاجاد نموذج أكثر ملائمة من النماذج المقترحة في الدراسات السابقة لبيانات حيوان الوشق الكندي. ففي الدراسات السابقة النموذج المقترح هو تحويلة اللوغاريتم الطبيعي للاساس 10، أما في هذه الدراسة تم اقتراح تحويلة الجذر التربيعي ونموذج الانحدار الذاتي للرتبة 3 $ARMA(3,0)$ حيث اظهرت النتائج أن اداء نموذج تحويلة اللوغاريتم الطبيعي يفوق اداء نموذج الجذر التربيعي بينما لا يوجد اختلاف بين نموذج تحويلة اللوغاريتم الطبيعي للاساس 10 ونموذج الانحدار الذاتي للرتبة 3 $ARMA(3,0)$.

1. Introduction

A time series (TS) is a sequence of observations of one variable ordered in time. These observations are collected at equally spaced, discrete time intervals. Although in some cases the ordering may be according to another dimension. The measurement of some particular characteristic over a period of time constitutes a time series. It may be an hourly record of temperature at a given place or a quarterly record of gross national product. A time series is regarded to be continuous when observations are made continuously in time, also it is regarded to be discrete when observations are taken only at specific time usually equally spaced. [Anderson, T. W (1971)].

A stochastic process is a family of real valued random variables $X_1, X_2, \dots$ where subscripts refer to successive time periods, and is denoted with $\{X_t\}$. Each of the random variables in the stochastic process has generally its own probability distribution and are not independent. Consider that for each time period we get a sample of size one (one observation) on each of the random variables of a stochastic process. Therefore, we get a series of observations corresponding to each time period and to each different random variable. The special feature of time series data is the fact that successive observations are usually not independent, and the analysis must take into account the time order of observations.

1.1 Collection Time Series Data

We will discuss the importance of data and data collection, components of time series data, graphical presentation of data, and numerical presentations and transformations of time series data. Each of these procedures will be important in building our tools for time series analysis and forecasting methods. And where the first and one of the most important steps in the analysis of time series data and the subsequent development of a forecasting model is the collection of valid and reliable data. Analysis and forecasting are no more accurate than the data used to generate summary statistics and forecasts. The most sophisticated statistical techniques and forecasting model will be useless if applied to unreliable data. [Gaynor P.E. and R.C. Kirkpatrick (1994)]

1.2 Nonstationary Process

If we have assumed that underlying process is stationary, this implies that the mean, the variance, and auto covariance of the process are invariant under time transformations. Thus, the mean and the variance are constant, and the auto covariance depends only on the time lag. Many observed time series, however, are not stationary. In particular, most economic and business series exhibit time-changing levels and/or variances. A changing mean can often be described by low-order polynomial in time. However, frequently the coefficients in these polynomials are not constant but vary randomly with time. Such nonstationary, in which the observations are described by random (or stochastic) trends, is usually referred to as homogeneous nonstationary. It is characterized by a behavior in which, apart from local level and/or local trend, one part of the series behaves like the others.

1.3 Stationarity Process

In order to analysis time series a good number of stochastic models have already been developed, a central feature in the development of time series models is an assumption of some of statistical equilibrium. An important class of stochastic models for describing time series is called stationary models, which assume that the statistical properties of the process do not change over time. Usually, a stationary time series can be usefully described by its mean, variance and autocorrelation function. A process with approximate constant mean, variance and autocorrelation through time is called a stationary process. [Box-Jenkins, (1970)].

1.4 Autoregressive Process of Order p [AR(P)]

The process $\{X_t\}$ is said to be an autoregressive process of order p ; if it satisfies the difference equation:

$$X_t + a_1X_{t-1} + \dots + a_pX_{t-p} = \varepsilon_t$$

Where $a_1, \dots, a_p$ are constants and $\{\varepsilon_t\}$ a purely random process (white noise). [Pristely, (1981)].

1.5 Moving Average Process of Order q [MA (q)]

The process $\{X_t\}$ is said to be a moving average process of order q if it can be written as

$$X_t = b_0\varepsilon_t + b_1\varepsilon_{t-1} + \cdots + b_q\varepsilon_{t-q}$$

where $b_1, \dots, b_q$ are constants and $\{\varepsilon_t\}$ is a stationary purely random process.

Note that we may, without any loss of generality, assume that $b_0 = 1$ or $\sigma_\varepsilon^2 = 1$.

It is clear that we cannot assume that ($b_0 = 1$ or $\sigma_\varepsilon^2 = 1$) simultaneously. Since $\{X_t\}$ is a linear combination of uncorrelated random variables it is easy to see that $\{X_t\}$ is always a stationary process. It is sometimes useful to express a moving average process in autoregressive form. If this is to be done; the moving average parameter must satisfy the invariability condition which takes a form similar to that which has to be imposed on autoregressive to ensure stationarity. The autocorrelation function MA(q) cuts off after lag q (i.e. $\rho_k = 0$; $k > q$); while the partial autocorrelation function is infinite in extent and dominated by damped exponentials.

The $\{\varepsilon_t\}$ used in constructing both the (AR and MA) process, but the difference between the two types of processes is that, in AR case X_t is expressed as a finite linear combination of its own past values and the current value of ε_t . [Pristely, (1981)].

1.6 Mixed Autoregressive Moving average process [ARMA(p, q)]

Mixed autoregressive and moving average process having p -AR and q -MA terms, is given by:

$$X_t + a_1X_{t-1} + \cdots + a_pX_{t-p} = b_0\varepsilon_t + b_1\varepsilon_{t-1} + \cdots + b_q\varepsilon_{t-q}$$

Where $a_p \neq 0$ and $b_q \neq 0$ are a constants and $\{\varepsilon_t\}$ is a purely random process; and denoted by ARMA (p, q).

For an ARMA process to be stationarity we have to assume that the roots of $\alpha(B) = 0$ are outside the unit circle and for invariability we have to assume that the roots of $\beta(B) = 0$ are outside the unit circle.

Many obvious advantages arise in using ARMA models which combine terms of both the AR and MA type, and in fitting models to observational data it is often possible to fit an ARMA models of smaller order than would be required in purely AR or MA models. [Fuller, (1976)].

2. The Lnx Data

The Canadian lynx data set is the annual record of the number of the Canadian lynx "trapped" in the Mackenzie River district of the North-West Canada. These data are actually the total Fur returns, or total Fur sales, from the London archives of the Hudson's Bay Company in the years of 1821–1891 and 1887–1913; and those for 1915 to 1934 are from detailed statements supplied by the Company's Fur Trade Department in Winnipeg; those for 1892–1896 and 1914 are from a series of returns for the MacKenzie River District; those for the years 1863–1927 were supplied by Ch. French, then Fur Trade Commissioner of the Company in Canada. By considering the time lag between the year in which a lynx was trapped and the year in which its fur was sold at auction in London, these data were converted in Elton and Nicholson (1942) into the number that were presumably caught in a given year for the years 1821–1934 which giving a total of 114 observations.

3. Previous Studies

In 1953 P.A.P. Moran suggested that the logarithms transformation is an optimal solution for the Canadian lynx data. Since Moran noticed a damping in the sample correlogram then he made the first model for this data which is AR (2). Figure (1) shows the logarithms (to base 10) of the annual trapping of the lynx over the period (1821 – 1934), giving a total of 114 observations. This is a celebrated set of data and has been the subject of great deal of study among time series analysis by Campbell and Walker (1977) who gave an interesting review of previous analyses. The dominant feature of the graph is that the data contain persistent oscillations with a steady period of approximately ten years, but with irregular variations in amplitude. The sample autocorrelation

function is shown in figure (2), where the strong periodic behavior of this function confirms the "Pseudo periodicity" in the data. However, the autocorrelation also shows some degree of damping, which is consistent with the irregular variations of amplitude in the data. The form of both the data and the autocorrelation function suggests that there is a strictly periodic component corrupted by "error", alternatively that the data conform to some "pseudo periodic" type of ARMA model. The former type of model is that chosen by Campbell and Walker (1977). The above account on the lynx data was taken almost literally from Priestley (1981, p384).

Figure 1: the logarithms (to base 10) of the lynx data over the period (1821 – 1934)

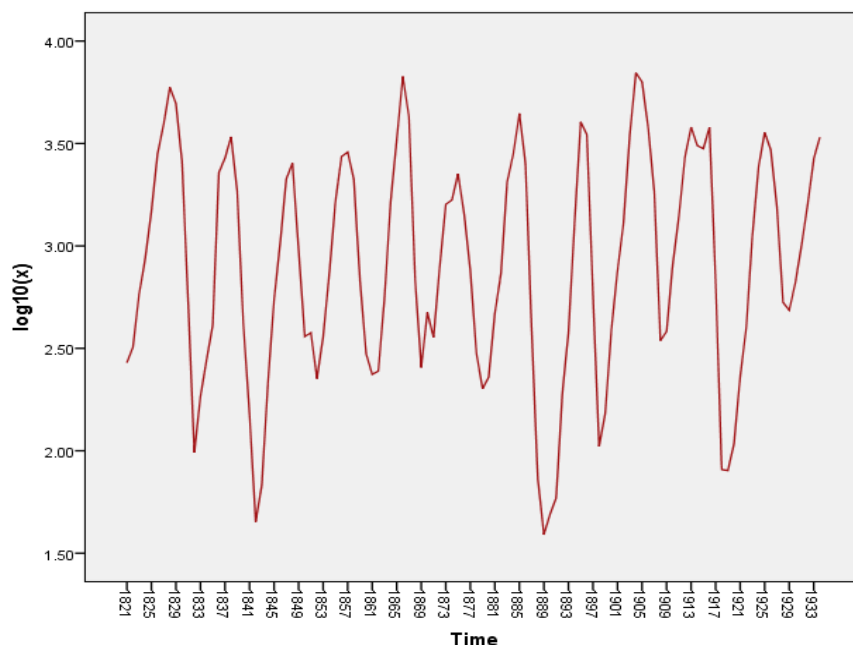
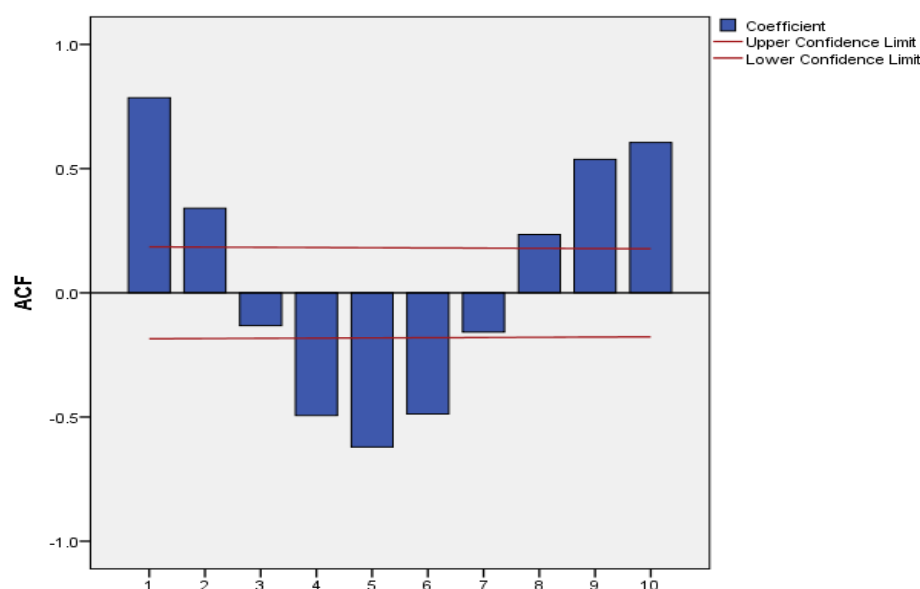


Figure 2: The sample autocorrelation function of logarithms the data



4. Methodology

In many aspects of time series analysis, data transformations are useful, often for stabilizing the variance of the data. Non constant variance is quite common in time series data. A very popular type of data transformation to deal with non-constant variance is the Power family of transformations, given by:

$$x^\lambda = \begin{cases} \frac{x^\lambda - 1}{\lambda \hat{x}^{\lambda-1}} & \lambda \neq 0 \\ \hat{x} \ln x & \lambda = 0 \end{cases}$$

Where $\hat{x}$ is the geometric mean of the observations $\{\hat{x} = \exp[(\frac{1}{T}) \sum_{i=1}^T \ln x_i]\}$. If $\lambda = 1$, there is no transformation. Typical values of λ used with time series data are $\lambda = 0.5$ (a square root transformation), $\lambda = 0$ (the log transformation), $\lambda = -0.5$ (reciprocal square root transformation), and $\lambda = -1$ (inverse transformation). The divisor $\hat{x}^{\lambda-1}$ simply a scale factor that ensures that when different models are fit to investigate the utility of different transformations (values of λ), the residual sum of squares for these models can be meaningfully compared. The reason that $\lambda = 0$ implies a log transformation is that $(\frac{x^\lambda - 1}{\lambda})$ approaches the log of x as λ approaches zero. Often an appropriate value of λ is chosen empirically by fitting a model to $x^{(\lambda)}$ for various values of λ and then selecting the transformation that produces the minimum residual sum of squares. The log transformation is used frequently in situations where the variability in the original time series increases with the average level of the series. When the standard deviation of the original series increases linearly with the mean, the log transformation is in fact an optimal variance-stabilizing transformation. The log transformation also has a very nice physical interpretation as percentage change [Montgomery 2008]. When the data has exponential growth, the optimal transformation is taking the logarithm of the values which called (log transform). The problem with protentional curve that is the growth rate not clear how much would be.

As far as the lynx data under square root is concerned, to our knowledge no attempt was made to study its correlation structure under this transformation. The square root transformed lynx data is plotted in figure (3) with its sample autocorrelation function in figure (4).

Figure 3: the square root of the lynx data over the period (1821 – 1934)

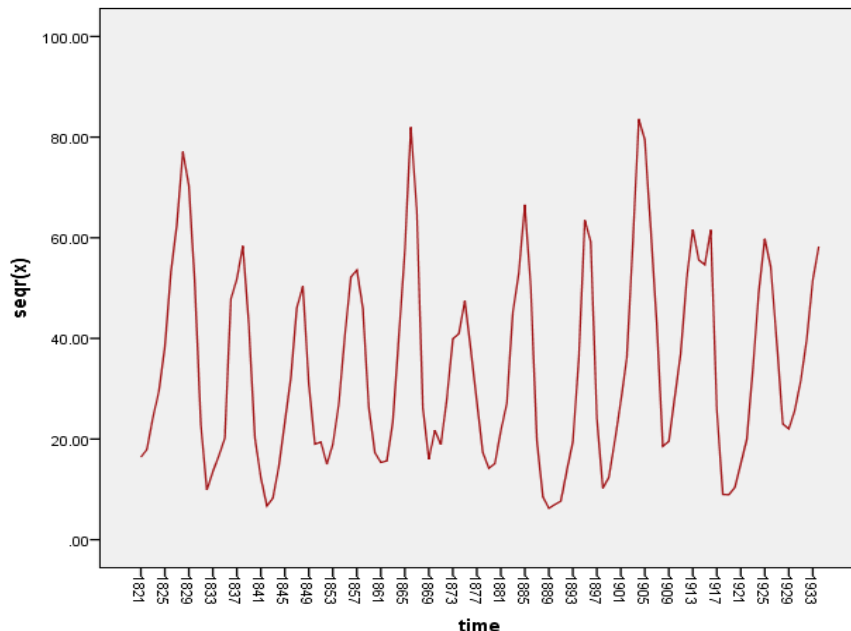
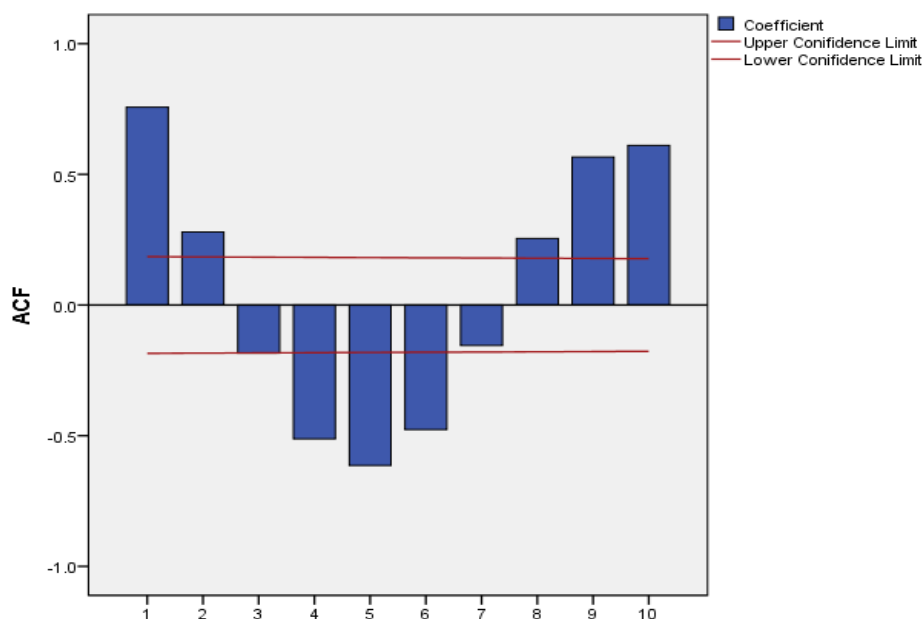


Figure 4: The sample autocorrelation function of square root of the data



5. Analysis

The ARMA models of order ARMA (3, 3) and ARMA (3,0) under both transformations (the logarithm to base 10 and square root) were fitted to the lynx data. The results are given in tables (1 and 2) which include: parameter estimates, standard errors, calculated p-values, p value for Ljung Box test, stationary R square, normalized Bayesian information criterion (BIC), root mean square error (RMSE), mean absolute percentage error (MAPE).

Table 1: The results of the fitted ARMA(3,3) model under both transformations

Estimates		The logarithmic transformed	The square root transforms
constant		2.906	34.144
$\hat{a}_1$		2.083	1.996
	SE	0.127	0.006
	P-Value	0	0
$\hat{a}_2$		-1.785	-1.647
	SE	0.201	0.006
	P-Value	0	0
$\hat{a}_3$		0.499	0.407
	SE	0.124	0.003
	P-Value	0	0
$\hat{b}_1$		0.905	0.947
	SE	0.123	0.098
	P-Value	0	0
$\hat{b}_2$		-0.099	-0.028
	SE	0.144	0.124
	P-Value	0.493	0.825
$\hat{b}_3$		-0.490	-0.591
	SE	0.102	0.104
	P-Value	0	0
P-value	Ljung Box test	0.055	0.124
R-Square		0.864	0.837
BIC		-2.813	4.472
RMSE		0.212	8.090
MAPE		6.166	21.846

Table 2: The results of the fitted ARMA(3,0) model under both transformations

Estimates	The transformed	logarithmic	The square root transforms
constant	2.903		34.127
$\hat{a}_1$	1.287		1.264
SE	0.095		0.095
P-Value	0		0
$\hat{a}_2$	-0.577		-0.628
SE	0.146		0.142
P-Value	0		0
$\hat{a}_3$	-0.118		-0.063
SE	0.095		0.096
P-Value	0.220		0.515
P-value Ljung Box test	0.006		0.011
R-Square	0.832		0.792
BIC	-2.755		4.564
RMSE	0.232		9.015
MAPE	6.834		27.918

Figure 5: The residuals series of ARMA(3,3) model

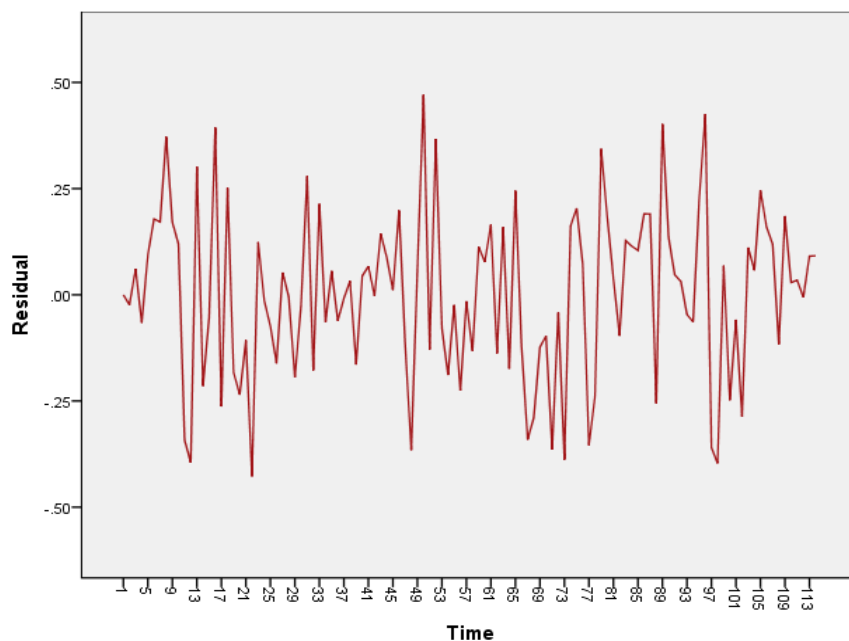


Figure 6: The residuals series of ARMA(3,0) model

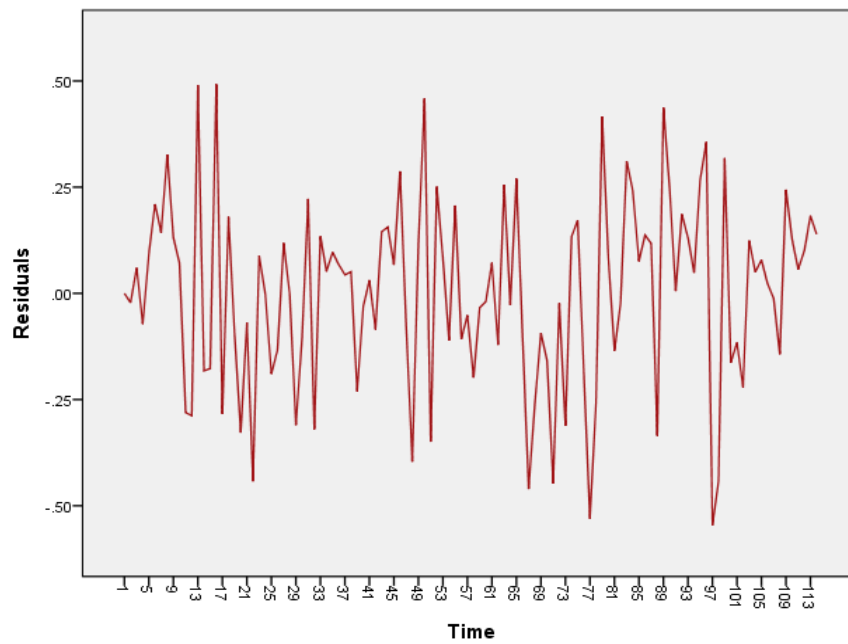


Figure 7: The autocorrelation function of residuals series for ARMA(3,3) model

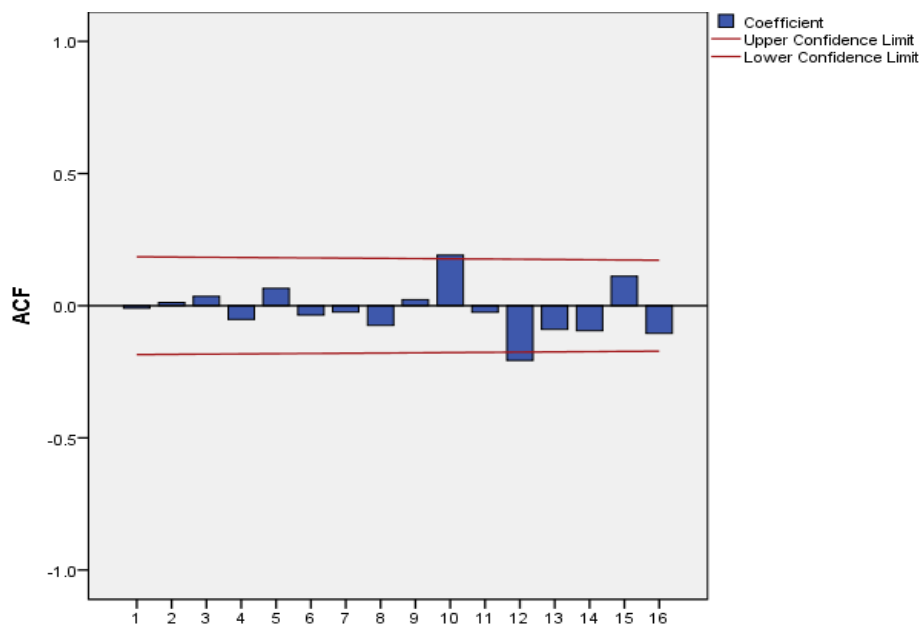


Figure 8: The autocorrelation function of residuals series for ARMA(3,0) model

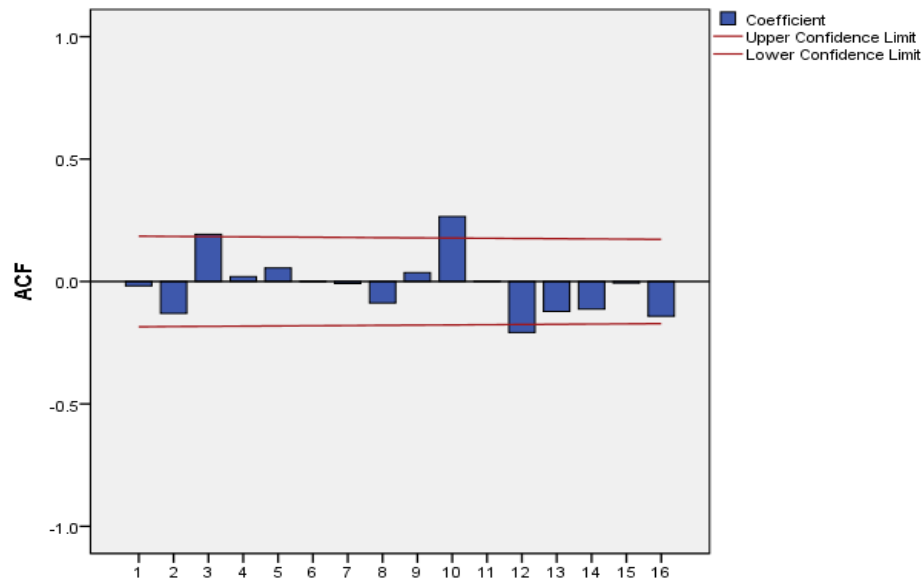


Figure 9: Histogram of residuals series for ARMA(3,3) model

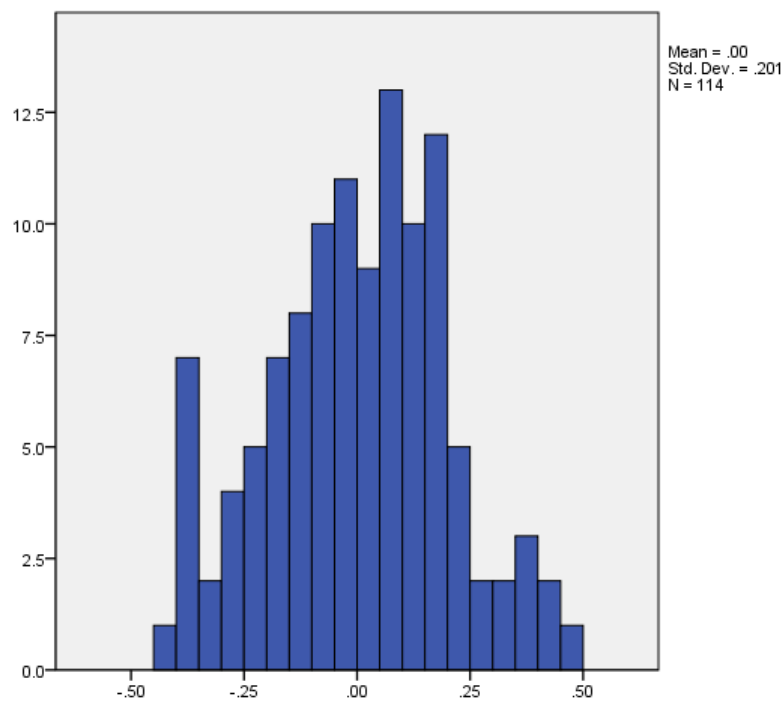
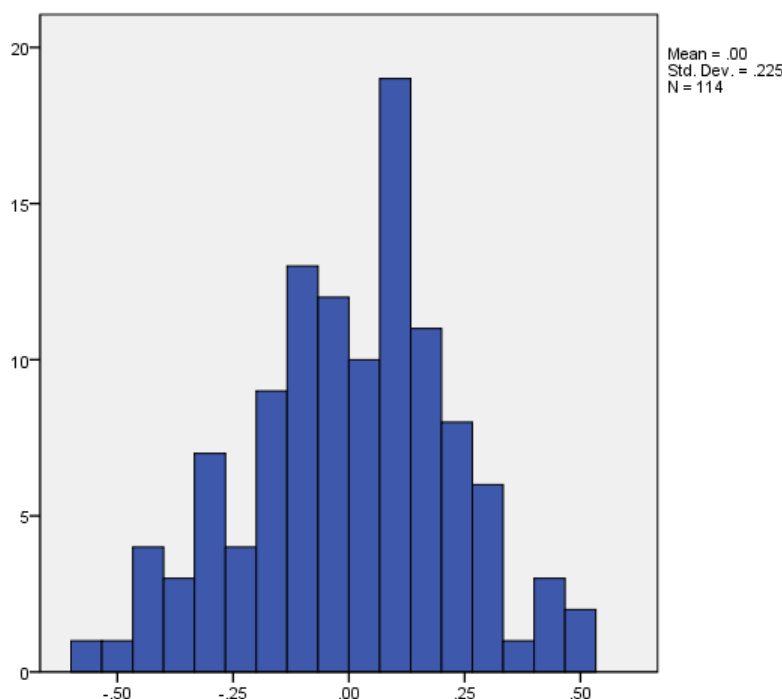


Figure 10: Histogram of residuals series for ARMA(3,0) model



6. Discussion and Conclusion

The results in tables (1 and 2) seem to suggest that the models fitted under logarithmic transformation are in general better than their counterpart models fitted under square root transformation. The Ljung box failed to give non-significant results ($p > 0.05$) accepting the randomness especially ARMA (3,0) model. The two models ARMA (3,3) which among the classical models mentioned in previous studies in the literature and our own model ARMA (3,0) seem to be plausible models, because it appears that they satisfy the first stage indication of a good model where parameter estimates are significant except one parameter estimate in the case the ARMA (3,3) model. The values of R square, RMSE, MAPE and normalized BIC are slightly smaller in the case of the ARMA (3,3) model than in the ARMA (3,0) model case. ARAM (3,3) model under logarithmic and square root transformation give non-significant results for Ljung-Box test which means that the assumption that the errors are white noise cannot be rejected, whereas in ARAM (3,0) model the errors term did not pass the test. However, the plots of series, autocorrelation function, and histogram of the residual for both models indicate the randomness of the errors where no apparent trend (figures 3 - 10).

References

- Akaike, H. (1969). Power spectrum estimation through autoregressive model fitting, Ann. Inst. Statist. Math. 21, 407-419
- Anderson, T. W (1971); The statistical analysis of Time series; John Wiley and Sons, Inc.
- Box, G. E. P., and Pierce, D. A. (1970). Distribution of residual autocorrelations in autoregressive moving average time series models, J. Amer. Statist. Assoc., vol 65 pp 1509 – 1526
- Box G.E.P. and G.M. Jenkins (1970); Time series Analysis, for forecasting and control. Holden-Day, Inc, San Francisco.
- Campbell, M. J. and Walker, A. M. (1977). A survey of Statistical work on Mackenzie River series of annual condition lynx trappings for the years 1821- 1934, and anew analysis. J. Roy. Statist. Soc. Ser. A. 140, 411, 431.
- Chatfield. C (2004); The Analysis of time series an Introduction Sixth Edition, CRC press llc.
- Elmesmari, N., Suliman, R., & Elnazzal, M. (2022). The Effect of Over-Differencing on Model Validity. Sch J Phys Math Stat, 8, 122-144.

- Elton, C. and Nicholson, E. (1942). "The ten-year cycle in numbers of the lynx in Canada" *J. Anim. Ecol.* , 11 pp. 215–244
- Fuller W.A (1976); Introduction to statistical time series, John Wiley and Sons, Inc.
- Gaynor P.E. and R.C. Kirkpatrick (1994); Introduction to time series modeling and forecasting in business and economics, John Wiley and sons, New York.
- Hamilton J.D (1994); Time series analysis, Princeton university press.
- Hannan, E. J. (1960); Time series analysis, Methuen, London.
- Jenkins, G. M. and Watts, D. G. (1968). Spectral analysis and its Applications, Holden-Francisco.
- Kazmier L.J (1979); Basic statistics for business and economics, Mcgraw. Hill, Inc.
- Ljung, G. M. and Box, G. E. P. (1978); On a measure of lack of fit in time series models, *Biometrika*, vol 65 pp 297 – 303.
- Moran, P.A.P (1953). "The statistical analysis of the Canadian lynx cycle. I: structure and prediction" *Aust. J. Zool.* , pp. 163–173
- Montgomery D.C. and L.A. Johnson (1976); Forecasting and time series analysis, Mcgraw Hill, New York.
- Priestly M.B (1981) Spectral analysis and time series and time series, Academic press, London.

Humanitarian and Natural Sciences Journal

Peer-Reviewed Journal

Volume (5) Issue (3), March 2024



Sudan, Khartoum, Khartoum North,
Kafouri next to Al-Zaeem Al-Azhari University

Tel: 00249123656807

00249905578664

Email: info@hnjournal.net

Iraq - Babylon Tel: 009647805011077